

الدكتور وميض العمري



# رجاء الفلاح في التنمية الفكرية



رجاء الفلاح

في التنمية الفكرية

# رجاء الفلاح في التنمية الفكرية

المؤلف: الدكتور وميض بن رمزي بن صديق العمري

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف  
الطبعة الأولى ٢٠٢٤م - ١٤٤٥هـ



## مكتب التفسير

للطبوع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المظفرية

+964 750 818 08 65

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com

tafseeroffice

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مكتب التفسير

العمري، وميض بن رمزي بن صديق

رجاء الفلاح في التنمية الفكرية، الدكتور وميض بن رمزي بن صديق العمري (المؤلف)

٦١٠ ص.

١٧ \* ٢٤ سم

١-الإسلام، ٢- الفكر الإسلامي أ.العنوان. ب.السلسلة

ISBN: 978-9922-690-53-7

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة - إقليم كردستان (١٠٦١) لسنة ٢٠٢٣

"الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر"

# رجاء الفلاح

في التنمية الفكرية

الدكتور

وميض بن رمزي بن صديق العمري



## المقدمة

الحمد لله على سعة ورحمته وعلى عظيم ودوام فضله وعلى جميل فتحه، هو الأول فلا قبله شيء وهو الآخر فلا بعده شيء وهو الظاهر فلا فوقه شيء وهو الباطن فلا دونه شيء. واللهم صل على رسولك سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه.

أما بعد، فإن جودة العمل تابعة لجودة التفكير، فقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الملك: ٢، يتضمن: أيكم أحسن عقلاً وتفكيراً في انتقاء الأحسن من بين الخيارات والبدائل.

وقال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ٢٦٩؛ فمنشأ الحكمة في العقل والتفكير ثم تنتج كلاماً او عملاً.

وحين نذكر ألفاظاً مثل الحكمة والتفكير والتعقل ونحوها، فإنها من الغايات الدينية العظيمة، كما يوضحه نحو قوله تعالى ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ النحل: ٤٤؛ غير أن لهذه الألفاظ حكم المجملات لما فيها من إبهام، وحاجة إلى تفصيل لمهارات التفكير والتعقل والحكمة. وكثير من المسلمين قديماً وحديثاً أخذوا العلوم العقلية او الفكرية من المصادر الأجنبية. والإطلاع على المصادر الأجنبية مشمول بمنزلة الأستاذية العالمية، أي بقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣، فال المطلوب منا أن نكون شهداء على أفكارهم وأعمالهم.

ولكن يجب أن نتذكر دائماً قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣، فالله تعالى هو أحكم الحاكمين، والقرآن الكريم هو كتاب الحكمة، كما في قوله تعالى ﴿ الرِّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ يونس: ١، كما أن من أهم وظائف النبوة أن يُعلم المؤمنين الحكمة كما في نحو قوله تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١. فدين الإسلام مصدر عظيم للحكمة وما تحتاجه من مهارات تفصيلية توضح الإجمال.

فالغاية من هذه الدراسة، تقديم ما يمن الله تعالى علينا به من المهارات العقلية كما نفهمها من الآيات القرآنية أو السنن النبوية، وهي في غاية الأهمية لأنها من ضرورات تحسين الأداء والتفوق (أي المغالبة والإستباق) في المجالات عموماً. وينبغي التذكير بأن هذا الكتاب يُعدُّ تنمة لما بيناه من مهارات التفكير في (المنطلق في فقه العمل)، وفي (نخبة المسار في فقه القيادة والإدارة)؛ وقد نحتاج هنا إلى تكرار أو اختصار بعض ما ذكرناه هناك.

## الدكتور

وميض بن رمزي العمري

009647723421649

wrsalomari@yahoo.com

# المبحث الأول

## معاني ألفاظ مهمة تتصل بالتفكير وبالعلوم العقلية

والمقصود في هذا المبحث ذكر المعنى الإجمالي. وأما المهارات الفكرية او العقلية التفصيلية للمعاني المجملة، فسنذكر جملة صالحة منها في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

### التفكير:

التفكير هو تشغيل الرؤية العقلية او هو إعمال الخاطر في الشيء، كما هي عبارة ابن سيده في (المحكم)، او هو ممارسة النشاط الذهني كما في (معجم العربية المعاصرة)، او هو التأمل كما في (الصحاح تاج اللغة)، او هو تحريك قوة المعرفة في النفس كما هو قريب من عبارة الراغب والسمين الحلبي. وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة توجب التفكير وتوجب توجيهه إلى الخير والحق:

منها قوله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ٥٠. فتدبر الإنكار الذي تتضمنه عبارة ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾.



ومنها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الرعد: ٣، فتدبر أنها آيات لقوم يتفكرون، فكأن الذين لا يتفكرون ليسوا من أهل هذا الشأن.

ومنها نحو قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الرعد: ٣. واضح من هذه الآية وغيرها أن أنواع التفكير تتضمن التوسم أي البحث عن العلامات او الآيات التي توصل إلى المعاني الصحيحة.

ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِيلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١. فالتفكير الموصل إلى الحق هو من خصائص أولي الأبواب.

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِيًّا وَفَرَدَيْ تُمْ نَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ سبأ: ٤٦ . فتدبر الأهمية العظيمة للتفكير كما تدل عليه عبارة ﴿ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ ﴾، فكأنها هي دون غيرها.

وتدبر التوجيه الخاطيء للتفكير السقيم كما يوضحه التهديد في قوله تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ المدثر: ١١، إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ تُمْ قُلْ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ تُمْ نَظَرَ ﴿٢١﴾ تُمْ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ تُمْ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ المدثر: ١٨ - ٢٦.

## التقدير:

القَدِيرُ والقَادِرُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَكُونَانِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَهِيَ ضِدُّ الْعَجْزِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الملك: ١. وَيَكُونَانِ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَهُوَ إِبْرَامُ الْأَمْرِ وَالْحُكْمِ فِيهِ وَإِمَاضَاؤُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَقَضَيْنَ لَهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَيْنَا فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ فصلت: ١٢، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ القمر: ١١ - ١٤، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المرسلات: ٢٠ - ٢٣. وَلِذَلِكَ ذَكَرَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي (المحكم) وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَيْضًا أَنَّ الْقَدْرَ هُوَ: الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ، أَيْ هُوَ مَا يَقْدَرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقَضَاءِ وَيُحْكُمُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ كَمَا هِيَ عِبَارَةٌ (تاج العروس). وَمِنْهُ مَعْنَى «ليلة القدر» أَيْ لَيْلَةُ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ كَمَا يُوَضِّحُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ الدخان: ٣ - ٤. وَيَتَفَرَّعُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ التَّقْدِيرِ بِمَعْنَى الْقِيَاسِ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَقَدَرُ كُلِّ شَيْءٍ وَمِقْدَارُهُ: مِقْيَاسُهُ. وَقَدَرَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَقْدُرُهُ قَدْرًا وَقَدَّرَهُ: قَاسَهُ. وَقَادَرْتُ الرَّجُلَ مُقَادَرَةً إِذَا قَاسَيْتَهُ وَفَعَلْتِ مِثْلَ فَعَلِهِ. اهـ مِنْ (لسان العرب)، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ نَعْرُجُ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعارج: ٤.

ولذلك فإن التقدير في النشاط البشري يشمل التفكير المتكامل بالأمر ومهارات صناعة القرار فيه بما يتوافق مع القُدرات. ويشمل ذلك قرار المنهج والقيَم الصحيحة، وقرار صناعة الهدف، وقرار التقويم، وقرار التخطيط والتنفيذ وغير ذلك من أنواع القرارات. وفي كثير من الأحيان يُستعمل له اصطلاح «تقدير الموقف». ويشمل في العربية التقدير السليم والتقدير الفاسد، ويوضحه ما ذكرناه قبل قليل من قوله تعالى ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ المذشر: ١٨ - ٢٠.

## النظر:

قال مرتضى الزبيدي: وفي البصائر: وَالنَّظَرَ أَيضاً تَقْلِيْبُ البَصِيْرَةِ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَرُؤْيِيْتِهِ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ التَّأْمُّلُ وَالْفَحْصُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ المَعْرِفَةُ الحَاصِلَةُ بَعْدَ الفَحْصِ. وَأَسْتَعْمَلَ النَّظَرَ فِي البَصَرِ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالاً عِنْدَ العَامَّةِ، وَفِي البَصِيْرَةِ أَكْثَرَ عِنْدَ الخَاصَّةِ. وَيُقَالُ: نَظَرْتُ إِلى كَذَا، إِذَا مَدَدْتَ طَرْفَكَ إِلَيْهِ، رَأَيْتَهُ أَوْ لَمْ تَرَهُ، وَنَظَرْتُ، إِذَا رَأَيْتَهُ وَتَدَبَّرْتَهُ، وَنَظَرْتُ فِي كَذَا: تَأَمَّلْتَهُ. اهـ من (تاج العروس). والفرق بين التفكير والنظر، أن «التفكير» يمكن أن يقع بقصد العبث، وأما «النظر» فكانك وجهت تفكيرك لرؤية أمر معين، سواء كان صالحاً أو فاسداً، والله تعالى أعلم.

وفي القرآن الكريم بيان لأهمية النظر أو التفكير الموجه إلى الخير والحق:

من ذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٧. فكان الناظر يرجع إلى الوراء كي يقف في بداية الحدث الماضي، ثم يسير إلى الإمام في دراسة تطور الأحداث وإلى نهاية المطاف، وسيأتي تفسير مفصل لتفسير آية آل عمران، تحت عنوان: «التحليل والخبرة غير المباشرة»، إن شاء الله تعالى.

ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت: ٢٠ .

ومنه قوله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ ..... ﴾ عبس: ٢٤ - ٣٢ .

ومنه قوله تعالى ﴿ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ الصافات: ٨٨ - ٩٣ .

ويقع بكثرة أن يعتمد الإنسان توجيه فكره للنظر إلى باطل ولتزيينه، وقد سبق قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَّ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المدثر: ٢٠ - ٢٣ .

## العقل والقلب:

العقل عند الإنسان نوعان:

(النوع الأول): يتضمن معنى التمتع او الإمساك او ما يقارب الحبس كما هي عبارة ابن فارس في المقاييس. ومنه: الْمُعْقِلُ وَالْعَقْلُ، وَهُوَ الْحِصْنُ، وَجَمْعُهُ عُقُولٌ. وَالْعَقْلُ أَيْضًا الدية فإنها تُمسك عن المؤاخذه في الخطأ وتُمسك المخطئ عن تكرار مثل هذا الخطأ. وفي (لسان العرب) عن الأصمعي: مَرِضٌ فُلَانٌ فَاعْتَقِلَ لِسَانَهُ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ. وَاعْتَقِلَ: حَبَسَ. وَعَقْلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ يَعْقِلُهُ وَعَقْلَهُ وَتَعَقَّلَهُ وَاعْتَقَلَهُ: حَبَسَهُ. وَعَقَلَ الدَّوَاءَ بَطْنُهُ يَعْقِلُهُ وَيَعْقِلُهُ عَقْلًا: أَمْسَكَهُ، وَقِيلَ: أَمْسَكَهُ بَعْدَ اسْتِطْلَاقِهِ، وَاسْمُ الدَّوَاءِ الْعُقُولُ.

وَعَقَلَ البعيرَ يَعْقِلُهُ عَقْلًا وَعَقَلَهُ وَاَعْتَقَلَهُ: ثَنَى وَظَيَّفَهُ مَعَ ذِرَاعِهِ وَشَدَّهَما جَمِيعًا فِي وَسَطِ الذَّرَاعِ، وَكَذَلِكَ النَّاقَةُ، وَذَلِكَ الحَبْلُ هُوَ العِقَالُ، وَالْجَمْعُ عُقْلٌ، كما في (لسان العرب).

فهذا النوع من العقل هو قوة النفس التي تجعل الإنسان يمتنع عن القبائح والرذائل ويحبس نفسه على الخير والمحاسن. وعبرة ابن فارس أن العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل. وأما عبارة ابن منظور فقال: وَسُمِّيَ العَقْلُ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْقِلُ صاحِبَهُ عَنِ التَّوَرُّطِ فِي المَهَالِكِ أَي يَحْبِسُهُ. اهـ من (لسان العرب). وعن الأصمعي قال العَقْلُ: الإِمْسَاكُ عَنِ القَبِيحِ وَقَصْرُ النَّفْسِ وَحَبْسُهَا عَلَى الحَسَنِ. اهـ (نقله ابن سيده في المخصص). فهذا النوع كثير في الإستعمال القرآني، وهو قريب جداً من معنى الحِجْر والنَهْيِ واللب، وهو نقيض الحمق والسفه. ولذلك يوصف الأحمق بالرجل الباجر (من البحر) لأنه يتسع بجهله فيما لا يتسع فيه العاقل (مادة بحر في المقاييس). ويتصل هذا النوع بميل النفس وسكونها إلى الخير أو الشر، ومحلّه في القلب أو في محتوى القلب. فالعقل بهذا المعنى يتضمن التصرف الحسن في المعاني الباطنة، ثم يتبعها ما يناسبها من القول والعمل. وواضح من هذه المعاني أن العقل هو مركز الهداية ويقبل الزيادة بالإكتساب والخبرة والتدريب.

فمن هذا النوع نحو قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦، فواضح أن آلة العقل هو القلب الذي في الصدر.

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنَّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٩، وقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَاءٍ لَّا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١.

وتدبر في هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَلِيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ الأنعام: ١١٣، فتدبر أن فؤاد غير المؤمن يمكن أن يصغى إلى الباطل ويتبعه، وهذا بخلاف العقل. فالفؤاد هو الدماغ (جندي القلب) كما ذهب إلى ذلك بعض المعاصرين؛ والمشهور عن أئمة العربية أن الفؤاد هو القلب. المهم هنا أن الفؤاد يمكن أن يميل إلى الحق أو الباطل. قال ابن سيده: التَّفَوُّدُ: التَّوَقُّدُ. والفُؤَادُ: الْقَلْبُ لَتَفَوُّدِهِ وَتَوَقُّدِهِ. اهـ من (المحكم). وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٦. فمن هذا النوع توجيه الفؤاد إلى الخير والحق، وأما توجيه الفؤاد إلى الباطل والفساد فهو من النوع الثاني. والمسؤولية عن الفؤاد تعني أن في عمل الفؤاد جانباً مكتسباً.

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق: ٣٧، واضح أن المراد هنا: من كان له قلب مستجيب لله تعالى فهو يتذكر هذه المعاني ويعقلها. وأما غير المستجيب فإن له قلباً لا يتذكر الحق بآياته وأدلتها، فلا يعقل هذه المعاني، كما هو واضح من آية الحج وغيرها، ولكنه يعقل أي يفهم المعلومات المجردة عن مقتضيات الاستقامة.

ويؤكد ما سبق، حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » رواه مسلم والبخاري وغيرهما، وبنه هذا الحديث الشريف أن كل جزء من الجسد له نصيب من عمل القلب أي عمل العقل. ولعل أعظم صلة بين القلب والجسد هي الصلة بين القلب والدماغ، فإن جملة من أعمال القلب أي العقل تصبح غير ظاهرة حين يقع تلف مؤثر في الدماغ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُخَذَّلُهُ وَلَا يَحْفَرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا »، وَيُسِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ » رواه مسلم وأحمد والترمذي والبخاري والبيهقي.

ولذلك يُستعمل العقل في فهم وقبول المعاني الصحيحة، من ذلك قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤، وقوله تعالى ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا لِنَجِيلٍ إِلَّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران: ٦٥، وقوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يونس: ١٦.

وقد وهبنا الله عز وجلَّ الطريق إلى التعقل أي إلى إجدادة الإدراك، قال تبارك تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ الإنسان: ٣، وقال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد: ١٠، أي السبيلين، سبيل الخير وسبيل الشر. وقال تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ الليل: ١٢، المشهور في تفسير الآية: إن علينا بيان طريق الخير والشر؛ ويوجد احتمال آخر: إن علينا أن نهكم أو نخلق فيكم آلة الهداية، وقد جمع أبو حيان بين الإحتمالين فقال: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾: التَّعْرِيفَ بِالسَّبِيلِ وَمَنْحَهُمُ الْإِدْرَاكَ. اهـ من (البحر المحيط). وبعد هبة الرحمن، فإن العقل يُكتسب باتباع أسباب الهداية ونمو العقل، يدل على ذلك نحو قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الحج: ٤٦، فالسير في الأرض بأفق واسع ورؤية تحليلية يؤدي إلى المزيد من التعقل.

ومعروف أن الحكمة تُكتسب بالتعلم والخبرة والتدريب، فكذاك العقل فإن الحكمة جزء عظيم منه.

**(النوع الثاني):** عَقَلَ بمعنى فهم وعرف وبصرف النظر عن حسن او قبح المعاني الباطنة. يُقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً فَهُوَ عَاقِلٌ، بوزن عَجَزَ يَعْجِزُ فَهُوَ عَاجِزٌ. ويُقال: عَقَلْتُ الشيءَ أَعْقَلُهُ عَقْلاً، أي فَهِمْتَهُ. ويُقال: لِفُلَانٍ قَلْبٌ عَقُولٌ، ولسانُ سَوْوَلٍ، وَقَلْبُ عَقُولٌ فَهِمٌ وهي صيغة مبالغة. وَيُقَالُ أَعْقَلْتُ فُلَانًا أَي أَلْفَيْتُهُ عَاقِلاً. وَعَقَلْتُهُ أَي صَيَّرْتُهُ عَاقِلاً. وَتَعَقَّلَ: تَكَلَّفَ الْعَقْلَ كَمَا يُقَالُ تَحَلَّمَ وَتَكَيَّسَ. وَتَعَاقَلَ: أَظْهَرَ أَنَّهُ عَاقِلٌ فَهِمٌ وَكَيْسَ بِذَلِكَ.

ولعل منه قوله تعالى ﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥. ونرجع إلى قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦، فإن عمى القلوب يجعلها لا تعقل القيم المعنوية الصحيحة ومفاهيم الإستقامة، ولكنها تعقل المعلومات المجردة عن اتجاه التوظيف، أهو توظيف باتجاه الحق أم باتجاه الباطل؟ وعلى هذا المعنى كلام الأصوليين والفقهاء في أحكام التكليف، كقولهم إن الصبي او المجنون غير مكلف حتى يعقل.

وقد أخطأ من أطلق القول بأن العقل هو العلم او العلم بعلوم معينة كاستحالة المستحيلات، او بالقدرة على التمييز بين المعلومات، فإن هذه وظائف التفكير والنظر، وقد يكون محلها في الدماغ. وإيضاً فإن العالم بالضروريات او بغيرها قد ينكرها ويكفر بها بدافع الهوى ونحوه، فعلمه ليس بعقل كما أنه لم يعقل في تصرفه الباطن والظاهر، ومنه قوله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ



الْمُفْسِدِينَ ﴿ النمل: ١٤، وقال تعالى ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنكُمْ لَنُرْمُونَ عَلَيْهِم مُّصِيبَاتٍ ﴿١٣٧﴾ وَبِأَيْلٍ أَفَلًا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ الصافات: ١٣٦ - ١٣٨، فإنهم يمرون عليهم ويشهدون عاقبتهم فلا يتعظون، فهم لا يعقلون. وقال تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿ الفرقان: ٤٤. وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ الحجرات: ٤.﴾

## الوعى:

الْوَعْيُ حفظ الشيء في وعاء أو حافظة، سواء حفظ الإنسان مالا أو ألفاظاً أو معانٍ صالحة أو معانٍ رديئة أو ثقافة أو عقيدة. ويختلف الوعاء بحسب الشيء الذي تحفظه. يُقال: وَعَى يَعِي وَعِيًا: أَي حَفِظَ وَفَهُم. ويُقال: أوعى المتاع يوعيه إيعاء إذا جمعه في وعاء فهو موعى.

قال ابن منظور: الوَعْيُ: حِفْظُ الْقَلْبِ الشَّيْءِ. وَعَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيهِ وَعِيًا وَأَوْعَاهُ: حَفِظَهُ وَفَهُمَهُ وَقَبَلَهُ، فَهُوَ وَاعٍ، وَفُلَانٌ أَوْعَى مِنْ فُلَانٍ أَي أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». الأزهري: الوَعْيِيُّ الحَافِظُ الكَيْسِيُّ الفَقِيه. وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ: لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: أَي عَقَلَهُ إِيمَانًا بِهِ وَعَمَلًا، فَأَمَّا مَنْ حَفِظَ أَلْفَاظَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاعٍ لَهُ؛ الأزهري عَنِ الْفَرَّاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ الانشقاق: ٢٣؛ قَالَ: الإيعاء مَا يَجْمَعُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالإِثْمِ. وَتَقُولُ: اسْتَوْعَى فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ حَقَّهُ إِذَا أَخَذَهُ كُلَّهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَاسْتَوْعَى لَهُ حَقَّهُ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: اسْتَوْفَاهُ كُلَّهُ مَاخُذٌ مِنَ الْوِعَاءِ. اهـ من (لسان العرب).

**وقال العلامة أحمد مختار عمر:** وعي فلان: انتبه من نومه أو غفلته؛ وعي من إهماله. وعى يوعي، وعّ، توعيته، فهو موعّ، والمفعول موعّى. وعى فلاناً: نصحه وحمله على إدراك موضوع من المواضيع. توعية [مفرد]: مصدر وعى. واع [مفرد]: جمعه: واعون. ووعاة: اسم فاعل من وعى ووعى. واعية [مفرد]: صيغة المؤنث لفاعل وعى ووعى. فقد وعيه في حادث سيارة، عاد إلى وعيه، استعاد وعيه: استعاد حواسه، تاب إليه رُشده. اهـ من (معجم اللغة العربية المعاصرة).

فمن وعى الخير قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ ١٢ ﴿الحاقة: ١١ - ١٢، فهذا الوعي ليس هو مجرد حفظ تسلسل الأحداث التاريخية، ولكنه إتحاظ بنجاة نوح وأصحابه وهلاك الكافرين، فوعي الأذن متصل بالقلب. يؤكد ذلك أن المفعول (الهاء) في ﴿وتعيها﴾ يصلح أن يرجع إلى التذكرة، أي تعي التذكرة أذن واعية، وهذا هو ظاهر السياق ولا موجب للخروج عنه. فهذا وعي خاص بالمؤمنين بدليل نحو قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ غافر: ١٣.

ومن وعى الشر ما يوضحه قوله تعالى ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ٢٣ ﴿الانشقاق: ٢٢ - ٢٣، أي الله أعلم بما جمعوا في صدورهم ويكتمونه من توابع الكفر كنوايا الشر والعداء.

ومن هذا النوع قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظُنُّ﴾ ١٥ ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوْىِٕ﴾ ١٦ ﴿تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ ١٧ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ١٨ ﴿المعارج: ١٥ - ١٨، أي جعل ما جمعه في وعاء فلا يبذل منه ما أوجب الله تعالى بذله.

وَعَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: « أَنْفَعِي أَوْ أَنْصَحِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَوْ لَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكَ » رواه أحمد والبخاري، والسياق لأحمد، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط الشيخين.

ويُفهم من آية المعارج وحديث أسماء رضي الله عنها أن عليك أن لا تغلق وعاء الخير، ولكن قم بضبط ما يخرج منه. وقد أَلَّفَ كاتب (أظنه أميركياً) كتاباً بعنوان: «مُت فارغاً»، ومضمونه الإجمالي: أخرج ما في عقلك من أفكار ومعان مفيدة قبل أن تموت وتُدفن معك في قبرك.

ومن هذا النوع حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَيْفِ، فَقَالَ: « نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها، ثُمَّ أَدَّأها إِلَيَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْها، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَيَّ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً الإمام أحمد وأبو يعلى والدارمي.

واضح من حديث جبير بن مطعم، ومن بعض أمثلة ابن منظور في (لسان العرب) أن الوعي (بمعنى إدراك المعاني) أنواع، وأنه درجات ضمن النوع الواحد. فيمكن أن يكون الوعي ناقصاً ويحتاج إلى المزيد من التوعية.

## الرؤية:

الرؤية النظر بالعين والقلب كما ذكر ابن سيده في (المحكم) وغيره. وَرَجُلٌ ذُو رَأْيٍ أَيْ بَصِيرَةٍ وَحَذَقٍ بِالْأُمُورِ. وجمع الرأي آراءٌ.

فمن رؤية العين ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ الأنعام: ٧٦، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ ﴾ يوسف: ٢٨. ويمكن لرؤية العين او الحاسة الظاهرة أن تكون

خاطئة، فقد قال تعالى ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ النمل: ٤٤.

وأما رؤية الفكر او القلب، فهو تقدير بالتفكر او بالحاسة الباطنة او بالتعليم او بالإدعاء. وبعبارة أخرى، هو الرأي الذي يراه الإنسان في معنى أمر معين وفي تقويمه، او ما يراه بادعائه، ويمكن أيضاً أن تكون صائبة او خاطئة.

فمن الرؤية الصائبة للعقل او القلب رؤية يوسف عليه السلام كما في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۗ ﴾ يوسف: ٢٤، وقوله تعالى ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ سبأ: ٦.

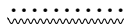
ومن الرؤية الخاطئة، للقلب او الفكر، قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ اِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ الأعراف: ٦٦، وقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ فاطر: ٨، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهٖ ۗ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأحقاف: ٢٤. وقال تبارك وتعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ غافر: ٢٩، وهذا مجرد ادعاء من فرعون، فقد قال تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ النمل: ١٤.

وسواء كانت رؤية الفكر صحيحة او خاطئة، فإنها درجات. مثال ذلك أن الرؤية الصحيحة تتفاوت بين اليقين وما دونه من الدرجات، فمن اليقين قوله تعالى ﴿ اِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾

النساء: ١٠٥، فهذه رؤية يقينية بالتعليم عن طريق الوحي، ولعلها سُميت رؤية لأن صاحبها متيقن وكأنه يراها بعينه. وقريب من ذلك غير أن المجتهد معرض للخطأ في فهم الحكم، قوله تعالى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ البقرة: ١٢٨.

ومن جهة أخرى، يمكن أن تنزل درجة الرؤية إلى الظن والخيال. قال أحمد بن محمد بن علي الفيومي رحمه الله: «الَّذِي أَرَاهُ»، بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ بِمَعْنَى الَّذِي أَظُنُّ، وَبِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ بِمَعْنَى الَّذِي أَذْهَبُ إِلَيْهِ. اهـ من (المصباح المنير). وقال أبو الفيض مرتضى الزبيدي رحمه الله: الرُّؤْيَةُ، بِالضَّمِّ: إِدْرَاكُ الْمَرْتَبِيِّ، وَذَلِكَ أَضْرَبُ بِحَسَبِ قُوَى النَّفْسِ: الْأَوَّلُ: النَّظَرُ بِالْعَيْنِ، الَّتِي هِيَ الْحَاسَّةُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا. وَالثَّانِي: بِالْوَهْمِ وَالتَّخِيلِ نَحْوُ: أَرَى أَنْ زَيْدًا مُنْطَلَقٌ. وَالثَّلَاثُ: بِالتَّفَكُّرِ. وَالرَّابِعُ: بِالْقَلْبِ، أَيَّ بِالْعَقْلِ. اهـ مع اختصار من (تاج العروس).

وكثر في كلام السلف استعمال كلمة «الرأي» في القضايا الاجتهادية حين لا يتيقن المجتهد من الإصابة، او حين يخشى من الخطأ في التفريعات وفي الأعمال التنفيذية، فلا يريد أن يُنسب الخطأ إلى الإسلام، ولكنه يقول إنه رأيه واجتهاده ونحو ذلك، وهذا بخلاف ضعيف الرأي فإنه قد يستسهل أن يقول: الشرع كذا والسنة كذا وحكم الله تعالى كذا، وهو لا يشعر أنه أخطأ في كثير مما قاله!! فعن ابن مسعود أنه قال في غير ما مسألة: أقول فيها برأبي. اهـ. وعن الشعبي قال: لما بعث عمر شريحاً على قضاء الكوفة قال له: «وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك». وعن ابن مسعود نحوه. وعن ابن عباس إذا سئل عن شيء، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبي بكر ولا عن عمر اجتهد رأيه. روى هذه الآثار الإمام ابن عبد البر في (جامع بيان العلم / ٧١-٧٤).



## الملاحظة:

قال ابن سيده وغيره: حَطَّه يَلْحِظُهُ حَظًّا وَحَظَانًا، نظره بمؤخر عينه من أي جانبه كَانَ، يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. اهـ من (المحكم). واللحظ أشدُّ التفتَاتَا مِنَ الشُّرْكَ كَمَا فِي (لسان العرب). ومنه «الملاحظة» وهي صيغة مفاعلة من حَظَّ. وعلى ذلك كلام أئمة العربية في المعاجم، وأصل ذلك أَنَّ اللَّحَاطَ: مُؤَخَّرَ الْعَيْنِ أَوْ مَا يَلِي الصَّدْغَ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ.

غير أن كثيراً من علماء الأمة والشعراء استعملوا عبارة «حَظَّ» بمعنى: نظر إلى شيء معين بعينه أو نظر في شيء بعقله وبصيرته، من غير ربط بين موقع اللحاظ وحركة العين في حجرتها. من ذلك قول صاحب (طرح الشريب): فَكَأَنَّ الْفَارِقِيَّ لِحَظِّ كَوْنِ الْفُضْلِ مِنْ مَصْلَحَةِ الصَّلَاةِ. اهـ. ومنه قول ابن حجر في (فتح الباري): وَكَأَنَّ صَاحِبَ الْقَوْلِ الثَّانِي لِحَظِّ أَنْ الْمُطَلَّقَ يَنْصَرِفُ إِلَى الْكَامِلِ. اهـ. ومنه قول الزرقاني: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِحَظِّ هَذَا الْمَعْنَى. اهـ. ومنه قول ابن رشد في (بداية المجتهد ونهاية المقتصد): وَمَنْ لِحَظِّ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْنَاهُ. اهـ. ومنه قول الشريف الرضي: (طأطأت لحظ العين حين خطأ.... وَالْبَيْنُ يَرْمُقُنِي وَيَرْمُقُهُ). وتوجد أمثلة كثيرة أخرى في كتب التفسير والفقه وعلوم العربية والأخلاق والرفائق وغيرها.

فالملاحظة في هذه الدراسة هي رؤية شيء معين أو النظر إليه، بصرف النظر عن حركة العين داخل حجرتها. وواضح أيضاً من كلام السلف المذكورين هنا وغيرهم، أن اللَّحَظَّ يُسْتَعْمَلُ (ولو مجازاً) في ملاحظة المعاني أي رؤية العقل والقلب، وفي الأمثال: «لحظ أصدق من لفظ». وإذا كانت الملاحظة مقصودة فهي أشبه بالمراقبة.

## الحكمة:

الحكيم هو المتصف بالحكمة، وهو من صفات الله تعالى ومن صفات القرآن الكريم. قال تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ١٠٠. وقال تعالى

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس: ١، وقال تعالى ﴿يَسَّ ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ  
 ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ يس: ١ -  
 ٥، فالقرآن الكريم مصدر عظيم للحكمة.

والحكمة عند الإنسان هي حُسن أو إتقان وإجادة التعبير والتصرف، واجتناب ما  
 يُعيب ويُشين. والإحكام الإتقان، ولا يتحقق تحصيل ذلك إلا بتنمية العقل وإتقان  
 التفكير؛ والحكماء درجات في ذلك.

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الحكم والحكيم» هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي  
 والحكيم. والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويُقال لمن يُحسن  
 دَقَائِقِ الصَّنَاعَاتِ وَيُتَّقِنُهَا: حَكِيم. اهـ من (النهاية).

وقال ابن منظور: وأحكَمَ الأمر: أتقنه، ويُقال للرجل إذا كان حَكِيمًا: قَدْ أَحْكَمْتَهُ  
 التَّجَارِبُ. وَالْحَكِيمُ: الْمُتَّقِنُ لِلْأُمُورِ. الأزهري: وَحَكَمَ الرَّجُلُ يَحْكُمُ حُكْمًا إِذَا بَلَغَ النَّهْيَةَ  
 فِي مَعْنَاهُ مَدْحًا لِأَزْمَانًا؛ أَبُو عَدْنَانَ: اسْتَحْكَمَ الرَّجُلُ إِذَا تَنَاهَى عَمَّا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ؛  
 وَأَحْكَمْتُ الشَّيْءَ فَاسْتَحْكَمْتَهُ: صَارَ مُحْكَمًا. وَاحْتَكَمَ الْأَمْرُ وَاسْتَحْكَمْتَهُ: وَثِقَ. اهـ من (لسان  
 العرب).

وقال ابن منظور أيضاً: وَحَكَمَ الشَّيْءَ وَأَحْكَمَهُ، كِلَاهُمَا: مَنَعَهُ مِنَ الْفَسَادِ. وَحَكَمَ  
 الرَّجُلُ وَحَكَمَهُ وَأَحْكَمَهُ: مَنَعَهُ مِمَّا يُرِيدُ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ الرَّجُلُ يَرِثُ امْرَأَةً  
 ذَاتَ قَرَابَةٍ فَيَعْضُلُهَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَرُدَّ إِلَيْهِ صَدَاقَهَا، فَأَحْكَمَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْهُ أَي  
 مَنَعَ مِنْهُ. يُقَالُ: أَحْكَمْتُ فَلَانًا أَي مَنَعْتُهُ، وَبِهِ سُمِّيَ الْحَاكِمُ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الظَّالِمَ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ  
 حَكَمْتُ الْفَرَسَ وَأَحْكَمْتُهُ وَحَكَمْتُهُ إِذَا قَدَعْتَهُ وَكَفَفْتَهُ. وَحَكَمْتُ السِّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ إِذَا  
 أَخَذْتُ عَلَى يَدَيْهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ: (أَبْنِي حَنِيفَةَ، أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ). وَحَكَمَةُ اللَّجَامِ: مَا

أحاط بحنكي الدآبة، والحكمة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكيه تمنعه عن مخالفة رآكبه. اهـ مع اختصار من (لسان العرب).

وقال الراغب الأصفهاني: ومكارم الشريعة هي الحكمة، فبالتعلم يتوصل إلى الحكمة، وباستعمال العفة يتوصل إلى الجود، وباستعمال الصبر تدرك الشجاعة والحلم، وباستعمال العدالة تصحح الأفعال. والذي يلزم تطهيره من النفس هو القوى الثلاث: قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم، وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود، وقوة الحمية بإسلاسها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم، ويتولد من اجتماع ذلك العدالة. اهـ عبارات منتقاة من (الذريعة إلى مكارم الشريعة).

وتوجد أخبار كثيرة ذكرها السلف او نقلوها تدل على ما ذكرناه في معني

الحكمة، فمنها:

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة.» رواه وكيع في (الزهد). وعن أبي حبيب السلمي قال: «قرأت في الحكمة: أنصت للسائل حتى ينقضي كلامه، ثم اردد عليه برحمته، وكُنْ لليتيم كالأب الرحيم، وكُنْ للمظلوم ناصراً، لعلك تكون خليفة الله في أرضه.» رواه أحمد في (الزهد).

وقال أبو العباس المبرد: وأعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سرح له الرجاء أذله الطمع، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى.... فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد. اهـ مع اختصار من كتاب (الفاضل).

وقال ابن عبد ربه الأندلسي: نوادر من الحكمة: قيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه. قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه. قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه. وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم. وقالوا: لا عقل



كالتدبير، ولا ورع كالكلف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل. وقالوا: التفكر نور والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق، والآخر لاحق، والسعيد من وعظ بغيره. اهـ من (العقد الفريد).

وقال أبو الليث السمرقندي: قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فِي الْحِكْمَةِ: مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ تَعَرَّى عَنْ لِيَّاسِ التَّقْوَى لَمْ يَسْتِرْ بِشَيْءٍ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قَطَعَ بِهِ يَدَهُ، وَمَنْ اخْتَفَرَ بَثْرًا لِأَخِيهِ، وَقَعَ فِيهَا، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ، انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، وَمَنْ نَسِيَ زَلَّ نَفْسِهِ، اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَمَنْ فَخَرَ عَلَى النَّاسِ قُصِمَ، يَعْنِي كُسِرَ، وَمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ شَتِمَ، وَمَنْ صَاحَبَ الْأَرْزَالَ حُقِرَ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَقِرَّ، وَمَنْ دَخَلَ مَدْخَلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالذِّينِ ارْتَطَمَ، وَمَنْ اغْتَنَمَ أَمْوَالَ النَّاسِ افْتَقَرَ، وَمَنْ انْتَهَرَ الْعَافِيَةَ اضْطَبَرَ، وَمَنْ جَهَلَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ مَشَتْ فِي نَدَامَةٍ، وَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ فَازَ، وَمَنْ لَمْ يُجِرِّبِ الْأُمُورَ خُدِعَ، وَمَنْ صَارَعَ أَهْلَ الْحَقِّ صُرِعَ، وَمَنْ اخْتَمَلَ مَا لَا يُطِيقُهُ عَجَزَ، وَمَنْ عَرَفَ أَجَلَهُ قَصُرَ أَمَلُهُ، وَمَنْ تَعَوَّدَ طَرِيقَ الْجَهْلِ تَرَكَ طَرِيقَ الْعَدْلِ. اهـ مع اختصار من (تنبيه الغافلين).

وقد أمرنا الله تعالى بتعلم الحكمة، قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥؛ وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢؛ وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ الزخرف: ٦٣.

## المبحث الثاني

### بناء الرؤية القوية والوعي الصالح

---

الرؤية القوية ليست وصفاً بسيطاً (أي واسعاً) واحداً، ولكنه وصف مركب من منهج متعدد المهارات. والمتشعب بهذا المنهج يصير جديراً برؤية قوية واسعة لأفق القضية التي يتصدى لها، وكأنه مشهد مُصَغَّرٌ أمامه، فنستعين بالله تعالى على إيضاح هذه المهارات.

### قوة الملاحظة وتحليل العلامات

#### تظاهر النصوص التي

#### توجه إلى الرؤية والملاحظة:

---

في القرآن الكريم نصوص كثيرة في هذا المجال، تتضمن الأمر بالنظر والملاحظة أو الإرشاد إليه، وتحليله والإستنتاج منه. وبعض الآيات تذكر حقائق وتنبه إلى إمكان استنتاجها حين توجد رؤية جيدة او ملاحظة قوية.

من ذلك قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحج: ٦٥، فتدبر عبارة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ... ﴾، ولها نظائر كثيرة في القرآن الكريم، وهي تحض على أن يكون للإنسان رؤية منتجة لما تدل عليه الأشياء حوله، أي يلاحظ العلامات

ويجللها ويستنبط منها. وبعبارة أخرى، ينبغي للمسلم أن تكون له رؤية عقلية واسعة ومنتجة للأفكار، ولكنه مستعد لإخضاعها لنصوص القرآن والسنة.

وقال تعالى ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .... ﴾ الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧، فينبغي لقوي الملاحظة أن يرى أنهم في كل واد يهيمون، وما هي مقتضيات هذه الصفة.

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّهُونَ بِالْآثِمِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْأَعْدُونَ وَالْمُعَصِبِينَ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيُنْسَ الْمَصِيرُ ﴾ المجادلة: ٨.

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمْ فَلَوْلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ طه: ٨٩.

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام: ٤٦.

وقال تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٧. فتدبر عبارة ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾، فتدبر أنه يمكن لأحدنا أن يقول: فانظروا عاقبة المكذبين، أي انظروا نهايتهم، غير أن الله تعالى في آيات كثيرة أمر بأن يتناول النظر: «كيف كان عاقبة ..»، أي كيف حدث ذلك. ويتضمن ذلك تحليل المسار التاريخي عموماً، كيف نهضوا، ما هي عوامل القوة وعوامل الضعف في مسارهم، ما هي المؤثرات عليهم، ثم كيف تغلبت عوامل الضعف وأدخلتهم في الإنحدار؟ وسيأتي تفسير مفصل لآيات السير في الأرض إن شاء الله تعالى.

وقال تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ  
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت: ٢٠.

وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ  
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ يونس: ٦٧.  
وتوجد آيات أخرى كثيرة.

### تأثير ختمة التدبر:

أغنى مصدر لتعلم الحكمة ومهارات التفكير هو القرآن الكريم، ولاستخراج هذه  
الفوائد نحتاج إلى تدبر القرآن، وهو يختلف عن تلاوة القرآن، فإن التركيز في التلاوة على  
الجهاز الصوتي مع الذاكرة او بدونها. وأما تدبر القرآن فهو حركة الفكر في معاني القرآن،  
فهي قراءة بالنظر والعقل من غير صوت، وقد تكلمنا بالتفصيل عن منهج ختمة التدبر،  
وعن أهميتها في (نخبة المسار/ المبحث السادس، تحت عنوان: الهداية المستمرة «ختمة  
التدبر»).

وواضح في هذه الدراسة أن نصوص الإسلام هي أفضل مصدر للمهارات العقلية.  
ونكتفي هنا بذكر بعض أوصاف القرآن التي تجعله أغنى مصدر لتعلم الحكمة والمهارات  
العقلية.

فمن أسماء القرآن: الفرقان، فنتعلم منه أصول التفريق المعنوي بين الأمور المختلفة،  
كالحق والباطل، والحسن والقيح. قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ  
لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

وقال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾  
ص: ٢٩، فإن عبارة ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ اسم للمفعول من «بارك»، والبركة هي الزيادة والنماء

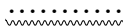
بالخير المادي والمعنوي، فمن مضامين وصفه بأنه مبارك أن فيه من المعاني والفوائد ما يزيد على كل مقدار.

وقال تعالى ﴿.... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾  
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة:  
١٥ - ١٦. فالقرآن الكريم نور وكتاب مبين، وبه الهداية إلى سبل السلام وإلى الإخراج  
من الظلمات والعمى المعنوي إلى النور وإلى صراط مستقيم بلا اعوجاج.

وقال تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾  
لقمان: ٢ - ٣. وقال تعالى ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ  
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ الإسراء: ٨٢.

وقال تعالى ﴿.... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن  
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢. فالقرآن كتاب عزيز، لا يوهنه  
إنكار المنكرين ولا يُذله جحود الجاحدين ولا يمكن النيل منه بما قبله من عقائد وأفكار  
ولا بما يأتي بعده مما يفتعله الناس من مذاهب وآراء؛ فالقرآن كما قال تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ  
أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ ﴿١٠٥﴾ الإسراء: ١٠٥.

ونختم هذا العنوان بقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ  
تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الفرقان: ٣٣.



## ملاحظة العلامات والتعامل معها:

(مهارة التوسُّم): قال تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ  
الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿ ٧٣ ﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿ ٧٤ ﴾ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿ ٧٦ ﴾ الحجر: ٧٢-٧٦.  
فلتدبر عبارة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾:

أما «الآية»: فهي الدليل والعلامة الصحيحة الثابتة التي تدل على أمر من المهم أن  
يُعرف سواء كان خيراً أو شراً. من ذلك نحو قوله تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً  
تَعْبَثُونَ ﴾ الشعراء: ١٢٨، أي تبنون آية أنكم تعبتون، بمعنى: تبنون دليلاً أكيداً وعلامة  
على عبثكم؛ وقال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ  
أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ آل عمران: ٤١. وقال تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ  
آتَاكَ... ﴾ آل عمران: ١٣. وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ  
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يوسف: ١٠٥. وقال ابن منظور: وآياتُ الله: عجائبُه،  
والآية: العلامَةُ. أه من (لسان العرب).

وأما التوسُّم: فهو من «السِّمَةِ» وهي العلامة والأثر الذي يدل على شيء، وبعبارة  
موسومٌ: وُسِمَ بِسِمَةٍ تدل على أنه لفلان، وفلانٌ مَوْسُومٌ بالخير أو الشرِّ، أي: عليه علامته،  
وتوسمتُ فيه الخير أو الشرِّ، أي: رأيت فيه أثره وعلامته، والوسامة: الحسن، والوسيم:  
الثابتُ الحسن: كأنه قد وُسِمَ. وموسم الحَجِّ سُمِّيَ مَوْسِمًا لَّأَنَّهُ مَعْلَمٌ يُجْتَمَعُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ  
كَانَتْ مَوَاسِمُ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وتدبر أن لفظ «مُتَوَسِّمٌ» بصيغة «مُتَفَعِّلٌ» وهو  
اسم الفاعل من «تَفَعَّلَ»، تقول تَصَبَّرَ فهو مُتَصَبِّرٌ وتَوَسَّسَ فهو مُتَوَسِّسٌ. ويمكن أن يدل

على واحدة من ثلاث درجات من الفاعلية أي من قيام الوصف بالإنسان. الدرجة الأولى: أن يكون الوصف حالة مؤقتة كقولك: فلان مُتَوَرِّك (أي جلس متوركاً)، وفلان مُتَخَوِّف، تريد أنه متخوف بسبب قضية طارئة. الدرجة الثانية: أن يكون الإنسان سائراً في مسار الوصف كي يثبت عليه، كما يُقال: فلان مُتَصَبِّرٌ ومُتَفَهِّمٌ ومُتَبَصِّرٌ. الدرجة الثالثة: أن يصير الوصف راسخاً وكأنه سجية، فبهذه الإرادة يُقال: فلان مُتَكَبِّرٌ ومُتَسَدِّدٌ ومُتَقَلِّبٌ ومُتَعَفِّفٌ ومُتَوَرِّعٌ ومُتَرَبِّصٌ ومُتَهَوِّدٌ. ولا شك أن الدرجة الثانية من التوسم أشد من الأولى، والدرجة الثالثة أشد من الثانية، حيث يُراد من كلمة ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، أي للمتعاملين بكفاءة عالية مع العلامات بالبحث والتفكير والإنفتاح، لأن التوسم جزء ثابت من تفكيرهم. ومن أهم مضامين الكفاءة العالية أنك تلاحظ التفاصيل المهمة التي يغفل عنها الآخرون، وأنت تلاحظ المعاني الخفية التي لا يدركها الآخرون. وقد تكون السمة نافعة جداً في فهم حقيقة الحدث، وهذا كقول بعضهم: إذا لم تعرف مصدر المال فتعرّف إلى حركته وأين يذهب.

### أهمية قوة الملاحظة:

من العلامات ما يبدو ظاهراً وبالرؤية الأولى، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل أحد او لا يدرك بباديء النظر، بل يحتاج إلى رؤية ثانية وثالثة او أكثر، يدل على ذلك قوله تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة: ٢٧٣، تنبه الآية أن من الجهل عدم التوسم.

ملاحظة لحن القول ونحوه: تدبر قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠) محمد: ٢٩ - ٣٠. ملاحظة لحن القول هي

ملاحظة ما يميل إليه المتكلم وإن لم يصرح به. قال الأزهرى: قَالَ اللَّيْثُ: اللَّحْنُ مَا تَلَحَّنُ إِلَيْهِ بِلِسَانِكَ أَيْ تَمِيلُ إِلَيْهِ بِقَوْلِكَ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ ﴿ وَتَعَرَّفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ أَي نَحْوِ الْقَوْلِ. دَلَّ بِهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ وَفَعَلَهُ يَدُلُّانَ عَلَى نِيَّتِهِ وَمَا فِي ضَمِيرِهِ. اهـ من (تهذيب اللغة). وقال ابن عطية: لَحْنُ الْقَوْلِ، معناه: في مذهب القول ومنحاه ومقصده، وهذا هو كما يقول لك إنسان معتقده وتفهم أنت من مقاطع كلامه وهيئته وقرائن أمره أنه على خلاف ما يقول، وهذا معنى قوله: «فِي لَحْنِ الْقَوْلِ». ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: «فَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْنُ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ»، الحديث، أي أذهب بها في جهات الكلام. اهـ من (تفسير ابن عطية).

ومن فوائد الآيتين الكریمتین وغيرها من أدلة الملاحظة، ومنها آية سورة الحجر،

أَي قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾:

**(الفائدة الأولى):** واضح من الآيتين أن ملاحظة العلامات يمكن أن يؤدي إلى المعرفة، وذلك بحسب وضوح العلامة وقوة مفهومها. وتوجد علامات أخرى غير كافية لإنتاج المعرفة وتحتاج إلى مزيد من البحث. المهم هنا أن كل نشاط يمكن أن يؤدي إلى المعرفة فهو نشاط في غاية الأهمية. وتدبر عبارة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾، فكأن غير المتوسمين لا ينتفعون بمثل تلك الآيات.

**(الفائدة الثانية):** الملاحظة المبكرة للآفات، أي قبل أن تتفاقم. وهذا من الضروريات، فإن المشكلة المتفاخرة يراها العالم والجاهل، والذكي والغبي. فسلامة المؤسسة كسلامة الفرد إذا أصابه داء، سلامته في الرؤية المبكرة للأعراض المرضية، فإن كان المرض شديداً فمن الضروري معالجته في بداية الأمر. فإن كانت الأعراض هيئة طفيفة في بدايتها، ولكنها يمكن أن تنمو أو تنتشر أو تصبح مزمنة، فهي أعراض مهمة



وتستحق المعالجة بحسب شأنها. وكل ظاهرة عارضة تقترن بها يدفع إحتتمالات النمو والإنتشار والضرر، فإنها يمكن أن تكون ظاهرة غير مهمة وليست جديرة بالإشتغال، وهذا كما أن الرجل الصحيح لا بد وأن يشعر أحياناً بقليل من الصداع او التعب او شبه ذلك من العوارض .

**(الفائدة الثالثة):** إن من أهم أهداف التوسم او ملاحظة العلامات هو معرفة الميول والمقاصد غير المعلنة والأوصاف الخفية في تصرف الأشخاص والجماعات، غير أنه غير محصور بذلك، بل يشمل كل ملاحظة يمكن أن تكون نافعة. مثال ذلك عبارة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾، في سياق قصة لوط عليه السلام وكيف أنجاه الله تعالى وأصحابه وأهلك قومه. فالتوسم هنا يقع على ملاحظة الحدث التأريخي وتحليل محاوره وعلاماته والإعتبار بها. وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ فِي بَعْضِ آلِ عِمْرَانَ: ١٣، فإن الآية توصي بملاحظة النظائر السابقة.

وأيضاً، فإن التوسم جزء مهم من مضامين «الحذر» و«الرصد»، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ التوبة: ٥، فإن الراصد غير المؤهل لا يلاحظ إلا الحدث الصريح الكبير، وأما الراصد المؤهل فإنه يلاحظ بدايات الحدث، والتمهيد له قبل الشروع فيه، ويتخذ ما يلزم من مضامين الحذر.

ومع ذلك، ينبغي التنبيه إلى تحكيم العقل والعلم والخبرة وضبط النفس في الأعمال التنفيذية للحذر، كي لا يقع الراصد في الإسراف، كما يوضحه قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون: ٤، وسيأتي الكلام عن الإسراف في الحذر تحت عنوان «من موانع صحة التفكير» إن شاء الله تعالى.

وقال بعض مشاهير اللصوص:

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَو تَمُرُّ حَمَامَةٌ      لَقُلْتُ عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةٌ مَعَشِرٍ  
وَخِفْتُ خَلِيلِي ذَا الصَّفَاءِ وَرَأْبِي      وَقِيلَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ فَاحْذَرِ  
فَأَصْبَحْتُ كَالْوَحِشِيِّ يَتَّبِعُ مَا خَلَا      وَيَتْرُكُ مَا نُوَسَّسَ الْبِلَادِ الْمُدْعِرِ  
إِذَا قِيلَ خَيْرٌ قُلْتُ هَذَا خَدِيعَةٌ      وَإِنْ قِيلَ شَرٌّ قُلْتُ حَقٌّ فَشَمِّرِ

وللملاحظة أثر مهم في الأحكام الفقهية، بل ينبغي إعطاء الملاحظة حقها في نحو قوله تعالى ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٨٢، وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ ءَأَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ النساء: ٦، وقوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ الأنفال: ٥٨. فهذه الأحكام تعتمد على الإتيان في ملاحظة العلامات.

وكذلك أمر الملاحظة والتوسُّم في البحوث الطبيعية والاجتماعية والسياسية وفي العلاقات والاستجابات وغيرها، بل إن البناء على الملاحظة الجيدة أدى إلى اكتشافات كبيرة في الطب وغيره. ولا ريب أن كل إنسان يحتاج إلى مهارة في الملاحظة والتوسُّم.

**(الفائدة الرابعة):** أن التوسُّم يشمل معرفة الدوافع والنوايا كما تنبه إليه آيتا سورة

محمد، فإن مضامين الآيتين تشمل معرفة من في قلبه مرض وضغينة أي حقد.

**(الفائدة الخامسة):** يتفاوت الناس في قوة التوسُّم او ملاحظة العلامات، كما تدل

عليه عبارة ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ..... ﴾، فهذا حال الجاهل، وأما حين تتلاشى استقامة التوسُّم فإن الإنسان يُعرض عن العلامات ويسخر منها،

قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾  
الصفات: ١٤ - ١٥.

ومن عمل الطبيب تتضح أهمية قوة الملاحظة والتفاوت فيها. فإن الطبيب يجمع علامات المرض المسموعة (كلام المريض)، والمرئية (الفحص السريري)، والباطنة (نتائج المختبر وتصوير الباطن)، كل ذلك لأجل تشخيص المرض وعلاجه. وعمل الطبيب يوضح الأهمية العظيمة لقوة الملاحظة، فإن نسبة عالية من المرضى يمكن تشخيصهم بالإلتباه إلى العلامات المسموعة والمرئية، أي من غير تحريات لكشف الباطن. ومن كان ضعيف الملاحظة فإنه قد يلجأ إلى كثير من التحريات التي لا داعي لها، مما يرهق المريض والمؤسسة الصحية. ومن جهة أخرى، إذا أغفلت الملاحظة علامة مهمة، فإنها قد توقع ضرراً كبيراً بالمريض وربما تؤدي إلى الوفاة.

وتدبر كيف أن الطبيب يبدأ بالعلامات المسموعة ثم المرئية (الفحص السريري)، ثم يلجأ عند الحاجة فقط إلى رؤية الباطن (التحريات المخبرية والتصويرية)، وبعد كل ذلك قد لا يصل إلى قرار حاسم، فيضطر إلى اعتبار الاحتمالات والإحتياجات في علاج المريض.

وكذلك ينبغي أن يكون عمل الرجل الكفوء من الشرطة والإستخبارات، فإنه يجمع العلامات المتنوعة، ويقوم بالتحريات التي لها صلة محتملة. وقد لا يصل إلى نتيجة حاسمة، فلا يلجأ حينذاك إلى الإكراه، ولكنه يُعالج الموقف وفقاً للإحتمالات المتبعة وما تقتضيه من إجراءات وقائية.

**(الفائدة السادسة):** تتفاوت العلامات في قوة دلالتها، ينه إلى ذلك قوله تبارك

وتعالى ﴿ وَمَا تُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الزخرف: ٤٨. وأما العلامات التي نلاحظها في مجالات الحياة، فكثير منها لا تكتمل دلالاته بنفسه، ولكن يحتاج إلى علامات أخرى تكمله او إلى قرائن توضحه وتزيل



وقال تعالى ﴿ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١ .

وذكرنا قبل قليل قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾ البقرة: ٢٧٣ .

الإحساس: قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط

قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٥٢ ، حَسَّ بِالشَّيْءِ يَحْسُ حَسًّا وَحِسًّا وَأَحَسَّ بِهِ وَاحْسَهُ: شعر به، كما في (المحكم) وفي (لسان العرب). والحسُّ والحسيسُ: الصوت الخفي، والحسيسُ: الشَّيْءُ تَسْمَعُهُ مِمَّا يَمُرُّ قَرِيبًا مِنْكَ وَلَا تَرَاهُ. وَيُقَالُ أَحْسَسْتُ الْخَبَرَ إِذَا عَرَفْتُ مِنْهُ طَرَفًا، نقله الأزهرى وابن منظور، ولذلك يُقال في النفي: مَا أَحْسَسْتُ بِالْخَبْرِ، أي ما عرفت طرفاً منه او لم أعرف مِنْهُ شَيْئًا.

والإحساس ليس شعوراً منفرداً، بل هو مبني على ملاحظة الكلام والتصرفات مما يؤدي إلى تفاعل الحواس الباطنة وتشكيل إحساس معين.

وذكر بعض أئمة العربية أن الإحساس إدراك بالحواس الظاهرة وهي الطَّعْمُ وَالشَّمُّ وَالْبَصْرُ وَالسَّمْعُ وَاللَّمْسُ، وإنما يصح هذا الكلام بمعنى أن الحواس الظاهرة هي المداخل إلى الحواس الباطنة. يوضح الأمر أن شواهد العربية ليس فيها ما يدل على حصر الإحساس بالحواس الظاهرة، بل إن الإحساس بكفر القوم كما في الآية الكريمة إنما هو تشغيل للحواس الباطنة التي تشكل صورة معنوية للمنظورات والمسموعات.

ومهما كان نوع الإحساس ودرجته، فإنه إدراك شخصي محض ببعض الحواس سواء كان إدراكاً كلياً أو جزئياً، وسواء كان شعوراً ظنياً او معرفة يقينية، وقد يكون إدراكاً لمقدمة الحدث وإن كانت المقدمات مبهمة او مُشتبهة في كثير من الأحيان. وتدبر الآن كيف أن الإحساس بشيء خطير يقتضي إجراءات مناسبة، كما فعل عيسى عليه السلام.

وقريب من ذلك يُقال في قوله تعالى ﴿ فَإِنِ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ النساء: ٦.

ومن الإحساس الرفيع بالالتزامات الدينية حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: « إِنِّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَتَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْمُوبِقَاتِ » رواه أحمد والبخاري وغيرهما.

## خطوات التوسُّم ضمن الإعداد لمشروع:

الملاحظة الهادفة قد تكون عملاً جماعياً، ولها خطوات ضرورية:

**الخطوة الأولى:** اختيار المكلفين بالتوسُّم، يُراعى فيه مؤهلات مهمة، **(منها):** درجة عالية من التوسُّم، أي تكون مهارة التوسم راسخة في النفس وكأن دقة الملاحظة سجية له، وربما يصفه بعضهم بأنه شكاك او وسواس او متطبع بطباع رجل المخبرات. **(ومنها):** الموضوعية أي عزل العاطفة بصورة كاملة في تفسير الملاحظة. **(ومنها):** ضبط النفس حين الملاحظة، أي ضبط الغضب والإنفعال والقلق. **(ومنها):** القدرة على التركيز وضبط التفكير من التفلت هنا وهناك. ويقتضي ذلك القيام بما يمكن من اجتناب أسباب تفلت التفكير، الذاتية منها: كالعاطفة ووجود مشاغل شخصية كبيرة، والتلقائية في تسجيل كل ملاحظة بإغفال ربطها بالهدف وخصائص المجال. وكذلك الأسباب الخارجية لتفلت التفكير، منها: الضوضاء والحوادث الحادة. **(ومنها):** المهارة

في التفريق بين تصرف الإنسان على سجيته، وتصرفه بتكلف. وبعبارة أخرى، مهما كانت حركات الجسد التي يذكر بعض الباحثين أهميتها، هل يشعر الملاحظ أن هذا الإنسان يتصرف على سجيته أم انه مُتكلّف يخفي شيئاً؟ **(ومنها)**: سرعة البديهة، وهذه صفة مهمة في كثير من مجالات الملاحظة، ولكنها قد لا تقترن بجودة التفكير الطويل الذي يحتاجه تفسير الملاحظة. ويمكن جعل فريق الملاحظة يضم من هو سريع البديهة ومن هو متفوق في التفكير الطويل.

### الخطوة الثانية: ما هو الهدف من الملاحظة؟ كأن يكون الهدف ملاحظة ما يساعد

على توقع ردود فعل جمهور محدد لمؤثر او حافز معين، او معرفة أنماط تفكير هذا الجمهور في قضية معينة، او ملاحظة المضامين الخفية في كلام كبار المسؤولين في دولة معينة، او غير ذلك من الأمور المهمة. ومن أهداف التوسم الرؤية المستقبلية، أي رؤية العلامات الحاضرة التي تصلح لتوقع مستقبل معين وتقتضي التخطيط للمستقبل المتوقع. مثال ذلك وجود علامات أكيدة على انحدار متواصل لدولة معينة، ولهذا الدولة أهمية عندك (إيجابية او سلبية)، فأنت تخطط من الآن لما ستفعله خلال مسار الانحدار ثم حين يقرب الإنهيار. والتخطيط عموماً يقوم على ملاحظة الواقع والتوقع للمستقبل.

### الخطوة الثالثة: دراسة وتقويم مجال او مشهد الملاحظة، أي الجمهور المعين المذكور

في الخطوة الثانية، او التقويم السياسي لقادة دولة معينة. فإن مجال الملاحظة يجب أن يُدرس مُسبقاً دراسة تفصيلية واعية تتضمن خصائص بيئة المجال والمؤثرات المحتملة عليه (الداخلية والخارجية) والتدخلات المحتملة في مواجهة عمل مؤثر، وشبه ذلك من معالم المجال وما يتصل به. وذلك لأن وجود هذه المعلومات في ذاكرة الملاحظ، تساعده جداً على الإنتباه لما ينبغي أن يُلاحظ. وبخلاف ذلك فإنك لن تفرق بين الملاحظة المهمة والملاحظة التافهة، بل لن تعرف ما ينبغي أن تلاحقه من الملاحظات.

## الخطوة الرابعة: استيعاب كل ما تحتاجه من وسائل الملاحظة، منها: (الملاحظة

**المباشرة):** أي أنك تراقب المجال في ثقافته وحركته وأنشطته وعلاقاته وسائر ما يمكن أن تحتاجه، وتسجل أثناء ذلك ما تلاحظه. ومنها: (ملاحظة الإستجابة للمؤثرات): فمن الوسائل المعروفة صناعة مؤثرات تنبه المجال أو تستفزها أو تحركه، ثم تسجل الملاحظات عن الإستجابة. ومنها: (الملاحظة غير المباشرة): أي تحليل سوابق المجال الموجودة في السجلات والصحف وغيرها، ثم استنباط الملاحظات التي يمكن أن تتصل بها تصديت له. وتحليل السوابق أمر في غاية الأهمية، ولذلك أمر الله تعالى به في آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴾ الروم: ٤٢، فتدبر عبارة ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾، فكأن الناظر يرجع إلى الوراء كي يقف في بداية الحدث الماضي، ثم يسير إلى الإمام في دراسة تطور الأحداث وإلى نهاية المطاف. وتشمل عبارة «كيف كان» دراسة تحليلية لتأريخ القوم وكيفية حصول عاقبتهم. ويشمل ذلك بداية نهوضهم وما فيه من عوامل ضعف وقوة، وكيف دخلوا مسار الانحدار، وإلى غير ذلك من التفاصيل التي يمكن الإعتبار بها ويمكن أيضاً تسجيل ملاحظات مفيدة كثيرة منها. وسيأتي تفسير مفصل لنظير آية الروم، تحت عنوان: «التحليل والخبرة غير المباشرة»، إن شاء الله تعالى. ومنها: (الملاحظة بالمشاركة): أي دخول المجال والاندماج فيه كي تلاحظ ظواهره وخفاياه، ويُستعمل ذلك في الدراسات الاجتماعية، وهو كذلك وظيفة الإختراق في عمل الإستخبارات. وكثيراً ما يتم دعم الإختراق بأنواع من تقنيات التجسس والتضليل.

## الخطوة الخامسة: تفسير أو تحليل الملاحظات والإستنتاج منها، والأفق الواسع في

ذلك. فإن الملاحظة الواحدة في كثير من الأحيان تُعطي رؤية ناقصة أو خادعة. وينبغي لذلك تقسيم المجال أو المشهد إلى محاور لها خصوصياتها، وهو تقسيم غير عشوائي،



ثم جمع الملاحظات التي تتكامل او تتآلف من كل محور، وفيما بين المحاور. وكذلك رؤية وجمع الملاحظات التي ربما تُعاكس او تُناقض المجموعة الأولى. وفي تفسير كل ملاحظة يُنظر إلى الاحتمالات في تفسيرها، ويُنظر أهي مؤقتة لأنها خاصة بظرف معين وسياق طارئ، أم هي ثابتة راسخة. وقد أجاد صاحبنا كتاب (كيف تقرأ شخصاً كأنه كتاب) في تشبيه الملاحظة الواحدة باللفظة الواحدة في اللغة، يتعذر فهم حقيقتها الواقعة إلا بوضعها في جملة تامة.

**وفي تفسير الملاحظات محاذير مهمة، منها: (المحذور الأول):** ضعف المهارة في ملاحظة ما يقتضي إنذاراً مُبكراً وقطع التراخي. فهذا الضعف يؤخر الإستجابة وقد يؤدي إلى أضرار كبيرة. **(المحذور الثاني):** ضعف مهارات التحليل وإثارة الاحتمالات والأفق الواسع في تفسير الملاحظة. **(المحذور الثالث):** وجود خلل في أهلية الملاحظ كما ذكرناها في الخطوة الأولى. **(المحذور الرابع):** أن تتوهم كمال ملاحظتك وعدم غياب شيء مهم عنها!! فالصحيح أنك ربما لم تلاحظ أموراً مهمة، وقد يوجب ذلك اتخاذ سياسات احتياطية لتخفيف ضرر هذا الإحتمال. **(المحذور الخامس):** أن تكتفي بنفسك في تفسير الملاحظات، فإن هذا خطأ كبير، إذ ينبغي العرض على آخرين من أهل الخبرة والإستماع إليهم. **(المحذور السادس):** هل توجد ظواهر تبدو مهمة ولكنها في الحقيقة نابعة من أسباب غير متصلة بالهدف، كمشكلة عائلية او اقتصادية او غضب بسبب قضايا شخصية؟ ولا شك من كثرة وجود هذه الأمور، ولكن توجد وسائل تساعد في التفريق بين ما يتصل بالهدف وغيره. **(المحذور السابع):** هل يُحتمل وجود عمليات تضليل او ظواهر مصطنعة كي تخدع الملاحظ؟ وللخداع علامات كثيرة، وتختلف بحسب أسباب الخداع، وسيأتي موضوع «التضليل» في أواخر هذه الدراسة إن شاء الله تعالى، ونكتفي منها بأمثلة محدودة، فمنها: إجراءات او سياسات جديدة غير واضحة الأسباب والأهداف او بأسباب وأهداف غير معقولة. ومنها: إشغال فكر العامة بمخاوف

وأزمات او بالإستهلاك والملاهي، للتغطية على أعمال غير مقبولة في الظروف الإعتيادية. ومنها: تجهيل ممنهج لتسهيل التضليل. ومنها: رفع أشخاص في السلم الوظيفي، من غير اعتبار المؤهلات. ومنها: عمليات إعلامية لتحريك جهة إلى عواقب وخيمة، كالتركيز على جزئية تثير العاطفة، بقصد التحريك إلى عمل، وكافتعال مؤامرة وهمية، للتحريك إلى عمل دفاعي غير مبرر او القيام بهجوم استباقي ضد فئة او ضد دولة. ومنها: استعمال قوة الملاحظة لخدمة الشر، فقد قال تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ۙ ﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ طه: ٩٥ - ٩٦، ومعنى: «بصرت بما لم يبصروا به» أي علمت بما لم يعلموا به، او رأيت ما لم يروه، واستخدم السامري ملاحظته لتضليل أصحاب موسى عليه السلام. وسيأتي بيان ما يتصل بتفسير الملاحظة، كالأفق الواسع، والتشخيص التمييزي وغيرهما من المهارات إن شاء الله تعالى.

**الخطوة السادسة**: تسجيل الملاحظات وتفسيرها والآراء والإحتمالات فيها، وارتباطها المحتمل بالهدف وأهميتها. كل ذلك بلغة واضحة وترتيب واضح يفهمه الآخرون. وبعد ذلك يأتي التخطيط القريب والمستقبلي وفقاً لمقتضيات الملاحظة والتوسُّم.

## **ملاحظة البدايات والعلامات المبكرة:**

وهذا من أنواع المبادرة، وهو أمر في غاية الأهمية في عمليات تحصيل المنافع وفي عمليات إبعاد ومنع المضار والمخاطر. ويحتاج ذلك إلى إستعداد خبراء كل مجال للتعامل مع العلامات المبكرة في مجاهم.

فكما أن عدم رؤية بؤادر او بداية علامات المرض الجسدي وعدم التأهيل للتعامل مع العلامة، يمكن أن يؤدي في كثير من الأحيان إلى تفاقم المرض وحصول أضرار دائمة وربما الوفاة؛ فكذلك عدم ملاحظة العلامات المبكرة للفرص الكبيرة في السياسة وغيرها، يمكن أن يؤدي إلى إضاعة الفرصة وإلى استفادة الخصم من تأخره. وكذلك الأمر في عدم ملاحظة العلامات المبكرة للمضار أو الإختراق أو تلوين الفكر والثقافة أو الفساد الوظيفي والمؤسسي وشبهها.

وقد قال تبارك وتعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ الحج: ٣٠، الإجتنب المأمور به في الآية يشمل إجتنب بدايات وبؤادر انتقال الرجس من الأوثان إلى المؤمنين. ومن الخطأ الكبير عدم تشخيص البؤادر إلى أن يكبر الرجس ويتفاقم. وسيأتي تفسير الآية في الفائدة الرابعة تحت عنوان: «صيانة النفس من استهواء الشيطان» إن شاء الله تعالى.

وقال تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النحل: ٢٦، استهداف القواعد (البنى التحتية) هنا عقوبة ربانية بسبب تطورهم السفلي. ويدل تأريخ الأمم أن نخر القواعد يتفاقم تدريجياً في الغالب، حتى يصل الترهل والتراجع إلى نقطة تحوّل حاسمة يعقبها الإنهيار. وكذلك الأمر حين يستهدف العدو بلاد المسلمين التي أصابها الترهل وضعف الإعداد، فإن نخر القواعد (البنى التحتية) يبدأ في كثير من الأحيان ضئيلاً، فلا يلاحظ جذوره وما يتوقع بعده إلا من كان قد اكتسب رؤية ثاقبة واهتماماً شديداً وغيره على المصلحة العامة. وبخلاف ذلك، فإن النخر يتسع ويتسع حتى يخر عليهم السقف ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون.

وتوجد نصوص كثيرة توجب الملاحظة المبكرة في خدمة الواجبات، كالتعامل مع فرص المنافع العامة ومكافحة عوامل المضار والمفاسد. ويشمل ذلك نصوص المغالبة والإستباق والمبادرة والمسارة في الخيرات؛ وسيأتي بيانها في الكلام عن «التركيز» ثم في المبحث الرابع: «الإقتحام والمسارة الإستراتيجية» إن شاء الله تعالى.

## الأفق الواسع

قال ابن فارس: (أَفَقٌ) الْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَبَاعُدِ مَا بَيْنَ أَطْرَافِ الشَّيْءِ وَأَتْسَاعِهِ، وَعَلَى بُلُوغِ النِّهَائِيَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْأَفَاقُ: النَّوَاحِي وَالْأَطْرَافُ، وَأَفَاقُ الْبَيْتِ مِنْ بَيُوتِ الْأَعْرَابِ: نَوَاحِيهِ دُونَ سَمَكِهِ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ: أَفَقَ الرَّجُلُ: إِذَا ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ. فَأَمَّا أَفَاقُ السَّمَاءِ فَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْبَصَرُ مِنْهَا مَعَ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا. اهـ من (معجم مقاييس اللغة).

ويقال: فلان صَفَاقٌ أَفَاقٌ يُعْمَلُ النَّاقَةَ وَالسَّاقَ. مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَضْرِبُ فِي أَفَاقِ الْأَرْضِ كَاسْبَأَ، رَاكِبًا وَمَاشِيًا عَلَى سَاقِهِ. وَيُقَالُ: فَلَانٌ جَوَالٌ فِي الْأَفَاقِ، وَمَا فِي أَفَاقِ السَّمَاءِ طَرَّةٌ سَحَابٌ، وَعَجَتِ رَائِحَةُ الْبُخُورِ فِي أَفَاقِ الْبَيْتِ. وَأَفَقُ الْبَيْتِ مِنْ بَيُوتِ الْأَعْرَابِ: مَا دُونَ سَمَكِهِ، أَي مَا تَحْتَ سَقْفِهِ. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مَنْقُولَةٌ مِنَ (المحكم) او من (تهذيب اللغة) او من (أساس البلاغة).

فالأفق مفرد أفاق، وهي النواحي والجهات والأطراف في الأرض وفي الفضاء (ويسمى مجازاً بالسماء)، وكذلك في أجزاء الأرض والفضاء. فيمكن لأفق معين (كالأفق الفكري للإنسان)، أن يكون بعيداً او قريباً، ويمكن أن يكون واسعاً او ضيقاً.

وقال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۗ ﴾ فصلت: ٥٣، وتدبر أن عبارة ﴿ وَفِي ۗ ﴾

أَنْفُسِهِمْ ﴿ معطوفة على ﴿ فِي الْأَفَاقِ ﴾، والعطف ينبه إلى احتمال المغايرة، فكأن الآيات في نفس الإنسان أي في داخله هي بالنسبة إلى الإنسان من الذات وليست من الأفق، وكأن الآيات في نفس الإنسان إنما تُشكل للإنسان أفقاً بعد أن تمتد بالكلام وعرض الأفكار وبالأعمال. والأفق، (على وزن فاعلٍ): الَّذِي قَدْ بَلَغَ الْعَايَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْحُجْرِ، كما في (لسان العرب) وغيره، فلكل إنسان أفقٌ يمتد من عطائه من العلم أو الحكمة أو الكرم أو غيرها، والله تعالى أعلم.

وبهذا المعنى يُقال: فلان واسع أو رحب الأفق، وفلان ضيق أو صغير الأفق. ونحتاج الآن أن نعرف أهمية الأفق الواسع:

## ذم الرؤية الجزئية:

أي الحكم على مشهد برؤية جزء من مضامينه ومتعلقاته. وتُسمى أيضاً بالرؤية الضيقة والمحدودة أو الرؤية الانبؤية، كمن يضع على وجهه انبواباً فلا يرى إلا قطعة صغيرة من الأفق الواسع ولا يهتدي لمتعلقاتها ولا لما يتصل بها من الأفق.

قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الملك: ٢٢. أما تفسير عبارة ﴿ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾، فقد قال الأزهري: قَالَ اللَّيْثُ: تَقُولُ: كَبَيْتَ فُلَانًا لَوْجَهُهُ فَانكَبَّ. وكَبَيْتَ الْقَصْعَةَ: قَلْبَيْتَهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا. وَأَكَبَّ الرَّجُلُ عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ. وَيُقَالُ: أَكَبَّ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ يُطَالِبُهُ. وَالْفَرَسُ يَكِبُ الْحِمَارَ: إِذَا أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ الشعراء: ٩٤، قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: مَعْنَاهُ: دَهْوَرَا، وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي اللَّغَةِ تَكَرُّرُ الْإِنْكَبَابِ، كَأَنَّهُ إِذَا أَلْقَىٰ يَنْكَبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِرَّ فِيهَا، وَنَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنْهَا. اهـ من (تهذيب اللغة).

فالمكب على وجهه لا يرى من الأفق إلا قطعة صغيرة جداً، فهو بعيد إلى الغاية عن الهداية في رؤية أفق المشهد وفهمه. وهذا بخلاف من يمشي سويًّا، أي قائماً منتصباً يستطيع

أن يجول في الأفق من كل جهة، كما أنه يمشي بقلبه وروحه على صراط مستقيم ليس فيه اعوجاج ولا تناقض، فلا يخشى أن تخدعه مضامين فاسدة في الأفق. وهو كذلك لا يخشى أن ينتقي من الأفق ثروة معرفية (أي ليست عقيدية) او وسائل تنفيذية لأنه يعرف كيف يُحَاكِمُهَا إلى الصراط المستقيم ليعرف الجيد منها والفاقد.

وواضح أن آية الملك لم تذكر جواباً عن السؤال: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا ... ﴾ ، فإنه لا ضرورة هنا من إيضاح الواضحات، فإن كل إنسان يعلم يقيناً أن المكب على وجهه يفقد رؤية المشهد.

### أمثلة من الرؤية الجزئية:

**منها:** قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٣٠ ، فتدبر كيف حصرت الملائكة النظر في جزء من الأفق او المشهد على الأرض وهو جزء القتل والفساد، فأعلمهم الله تعالى بوجود أجزاء لا يعلمونها، أي أن الحكم تابع للمشهد المتكامل وليس للرؤية الجزئية، والله تعالى أعلم. وفي توجيه سؤال الملائكة قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى: وكان من القواعد الشرعية والعقائد الإسلامية عصمة الملائكة من المعاصي والإعتراض. هناك احتاج أهل العلم إلى إخراج الآية عن ظاهرها. ومن أندر ما وقع في تأويل الآية ، ما ذهب إليه صاحب كتاب (فك الأزرار) وهو الشيخ صفى الدين أبو عبد الله الحسين، قال في ذلك الكتاب: ظاهر كلام الملائكة يشعر بنوع من الاعتراض، وهم منزهون عن ذلك. والبيان أن الملائكة كانوا حين ورود الخطاب عليهم مجملين، وكان إبليس مندرجاً في جملتهم فورد منهم الجواب مجملاً. فلما انفصل إبليس عنهم بإبائه وظهور إبليسيته واستكباره، انفصل الجواب إلى نوعين، فنوع الاعتراض منه كان عن إبليس، وأنواع

الطاعة والتسبيح والتقدیس كان من الملائكة، فانقسم الجواب إلى قسمين كانقسام الجنس إلى جنسين، وناسب كل جواب من ظهر عنه، والله تعالى أعلم. هذا كلامه وهو تأويل حسن وصار شبيهاً بقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ البقرة: ۱۳۵، لأن الجملة كلها مقولة والقائل نوعان فرد كل قول لمن ناسبه. اهـ من (البحر المحيط).

**ومنها:** قوله تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ۲۷۵، فتدبر كيف أن الكافر كَبَّ وجهه على جزء صَوْرِيٍّ من مشهد الربا فجعله مثل البيع، فإذا نظر المرابي إلى قرض العملة النقدية وغيرها وكأنه استتجار للنقد، فإن الإجارة نوع من البيع، وكأنه في ظن المرابي بيع مؤقت لمنفعة معينة وتستحق في العقار ونحوه ثمناً بالإضافة إلى إعادة العين المؤجرة، يُقال: آجَرْتُهُ الدارَ أي أكريتها، وقال تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ القصص: ۲۷، نقل الأزهري عن الزجاج قال: أي تكون أجيراً لي ثمانِي حِجَج. اهـ من (تهذيب اللغة). فكَذلك يرى المرابي أن الإنتفاع بالقرض له قيمة مضافة إلى قيمة الأصل، كما هو حال الإنتفاع بالعقار المؤجر. وفات المرابي أكثر من أمر، (الأمر الأول): أن النقد ليس كالعقار ونحوه، فإن هذه الأعيان تعود ذاتها إلى صاحبها، وأما النقد المقترض فإنه يُستهلك ويمكن للمقترض أن يحسره ثم يعيد نقداً آخر مطابقاً، ويريد المرابي زيادة ربوية فوق ذلك. (الأمر الثاني): إجراء أحكام الإستتجار على القرض فيه إهدار للأخلاق في القروض، فإن القروض غير الربوية تكاد تتلاشى في المجتمعات القائمة على

الربا. **(الأمر الثالث):** في حال تعذر توفية الدَّيْن بأجله مع الزيادة الربوية، فإن الزيادات الربوية تتراكم أجلاً بعد أجل، ويتضمن التراكم الزيادات الربوية على الزيادات غير المدفوعة. وقد دُمِّر اقتصاد دول بسبب ذلك، وصارت الزيادات المتراكمة تستهلك قسماً كبيراً من الدخل القومي، ويبقى أصل الدين قائماً!!! **(الأمر الرابع):** في حال غياب الوازع الأخلاقي، فإن طبيعة القروض الربوية الكبيرة بين الدول تفتح شهية المرابين ومن وراءهم للتآمر وتحطيم اقتصاد الدولة المقترضة كي يتواصل تحويل الدخل القومي إلى الجهة الدائنة. يوضح ذلك وصف آكلي الربا بعبارة ﴿لَا يَفُومُونَ إِلَّا كَمَا يَفُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، فلو كانت العبارة بالباء، أي: يتخبطه الشيطان بالمس، لكان المعنى أن الشيطان يصيبه بالمس. وأما استعمال «من» في عبارة ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾، فمعناها أن المرابي ممسوس أساساً بشهوة الإستحواذ على أموال الآخرين، ولذلك يستطيع الشيطان أن يتخبطه أي يحركه بشدة. وقوله تعالى ﴿لَا يَفُومُونَ إِلَّا كَمَا يَفُومُ ...﴾، أي لا يقومون إلا قياماً مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان، وهي صيغة عموم لأن الفعل في سياق النفي يعم كالنكرة في سياق النفي، ومعنى القيام هو النهوض إلى أمر أو التصدي له، فهم لا ينهضون إلى أمر إلا كما ينهض الذي يحركه الشيطان. ومعلوم أن حركة الشيطان محصورة بالشر، فقد قال تعالى ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ البقرة: ١٦٨ - ١٦٩. **(الأمر الخامس):** لا شك أن القروض ليست خاضعة لنظام الإستئجار، ولا يصح كذلك تضمين القروض الربوية معنى بيع المنافع بسبب شبه شكلي عديم القيمة. **(الأمر السادس):** الرؤية الشاملة لحكمة التشريع الديني يعلمها الله تعالى، وحين يتعذر على المؤمن رؤية ما يكفي لتعليل تشريع معين، فليس له إلا التسليم التام إلى حكم الله تعالى، وهذا بعض مضامين قوله



تعالى ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾. (الأمر السابع): ما سبق كله كان في ربا الأجل (أي ربا النسيئة)، وأما ربا المقيضة أي الزيادة بسبب تفاوت الوصف ضمن نوع معين من المقيضات الممنوعة، فهذا ذريعة إلى أنواع من الغش والغرر.

## مضامين الأفق الواسع:

المقصود أنك حين تتصدى لقضية او تكون مكلفاً بها فعليك أن تتعرف جيداً إلى القضية بمضامينها وأجزائها كافة، وأن تتعرف كذلك إلى كل ما يمكن أو يُحتمل أن يتصل بالقضية او يؤثر عليها او يؤثر على العمل لأجلها، ويشمل ذلك الإحتمالات الحاضرة، والإحتمالات المستقبلية (القريبة والبعيدة)، وكذلك الإحتمالات المتفرعة من جذور كامنة او خفية. وتختلف هذه المضامين بحسب نوع القضية.

ويمكن تلخيص جملة من من مضامين الأفق الواسع لقضية محددة وهي تحقيق هدف معين، فإنه يقتضي:

- رؤية الهدف او المشهد بسعة تامة وقابلة للإتساع.
- رؤية البدائل في اختيار الهدف.
- رؤية الإمتدادات الخلفية للهدف (الجذور والأسباب)، والإمتدادات الأمامية المحتملة (أي النتائج والعواقب)؛ ورؤية الخطوة اللاحقة أي المتوقعة في تحليل الحدث والخطوة.
- رؤية المؤثرات والتفاعلات القريبة والبعيدة، والمحلية والخارجية، والنافعة منها والضارة.
- رؤية التقاطع الإستراتيجي.

- رؤية الموارد والقدرات الحاضرة والممكنة وإلى نهاية الطريق. وبعبارة أخرى: رؤية توقعية لفرص النجاح في تحقيق الهدف، وكذلك القدرة على إدامة النجاح.
- رؤية نوافذ الخير في الجوانب الضارة المحتملة خلال المسار، من أجل الإعداد لها واستثمارها.

● التفكير بما لا تعلمه وبما لا تراه مما يُحتمل أن يتصل بالمشهد. قال تبارك وتعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠، الإعداد للردع مُوجَّهٌ في الآية الكريمة إلى ثلاث فئات كما هو حكم العطف بالواو، فالفئة الثالثة تبينها عبارة ﴿وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾. وفي ذلك تفاصيل ذكرناها في (وجهة اللواء/ تفسير آية الإعداد). المهم هنا أنك في تحليل مشهد مركب يجب عدم افتراض الإحاطة بمتعلقات المشهد كلها، بل ينبغي افتراض وجود ما غاب عنك من الأمور المهمة؛ ويتبع ذلك لزوم التدريب على إثارة أنواع الاحتمالات (الإفتراضات المحتملة) وما تقتضيه من إعداد احتياطي. ويشمل ذلك السياسة الدفاعية والإقتصادية والتنمية العلمية وغيرها.

## أمثلة من التفكير بأفق واسع:

منها: رؤية الأفق العالمي للأفكار والأقوال والأعمال. فقد قال تبارك وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣، وقال تعالى ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحج: ٧٨، وشهادة المؤمنين على الناس تشمل الدنيا والآخرة. يتضح المعنى بأمور، (الأمر الأول): الآية حكم تكليفي، فإن لام التعليل

المتصلة بالفعل المضارع في جملة تصلح لمعنى الطلب كما في عبارة ﴿لِنَكُونُوا﴾، فإنها تفيد الوجوب كما في نحو قوله تعالى ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، وقوله تعالى ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد: ٢٥. وأيضاً فإن كلمة «شهداء» نكرة في سياق الإثبات والطلب، فهي تقبل الإطلاق إلا ما يمنعه الدليل، فيمكن أن تشمل الشهادة في الدنيا وفي الآخرة. وفي غير سياق الطلب فإن العبارة تصلح لبيان المآل أو العاقبة، كقوله تبارك وتعالى ﴿فَالنَّقَطُ لَهُ أَلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨، وكان الجملة الفعلية أصبحت بمعنى الخبر المحض عن المستقبل.

**(الأمر الثاني):** شهادة المؤمنين على الناس في الدنيا، فعن أنس بن مالك قال: مرُّوا بجنّازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «وَجَبَتْ»، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم. الحديث متفق عليه وهو صريح في شهادة المؤمنين على الناس في الحياة الدنيا، وقد رواه عن النبي ﷺ أنس وأبو هريرة.

**(الأمر الثالث):** نرجع الآن إلى عبارة ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، فإنها عامة في الناس، مؤمنهم وكافرهم؛ ولا شك أن واجب الشهادة على الناس إنما هي شهادة على آرائهم وأقوالهم وأفعالهم، وليست على أشكالهم الظاهرية وألوانهم. فلما كان المطلوب من المسلم أن يكون شاهداً على آراء الناس وأقوالهم وأفعالهم، فإن ذلك يقتضي أن يُربط كل من يقدر أو يُكلف من المسلمين على مجال معين، وأن يتعرف إلى الأفق العالمي في هذا المجال وأن يُحاكم إلى الصراط المستقيم ما يريد أن ينتقيه أو يشهد عليه من الأفق العالمي، معنى ذلك أن المطلوب من المؤمن أن يبلغ مرتبة الأستاذية العالمية في مجال اهتمامه أو اختصاصه، أي في مجال تركيزه. **(الأمر الرابع):** شهادة المؤمنين في الآخرة، فعن أبي

سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدُوكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: «عَدْلًا»، ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. رواه البخاري وغيره. وظاهر الحديث أن الشهادة في الآخرة يمكن أن تكون بالعلم اليقيني بصرف النظر عن البيئات القضائية في الدنيا، أو يُريهم الله التسجيل المحفوظ لتكذيب أولئك القوم، فيشهدون به، والله تعالى أعلم. (الأمر الخامس): معنى ﴿وَسَطًا﴾ أي «عدلاً» كما هو تفسير النبي ﷺ، وكأنه من باب تفسير الشيء بلازمه أو بنتيجته، فإن «الوسط» في سياق الشهادة على الناس ولأجلها يدل على غاية العدالة كما ذكر السهيلي وغيره، لأن الوسط مسافته متساوية متعادلة من جميع من يشهد عليهم، فيشهد على الواقع بالحق بصرف النظر عن ميول القلب والأهواء؛ ويشهد برؤية غير جزئية، فكما يرى معائب الآخرين فعليه كذلك أن يرى تفوقهم الكبير في الوسائل وإتقانهم لها، ويشهد بذلك كي يُحاكم نفسه ويعرف ما يجب عليه من تغيير وتطوير، فهذه هي حقيقة الوسطية. وأما مجال الصلاح بين النقيضين، ففيه تفصيل فلا وسط مثلاً بين الكرم والبخل، ولا وسط كذلك بين الحق والباطل. ولكن يكون التوسط بين الإسراف والتقتير وأشبه ذلك، ونقطة التوسط حينئذ تعتمد على درجة الإسراف ودرجة التقتير، فلا يلزم أن تكون المسافة متعادلة بينهما، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧، فإن عبارة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، لا يلزم أن تكون نقطة في وسط المسافة الافتراضية في الأحوال كلها، وتوجد أمثلة تنفيذية كثيرة.

**ومنها:** شروط الإجتهد لمعرفة الحكم الشرعي في قضية معينة، فإن أفق البحث يشمل أربعة محاور او مجالات، **(المجال الأول):** النصوص التي تتصل بالقضية في القرآن الكريم كله، وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة التي تتصل بالقضية، وقد تكون مفرقة في عدد من كتب الحديث. **(المجال الثاني):** تحصيل أدوات فهم القرآن والسنة، وأهمها الكفاءة في استعمال قواعد أصول الفقه، واستعمال علوم العربية. **(المجال الثالث):** الكفاءة في فحص الخيارات المحتملة، قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الملك: ٢، فتدبر أن الله تعالى لم يقل: أيكم حسن العمل، بل قال: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، بصيغة التفضيل، والأحسن هو الأفضل، أي المتفوق على غيره. ولا يمكن معرفة الأحسن إلا بمهارة فحص الخيارات المحتملة، والترجيح وفقاً للدليل وليس بالهوى والتعصب المذهبي؛ ويوضح ذلك الغاية من النظر في الخلاف كما يروى عن بعض السلف أنه كان يوصي به. وهذا أصل مهم في فحص الخيارات الإجتهدية المحتملة، وفي فحص البدائل في المشاريع وفي الخطط التنفيذية. **(المجال الرابع):** مقتضيات التنفيذ القائمة في الناس، كالإستطاعة وتوافر الشروط وانتفاء الموانع. وتشكل هذه المجالات أفقاً في غاية السعة، فلا بد من استعمال وسائل مساعدة تُقربك إلى الشمول في البحث، مثل كتب السلف في الفقه وأحكام القرآن، وكتبهم في أحاديث الفقه. فمن توصل إلى بعض النصوص في حكم معين، ولم يهتد إلى نصوص أخرى تؤثر في الحكم، فلا شك أنها رؤية جزئية توقع في الخطأ.

**ومنها:** التصدي لتحقيق هدف مستقبلي، كأن يكون الهدف سياسياً. **(فالأفق الأول):** ما هي بدائل الهدف كي يتم اختيار أحسنها. ثم ما هي المتطلبات الكاملة لصناعة القرار، ثم تصميم (رسم) الهدف بأفق واسع أي بمضامينه كلها وبالمعايير

المرجوة وكأنه حقيقة واقعة، وكذلك تصميم بدائل قليلة تنفعك إذا اضطرت إلى التحول إلى بديل. وقد يُطلق على التصميم المستقبلي: «الصورة الافتراضية او السيناريو». وعليك أيضاً أن تقوم بتقسيم الهدف الكبير إلى محاور غير عشوائية، ثم تقوم بدراسة وتقويم الهدف الكلي وكذلك تقويم المحاور والعلاقات والتفاعلات بينها. ثم ترسم المسار الممكن (الخطط) إلى الهدف كله، والمسار إن أمكن إلى بعض محاوره. (الأفق الثاني): هو رؤية واسعة لكل شيء يُمكن أو يُحتمل أن يؤثر على تصميم الهدف او على المسار التنفيذي او على نجاح الهدف بعد تحقيقه. ويشمل ذلك أموراً ذكرناه قبل قليل تحت عنوان: «مضامين الأفق الواسع».

**ومنها:** التعامل مع الشدائد. فمن الناس من يضيقُ أفقه حين يقع في شدة فلا يرى إلا الشدة وآثارها المكروهة، فإذا طالت الشدة او تفاقمت فلا يتسع تفكيره لغير الهروب منها؛ قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ البقرة: ٢٤٣، وسيأتي تفسير الآية تحت عنوان «الإسراف والغلو في الحذر» إن شاء الله تعالى. فينبغي في الشدائد توسيع الأفق برؤية نوافذ الخير في الشدائد، فإن القرآن الكريم يدل عليها في عدد من الآيات، منها قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ ﴾ الشرح: ٥ - ٦، فتدبر استعمال أداة المعية: «مع»، فإن مع كل عسر نافذة او نوافذ إلى اليسر ولكن على المؤمن أن يبحث عنها ويستثمرها.

وقال تعالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ لقمان: ٢٠، فمن لم يجد مخرجاً في النعم الظاهرة فعليه أن يبحث في النعم الباطنة. وتحتاج هنا إلى مهارة تصوّر الأفق الواسع للنعم والبحث فيه.

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴿٣﴾

الطلاق: ٢ - ٣، في الآيتين نوافذ إلى الخير والفرج، فعلى المؤمن التقي أن يتحرك على بصيرة بهذا الإتجاه فكرياً وعملياً، كي يجد الخير في طريقه.

وفي قصة حديث الإفك قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ النور: ١١، فتدبر عبارة ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، فإن الشدة في قصة الإفك اقترنت بخير كثير بيته الآيات التي نزلت في القصة، وقد بينا بعضها في الكلام عن أمهات المؤمنين في كتاب (أهل البيت بين الخلافة والملك). وهكذا الأمر في كل خطأ فاحش، فإن فيه العبر والتصحيح والإجراءات الوقائية وغيرها من الفوائد.

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ۚ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة: ٢٥١. الدفع عن الشيء هو الذب والمحاماة والإنصاف للشيء ورد أو إزالة أو إبعاد أو إيقاف المكاره والمخاوف والعدوان، يُقال: دفع الشر عنه: أي رده عنه وحماه منه. ويمكن أن يكون بالقوة الصلبة أو بالقوة الناعمة كما في قوله تعالى ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فصلت: ٣٤. وتدبر عبارة ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾، فعلى الرغم من الأضرار الكبيرة للصراع، ومحاولات العقلاء لإخامه مع تحقيق العدل، على الرغم من ذلك فإن الصراع الدولي يقترن بتحويلات كبيرة في موازين القوى، وبتصعيد التنافس الدفاعي والإقتصادي، وبالتأمر الخفي، وبتغيير المصالح والشراكات والتحالفات، وبتغيير أيضاً في السياسة والإقتصاد. فمن نظر بأفق واسع وملاحظة قوية إلى هذه

التحولات، فإنها قد تفتح منافذ كثيرة لفرص كبيرة لم تكن متاحة سابقاً، وخاصة حين يقلل الصراع من المظالم التي أدت إليه.

## من أسباب الرؤية الجزئية أو الأفق الضيق:

**فمنها:** ضعف التأهيل في بناء الوعي وسعة الأفق، ويلحق بذلك القصور الذاتي الذي يُعيق التأهيل.

**ومنها:** ضغوط الإسراع، وإصدار القرار قبل اكتمال بناء الأفق.

**ومنها:** الوقوع في الخداع والتضليل، فقد يستخدم الخصم مهارات الإيهام بأن جانباً من الأفق ليس بالمهم ولا يستحق جهود الإعداد، وكذلك مهارات تشويه الأفق أو إعادة تركيب بعض مضامينه.

**ومنها:** حصول اختراق معاد يؤثر على مراحل صناعة القرار، أو على مراحل المسار التنفيذي، كأن يقوم بتشويه جانب من الأفق أو إزاحته من الرؤية.

**ومنها:** الفساد الوظيفي أو الإنتقاء من الأفق وفقاً للهوى أو الضغوط، وهذا سبب شائع جداً، مثاله وجود خيارات متعددة في أفق قضية عامة، غير أن المسؤول يكبُّ رؤيته على خيار معين لأنه يخدم مصلحته الخاصة وإن كان متأخراً في خدمة المصلحة العامة. وقد يقوم المسؤول بزخرفة خياره وتلميعه وإظهاره كأفضل خيار، وعلى الآخرين أن ينكبوا عليه أيضاً. ويقترن ذلك بإظهار الخيارات الأخرى بصورة متردية لا تستحق النظر. وهذا النوع من الرؤية الجزئية شائع جداً في الفساد السياسي والاقتصادي والأمني وغيرها من مجالات الحياة. ويتفرع من هذا النوع ضغوط المسؤولين والمفسدين على من هو أدنى درجة منهم كي يجرّد أفقاً معيناً إلا من الخيار الذي يريدونه.



**ومنها:** الغرور وغطرسة القوة، فإن المغرور يبالغ في تصوُّر قُدْرته ويتوهم أنه قادر على الإنجاز من غير كثير من التحليل الفكري.

## الرؤية العميقة والمنقحة

قال تعالى ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ ﴾ هود: ٢٧. تدل الآية الكريمة على ذم الرؤية السطحية والرؤية غير المنقحة في صناعة الرأي بالتفكر. فمن فوائد الآية الكريمة:

### الفائدة الأولى:

مقدمة تفسيرية:

● الرأي في ﴿ مَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ ﴾، هو رأي القائلين، كما أنه بادي او بادئ رأيهم ومقدار تفكيرهم.

● تدبر أن «بادي الرأي» يصلح أن يكون معناه: في بادي الرأي، فله حكم الظرف، وهذا تفسير مشهور فقد أخذ به او أجازه او نقله بلا اعتراض أبو البقاء العكبري ومكي بن أبي طالب وأبو علي الفارسي والنحاس والزخشري وأبو حيان والسمين الحلبي والألوسي وابن عاشور.

● وكذلك تصلح عبارة «بادي الرأي» أن تكون وصفاً (ظرفاً او حالاً) للفاعل في عبارة ﴿ مَا نَزَّلْنَاكَ ﴾، الثانية او الأولى، وهو معنى قول الإمام الطبري، وروى معناه عن ابن عباس، وكذلك رواه ابن أبي حاتم عن عطاء. فعن ابن عباس، قوله: ﴿ وَمَا نَزَّلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ ﴾، قال: «فيما ظهر

لنا؛ رواه الطبري. وهذا وجه من وجوه الإعراب غير المتناقضة التي ذكرها أبو البقاء العكبري وابن عطية وأبو حيان الأندلسي والسمين الحلبي وابن عادل. ولا إشكال في هذا الإعراب كما بين أبو البقاء وغيره. وأيضاً فإن من يمنع عمل ما قبل «إلا» في غير المستثنى وتوابعه مما بعدها، فإنه لا يعترض على المعنى نفسه ولكن بإعمال فعل مقدر بعد «إلا»، أي بتقدير: إلا الذين هم أراذلنا، نراه أو نقوله في بادي الرأي أو ببادي الرأي. فالخلاف شكلي فقط حين يستقيم تقدير عامل محذوف مناسب للمعنى. يضاف إلى ذلك أن الإعراب الذي ذكرناه هو الأصل، لأنه إذا تزامت الاحتمالات غير المتناقضة فيما أن نتعامل مع كل احتمال جائز وكأنه قراءة يُحتج بها، وإما أن نرجع بعبارة «بادي الرأي» إلى أصل الكلام دون التوابع والتفريعات، وأصل الكلام هنا هو قول الكفار ﴿مَا نَزَلْنَاكَ﴾. وقريب من ذلك قول الإمام القرافي: العطف يقتضي التشريك في أصل الحكم دون توابعه. قال النحاة: فإذا قال: مررت بزيد قائماً وعمرو، لا يلزم أن يكون مررت بعمرو أيضاً قائماً، بل في أصل المرور فقط، كذلك جميع التوابع من المتعلقة وغيرها. اهـ من (شرح تنقيح الفصول ٢٢٣).

● واضح أن «بادي الرأي» طريقة سيئة في صناعة الرأي، فقد أدت بمتبوعها إلى الكفر برسالة نوح عليه السلام وإلى احتقار المؤمنين. وعلى إعراب «بادي الرأي» بتقدير: في بادي الرأي، فإن للعبارة حكم الظرف، فهي تقبل ما يحتمله حرف الظرفية «في» من تخصيص. ومع ذلك فإن ذم «بادي الرأي» هو الغالب في كثير من الأحوال، بل من الضروري اجتناب بادي الرأي في كل قضية مهمة تحتاج إلى رؤية عميقة، وفي كل قضية تحتاج إلى رؤية منقحة. والحاصل من الأمر أن ضرورة التنقيح، أي ذم بادي الرأي يشمل نوعين من الأمور، النوع الأول: قبول كل أمر يحتمل الخطأ. النوع الثاني: رد كل أمر يحتمل الصواب.

● أما الثواب الدينية التي لا تحمل الشك في صحتها، والمحرمات التي لا تحمل الشك في تحريمها، فهذه من نوع العقائد وليست من نوع الرأي، فلا يشمل التنقيح أصلها عند من سلمت فطرته وأسلمَ الله تعالى، ولكن يشمل التنقيح فروعها التي تحتاج إلى الإجتهد في تفسير النصوص. ويلحق بالثواب المبادرة بالرأي الذي سبق إخضاعه لأدلة الحق وبلغ درجة اليقين أي درجة الاعتقاد. يوضح الأمر قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَأْنُ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠، وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ١٣١، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ١٤. وقد ذكرنا هذا الأصل بالتفصيل في (ثمار التنقيح على فقه الإيمان).

● وينبغي التحذير هنا من الغلو في إدخال آراء اجتهادية في جملة الثواب العقيدية، والتحذير كذلك من الإسراف في الخوف من القطع مما يؤدي إلى الشك في معان بلغت اليقين في ثبوتها.

## الفائدة الثانية:

**(دم الرؤية السطحية):** قرأ الجمهور «بادي» بالياء أي بدون همز، وهو من: بدا يبدو، إذا ظهر. ويُقال لِلرَّيَّةِ بَادِيَةٌ لظهورها. ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُؤُنُؤُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥، أي ظهر للعزير وأهل مشورته من بعد أن رأوا الآيات، أي علامات براءة يوسف من قَدِّ القميص من دُبُرٍ وشهادة الشاهد، وحز الأيدي: أن يسجنوه كتماناً للقصة ألا تشيع في العامة، أو للحيلولة بينها وبينه. وواضح أن ما يبدو يمكن أن يكون قراراً رديئاً.

المهم هنا أن «بادي الرأي» في آية هود، كانت طريقة مذمومة في صناعة الرأي، فقد أدت بهؤلاء إلى الكفر برسالة نوح عليه السلام، وإلى احتقار المؤمنين. وقد قلنا قبل قليل أن ذم «بادي الرأي» هو الغالب في كثير من الأحوال وعلى مرّ الزمان، وتوجد أنواع من ذلك:

**منها:** تقويم الإنسان ببعض ما ظهر على السطح دون المعاني الكامنة والقيم المعنوية

والأعمال الصالحة. وهذا واضح من قوله تعالى في حكاية قول قوم نوح ﴿ وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ ﴾. الرَّذُلُ الدُّونُ مِنَ النَّاسِ فِي مَنْظَرِهِ وحالاته، وَرَجُلٌ رَذُلٌ الثَّيَابِ وَالنَّعْلِ، كما في (تهذيب اللغة). وَالرَّذَالُ وَالرَّذَالَةُ هُوَ الَّذِي انْتَقَى جِدَّهُ وَبَقِيَ أَرَذُلُهُ، كما في (المصباح المنير)، ومنه «أرذل العمر». وَعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا ﴾ البقرة: ٢٥: «أَيُّ خِيَارًا لَا رَذُلَ فِيهِ، وَإِنَّ تِمَارَ الدُّنْيَا يُنْقَى مِنْهَا وَيُرَذَلُ مِنْهَا، وَتِمَارُ الْجَنَّةِ خِيَارٌ كُلُّهُ لَا يُرَذَلُ مِنْهُ شَيْءٌ» رواه الطبري، وروى نحوه عن الحسن. فمعيار التقويم عند قوم نوح كان المنظر الخارجي والمهنة (أهي مهنة الفقراء أم الأغنياء؟) وشبه ذلك من أوصاف السطح. وهذا من أرذل أنواع الرؤية الجزئية، وحال أصحابها كحال المترفين في الغفلة التامة عن معنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» رواه مسلم وغيره. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ» رواه مسلم وابن حبان.

ومن هذا النوع قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ (٢٠٦) ﴿ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦.

ومنه الإقتصار على فهم معاني العبارات الصريحة، وعدم ملاحظة المعاني شبه الخفية. مثال ذلك التقويم السطحي لدعاوى الإيثار، وعدم ملاحظة العلامات الكامنة للنفاق، وقد ذكر القرآن الكريم جملة من علامات النفاق، منها قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴾ (٢٩) ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٣٠) ﴿ محمد: ٢٩ - ٣٠. «لحن القول» من: لَحْنٌ يَلْحَنُ لَحْنًا، هو ميل أو اتجاه معنى الكلام ومقصده ومذهبه وما يؤدي إليه مع غياب التصريح بمضمون اللحن.

و«لحن القول» ليس محصوراً في علامات النفاق ولا في المعاني السيئة، بل إن كل صاحب قضية قد يَلْحَنُ ببعض المضامين التي لا يريد التصريح بها. فمن المهم ملاحظة المعاني الخفية في كلام القادة ونحوهم، ولكن مع اعتبار احتمال استعمال لحن القول للخداع وتضليل الآخر. فينبغي إخضاع «لحن القول» للتحليل.

**ومنها:** التسليم بمضمون عنوان معلن أو لافتة معلنة من غير ملاحظة ما ينبه إلى

الأعماق الكامنة أو الخفية، ومنه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧) ﴿ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا ... ﴾ (١٠٨) ﴿ التوبة: ١٠٧ - ١٠٨. فالعنوان المعلن هو مسجد للصلاة وللدعوة إلى الحق، وأما المضامين الداخلية فهي الكفر والإضرار والتفريق واستمالة الأعداء إلى محاربة دين الله تعالى.

وهذه اللافتة لها نظائر كثيرة جداً اليوم وفي دول كثيرة، فتجد مثلاً مركزاً إعلامياً أو سياسياً وهو في الحقيقة مركزاً للتحرير العدائي بين الدول والمنظمات (مهارات التنمية الكبرى). وتجد مركزاً تجارياً وهو في الحقيقة مركز لغسيل الأموال، وتجد مركزاً للسياحة

او التوظيف وهو في الحقيقة مركز للتجنيد. وتجد إنقلاباً على حكومة في دولة ما، وحقيقته أن حكومة الدولة عرفت كيف تحترق وتستدرج المنافس الكبير وتحركه إلى إنقلاب محكوم عليه بالفشل.

**ومنها:** ذم عدم ملاحظة علامات الفساد الباطن وما يُسمى في بعض الدراسات الغربية بالفساد غير المباشر، قال تعالى ﴿ وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٠. الآية الكريمة عامة في تحريم الفساد الباطن كله. وأمثلة الفساد الباطن كثيرة جداً في القضايا العامة والخاصة، فلا بد من البحث في الإعماق. وسيأتي بعض التفصيل في المبحث الثالث (من موانع صحة التفكير/ الفساد الباطن والمراوغة في التعامل مع الشرع) إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** عدم رؤية المضامين الداخلية (المعنوية) او المعاني المركزية او لب المشروع في صناعة القرار، قال تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ..... ﴾ البقرة: ١٧٧. فقيمة التوجه إلى جهة مادية هي قيمة المضامين المعنوية التي أدت إلى التوجه، وما تستلزمه هذه المضامين من أعمال، فهذه الأعمال ضرورية بشرط أن تكون لباساً للمضامين الداخلية.

وكذلك الأمر في القرارات السياسية وغيرها. فإذا قيل مثلاً إن العراق يحتاج إلى شراكة اقتصادية مع الدولة «س» والذين قالوا بذلك أظهروا منافع هذه الشراكة، فإن هذا القول وحده ليس بشيء، لأن الدولة «س» هي الغلاف الخارجي، ولكن يجب التحدث عن المعاني المركزية او الجوهريّة، أي نوع تلك المنافع بصرف النظر عن دولة معينة، ثم نبحث عن أفضل الخيارات المحتملة، أهي مع هذه الدولة او غيرها. وبعبارة أخرى أخذناها من

(نخبة المسار)، أن الأصل تعليق الهدف بالجواهر والمعنى وليس بالأشخاص والأمكنة، فهذه ليست أهدافاً إلا باعتبار ما تحمله من معان. فلو تم تصميم أولي لهدف سياسي معين او غيره، كتحويل رؤية استراتيجية نخبوية إلى رأي عام راسخ، او إجراء تعديلات كبيرة على الوجهة الإستراتيجية، او عمليات كبرى للإصلاح السياسي او موقف دفاعي كبير، وكان الهدف لسبب او آخر مقترناً بمكان معين او بأشخاص او بأحزاب، فإن السؤال الضروري لتنقيح التصميم: ما هو موضع الأهمية في الهدف؟ أهو ضروري لذاته أم لمصلحة ضرورية تتصل به؟ وهل يمكن تحقيق المصلحة من طريق تصميم آخر او هدف آخر او أهداف أخرى؟ وفي كثير من الأحوال، بل هو الأصل، يكون تحقيق المصلحة او دفع المفسدة هو سبب التفكير بذلك الهدف. غير أن إعادة الأمور إلى ميزان المصلحة والمفسدة يساعد في رؤية الخيارات الكثيرة والبدائل المتعددة. وبذلك فإن التصميم الأولي للهدف قد يصير مرجوحاً ومتأخراً في سلم الأولويات، بل قد يُستبدل الهدف جملة.

ولتقريب الأمر ننبه إلى الفرق بين القانون والقضاء، فإن القانون يصدر مثلاً بمكافأة او عقوبة من يفعل كذا وكذا، ومن غير تحديد أسماء الأشخاص، ثم تقوم الإدارات والقضاء بتنفيذ القانون على الأشخاص بصورة عادلة. فلو صدر القانون بإسم الأشخاص فإن المصلحة الظاهرية سوف تكون ضيقة جداً وغير عادلة فهي مفسدة. وكذلك الأمر مع القرارات العامة فإنها إذا ارتبطت ابتداءً بتعيين الأشخاص او الممكنة، فإنها ستستبعد تلقائياً خيارات أخرى قد تكون هي الأفضل.

والمقصود من ذلك، تدريب الفكر على ملاحظة المعاني والعلامات عليها، والنظر (ولو بصورة مجملية) فيما وراء الجدار او فيما تحت الغطاء، سواء كان المتوقع خيراً او شراً. وحين تغيب العلامات، يمكن التوقف من أجل الثبت والتبين او اتخاذ إجراءات احتياطة إذا كانت الخطورة المحتملة عالية.

فمن الأقوال الخالية من باطن موافق لها كلام أصحاب الإفك، كما في قوله تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ النور: ١٢. ومن رؤية ما يدل على الباطن من علامات، قوله تعالى ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٥.

### الفائدة الثالثة:

**(أهمية الرؤية المنقحة):** قرأ الإمام أبو عمرو بن العلاء (وهو من القراء السبعة)، قرأ: «بادئ» بالهمز، من بدأ يبدأ. وهذه هذه القراءة الصحيحة، فإن معنى قوله تعالى ﴿مَا زَنَنْكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا زَنَنْكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾، هو أنهم اتخذوا قرارهم بإنكار رسالة نوح عليه السلام وباحتقار المؤمنين، اتخذوه بالرؤية الأولى من غير تنقيح برؤية ثانية وثالثة فصاعداً. والسياق كله سياق ذم ابتداءً من إنكار الرسالة إلى استنادهم إلى بادي الرأي. ومن أهم فوائد التنقيح تقليل الأخطاء، وتحسين القرار، وإضافة ما يتصل به (ردم الثغرات)، وتدريب الفكر على مواصلة التحسين والتطوير.

### الفائدة الرابعة:

طرق وشروط تنقيح الرؤية:

● **الإخراج المنقح للكلمة:** قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١، قال الزمخشري: قَوْلًا سَدِيدًا: قاصداً إلى



الحق؛ والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل. يُقال: سدّد السهم نحو الرميّة: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد. اهـ من (تفسير آية الأحزاب). والتسديد هو التوجيه للصواب كما في الفروق اللغوية للعسكري. وعن عليّ عليه السلام، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ » رواه مسلم وأحمد وأبو داود وأبو يعلى، وصححه الألباني وحسين سليم أسد، وقوّاه شعيب الأرنؤوط. فواضح أن السداد إصابة القصد الصالح، فعلى المؤمن أن يجعل لكلمته أو تصرفه غاية صالحة، كمن يسدد سهمه إلى هدف مُحدّد. وهذا غير ممكن إلا بضبط النفس، أي حماية عملية صناعة الكلمة والتصرف من العوارض المؤثرة كالغضب والهوى والتسرّع والإضطراب. وقال تعالى في أهل بيعة الرضوان: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: ١٨، السكينة نقيض الاضطراب وتزلزل النفس، ولذلك قال ابن سيده: السكينة الوقار. اهـ، وقال صاحب (المصباح المنير): السكينة المهابة والرزانة والوقار. اهـ. ومع السكينة، فإن خارطة الأفكار تكون مرتبة ومنسقة فلا يضطرب صاحبها. وأما مع فقدان السكينة فإن خارطة الأفكار تكون مضطربة متدافعة أو مشوهة، على نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ ﴾ ..... ﴿ المعارج: ١٩ - ٢٣. »

● متطلبات التنقيح السريع: أي سرعة البديهة. توجد أحوال شائعة تقتضي قراراً سريعاً إذ لا مجال لفترة حضانة للعقل الباطن، كتفادي حادث مروري أو التعامل مع خطر داهم. ويمكن تعريف سرعة البديهة بأنها سرعة فهم الموقف أو

الحدث الطارئ مع سرعة الإستجابة الجيدة. مثال واضح قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَ لَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَذْبَارَ ۝١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسْكُ الْمَصِيرُ ۝١٦﴾ الأنفال: ١٥ - ١٦، فلا بد هنا من قرار سريع، وتوجد عوامل تساعد على تصويب القرار السريع، **(العامل الأول):** الخبرة المباشرة أي الممارسة العملية، فإنها تُمكن من تشغيل سريع لشبكة المعلومات الكامنة في الذاكرة، وهي من ضروريات التفكير السريع وجودة التصرف مع المفاجآت في القضايا المركبة المعقدة. يوضح الأمر قيادة السيارة، فإن الخبرة المباشرة تيسر التصرف السريع لاجتناب الحوادث، وكذلك الأمر في الحاجة إلى قرار سريع أثناء العمليات العسكرية كما في آية الأنفال. **(العامل الثاني):** السكينة وضبط النفس. وليس المراد هنا التأني، ولكن القدرة على كبح الهلع والجزع كما نبهنا إليه قبل قليل، وهو من ضروريات التفكير السريع. **(العامل الثالث):** الخبرة غير المباشرة أي تعلّم خبرة الآخرين، وهي مفيدة جداً في كثير من التصرفات التلقائية غير المعقدة، مثل استعمال أدوات الإطفاء وبعض عمليات الإنقاذ ومواجهة الحوادث. ويلحق بالخبرة غير المباشرة التدريب النظري على مواجهة المفاجآت، وكذلك التدريب العملي شبه الافتراضي، كما في التدريب والمناورات العسكرية. وأما في القضايا المعقدة غير العاجلة، فإن للخبرة غير المباشرة أهمية كبيرة جداً. **(العامل الرابع):** الحكمة والبصيرة، الحكمة من البشري التفكير والتصرف بإحكام، أي بعلم وفقه وإتقان، فإن من مضامين «الحكم» العلم والفقه، يُقال: أَحْكَمْتَهُ التَّجَارِبُ إِذَا تَعَلَّمَ مِنْهَا أَنْ يَتَصَرَّفَ بِحِكْمَةٍ، وَيُقَالُ لِمَنْ أَتَقَنَّ أَمْرًا: أَحْكَمَهُ أَوْ قَامَ بِهِ بِإِحْكَامٍ. وَيُقَالُ لِمَنْ يُجَسِّنُ دَفَاتِقَ الصَّنَاعَاتِ وَيُتَّقِنُهَا: حَكِيمٌ، كما ذكر ابن الأثير. ويشمل ذلك الأفق الواسع ورؤية الغايات والأولويات والمتطلبات والآثار أو العواقب. صحيح أن آثار الحكمة تظهر بقوة في التفكير الطويل الممتد عبر

الزمن، غير أن الحكمة تظهر آثارها أيضاً في التفكير السريع وفي مواجهة المفاجآت. **(العامل الخامس):** مكافحة عوامل الشرود، كالعوامل النفسية (إشغال الفكر بالحسد والغيرة والغضب ونحوها)، وكالتشتيت الألكتروني وقلّة النوم. **(العامل السادس):** النشاط الجسدي، فإنه يوكد نشاطاً عاماً بما في ذلك النشاط الفكري. **(العامل السابع):** مقاومة الإسراف في التردد والتأني. **(العامل الثامن):** التركيز على مجال معين والتوسع في معرفته، فإنه يوكد سرعة البديهة في المجال نفسه، كقرار الضابط وهو في ساحة المعركة، وكذلك الباحث في مجال علمي إذا سمع او قرأ عبارة تنفعه في مجاله، تجده سريع البديهة في ربط العبارة بموضعها في بحثه. وهذا بخلاف المتوسع في الثقافة العامة من غير مرابطة على مجال معين، فإن سرعة بديهته متشعبة وغير مركزة. **(العامل التاسع):** مهارة اجتناب العبارات الحاسمة والجازمة، أي إضفاء قدر من المرونة او الغموض إلى أن يتضح الإتجاه.

● **الصبر والتثبت قبل الكلام:** أي ضبط النفس في نشر الأفكار والمعلومات التي يمكن أن يؤدي نشرها إلى عواقب ضارة كالتضليل او التثييط في غير محله او التحرك على غير بصيرة او تزيين الشر او تلويث الصلاح او شبه ذلك من المضار. قال تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ النساء: ٨٣، واضح أن أمور الأمن والخوف تحتاج إلى مراجعة من يفهمها جيداً من خبراء السياسة وتحليل المعلومات، فلا يصح الإسراع فيها بالإشاعة والإذاعة. وتدبر استعمال عبارة ﴿ يَسْتَنْبِطُونَهُ ۗ ﴾، والاستنباط هو استخراج الدواخل والمعاني الكامنة او المستترة، وهذه وظيفة أهل الخبرة في المجال. ومن هذا الأصل قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿ الحجرات: ٦، وفي قراءة صحيحة لحمزة والكسائي: «فتشتوا». وفي حال الثقة التامة بمجموعة القرار وبكفاءة المحاسبة والمؤاخذة فإنه يمكن التفريع على مضمون قوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف: ٧٠، والله تعالى أعلم.

● يشمل التنقيح السريع الكلمة المقلوبة والكلمة المضمرة، فحين تبشر الإنفاق على شيء مثلاً، توقف قليلاً وفكر فيه، هل يتضمن الإسراف أو التبذير أو الترف أو خطأ التقدير؟

● تكرار النظرة السريعة: فحين افتح الكتابة عن الموضوع الذي وصلت إليه، فإنه من المفيد أن ألقى نظرة على بعض المواضيع التي سبقتها. وفي كثير من الأحيان تتم بذلك بعض التنقيحات الشكلية أو المعنوية.

● الرؤية الثانية فصاعداً وشروطها: أو التنقيح التدريجي. وهي إعادة شاملة للنظر في القضية قبل التنفيذ، فإن كانت القضية تأليف كتاب فينبغي أن يُنقح قبل نشره. وإن كانت القضية تحقيق هدف سياسي أو غيره، فإن دراسة الهدف ومتعلقاته ودراسة الخطط التنفيذية يجب أن تُنقح قبل الشروع في التنفيذ، هذا بالإضافة إلى تقويم وتعديل المسار التنفيذي بعد الشروع فيه. وأما شروط الرؤية الثانية فصاعداً، **(الشرط الأول)**: الإهتمام الكبير بالقضية، فإن الإهتمام هو الذي يجعل القضية حاضرة في العقل على طول الوقت مما يحفز الذاكرة الكامنة أو العقل الباطن على إخراج الأفكار التي تخدم القضية. وأما مع ضعف الإهتمام (سلوك إسقاط الفرض)، فإن الرؤية العاشرة قد لا تكون أحسن من الرؤية الأولى إلا في أمور شكلية وتنظيمية وليست في الإبتكار والإحسان. **(الشرط الثاني)**: فترة حضانه، أي أن الباحث

يحتضن القضية في عقله زمناً غير محدد من أجل مقارنة الإكتمال في توليد الأفكار المهمة، وذلك لأن الأفكار لا تتدفق دفعة واحدة، بل لا بد من النمو التدريجي للأفكار او التحليل التدريجي للمضامين. وبعبارة أخرى ينبغي تغذية الفكرة والمعلومة حتى تنضج، فإن الفكرة الجيدة تشبه الثمرة التي تحتاج إلى زمن وتغذية. وعن ابن عمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « لَا تَبْتَاعُوا الثَّمَرَ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاحُهُ، وَتَذَهَبَ عَنْهُ الِأَفَةُ » رواه مسلم وغيره. وأيضاً فإن إنضاج الفكرة قبل ترويجها قد يكون من أهم عوامل القبول وتخفيف المقاومة، وتذكر في هذا المعنى قوله تبارك وتعالى ﴿ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ الكهف: ٦٨، فمن النضج أيضاً ربط الفكرة الجديدة بالمتعلقات التي يعرفها الآخرون، وينبغي أن يتضمن الإنضاج حججاً قوية تجعل المخالف يقبل النظر فيها. وأما سياق التسرع كأن نجعل الرؤية الأولى اليوم ونجعل الرؤية الثانية غداً، فهو سياق ضعيف وقليل النفع ويمكن أن يكون كثير الضرر. **(الشرط الثالث):** تقوية الرؤية باستشارة الآخرين وبمهارات جمع الأفكار وجمع الآراء في أفكار محددة، وتدبر قوله تعالى ﴿ .... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الزمر: ١٧ - ١٨. وسيأتي تفسير الآية الكريمة إن شاء الله تعالى. **(الشرط الرابع):** الأمانة، فإن الغاية من التنقيح هي تحسين القرار وتحقيق أكبر منفعة منه، وأما مع الفساد الوظيفي وغياب الأمانة فإن الرؤية العاشرة يمكن أن تكون أسوأ من الرؤية الأولى، لأن تكرار النظر عندهم يُستعمل لإحكام الفساد وتحويل المصلحة العامة إلى جيوب مجاميع الفساد. **(الشرط الخامس):** ينبغي اللجوء إلى الله بالدعاء والرجاء لتحسين الرؤية قبل التنفيذ، فقد قال تعالى ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٤، الأمر في هذه الآية الكريمة من أدلة التنقيح، ويجب أن يقترن هذا الدعاء

بجهود التنقيح. وينبغي التبكير بذلك، أي قبل التنفيذ بمراحل، وبعبارة أخرى: قبل تحمل أوزار وعواقب الخطأ والتقصير.

● **إعادة التنقيح أثناء المسار التنفيذي وبعده**، وذلك لتحقيق ثلاثة أهداف، (الهدف الأول): المحافظة على منهج التحسين المستمر. (الهدف الثاني): تدارك الأخطاء وتغييرها. (الهدف الثالث): التعامل مع التفاعلات الجديدة أثناء المسار والتي لم تحتسب في التخطيط.

● **طريقة مفيدة في التنقيح**: وهي إعطاء سقف زمني يكفي لإعداد المشروع ولتنقيح متكرر، مع فترات حضانة متكررة. وهذه طريقة جيدة حين تكون غير مضطر إلى الإسراع، وهي طريقة متبعة في بعض المؤسسات، حيث يبقى المشروع الإستراتيجي حبيس الدراسة والتقويم لزمان طويل قبل الشروع في التنفيذ. ويمكن أحياناً تجزئة المشروع، للإسراع ببعضه وإعادة تنقيح بعضه الآخر، أي إنتقاء محاور لها بعض الإستقلالية.

## الرؤية

### التحليلية ورؤية النظائر

وهي رؤية في غاية الأهمية، ولها صلة قوية بالأفق الواسع وبقوة الملاحظة. ويمكن أن تكون الغاية من الرؤية التحليلية: تحليل حَدث معين بسبب أهميته، أو تحليل أداء معين كالأداء السياسي مثلاً لغرض تحسينه، أو تحليل هدف يُراد تحقيقه. وتقوم الرؤية التحليلية على القدرة على رؤية أجزاء المشهد (عناصره أو مكوناته أو محاوره) وكذلك رؤية نظائر القضية وكأنه مشهد للنظائر. ويساعد ذلك على رؤية حجم كل عنصر وأهميته، ورؤية التأثير المتبادل بين العناصر، ورؤية ما يثيره العنصر عند المشاهدين في الداخل والخارج.

وإذا كان المشهد هدفاً يُراد الوصول إليه، وكان اختيار هدف معين يعتمد على المقارنة مع الأهداف البديلة، فإن التفكير التحليلي يجب أن يتضمن الكفاءة في رؤية الفوارق والدرجات كما سنذكر إن شاء الله تعالى. وبعد ذلك يمكن استئثار هذه الرؤية الشاملة لفهم المشهد بالتفصيل، وما يترتب على ذلك من معارف وتطبيقات عملية. وقد يكون المشهد واسعاً جداً، كالرؤية التحليلية للأداء السياسي أو الدفاعي أو التربوي في دولة معينة. وقد يكون المشهد محدوداً نسبياً كتحليل خطة معينة أو محوراً محدداً من مشهد كبير كتحليل الإعلام السياسي في الدولة.

## رؤية الفوارق والدرجات:

قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ....﴾ الأنفال: ٢٩.

يُستعمل الفرقان مصدراً ل: فرّق يفرّق ويفرّق، ويُستعمل في التفريق المادي والمعنوي. وَالْفُرْقَانُ أبلغ من الفرق، كما ذكر أبو البقاء الكفوي في (الكليات). ويمكن الحمل على المصدر في قوله تعالى ﴿... وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النُّفَى الْجَمْعَانِ﴾ الأنفال: ٤١، أي يوم الحدث الكبير الفارق بين الحق والباطل.

وكذلك يُستعمل الفرقان اسماً للقدرة على رؤية الفروق والتمييز بين المتباينات، وهو الأظهر في عبارة ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾. قال الألوسي: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وربما يقال: إن ذلك إشارة إلى نور يفرقون به بين الأشياء بأن يعرفوها بواسطته معرفة يمتاز بها بعضها عن بعض. اهـ من (تفسير الألوسي). ومن استعماله إسماً قوله تبارك وتعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿ الفرقان: ١، أي نزل القرآن الكريم الذي يفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر.

وعبارة ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ مرتبطة في الآية بالتقوى، ولا شك أن الفرقان بين الحق والباطل في مجال الإيمان وعبادة الله عز وجل، مرتبط بتقوى الله عز وجل، وفي ذلك نصوص شرعية صريحة. وليس للآية مفهوم مخالفة في غير مجال تقوى الله تعالى. فيمكن لغير المؤمنين اكتساب مهارة رؤية الفروق في مجالات حياتية كثيرة كالفيزياء والكيمياء والهندسة وغيرها، وعلى المؤمنين أن يغالبوا الآخرين في ذلك.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ البقرة: ٤٢، التلبس خلط الأمور ومحاولة تغييب الفواصل والفروق، يُقال: كَبَسْتُ عَلَيْهِ الأَمْرَ البِسُّ، أي جعلته مختلطاً وليس بواضح، ورجُلٌ إِبْسٌ: أحمق.

## أمثلة من رؤية الفوارق والدرجات:

**منها:** تحليل المشهد الكبير كالأداء السياسي مثلاً. ويحتاج الباحث هنا إلى أمرين، (الأمر الأول): أن يدرب الباحث نفسه على رؤية الفوارق، وأن لا يرى المشهد المركب وكأنه محور واحد متمدّد. (الأمر الثاني): أن تقسيم المشهد إلى محاور أو أجزاء، ليس تقسيماً عشوائياً، فإن هذا يقدر عليه كل إنسان ولا يفتقر إلى مهارة. فإما أن يكون الجزء محوراً له درجة من الإستقلالية، كالحرية السياسية ضمن مشهد الأداء السياسي، فيمكن دراسة هذا المحور بذاته ثم دراسته كجزء من المشهد، أي دراسة التفاعلات بينه وبين سائر المحاور، وكذلك دراسة تفاعلاته مع مشاهد أخرى غير الأداء السياسي، فإن بعض الجوانب السياسية قد تتفاعل مع المشهد الاقتصادي والقانوني والثقافي وغيرها.



وإما أن يكون الجزء مضموناً متشعباً في عدة محاور، كالفساد السياسي فإنه مضمون متشعب يدخل في محور الانتخابات النيابية والمحلية، ويدخل في محور أداء النواب، ويدخل في محور الضغوط على القرار السياسي، وفي غيرها، كما أنه يتفاعل ويرتبط بالفساد الوظيفي عامة.

وتوجد مشاهد أخرى شديدة التداخل بين المحاور والمضامين، وتحتاج إلى مزيد من التفكير لتحديد خطوط فصل معقولة بين المحاور.

**ومنها:** رؤية الفرق بين الرياء وإفشاء السلام. قال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة: ٢٠٨؛ وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. » رواه مسلم وغيره.

فمن إفشاء السلام وليس الرياء، كلام هارون عليه السلام، قال تعالى ﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ طه: ٩٢ - ٩٤. فليس معنى الآية أن الرياء دخل في تصرف هارون عليه السلام، ولكنه أراد المحافظة على التماسك ودفع أسباب الكدر بينها.

وكذلك قول يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ يوسف: ٥٢؛ أي ليعلم الملك أي (أي يوسف) لم أخنه في زوجته في الغيب، هذا قول الإمام الطبري، ورواه عن مجاهد وقتادة، وهو أيضاً قول الزجاج والماتريدي والسمرقندي ومكي والزخشي والقاضي أبي محمد الذي يكثر ابن عطية الرواية عنه، ونقله القرطبي عن الحسن وقتادة وغيرهما. وذكر مكي وابن عطية فيما

نقله عن القاضي أبي محمد، ذكرا وبيننا جواز التقديم والتأخير بين الجمل لتحقيق فائدة معنوية. وتتسع هذه القصة لبيان نقاء السريرة وصحة العمل في تعامل المسلم مع غير المسلمين.

**ومنها:** رؤية درجات الأوصاف والأعمال، وهذا أصل مهم ونحتاج إلى تدبر

الآيات القرآنية فيه. فقد ذكر الله تعالى الصالحين ثم الفاسدين، ثم قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يظَلْمُونَ ﴾ الأحقاف: ١٩.

وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿١١٣﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣، أى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات، والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب. هذا حاصل كلام الزمخشري والزجاج وغيرهما.

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٦٥. وهذا أصل مهم في التقويم.

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ فصلت: ٣٤، فتدبر أن الله لم يقل هنا: ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولكنه تعالى كرر «ولا» مع ذكر السيئة أيضاً. وتقتضي قواعد الأصول أنه إذا استقام المعنى، فإن تأسيس المعاني مقدم على توكيدها. معنى ذلك أن «ولا» الثانية غير مؤكدة؛ إذ يراد بالحسنة الجنس، وكذلك السيئة، فكل واحدٍ منهما متفاوتٌ في جنسه؛ لأنَّ الحسناتِ درجاتٌ متفاوتةٌ، وكذلك السيئات. وعلى أي حال، فإن قاعدة تقديم التأسيس على التوكيد قاعدة مشهورة، وربما يحصل خلاف فيها في تفسير

كلام الناس وذلك لتأثير العرف على الصياغة اللفظية. ونكتفي هنا بقول الإمام السيوطي: قَاعِدَةٌ «التَّاسِيسُ أَوْلَى مِنَ التَّأْكِيدِ»، فَإِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَهُمَا، تَعَيَّنَ عَلَى التَّاسِيسِ. اهـ من (الأشباه والنظائر). وسيأتي المزيد عن هذا الأمر في الكلام عن التزكية والإحياء في المبحث الخامس إن شاء الله تعالى.

ومن هذا الأصل الإتصاف بشعبة أو خصلة من جملة خصال أمر معين. فعن أبي هريرة؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ؛ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» رواه مسلم وغيره. وكذلك حديث عبد الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُتَأَفِّقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.» رواه البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم. وهكذا الأمر في خصال أو شعب العقائد والأعمال، قال تعالى ﴿..... وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: ١٠٦، فشعبة أو درجة من ذلك لكل من شرح صدره لباطل أو لخطأ يعلم أنه خطأ.

وكذلك أخلاق الكفار المذكورة في القرآن، فباستثناء الكفر، فإن أخلاقهم ليست محصورة بهم، فقد يحمل المسلم درجة صغيرة أو كبيرة من بعضها. فمن فائدة ذكرها تنبيه المؤمن لاجتنابها ولتنقية نفسه من تلك الصفات.

ومن التطبيقات التنفيذية لتحليل الفروق أنك إذا أردت الإختيار من بين عدة خطط تتصل بالمصالح العامة، فعليك أن تُقَوِّمَ درجة المنافع والمضار (العاجلة والآجلة) في كل خطة، كي تستطيع أن تختار.

ومن التطبيقات التنفيذية إعطاء الناس حقوقهم وفقاً لدرجة عطائهم، ويقتضي ذلك وضع أدوات لحساب الدرجات والحقوق. وقد قال تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ الشعراء: ١٨١ - ١٨٣، وسيأتي تفسير آيات الشعراء تحت عنوان: «الوزن والميزان» إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** رؤية الفروق بين الصفات والأعمال المتنوعة وما يترتب عليها من قرار وعمل، وتوجد أمثلة واضحة:

منها قوله تعالى ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ التوبة: ١٩، وقوله تعالى ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٥. وقال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الحديد: ١٠.

وقد تكون الفروق كبيرة إلى درجة تقتضي نوعاً من الفصل، كقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ آل عمران: ١٧٩، وقوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ١٠٠.

وقد تكون الفروق جلية واضحة، ولكن يتغافل عنها متبع الهوى، من ذلك قوله تعالى ﴿ أَنْجَعِلِ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦. وقال تعالى ﴿ أَمْ نَعْلَمُ أَنْمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِ الَّذِينَ الْأَلْبَابِ ﴾ الرعد:

١٩. وقال تعالى ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الأنعام: ١٢٢.﴾

## وأما رؤية النظائر واللوازم:

فأمثلتها كثيرة في القرآن الكريم، وإغفالها هو أحد أسباب كفر المشركين، من ذلك قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ يس: ٧٨ - ٧٩. وقال تعالى ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿الإسراء: ٥١.﴾

ومثل ذلك الرؤية الجزئية للنظائر مما يؤدي إلى إغفال فروق عظيمة، كما هو حال المشركين في قوله تعالى ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ المؤمنون: ٤٧ - ٤٨.

ومن إثارة النظائر نحو قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْإِلَّهَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ القصص: ٧١ - ٧٢.

ومن الأمثلة الفقهية قوله تعالى ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٧٥.﴾

ففي الآية توجيه للمؤمنين إلى حكم عملي استناداً إلى المتوقع من المشركين من دراسة النظائر السابقة.

ومن أهمية رؤية اللوازم قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٣﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ الإسراء: ٤٢ - ٤٤ .

وقوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ طه: ٨٨ - ٨٩ .

ومن الإلزامات العقلية قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزٰئِنٌ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ الطور: ٣٣ - ٣٨ .

## التحليل والخبرة غير المباشرة:

المقصود إضافة خبرة من دون ممارسة عملية، ولكن من تحليل مسار الآخرين في الماضي والحاضر.

فلنتدبر نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٤٤﴾ فاطر: ٤٤ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ النمل: ٦٩ . فلنتظر في فوائد الآية الكريمة:

**الفائدة الأولى:** قوله تعالى ﴿ أَوْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾، معلوم أن الآثار المادية

لكثير من الأمم الماضية قد زالت أو بقي منها ما لا يدل على أكثر من انها آثار قوم قد رحلوا. ولذلك فإن السير في الآية هو سير العقل والتفكير في مسارهم التاريخي، وذلك بقراءة ما ثبت نقله من تأريخهم.

**قال ابن فارس:** السَّيْرُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ وَجَرَيَانٍ، يُقَالُ سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا. وَالسَّيْرَةُ: الطَّرِيقَةُ فِي الشَّيْءِ وَالسَّنَّةُ، لِأَنَّهَا تَسِيرُ وَتَجْرِي. يُقَالُ سَارَتْ، وَسَرَّتْهَا أَنَا.

اه من (معجم مقاييس اللغة). **وقال الأزهري:** وَيُقَالُ: هَذَا مِثْلُ سَايِرٍ، وَقَدْ سَيَّرَ فُلَانٌ أَمْثَالًا سَائِرَةً فِي النَّاسِ. اه من (تهذيب اللغة). **وقال ابن سيده:** وَسَيَّرَ سِيرَةً حَدَّثَ

أَحَادِيثَ الْأَوَائِلِ وَسَارَ الْكَلَامُ وَالْمَثَلُ فِي النَّاسِ شَاعَ. اه من (المحكم). **وقال ابن**

**منظور:** وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: «تَسَايَرَ عَنْهُ الْغَضَبُ» أَي سَارَ وَزَالَ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: سَارَ الشَّيْءُ وَسَرَّتْهُ، فَعَمَّ. وَالسَّيْرَةُ: الطَّرِيقَةُ. يُقَالُ: سَارَ بِهِمْ سِيرَةً حَسَنَةً. وَالسَّيْرَةُ: الْهَيْئَةُ. وَفِي

التَّنْزِيلِ الْعَرِيزِ: ﴿ سَنَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ طه: ٢١، وَسَيَّرَ سِيرَةً: حَدَّثَ أَحَادِيثَ

الْأَوَائِلِ. وَسَارَ الْكَلَامُ وَالْمَثَلُ فِي النَّاسِ: شَاعَ. وَيُقَالُ: هَذَا مِثْلُ سَائِرٍ؛ وَقَدْ سَيَّرَ فُلَانٌ أَمْثَالًا سَائِرَةً فِي النَّاسِ. اه مع اختصار من (لسان العرب).

فمعنى عبارة: ﴿ أَوْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾، أن الناظر يرجع بفكره إلى الوراثة كي يقف

في بداية الحدث الماضي، ثم يسير إلى الإمام في دراسة تطور الأحداث وإلى نهاية المطاف، كي يفهم العوامل التي أدت إلى العاقبة، والله تعالى أعلم.

**الفائدة الثانية:** معنى عبارة: ﴿ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، واضح

أن النظر هنا هو نظر الفكر والبصيرة. ونحتاج إلى البحث في معنى ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ﴾.

**(أما «كيف»)**، ففيها هنا ثلاثة أمور، **الأمر الأول:** أنها اسم مبهم للإستفهام عن حال

شيء، او هي اسْتِفْهَامٌ عَنْ حَالِ الشَّيْءِ لَا عَنْ ذَاتِهِ، كما هي عبارة الزركشي في (البرهان في علوم القرآن). وقد تتضمن معان كالتعجب والإنكار، وهي نكرة. والأصل في النكرة في سياق الإثبات في خطاب التكليف وما في معناه، أنها نكرة مطلقة في كل ما أدي إلى عاقبة أولئك، فيدخل في الإطلاق مضامين المسار السياسي والقانوني والإقتصادي والإجتماعي وغيرها. وتدبر سعة الإطلاق في نحو قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ آل عمران: ٦، أي عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءَ أَنْ يُصَوِّرَكُمْ صَوَّرَكُمْ، كما هي عبارة أبي حيان في (البحر المحيط). الأمر الثاني: تدبر أن الله تعالى لم يقل: متى كان، ولا: أين كان، بل يمكن في كلامنا أن نقول: فانظروا عاقبة المجرمين، من غير «كيف كان»، أي انظروا نهايتهم. ولكن الآيات الكثيرة (نحو عشرين آية) جاءت بزيادة: ﴿ كَيْفَ كَانَ ﴾، وتوجه هذه العبارة إلى دراسة التأريخ برؤية تحليلية لكيفية الوصول إلى تلك العاقبة. وبداية ذلك من نهوضهم ومواضع قوتهم وضعفهم والمؤثرات الداخلية والخارجية عليهم ومسار حياتهم ثم كيف كان انحدارهم ثم سقوطهم. فيمكن أن يؤدي العمل بعبارة «كيف كان» إلى تحليل المشهد التاريخي وإلى القول بأن الحدث الفلاني وعامل الضعف الفلاني وإهمال المحور الفلاني كانت أسباباً تفسر عبارة: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾. وعبارة أخرى: أن الناظر يرجع بفكره إلى الوراء كي يقف في بداية الحدث الماضي، ثم يسير إلى الإمام في دراسة تطور الأحداث وإلى نهاية المطاف. الأمر الثالث: ذهب بعض المفسرين في تفسير الآية او تفسير بعض نظائر آيتي غافر والنمل المذكورتين هنا، ذهبوا إلى أن المطلوب هو النظر في نهاية القوم، ومنه قول الزمخشري: ولأن المعنى: كيف كان آخر أمرهم. اهد من تفسير آية النمل المذكورة هنا. فإذا كان يريد: كيف حدث ونشأ، فهذا صواب ويقتضي تحليل المسار او الأسباب. وأما إذا كان يريد حصر النظر في العقوبة، فهذا قول ضعيف، فإن نهايتهم معروفة بدون سير، غير أن الله تعالى أمر بالسير



او حض عليه في آيات كثيرة. ولو كانت العاقبة فقط، فإنه يكفي ذلك أن تقول: فانظروا عاقبة المجرمين، أي من غير عبارة «كيف كان»، غير أن هذه العبارة ثابتة في آيات كثيرة، فلا شك أنها تضيف مضامين مناسبة للأمر بالسير في الأرض او الحض عليه. **(وأما عبارة):** ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾، ففيها أمران، الأمر الأول: تدبر أن الله تعالى قال: «كان»، ولم يقل «كانت» مراعاة للتأنيث، والمشهور عند المفسرين أن السبب هو أن تأنيث العاقبة تأنيث غير حقيقي. ولكن يمكن أن يكون السبب هو الحذف، وهو كثير الوقوع جداً في القرآن الكريم وفي كلام العرب، وهو ما يحتاجه الإبهام في «كيف»، كأن يكون التقدير: كيف كان طريق عاقبتهم او مسار عاقبتهم او منشأ عاقبتهم. الأمر الثاني: يوجد وجهان في إعراب «كان»، الوجه الأول: أنها فعل ناقص يحتاج إلى اسم وخبر، وأمره معروف. الوجه الثاني: أنها فعل تام يرفع فاعلاً كشيءه من الأفعال. وقد ذكر هذا الإعراب ابن عطية في تفسير آية غافر المذكورة، وجوزه أبو البقاء العكبري والمنتجب الهمداني في إعراب قوله تعالى ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النمل: ٥١، وتوجد شواهد قرآنية كثيرة من «كان» التامة. وأما معنى «كان» التامة، فقال أبو البقاء العكبري: «كَانَ» التامة دالة على الكون وكل شيء داخل تحت الكون. اهـ من (اللباب في علل البناء والإعراب)، ومعنى الكون في عبارة أبي البقاء أي الحدث وكل ما يدخل فيه من بدايته إلى منتهاه. وفي سياق مثال في باب المبتدأ، قال أبو حيان الأندلسي: فقدرت «كان» التامة لتدل على الحدث المطلق الذي يدل الكلام عليه. اهـ من (التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)، وهذا مثل كلام أبي البقاء مع اعتبار السياق في تفسير الإطلاق. ولذلك قالت الدكتورة عزيزة فوال بابتي: تكون تامة (أي كان) إذا اكتفت بمرفوعها، وإذا صار معناها: «ابتداء» او حدث او حصل او وجد او خلق. اهـ من (المعجم المفصل في النحو العربي). فمعنى «كيف كان»: كيف حدث، ويشمل ذلك المسار كله من الإبتداء إلى الإنتهاء. وهذا قريب من «كان» التامة في قوله تعالى

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ المائدة: ٧١، فتشمل العبارة ابتداء الفتنة ضمن جملة الحدث.

الفائدة الثالثة: الحكم الإجمالي للنظر في التأريخ. ففي تفسير قوله تعالى ﴿...﴾

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ آل عمران: ١٣٧، قال ابن عاشور: وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها. قال ابن عرفة: «السير في الأرض حسي ومعنوي، والمعنوي هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للنظر العلم بأحوال الأمم، وما يقرب من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لعجز الإنسان وقصوره». اهـ من (تفسير ابن عاشور). ولنتدبر نحو قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ النمل: ٦٩، فإن الأمر بالسير ظاهره الوجوب وبالمعنى الذي ذكرناه في الفائدة الأولى؛ غير أن الفعل في سياق الإثبات له حكم النكرة في سياق الإثبات، أي له حكم الإطلاق، فالذي لا يريد أن يتعب نفسه في هذا المجال فإنه يكتفي من عبارة ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، برؤية إجمالية لفاعلية عوامل الإنحدار في حصول العاقبة، وهذا على نحو تفسير النكرة المطلقة في قوله

تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة: ٦٧، فعن مجاهد قال: «لو أخذوا بقرة ما كانت، لأجزأت عنهم». رواه الإمام الطبري، وزاد مجاهد في رواية: «ولكنهم شددوا فشدد عليهم». رواه الطبري. وأما من كان منتصباً لفهم حركة الأمم بين النهوض والإنحدار، ويحتاج إلى خبرة غير مباشرة فيما هو مكلف به، فلا بد له من دراسة تحليلية لجوانب من تأريخ الأمم، فإن أحدنا لن يستطيع تحليل

التأريخ كله وإن كان تأهيله عالياً. وتدل صيغة الأمر في عدة آيات على الأهمية الكبيرة لهذا الحكم.

ويؤكد أهمية دراسة التأريخ، قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣، فالمطلوب من أمة الإسلام أن تشهد على الناس عموماً، ولا شك أنها شهادة على أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم.

وعن أنس بن مالك قال: « مَرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثِنِّي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ »، وَمَرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثِنِّي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ »، قَالَ عُمَرُ: « فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مَرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثِنِّي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتُ: وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَمَرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثِنِّي عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ: وَجِبَتْ، وَجِبَتْ، وَجِبَتْ »، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. » رواه مسلم والبخاري وأحمد وغيرهم، واللفظ لمسلم. وهذا نص صريح أن شهادة المسلم على الآخرين تشمل ما يستحق الثناء بخير وما يستحق الثناء بشر، أي الأفكار الملعنة والأقوال والأعمال. والحديث نص أن شهادة المسلم على الآخرين تشمل الأموات. فإن كان الميت معاصراً فإن الشهادة عليه ممن شهد حاله أو روى عن من شهد. وإن كان الميت غير معاصر، فإن الشهادة عليه يجب أن تستند إلى الأسانيد الصالحة التي تصل إلى الميت، كما نفع في رواية الأحاديث النبوية وفي رواية التأريخ.

وذهب بعضهم إلى الزجر عن دراسة وتحليل تأريخ غير المعاصرين، واحتجوا بقوله تعالى ﴿ ..... قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ البقرة: ١٣٣ - ١٣٤، وهذا الاستدلال خطأ في غاية الوضوح فهو غفلة، فقد جاءت عبارة ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ... ﴾ في موضعين من سورة البقرة، واسم الإشارة (أي «تلك») يعود في الموضعين إلى إبراهيم وبنيه الصالحين عليهم السلام، كما هو واضح في النص القرآني، وبه فسر الآية الإمام الطبري وغيره. فلو كانت الآية تنهى عن التأريخ فإن النهي يشمل تأريخ الصالحين قبل غيرهم، ولوجب عدم رواية ودراسة تأريخ خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهذا باطل لا يقوله أحد فيما أعلم. غير أننا نجد في هذا الزمان من يزن الأمور بموازين مختلفة او معايير مزدوجة كما في اصطلاح اليوم، فما يوافق مذهبه من التأريخ فإنه يرويه بإسهاب ويزخرفه بزيادات، وأما ما يخالف هواه فإنه يملأ الساحة ضجيجاً لإعادة صياغة التأريخ وفقاً للهوى او لإيقاف البحث في التأريخ لأنها أمة قد خلت!!!! وقد قال تعالى ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ الشعراء: ١٨٢، فالميزان الشرعي مستقيم مع الجميع.

وأما المعنى الضمني لقوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أي لها ثواب ما كسبت، ولكم ثواب ما كسبتم، ويتضمن ذلك أن تقويمكم وحسابكم إنما يكون بما كسبتم من عقيدة وعمل. وأما الانتساب إلى إبراهيم وبنيه بالإدعاء او النسب، فلا يتصل بإبراهيم وبنيه إلا إذا كان العمل موافقاً لدين إبراهيم عليه السلام.

ومما قيل في أهمية التحليل التاريخي: «كلما أطلت النظر إلى الوراء أحسنت النظر إلى الأمام»، و«مكتوب على الذين لا يتذكرون الماضي أن يجربوه مرة أخرى»، ذكرهما الباحث منير عبود في كتاب (موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية).

## الفائدة الرابعة: أصول مهمة في التحليل التاريخي، لمن أراد درجة عالية من

العمل بنحو قوله تعالى ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. فأكثر الناس يستطيعون تحليل او تقسيم المشهد بشكل عشوائي إلى أجزاء، ولكن المقصود هنا القدرة على رؤية الفواصل المميزة والمؤثرة كي يكون التقسيم مفيداً في فهم تفاعلات الأجزاء وفي صناعة الرأي وتنفيذه وفي جودة الخطط. وفي رواية الحدث التاريخي، فإن السرد المجرد يركز على الزمان والمكان والأسماء وهذا جزء مهم لحفظ التاريخ، غير أن الإلتفاف بالتاريخ من أجل كسب الخبرة غير المباشرة وتوقع الخطوات المقبلة في زماننا يقتضي رؤية تحليلية للحدث التاريخي. وللإلتفاف بدراسة التاريخ واكتساب خبرة غير مباشرة منه، يمكن القول إن محاور الرؤية التحليلية تتضمن: **(المحور الأول):** نشوء الحدث، وجذوره او العوامل التي أدت إليه. **(المحور الثاني):** مسار الحدث وتفاعلاته ونقاط قوته وضعفه والغاية التي بلغها، ثم مسار الإنحدار وتفاعلاته. ويقتضي ذلك التركيز على المضامين المتحركة للحدث، وعدم التحجر على المضامين الجامدة كالأسماء والأعداد والأمكنة والأزمنة. **(المحور الثالث):** العوامل المؤثرة في المسار، الداخلية والخارجية. **(المحور الرابع):** تأهيل الفكر لرؤية الجوهر او اللب او المعنى المركزي للحدث، بمعزل عن الملابس والقرائن الشكلية او الظرفية او التضييلية. ورؤية المعنى المركزي ضرورية للإستفادة من التاريخ ومن تجارب الآخرين، لأن المعنى المركزي هو الذي يتكرر مع تعاقب الأزمنة. وأيضاً، فإن رؤية المعاني المركزية ضرورية لفهم حقيقة الحدث وغاياته بعيداً عن الخداع والتضليل. وبهذه المهارة مع القدرة على رؤية خصائص الحاضر، يمكن القول: إن الخبرة غير المباشرة تساعد جداً في استخراج حلول من الماضي لمعضلات الحاضر. ونؤكد أن من يقصر في رؤية المعنى المركزي، فإنه سيتعب نفسه بالتفاصيل التاريخية الكثيرة وغير المفيدة. **(المحور الخامس):** منتهى الأمر او العاقبة ومضامينها والعوامل المؤثرة فيها وتسلسل الأحداث الموصلة إليها. وبنحو هذه الرؤية للمحاور

يكون تحليل مشهد التغيرات الدولية في الارتباط الإستراتيجي والتحالفات الدفاعية وتوسيع النفوذ والتوجيه السياسي للإقتصاد وغير ذلك من الأحداث.

### الفائدة الخامسة: من أعظم فوائد الرؤية التحليلية للتأريخ المعاصر والقريب

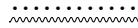
والبعيد، هو اكتساب الخبرة غير المباشرة: وذلك باستيعاب غير تقليدي لخبرة الآخرين. ويمكن أن تكون خبرة الإنسان غير المباشرة أكبر بكثير من خبرته المباشرة أي من عُمره الوظيفي. ويقوم بناء الخبرة غير المباشرة على ثلاثة عوامل، **(العامل الأول)**: دراسة التأريخ بنحو ما ذكرناه هنا قبل قليل؛ وكذلك مهارات الإستماع والقراءة واستطلاع الآراء. **(العامل الثاني)**: قوة الملاحظة. **(العامل الثالث)**: التفكير التحليلي بنحو ما ذكرناه قبل قليل، وكأن القراءة عندك ليست مجرد مطالعة ولكنك تدرس ما تقرأه وما تستمع إليه وما تلاحظه، وتُدوّن ملاحظاتك ثم تنظمها وتفكر بها وكأنك تعيش فيها. وواضح أن من أراد التفوق فينبغي أن تكون خبرته غير المباشرة أكبر بكثير من المباشرة، لأن مدى الخبرة المباشرة يقتصر على الأيام المفيدة من العمر الوظيفي للإنسان، فهو في الغالب جزء من العمر الوظيفي. وأما الموفق في دراسة خبرة الآخرين واستيعاب مضامينها المفيدة والمتكررة، فإن مدى خبرته قد يزيد بكثير على مائة سنة وظيفية، بل قد يكتسب خلال أشهر من الدراسة خبرة سنين سابقة كثيرة. ويحتاج ذلك إلى مهارة فكرية عالية.

ومن عظيم أهمية موعظة التأريخ قوله تعالى ﴿..... أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۗ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۗ﴾ إبراهيم: ٤٤ - ٤٥؛ المعنى: أقسمتم بعدم زوال سلطانكم وقُدراتكم، وسكنت نفوسكم في مثل مساكن الظالمين قبلكم وتبين لكم كيف فعل الله بهم، وضرب الله لكم الأمثال؛ والإعتماد هنا على

المعنى اللغوي للسكن والسكون، فالمسكن هنا هو البيت الفكري الذي تسكن فيه النفس المشتركة، وما فيه من ظلم وإعراض عن الحق. يؤيد ذلك أن معنى الآية ثابت، وأما المساكن المادية للأمم الماضية فيمر الناس على آثارها من غير أن يسكنوا فيها، فلا يصح حمل النص عليه. وهذا أقرب ما يكون إلى تفسير الماتريدي، وعبارته: أي: سكنتم في الدنيا في مثل منازلهم ومساكنهم؛ فرأيتم ما نزل بأولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم. وقال بعض أهل التأويل: ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ : أي: عملتم مثل أعمالهم. اهد مع اختصار من (تفسير الماتريدي).

وفي كتاب (جدوى القوة ١٨٩-١٩٠) ضرب خبير الحرب البريطاني روبرت سميث مثلاً من نفسه، فإن الخبرة المباشرة في الحرب لقائد عسكري قد تبلغ بضع سنوات فقط من جملة وظيفة عسكرية لبضعة عقود، مما يجعل الخبرة غير المباشرة ضرورية جداً، أي المهارة في التعلم من الماضي والتأريخ.

ومن المجالات المهمة التي تجمع بين التحليل التاريخي وتحليل النظائر التي ذكرنا أصلها قبل قليل: أن نتذكر أن كثيراً من حقائق اليوم كانت في الماضي من المجهل أو مجرد افتراضات خيالية، ثم تطوّر أمرها حتى أصبحت حقائق قائمة. فإذا درسنا مراحل التطور من الخيال إلى الحقيقة دراسة دقيقة ذكية، فهل يمكن استثمارها لتسريع تطوير نظائرها من مجاهل وخيالات اليوم وجعلها بإذن الله حقائق قائمة؟؟ ويشمل ذلك العلوم المادية أو الطبيعية، وكذلك العلوم الفكرية والإنسانية.



## اكتساب معارف الآخرين

### الإستماع واتباع التي هي أحسن:

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الزمر: ١٧ - ١٨. من فوائد الآية الكريمة:

#### الفائدة الأولى: مقدمة تفسيرية:

● الفاء في عبارة ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾، للتفريع وربط المعاني، وتدبر أن الله تعالى لم يقل: فبشرهم، بل قال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾، كي يتضح ارتباط المعنى بما بعدها، أي بعبارة: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ... ﴾، بالإضافة إلى ارتباطه بما قبله. والمعنى: أن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين يجتنبون الطاغوت أن يعبدوها وينيبون إلى الله. وعلى هذا المعنى تفسير الزمخشري وأبي حيان والرازي والبيضاوي والنسفي والآلوسي وابن عاشور، وهو ظاهر كلام القرطبي. وعلى هذا المعنى أيضاً قول محمد الأمين الأرمي بأن «الذين» الثانية صفة لـ «عباد» كما في (حدائق الروح والريحان). وقريب من ذلك قول الإمام الطبري: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه. اهـ. وقال الإمام الزمخشري: وأراد بعباده الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا وَأَنَابُوا لَا غَيْرَهُمْ، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة، فوضع الظاهر موضع الضمير. اهـ.



● قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾، فيه أمور، **(الأمر الأول)**: تدبر لفظ: يستمعون وليس يسمعون ، فإن السماع قد يحصل بدون قصد، وأما الإستماع على صيغة «افتعل»، فينبه إلى تعمد أو تكلف السماع أو الإجتهد في تحصيله. وهذا كالفرق بين كسب واكتسب، وصحب واصطحب، وجهد واجتهد، وبكر وابتكر، وغنم واغتنم. **(الأمر الثاني)**: لفظ «القول»، صيغته عامة في جنس القول وبصرف النظر عن قائله. وقد قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣، فالشهادة على الناس عموماً إنما هي شهادة بالحق على أقوالهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم. وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الملك: ٢٢، فالذي يمشي سويّاً منتصباً فإنه ينظر في الأفق كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ويمكن له أن ينتقي من الأفق ولكنه يمشي بعقله وقلبه على صراط مستقيم، فهو يُحاكم ما ينتقيه إلى مرجعيته. معنى ذلك أن على المؤمن اكتساب مهارة تتبع وجمع الأقوال او مهارة "حصاد الأفكار"، كي تكون له ثروة معرفية وليست عقائدية. **(الأمر الثالث)**: عبارة ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾، كلمة «أحسنه» صيغة تفضيل عند المقارنة، فمن الخطأ إدعاء أن التفضيل غير مراد. معنى ذلك أن على المؤمن اكتساب مهارة رؤية الخيارات المحتملة وتقويمها والمقارنة بينها من أجل اختيار أحسنها أي أفضلها. ويشمل ذلك فحص الوجوه في الإجتهد الفقهي، من أجل انتقاء أحسنها أي أقربها إلى مضامين الأدلة الشرعية وإلى قُدّرات التنفيذ؛ ويشمل أيضاً فحص الخيارات في القرار التنفيذي من أجل تقديم الأحسن. والأحسن في القرار التنفيذي هو الأكثر نفعاً والأطول أثراً والأبعد عن الضرر والفساد، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أملاً ﴿ الكهف: ٤٦، فإن لفظ «الباقيات» ينبه إلى طول الأثر وإلى بقاء الصلاح أي فشل عوامل الفساد في النبل منه. (الأمر الرابع): قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾، تبين العبارة الثناء العظيم والمبالغة في مدح المشمولين بالآيتين الكريمتين.

● يتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ۖ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ الإسراء: ٤٦ - ٤٧، فتدبر أن الله تعالى لم يقل: بما يستمعون إليه، ولكنه تعالى قال في سياق الذم: ﴿ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ۖ ﴾، فإن الباء في: «به»، للإيصال بأداة الاستماع أو بمنهج الاستماع وهو المراد هنا، وهذا كما تقول: رأيتُه بعيني وقاومته بالحجة والفكر وضربته بيدي، فالعقلية أو المنهج الذي يستمع به أولئك الكفار كان رافضاً للمسموع مسبقاً وغير مستعد لرؤية معانيه وتحليلها كما هو واضح من السياق.

### الفائدة الثانية: من أمور الاستماع واتباع الأحسن:

● مهارات إعداد الفكرة الجيدة وإنضاجها ثم نشرها أو سوقها إلى مجال الاستماع والانتفاع بها. ويشمل ذلك عمليات منهجية للتبرع بالأفكار ولحصاد الأفكار، والتدريب على إنضاجها. وبالعودة إلى قوله تعالى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾، فإن العبارة توجب إتباع الأحسن سواء وافق قول الحزب والطائفة أو خالفه. ولذلك يجب أن يتعهد كل صاحب مسؤولية عامة أن يجتهد في معرفة الأحسن والدعوة إليه والعمل به، غير متأثر بجماعات الضغط من المصالح الخاصة، وبصرف النظر عن موافقة أو مخالفة جماعته وحزبه وطائفته. وهذا قريب من قواعد علم الأصول أن

على المجتهد أن يتبع اجتهاده، ولا يجوز له أن يقلد غيره، وقد بينا ذلك في (المنهج الفريد)، غير أن تنقيح القول يوجب العرض على الآخرين والإستماع إلى أدلتهم. وتوجد تفاصيل تنفيذية ذكرناها في مبحث الشورى من (نخبة المسار).

● فتح المجال على مصراعيه أمام الأفراد لتحصيل مهارات إعداد الفكرة الجيدة وإنضاجها ثم نشرها أو سوقها إلى مجال الإستماع والإنفتاح بها. ويشمل ذلك عمليات منهجية للتبرع بالأفكار ولحصاد الأفكار، والتدريب على إنضاجها، وتوفير فرص للتدريب في مراكز الفكر والبحوث وعبر شبكات التواصل وغيرها من المراكز النظيفة للتنمية الفكرية. وهذا كله داخل في تعليم الحكمة أي الطريقة الصحيحة في التفكير والتصرف وفي التزكية أي تنمية النفس والحال بالخير، وهي من أهم وظائف النبي ﷺ وأتباعه، فقد قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤.

● تحصيل مهارة استطلاع الآراء أو تحفيز الكلام: فإن فريق العمل في إعداد مشروع معين قد يحتاج إلى آراء من خارج الفريق ومن غير فتح المشروع للآخرين. وبعبارة أخرى فإن عضو الفريق قد يشارك في لقاء اجتماعي أو ثقافي، وفي حوار مع من يمتلك خبرة، وغيرها من اللقاءات المتاحة. ويستطيع عضو الفريق توجيه المداولة إلى قضايا تتصل بمشروعه. وهذه مهارة كثيرة الفائدة لأنها تيسر اكتساب أفكار وخبرات الآخرين.

● اتباع الأحسن إنما يُعرف بالمقارنة بين الأقوال، ولتوسيع أفق المقارنة نحتاج إلى تعبئة لجمع الأقوال وفرزها وتقويمها، ثم انتقاء ما يُحتمل أن بعضه هو الأحسن، ثم إنضاج وتنقيح هذه الأقوال كي يمكن اختيار أحسنها.

## التعرف إلى النشاط الإنساني:

قال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣. فمن فوائد التفسير:

الفائدة الأولى: مقدمة تفسيرية، قال الزمخشري: الشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع، العماثر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل. وسميت الشعوب، لأن القبائل تشعبت منها. اهـ من (تفسير الزمخشري).

فتدبر أن الخطاب في الآية لعامة الناس.

وقوله تعالى ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، اللام للتعليل، وتُستعمل هذه الصيغة بكثرة لبيان الواجبات، نحو قوله تعالى ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد: ٢٥، وقوله تعالى ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩.

والفعل في: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، مضارع تعارف، والأصل: لتتعارفوا فحذفت إحدى التاءين.

وأما معنى التعارف، فإن المعروف نقيض المنكر. وعلى ذلك فإن التعارف نقيض التناكر، يُقال: ناكر فلان فلاناً أي خادعه وراوغه او عاداه او حاربه، وتناكر الأصحاب تغافل بعضهم عن بعض او تغيروا عن سابق عهدهم. والنُّكْرُ والمنكر ما يُستقبح ويُستبشع، قال تعالى ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٩، وبخلافه المعروف وهو ما تقبله النفوس الطيبة والعقول السليمة، ولعله لذلك صار المعروف إسمًا للوجود او لما يُعطى للآخرين من خير. ومنه قول الشاعر: (ولم أرَ كالمُعرُوفِ أمَّا مدأقهُ .... فَحُلُوُّ

وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ). فالتعارف هو التعرف إلى الآخر بالسلوك الذي تقبله النفوس الطيبة والعقول السليمة. والآية الكريمة مطلقة في التعارف وتقبل درجات متفاوتة جداً فيه. وأما قول بعض المفسرين في معنى لتعارفوا: «ليعرف بعضكم بعضاً في النسب». اه، فهذا جزء صغير جداً من أفق الإطلاق في التعارف.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣، فالشهادة على الناس عموماً إنما هي شهادة بالحق على أقوالهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم. ولذلك فإن التعرف إلى النشاط الإنساني أصل كبير عندنا ويؤدي إلى ثروة معرفية وليست عقائدية، والله تعالى أعلم.

**الفائدة الثانية:** ومما ذكرناه في (نخبة المسار) أن غاية التعارف ليست هي مجرد التعرف إلى اسم الشخص ودينه ووظيفته، ولكن الإطلاق في التعارف يشمل المعرفة الحاصلة بالفحص والتنقيب، فما هم وما هي نقاط ضعفهم وقوتهم وما هي عوامل نهوضهم وانحدارهم وما هو تأريخهم والعقيدة الداخلية (غير المعلنة) لهم، وما هي مناهجهم وما هي أفضل الوسائل التي تجعل التعرف بهم مفيداً أو تحقق منافع متبادلة؟ وأمر الشعوب والمؤسسات هو صورة مكبرة ومركبة لصور الأفراد، فلو افترضنا أن رجلاً هياً لنفسه وسيلة للإمداد بالطعام والشراب ثم انزوى في بيته وأغلق على نفسه الباب فلا يخرج أبداً، فهذا قد حكم على نفسه بالهلاك المعنوي وصار عرضة أيضاً للهلاك الجسدي . وذلك أنه منع على نفسه سبل التأثر والتأثير، وابتعد عن سبيل المصابرة والمغالبة، ووضع غطاءً يمنعه من رؤية المشهد الخارجي، وقد تكون في المشهد مؤامرة لتدميره وتدمير بيته. يوضح الأمر أن الإنسان إذا تجاهل المشكلات الداخلية والخارجية فإنها لا تتجاهله، بل

تتفاقم حتى تُفسد حاله وهو غير مستعد للدفاع عن نفسه. وفي كثير من الأحيان يكون الغائب خاسراً.

### وضعف التحرك الخارجي للتعارف، يمكن أن يؤدي إلى:

- ضعف القدرة على التأثير.
- ضعف القدرة على تحريك الآخرين.
- فقدان عنصر المبادأة (المبادرة).
- ضعف القدرة على الدفاع والمواجهة.
- عدم الإستفادة من وجود القيمة العالمية بيدك.
- ضعف القدرة على نقل ما تقدم به الآخرون من الوسائل والمتطلبات التنفيذية.
- فقدان الرؤية الصحيحة في تعيين من تصادق ومن تعادي.

### و على ذلك، فإن منهج التعارف يشمل:

- التعرف إلى أنواع المعاني المتصلة بالآخرين، فهو يتسع للتعرف إلى كل ما هو ضروري او مفيد عنهم ، من تأريخهم وعقائدهم ومنهجهم السياسي والعسكري، وقُدراتهم وطموحاتهم المشروعة وغير المشروعة، وطرق التأثير عليهم، وعلاقاتهم العميقة والسطحية وتحالفاتهم وغير ذلك من المعارف.
- إخضاع تلك المعارف إلى التحليل والانتقاء.
- وكذلك يشمل التعارف:
- ✓ بناء العلاقات الإيجابية مع المسالمين عموماً من الناس.
- ✓ العمل لتحويل العلاقات السيئة (التناكر) إلى علاقات حسنة.

.....

## كثرة القراءة:

ضرورة القراءة: القراءة الكثيرة والهادفة والمنتقاة ضرورية جداً لتحقيق فوائد عظيمة، منها: تعويض النقص الكبير في الإستماع المباشر وفي الرؤية المباشرة، كما في نحو قوله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ فاطر: ٤٤، فكأن الناظر يرجع إلى الوراثة كي يقف في بداية الحدث الماضي، ثم يسير بالتفكير إلى الإمام في دراسة تطور الأحداث وإلى نهاية المطاف؛ وكل ذلك عن طريق القراءة والتفكير، وجاءت نحو هذه الآية ولكن بصيغة الأمر الصريح في آل عمران والأنعام والنحل والنمل، وقد تقدم تفسير مفصل لآية فاطر، تحت عنوان: «التحليل والخبرة غير المباشرة».

ومنها: ممارسة التفكير والتوسع في الأفق العقلي، خاصة في المجال الذي تتصدى له وترابط عليه، وفيما تنتقيه من القراءة، وكذلك ممارسة إثارة الإحتمالات التي تفسر الفكرة والحدث التاريخي، وقد يُطلق عليه في الدراسات الأجنبية: «ممارسة التخيل». يوضح الأمر أن القراءة مُعَلِّمٌ صامت و متاح لكل من يطلبه، ولكنه قد يعطيك طرفاً من الأمر او دليلاً عليه او احتمالاً ينبه إليه، وشبه ذلك من المثيرات العقلية التي تدفعك لتعاطي أنواع المهارات الفكرية، وخاصة حين يتصل المقروء بما تتصدى له. ومنها: تحصيل الخبرة غير المباشرة عن طريق تحليل ما تقرأه، وقد سبق ذكرها. ومنها: التدريب على النقد وتنقيح وتصحيح او رد المفاهيم. ومنها: تَعَلُّمُ أشياء مهمة كثيرة والتذكير بأشياء مهمة كثيرة كانت كامنة في الذاكرة الساكنة. ومنها: تنمية مهارة التركيز، خاصة في الباحث المنتقاة والتي يتصدى لها الإهتمام. ومنها: أن القراءة يمكن أن تجعلك بإذن الله تعالى مُتَّجِماً لأفكار قابلة للتوظيف او قابلة للبناء عليها والتقدم بها، فهي طريق إلى

حسانات كثيرة. ومنها: أن القراءة المنتقاة تُحسن الأداء العقلي وما يتبعه من تصرفات. وتُنقل نتائج دراسات أن القراءة تُحسن صحة الإنسان.

وقال تعالى ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

العلق: ٣-٥، فتدبر عبارة ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾.

وقال تعالى ﴿ ... وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩، الدراسة تشمل قراءة الكتب ودراستها، كما يدل عليه قوله

تعالى ﴿ ... أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْزُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا بَلَاغَةٌ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ القلم: ٣٧-٤٠،

تبين الآية أهمية دراسة الكتاب الصالح للدراسة، وفي الآية أيضاً إنكار على المشركين لعدم

استنادهم إلى مثل هذا الكتاب. يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا

بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الصافات: ١٥٦-١٥٧.

ونذكر بقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣، فالمسلم مأمور بقراءة الأفق العالمي في

مجال اختصاصه كي يشهد عليه.

## من أنواع القراءة: تتنوع القراءة بحسب الغاية منها:

فمنها: القراءة لبناء المعرفة في مجال التخصص، ولا بد في بدايات الأمر من أن

تكون القراءة متأنية لتحقيق الفهم. ويشمل ذلك قراءة الأفق العالمي في مجال البحث،

وذلك لبناء ثروة معرفية وليست عقائدية. وبعد زمن يمكن أن يكون المتخصص مُدرباً

على القراءة السريعة لقطف أقصى ما يمكن من الفوائد التي تخصه.



**ومنها:** قراءة التدبر، وهي قراءة صامتة، يقوم بها النظر والعقل، ومن غير تحريك الجهاز الصوتي. والغاية منها في تدبر القرآن الكريم: الفهم بأوسع ما يمكن واستخراج ما يمكن من المعاني الكامنة. وتدبر القرآن يشمل كل كلمة وكل عبارة، وبصورة متكررة، فإن فوائد القرآن لا نهاية لها. وقد بينا منهج تدبر القرآن بالتفصيل تحت عنوان: «الهداية المستمرة/ ختمة التدبر» في كتاب (نخبة المسار في فقه القيادة والإدارة). وأما في غير القرآن الكريم، فإن الغاية من التدبر الفهم والإنتباه إلى ميول الكاتب ومقاصده التي لا يصرح بها وهل فيها شر كامن؟ وكذلك ملاحظة الفوائد التي يتجاوزها كثير من القراء. وبصورة عامة، فإن التدبر قراءة متأنية، وقد نُقل عن بعض المفكرين أن قراءة كتاب واحد جيد ثلاث مرات أنفع من قراءة ثلاثة كتب جيدة مرة واحدة. وواضح أن قراءة التدبر تأخذ الكثير من الوقت، فلا بد من انتقاء ما ينبغي أن يُقرأ بالتدبر.

**ومنها:** القراءة الصوتية، كما في إلقاء الخطب والمحاضرات والشعر وغير ذلك.

**ومنها:** تلاوة القرآن الكريم، وهي قراءة صوتية ولكنها تنفرد بخصائص عظيمة، ولذلك تُذكر لوحدها.

**ومنها:** القراءة لتحصيل ما يُطلق عليه: «ثقافة عامة»، كتحصيل معلومات في مجالات متنوعة كثيرة. ومن المفيد تحصيل نوع هادف من الثقافة العامة، لأن معلومات في مجال معين يمكن أن تكون مفيدة جداً في مجال آخر وخاصة حين توجد أصول مشتركة، فإن معرفة قواعد إدارة الشركات قد تُضيف إلى قواعد الإدارة السياسية، ويحتمل أيضاً أن دراسة محركات الطائرات تنفع في تطوير محركات أخرى. وواضح أن تحصيل معلومات يمكن توظيفها قد يتطلب المرور بمعلومات كثيرة بعيدة جداً عن التوظيف المفيد، ولكن ينبغي تدريب العقل على الإحتفاظ بمعلومات التوظيف ومعلومات المضار التي نحتاج إلى اجتنابها، وكذلك الإحتفاظ بالمعلومات التي تمس المصالح العامة في

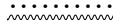
بلدك بصورة مباشرة او غير مباشرة. ولا مفر كذلك من تذكر المعلومات الشائعة التي يتكرر ذكرها على الملأ كمخاطر السلاح النووي. وينبغي إغفال سائر المعلومات العامة حتى يحدث ما يوقظ المعلومة النائمة. وأما احتفاظ الذاكرة بمعلومات كثيرة جداً في مختلف المجالات، وبعيدة عن التوظيف المفيد، فمن العبارات المأثورة: أنها أمور لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها؛ ولعل الأصح أن احتفاظ الذاكرة بها يضر، لأنها تُشغل العقل عما هو أهم وأنفع.

وفي العنوان الآتي ما يتصل بالقراءة إن شاء الله تعالى.

## تركيز التفكير

الرَّكْزُ تثبيت شيء في شيء كقولهم: ركَّزَ الرمح في الأرض. قال ابن منظور: ومَرَكَزُ الجنْدِ: المَوْضِعُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَلْزَمُوهُ وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَبْرَحُوهُ. ومَرَكَزُ الرَّجُلِ: موضِعُهُ. يُقَالُ: أَحَلَّ فلانٌ بِمَرَكِزِهِ. وازتَكَزْتُ عَلَى القَوْسِ إِذَا وَضَعْتَ سِيَّتَهَا بِالْأَرْضِ ثُمَّ اعْتَمَدْتَ عَلَيْهَا. ومَرَكَزُ الدَّائِرَةِ: وَسَطُهَا. وَمَا رَأَيْتَ لَهُ رِكَزَةَ عَقْلٍ أَيْ ثَبَاتٍ عَقْلٍ. اهـ من (لسان العرب). والرَّكَازُ المال المدفون. وأمْرٌ مَرَكُوزٌ في العقول: مقرر ثابت.

فالمقصود بتركيز التفكير تثبيت الفكر على أمر فلا يكاد يشتغل بغيره، او هو الإهتمام الفائق بواجب المغالبة. ويتضح تركيز الفكر بعبارتين رشيقتين، العبارة الأولى: التركيز يحتاج إلى إبعاد، أي إبعاد ما يُشغلك عن قضيتك. العبارة الثانية: الإشتغال بغير المقصود إعراض عن المقصود. ومن أهم علامات التركيز أنه تقوم في داخل الباحث أفكار تلقائية تخص قضيته، وكأنها تطرق عقله او تُؤلِّد فيه من حيث لا يشعر، وقد تكون بعض هذه الأفكار عظيمة الفائدة.



## آية المراقبة:

وتشكل مع آية البقرة أعظم منهج للتركيز، فقد قال تبارك وتعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠. ولنا في كتاب (المنطلق) تفسير مفصل لآية آل عمران، ونحتاج هنا إلى بعضه مع شيء من التنقيح:

**(أما الصبر):** فهو الثبات على الشيء، ومنه الصبر على البلاء وهو الثبات على حسن التصرف ومقاومة الجزع. ومنه الصبر عن الشهوات أي الثبات على مقاومتها، والصبر على عمل أو مطلب فكري، وهو الثبات على العمل وعلى خدمة المطلب، مع مقاومة الملل والتفلت، ومن هذا النوع قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ..﴾ الكهف: ٢٨، أي اثبت معهم، ومن العبارات المشهورة في تفسير هذه الآية: احبس نفسك عليهم؛ وكذلك قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢.

**(وأما الفعل «وصابروا»):** فمن صابرٍ يصابِرُ، مُصَابِرَةٌ فهو مُصَابِرٌ. ومعناها أن الصابِرِ يغالب وينافس في مجالات الحياة كمجال السياسة والإقتصاد والتنمية والدفاع وغيرها، فهو يغالب في الصبر على التفكير وعلى العمل وعلى التحسين والتفوق. يوضح الأمر أن عبارة ﴿وَصَابِرُوا﴾ صيغة مفاعلة وهي تقتضي تفاعلاً ظاهراً أو مقدرًا بين طرفين، فالفرق بين صَبِرَ وصابَرَ كالفرق بين قتل وقاتل، ومنه قولهم: صابر فلان أخاه، أي غالبه في الصبر. فتشمل العبارة أمرين، الأمر الأول: غالبوا أنفسكم، أي غالبوا عوامل الملل والركود والتفلت. الأمر الثاني: غالبوا خصومكم في الصبر على مقتضيات المنافسة والمواجهة. ولا يمكن هنا أن يكون «صابروا» بمعنى: اصبروا، لأنه معطوف عليه فلا بد من المغايرة، وكذلك لعدم جواز إغفال صيغة المفاعلة بلا ضرورة

وبرهان. وواضح أن الآية نص في فكر المغالبة والمنافسة؛ وقريب منها آية سورة البقرة التي سنذكر تفسيرها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

**(وأما عبارة ﴿وَرَابِطُوا﴾):** فإنها أصل كبير في تركيز التفكير، وذلك أن المصابر قد تعثره بعض الشواغل والواجبات الجانبية وفروض الكفاية، وعلاج ذلك في المرابطة، فكأن المرابط يربط نفسه او فكره على واجبه المتعين عليه فلا يميل هنا ولا هناك إلا لفروض العين وللضرورة وللإبقاء على قدر مقبول من التوازن بين الأنشطة المتنوعة. صحيح أن أنشطة التوازن كالعلاقات العائلية وتحصيل المنافع الدنيوية ينبغي أن تأخذ حقتها وأن يكون التعامل معها بإتقان، ولكن ينبغي تنظيم هذه الأنشطة بحيث تنسجم مع إعطاء واجب المرابطة حقه كاملاً. بل إذا كان يُنصح لغرض التوازن بقصر العمل الرسمي على ساعات العمل الرسمي، فإن التفكير غير مشمول بذلك، أي ان التفكير بواجب المرابطة ليس له حدود. والمفاعلة هنا تقديرية للمبالغة أي المغالبة في الرباط، وكأنّ الأمر الذي يربط عليه المؤمن يريد أن يفلت منه ولكن المرابط يحرص عليه ويُمسك به بقوة ويركز عليه. ويُقال لكل من أقام على أمر وثبت عليه: ربط قلبه عليه وربط نفسه.

**(وأما صيغة الفعل في سياق الإثبات):** كما في ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾، فهي صيغة مطلقة تقبل أنواعاً من الأمور التي تصح المرابطة عليها، وذلك كالإطلاق في المأكول في قولك لجماعة: كلوا. ومما يؤثّر على الإطلاق أن المصابرة غير مقتصرة على مغالبة النفس، بل تشمل مغالبة المنافسين والخصوم، فلا مجال للركود ولا لدرجة ضعيفة نسبياً، وذلك لأن المغالبة واجبة في مقدار ونوع العمل الذي نصبر عليه. وبعبارة أخرى فإن من أهم غايات المصابرة هو تحقيق تفوق نوعي، معنى ذلك أنك تملك شيئاً مهماً لا يملكه غيرك ويتعذر او يصعب مضاهاته. ولو افترضنا أن الأمر بالصبر لا يدل بنفسه

على المبالغة فيه، فإن الأمر بالمصابرة يستلزم الدوام والتكرار والمبالغة، بسبب ما ذكرناه من معنى المغالبة بين طرفين أو أكثر.

ومن توابع صيغة الإطلاق هو الشيء الذي ترابط عليه. فالمرابطة التامة تكون على واجب واحد من فروض الكفاية، فإن تم تحقيق الهدف صح الانتقال إلى واجب آخر. وذلك أنك حين ترابط على واجبين أو أكثر، فإنك تترك المرابطة على الواجب الأول حين تشتغل بالواجب الثاني، فحين يكون السقف الزمني لتحقيق الهدف محدوداً ويجب الإسراع الممكن، وتكون مسؤولية المغالبة قائمة، فلا شك أن من الضروري أن تكون المرابطة تامة، أي على واجب واحد. وأما حين يكون السقف الزمني مفتوحاً كما في النشاط الشخصي في كثير من الأحيان، فإنه يمكن المرابطة على واجبين، غير أن زمن تحقيق الهدف سيكون أطول إلا بتوفيق من الله تعالى.

**(خطاب الآية الكريمة):** خطاب الجماعة في آية المصابرة يشمل الجماعة منفردين ومجتمعين. فكل مجموعة أو فريق عمل أو فرد، يتصدى لأمر عام أو لعمل خاضع لقانون المغالبة، فعليه أن يؤهل نفسه للعمل بمضامين آية آل عمران، وأن يشمل ذلك أعضاء الفريق كلهم وإن تفاوتت درجاتهم في ذلك. وربما يُقْبَل في الفريق شخص ضعيف في نوع ولكنه قوي في نوع آخر من المغالبة، المهم أن مجمل عمل الفريق يجري بكفاءة عالية على طريق المغالبة. فالأمر الضروري هنا أن كل وظيفة تحتاجها الأمة فإن المنتصب لها يجب أن يكون مصابراً مرابطاً عليها، ويعيد تنظيم سائر أعماله بحيث لا تتعارض مع إتقان وإجادة واجب المرابطة، وبعبارة أخرى يكون متخصصاً في هذا الواجب، وبدرجة عالية ومتفوقة.

**(المرابطة ليست خاصة بالعمل العسكري):** قد يظن بعضهم أن الرباط خاص بمواقع الجهاد العسكري (الثغور)، ولا شك أن هذا ليس بصحيح، لأن الآية الكريمة لم تذكر متعلقات الصبر والمصابرة والمرابطة، وعدم ذكر المتعلقات يفيد الإطلاق فيها، أي في

كل واجب يحتاج إلى مرابطة. ولا يوجد في آية آل عمران أدنى إشارة للحصر في العمل العسكري. والغالب في واجبات المرابطة هي فروض الكفاية كالعلوم الشرعية والطبية والهندسية والتصنيعية والدفاعية وغيرها. فإن الأصل في هذا النوع من الفروض هو عدم الإقتصار على حد معين، بل ينبغي دائماً طلب المزيد من التحسين والتطوير من أجل تحصيل متطلبات المنافسة والمغالبة.

يؤكد عدم الحصر في الجهاد العسكري، حديث أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ» رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وفي رواية لهذا الحديث زيادة « فَذَلِكَ الرِّبَاطُ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ » رواه مسلم ، وتدل عبارة « فَذَلِكَ الرِّبَاطُ »، وتكرارها على الإهتمام او التعظيم، على نحو قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ النساء: ٧٠، كما ذكر ابن عاشور في تفسير الآية. ولعل سبب الإهتمام والتأكيد، أن المحافظة على استقامة الجمهور أمر في غاية الأهمية. ويستطيع كثير من الجمهور المحافظة على درجة من المرابطة على الصلاة في المسجد، غير أن أهلية الجمهور غير كافية للمرابطة على السياسة او الاقتصاد او العلوم الشرعية او الصناعية او الطبية وشبهها مما يحتاج إلى أهلية خاصة، وقد نقل الإمام النووي ما يُنبه إلى ذلك. قال النووي رحمه الله تعالى: قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي: وَقَوْلُهُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ أَي الرِّبَاطُ الْمُرَغَّبُ فِيهِ وَأَصْلُ الرِّبَاطِ الْحَبْسُ عَلَى الشَّيْءِ كَأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَةِ، قِيلَ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ كَمَا قِيلَ الْجِهَادُ جِهَادُ النَّفْسِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الرِّبَاطُ الْمُتَيْسِّرُ الْمُمكنُ أَي أَنَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّبَاطِ. اهـ مع اختصار من (شرح النووي على صحيح مسلم/ باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره).

وونؤكد أن حصر المصابرة والمرابطة بالعمل العسكري هو أحد أسباب انحدار الأمة، فإنه يؤدي إلى غياب المرابطين على كثير من التخصصات الضرورية لنهضة الأمة أي تعطيل تركيز التفكير، وهذا بخلاف ما نجده اليوم في دول الغرب من كثرة المرابطين على العلوم الصناعية والطبية والإستراتيجية وغيرها، ولكن مع انحدار واضح في الجوانب العقيدية والإجتماعية وما يتصل بها.

وقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله أنواع واجبات المرابطة، وقال: **وَاعْلَمَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ حَمْلَ اللَّفْظِ عَلَى الْكُلِّ، وَأَصْلُ الرَّبَاطِ مِنَ الرَّبْطِ وَهُوَ الشَّدُّ، يُقَالُ: لِكُلِّ مَنْ صَبَرَ عَلَى أَمْرِ رَبَطَ قَلْبُهُ عَلَيْهِ.** اهـ من (تفسير الرازي).

## **آية الوجهة الشخصية وحكم تجزئة الإجتهد:**

قال تعالى ﴿ **وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ البقرة: ١٤٨. سنذكر تفسيراً أكثر تفصيلاً لهذه الآية الكريمة في المبحث الثالث، وذلك تحت عنوان «مهاراة إنتاج وإنضاج الأفكار». المهم هنا أن «الوجهة» (على وزن: فكرة وخبرة) هي اسم للمعنى الذي تتوجه إليه وتجعله قبلة معنوية لك. والمعنى أن لكل واحد غاية قد ولى نفسه او عمله إليها وينبغي أن يركز عليها. والغاية الرئيسة هي الغاية العظيمة الشأن عند الله تعالى ولها الأولوية العالية، فالأهداف المرحلية يجب أن تتجه إليها. حاصل ذلك أن على المسلم أن يتخذ غاية يتجه إليها بالإهتمام الشديد والجهد والبذل كي يكون بصيراً بها وحكياً في تصرفه فيها وسائراً بها على طريق الإستباق والمغالبة، ولا يكون ذلك إلا بأن تأخذ لوجهتك متطلباتها وعُدتها، كما هو حقيقة الإستعداد. وما ذكرناه يتفق مع ظاهر اللفظ لأن الوجهة اسم لكل مُتَوَجِّهٍ إليه وليس خاصاً بالقبلة، ونقل نحو ذلك الراغب في تفسيره الموجود في المكتبة الشاملة، وهو اختيار ابن عاشور في تفسيره، أي ان الآية

شاملة للمعنى العام وليست خاصة بالقبلة، ونُقل عن الحسن أيضاً أن الوجهة الطريقة.

وتدبر أنها «وجهة» بصيغة المفرد، ويمكن جمعها على وجهات. وصيغة الآية قد لا تمنع صراحة من أن يجعل الإنسان لنفسه وجهتين أو أكثر من الغايات المشروعة، ولكن نص الآية الكريمة ينه إلى الصلة بين الوجهة بصيغة المفرد واستباق الخيرات، أي قوة وجودة الإنتاج.

ومن توابع التركيز على وجهة معينة، أن تطلع على أفق هذه الوجهة عند الآخرين والخصوم، وما هي الفرص التي تبحث عنها أو تمهد لها أو تصنعها. وأيضاً، فإن من لم يلزم وجهة معينة، فإن تركيزه الفكري يتشتت، وستجره الأحداث إلى مشاركات طفيفة في وجهات كثيرة هنا وهناك، وقد تمضي حياته كلها من غير أن يحقق الكثير.

### ويتصل بذلك موضوع تجزئة الإجتهد الشرعي: فإن طالب الإجتهد يحتاج إلى

تحصيل متين في أربعة أمور ثم يختار من الخامس، **(الأمر الأول):** أصول الفقه، فإن فيه علوماً من العربية انفرد الأصوليون بالتوسع فيها، كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والأوامر والنواهي، وغيرها. **(الأمر الثاني):** علوم العربية، وخاصة معاني النحو، وكذلك بناء مهارة في انتقاء معاني الألفاظ. ولا يلزمه حفظ كل شيء، ولكن يلزمه التمرس والمثابرة كي يصل إلى ما يحتاجه بسهولة، ويتمكن من استعمال هذه العلوم. وسيأتي إيضاح ذلك في آخر الكلام عن التركيز، إن شاء الله تعالى. **(الأمر الثالث):** دراسة متقنة لعلم الحديث، ولا يلزمه دائماً أن يقوم هو بدراسة الأسانيد والحكم عليها، ولكنه يعرف جيداً كيف ينتقي الأحاديث الصحيحة من مصادر علماء الحديث. **(الأمر الرابع):** بناء ملكة فقهية، وليس ذلك بالقراءة لمجرد المطالعة، ولكن بقراءة لدراسة أدلة الفقه ومذاهب العلماء في تفسيرها، وينبغي أن تشمل الدراسة أبواباً فقهية كثيرة. **(الأمر**



**الخامس):** اختيار أحد الطريقتين، الطريق الأول: أن يستمر في دراسة عامة أبواب الفقه إذا أملت عليه الأحوال أن ينتصب للفتوى في الفقه. وفي هذا الطريق نظر، فإنه قد يوقع في أخطاء كثيرة وفي قصور في الفهم، وذلك لأن الفقه بكل أبوابه أكبر من طاقة الفرد المجتهد إذا أراد التركيز والإتقان وتقليل الأخطاء، ولذلك كان الإمام من السلف يقول «لا أعلم» في كثير من الأمور. ولا شك أن من أكثر أخطاءً، أي كثرت الأخطاء عنده، فلا يستقيم هذا الطريق لمجتهد إلا إذا كان ضمن جماعة يتقاسمون الفتوى في أبواب الفقه فيما بينهم. الطريق الثاني: أن يركز على مجال معين كأركان الإسلام والعبادات، أو الفقه السياسي مع الأمن والدفاع، أو الفقه الاقتصادي والمعاملات المالية، أو الأحوال الشخصية وما يتصل بها، أو السلوك والتربية والتهذيب، أو غير ذلك من المجالات العلمية. والمشهور في أصول الفقه جواز تجزئة الاجتهاد، كأن يكون الرجل مجتهداً في مجال دون مجال؛ والذي أراه أنه فرض كفاية، لأن المرابطة والتركيز على مجال معين يُعدُّ من ضرورات التوسع وتقليل الأخطاء الاجتهادية، فهو من ضرورات المغالبة والإستباق، والله تعالى أعلم.

## متطلبات التركيز:

**منها:** الإهتمام الشديدة بواجب المرابطة، وهو من ضرورات قوة التركيز، وبخلافه يكون الأداء مجرد إسقاط واجب، وقد قال تعالى ﴿ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ ﴾ الأعراف: ١٧١، وفي قصة ذي القرنين ﷺ قال تعالى ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: ٩٥. وهذا لا يعني عدم الإهتمام بالالتزامات الأخرى، ولكن يتم ترتيب الإلتزامات حسب الأولوية، وإعطاؤها حقها وفقاً لذلك.

**ومنها:** أن تكتسب رؤية واضحة وتفصيلية لمجال المrapطة، فإنك لن تصيب الهدف من التفكير ما لم تكن رؤيتك للمجال والهدف واضحة وشاملة؛ وأيضاً فإن الرؤية غير الواضحة والجزئية يمكن أن تضلل صاحبها، كأن تحجب عنه مخاطر كبيرة او مصالح عظيمة. وسنذكر المزيد عن أهمية الوضوح في بدايات المبحث الثالث، تحت عنوان «مهارة إنتاج وإنضاج الأفكار» إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** أن لا تكون مغموراً بأمور تافهة، وتدبر في ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ الْخَرَصُونَ ۝۱۰ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ ۝۱۱ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝۱۲ ﴾ الذاريات: ١٠ - ١٢، فالمغمورون باللهو والترف ساهون، ويصعب عليهم التفكير خارج غمرتهم. وأما المrapب على أمر صحيح، فهو مشغول وليس بغافل ويمكن أن ينتبه إلى أمر آخر، ولكن من غير أن يضعف مrapبته.

**ومنها:** تحديد موعد للبداية وموعد للإنتهاء بإذن الله تعالى، فهذا يوجب التركيز كي لا يتجاوز السقف الزمني. والإلتزام بذلك شائع في عمل المؤسسات وفي الدراسات الجامعية العليا، وقد يستوجب الأمر تمديد السقف الزمني.

**ومنها:** تنظيف النفس من عوائق التركيز كالحقد والغيط وكثرة التفكير باللذات الشهوانية.

**ومنها:** إذا كان التزاحم والإضطراب في الفكر مصحوباً بتهييج النفس بسبب مخاوف او غيرها، فأحسن تهديئة وعودة إلى التركيز هو قوة الرجاء وبعض النوم.

أما قوة الرجاء فعلى نحو قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ۝۶۱ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝۶۲ ﴾ الشعراء: ٦١ - ٦٢، فحين تأتي مخاوف الخطر او المرض او الفقر، فمع اتخاذ الأسباب عليك أن تقتدي بموسى عليه السلام او

بيعقوب عليه السلام بعد أن فقد الولدين، كأن تقول: بل أرجو من الله تعالى الحفظ او الحماية او الدفع والدفاع عني، او تقول: أرجو من الله العافية والغنى. والأمر أفضل إذا كان الرجاء مسبوqاً بحسنات، فقد قال تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠، فعلى نحو تفسير سعيد بن جبير فإن المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه او نعمة ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، وهذا المعنى يشمل نَعَم الدنيا والآخرة، وأعظمها رؤية الله تعالى في الآخرة. وهذا على نحو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٩؛ فأصح خيار في المعنى والإعراب هو الأوسع إن شاء الله تعالى، أي: فعلى ما أصابكم فأنتم الأعلون الآن بسبب إيمانكم وثوابكم، وكذلك أنتم الأعلون فيما يَدَّخره الله لكم من النصر في الدنيا، فأنتم ترجونه بقوة، وتعملون بجِد لبلوغه. قال ابن عاشور: وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾، الْوَأُو لِّلْعَطْفِ وَهَذِهِ بَشَارَةٌ لَهُمْ بِالنَّصْرِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَالْعُلُوُّ هُنَا عُلُوٌّ مَجَازِيٌّ وَهُوَ عُلُوُّ الْمُنَزَّلَةِ. اهـ، من (تفسير ابن عاشور). وذهب آخرون من المفسرين إلى نحو ما قاله ابن عاشور، منهم القرطبي في ظاهر كلامه، وله تفصيل حسن في تفسير الآية، والله تعالى أعلم.

وأما النوم القليل، فلقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُغَشِّيكُمُ اللَّيْلُ وَمِنْ أَمْنَةٍ نُعَاسًا يَلْبَسُونَ فَإِذَا نَبَّاتُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّيْطَهُرْكُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ الأنفال: ١١.

**ومنها:** عمليات الإزاحة والتخفيف، فلما كانت الطاقات البشرية محدودة فان التركيز يحتاج إلى إزاحة كثير من الأمور الثانوية والتافهة والحوادث اليومية غير المهمة، أي إزاحتها عن الفكر. وهذه موهبة عند بعض الناس ولكن يمكن اكتسابها بالتدريب.

والأمر يسير إن شاء الله تعالى فإن الإهتمام الشديد وحده إذا اقترن بفكر منظم وقاعدة علمية فإنه كفيل بالتركيز على مجال المرباطة وبإزاحة منظمة لما يعترض الطريق. مثال ذلك إزاحة الأمور الثانوية التي يجب إتمامها ويمكن تحويل مسؤوليتها إلى مساعد أو أجير أو عامل أو غيرهم، المهم أن تكون الإزاحة نظامية كي لا تنتهي بالفوضى، وكذلك المشاكل الجانبية فإن التركيز يحتاج إلى اجتنابها أو فضها.

**ومنها:** ما ذكرناه في المنطلق عن «مساعدة الذاكرة»، ويسميه بعض خبراء الإدارة بـ «الذاكرة التعاملية»، والمثال المعروف هو أرقام الهاتف الكثيرة التي نستعملها، فهي بالمئات ولا يصح إرهاق الذاكرة بحفظها، ولكن يكفي أن تحفظ الذاكرة الموضع الذي نجد الأرقام فيه كهاتف حديث أو سجل أو ملف أو دفتر صغير. وهكذا في كثير من العلوم ولوازم المهارات، فبعض التفاصيل يجب حفظها في الذاكرة، ويصحب ذلك بناء مَلَكَة عن طريق كثرة الدراسة والممارسة، ويمكن بعد ذلك أن تحفظ الذاكرة كيفية الرجوع إلى مواضع ومصادر التفاصيل الكثيرة الأخرى. ومما يساعد على التركيز، الكتابة فينبغي أن تكون الكتابة قرينة للتفكير وللقراءة، كوضع جدول مكتوب لأفكارك التي تريد تنميتها وإنصاجها، واختصار ما تراه مفيداً أثناء القراءة، وإعادة تنظيم مخزونك العلمي وتدوين كل ما يُحتمل مراجعتك له، وقد قال تعالى ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ العلق: ٣ - ٥.

## التفكير بالإحتمالات

إثارة الإحتمالات له أهمية كبيرة في تحديد (تشخيص) الحالة أو نفيها، وله أيضاً أهمية كبيرة في الإبتكار واكتشاف المجهل، وفي النصوص الشرعية شواهد كثيرة. وخبراء القيادة الغربيون يستعملون اصطلاح «قانون أو مبدأ الشك»، والمختار في هذه الدراسة

هو: «نظام او قانون او إثارة الاحتمالات». والمراد التأهيل للتفكير بالاحتمالات الممكنة في مَجَاهِلِ الأُمُورِ ومعاميتها، وفي الأُمُورِ التي لم تصل درجة الإعتقاد واليقين. مثال ذلك الوجوه المحتملة في الإعراب والتفسير، فإن الآية القرآنية، يقينية الصحة والتنزيل من عند الله تعالى؛ وأما الوجوه في إعراب وتفسير الآية، فيوجد فيها ما هو قطعي يقيني بنفسه، ويوجد فيها ما هو احتمال ويحتاج إلى مقارنة ببقية الاحتمالات من أجل التوصل إلى المضمون الحقيقي للآية الكريمة. وأما التذبذب في أصل العقيدة فهو سبيل المنافقين كما يدل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ مَذْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۗ﴾ النساء: ١٤٢ - ١٤٣.

## التفكير بالاحتمالات في الرؤية السلوكية والفقهية:

فمن إثارة الاحتمالات قوله تعالى ﴿.... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۗ﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ يوسف: ٢٦ - ٢٧.

وقوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾﴾ عبس: ١ - ٤.

ومن مآلات نسيان الاحتمالات قوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذُهِبَ مُغَضِّبًا فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الأنبياء: ٨٧ - ٨٨، فتدبر عبارة ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾، أي ظن أن لن نُضيق عليه في المكان؛ ومن أصل التضييق قوله تعالى ﴿ فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ الفجر: ١٦، أي ضيق عليه رزقه؛ وأما «الظن» فيستعمل بمعنى «الإعتقاد»، كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ ﴾ البقرة: ٢٤٩. وتدبر هنا أنه عليه السلام خرج مغاضباً، أي مغاضباً لقومه؛ وليس في الآية أنه خرج مُهَجَّرًا أو مضطهداً، فابتلاه الله تعالى بمكان ضيق جداً، ثم نجاه، والله تعالى أعلم.

وتدبر قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك: ٢، فإنه لا يمكن معرفة الأحسن من العمل إلا برؤية الاحتمالات والخيارات والمقارنة بينها، سواء أردت اختيار خطة تنفيذية من بين خطط، أو أردت إجراء تعديلات قانونية أو تطوير أداء دفاعي أو غير ذلك.

وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ البقرة: ٢١٩، فحقيقة أن إثمها أكبر من نفعها يُحتمل أن يُراد به تحريم الخمر والميسر وذلك بسبب غلبة الإثم، ويُحتمل أن يراد به جواز تحصيل منافعها ومنع الوقوع في إثمها. وبسبب الاحتمالات فإن تحريم الخمر والميسر لم يكن بهذه الآية الكريمة، ولكن بالآية التي نزلت بعد ذلك كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ٩٠.

مثال آخر، حديث أبي هريرة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدًا، فَقَالَ: « هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ »، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: « مَا أَلْوَأَمُهَا »، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: « هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ »، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: « فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ »، قَالَ: أُرَاهُ

عِرْقُ نَزَعُهُ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعُهُ عِرْقُ» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وفيه أن النبي ﷺ ذكر الرجل باحتمال مؤثر في الحكم فلا ينبغي إغفاله. والأورق هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

ومن أثر الإحتمال في القضايا الفقهية قوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرًا تَكَانَ مِنْ تَرْضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْفَرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ البقرة: ٢٨٢.

بل إن حصر التفكير باحتمال خاطئ يُعدُّ من أكبر أسباب الضلال، كما أن تحجر الفكر على قرار سقيم يُعدُّ من أهم أسباب القرارات الإستراتيجية المهلكة. يوضح ذلك نحو قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِهَمِّهِمْ لِزِدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ آل عمران: ١٧٨، فتدبر أنهم حصروا تفكيرهم باحتمال خاطئ. ومثله قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الكهف: ٣٥ - ٣٦.

وأيضاً، فإن الأشرار يستعملون ضرب الإحتمالات لأجل التضليل، ومنها عرض إبليس كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠. بل إن ترويح وزخرفة الخيارات الفاسدة وحصر الإحتمالات فيها، يُعدُّ من أهم طرق الإستدراج والتحريك العدائي، وهو كذلك من طرق زخرفة الفساد الوظيفي. وواضح أنه توجد ثلاثة أسئلة جوهرية في دراسة أي خيار، الأول: لِمَ هذا وليس غيره؟ الثاني: ما هو الطريق والموارد المطلوبة؟ الثالث: ما هي العواقب المتوقعة والمحتملة؟

## التشخيص الإجمالي:

ويُسمى أيضاً بالتشخيص الفارق (أي الفارق بين الإحتمالات). معنى ذلك أن تبني لنفسك خبرة جيدة بأوصاف الحالة الصحيحة في المجال الذي تعمل فيه أو تتصدى له، سواء كان ذلك أوصاف الجسد الإنساني الصحيح أو الحركة الفكرية الصحيحة أو الإدارة الصحيحة لمؤسسة معينة أو الأداء السياسي الصحيح أو تحليل حدث أو غير ذلك. وهذه الخبرة، فإنك حين تلاحظ ظاهرة غير صحية كمرض وظيفي أو جسدي أو ثقافي أو أمني أو غيره، أو تلاحظ ظاهرة غير متوقعة وفقاً للمعطيات القائمة كصعود وظيفي غير مبرر أو حصر منفعة بأشخاص معينين أو حدث سياسي غريب أو شبه ذلك، فإنك لا تبادر إلى تشخيص محدد، بل تفكر وتضع قائمة بالتشخيصات المحتملة، ثم تقوم بدراسة تحليلية لعزل الإحتمالات الواهية، ثم التركيز على تشخيص نهائي أو تشخيصات ممكنة قليلة وما يتبع ذلك من تحريات وإجراءات علاجية ووقائية.

## وباختصار شديد، فإن متطلبات قانون الإحتمالات:

واضح أن «رؤية الإحتمالات» عبارة عامة تشمل التفكير بالأسباب المحتملة، والخيارات والبدائل الممكنة في الأهداف والحلول وغيرها؛ فهي عبارة عن أفق واسع في رؤية الإحتمالات في قضية محددة. ولذلك فإن نوع المتطلبات يتفاوت بين مجال وآخر، غير أن القُدرة على إثارة الإحتمالات مطلوبة في المجالات كلها. فمن المتطلبات:

- بناء خبرة جيدة في أوصاف الحالة الصحية في المجال الذي تتصدى لتفسير الظواهر الحادثة فيه.
- قوة ملاحظة، لأي ظاهرة مَرَضية أو غير طبيعية ولأي ظاهرة مهمة، وللرسائل الخفية (البوادر المبكرة).
- مهارة فكرية قوية في إقامة الإحتمالات في المجال المعين، وربما يعبر عنه خبراء الغرب بـ: «درجة شك عالية».



- أفق واسع للأسباب والعواقب والمآلات المحتملة.
- ترويض النفس على فتح المجال ورفض الحصر في غير القطعيات، والبحث دائماً عن بدائل أفضل، والتدريب على تكرار الأسئلة المفتوحة، مثل: لماذا وكيف. وتذكر دائماً قوله تعالى ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٤.
- عزل تام (١٠٠٪) للعاطفة في التحليل والقرار الإستراتيجي، فلا نكره فكرة نراها ضعيفة اليوم، وذلك كي لا ننكرها حين تظهر عليها علامات الصحة مستقبلاً.
- تعليق الأهداف بالمعاني وليس بالأشخاص والأمكنة والأزمنة إلا باعتبار ما تحمله من معان. فإن إعادة الأمور إلى ميزان المصلحة والمفسدة يساعد في رؤية الخيارات الكثيرة والبدائل المتعددة. وبذلك فإن التصميم الأولي للهدف قد يصير مرجوحاً ومتأخراً في سلّم الأولويات، بل قد يُستبدل الهدف جملة. وقد سبق بيان ذلك.
- أجواء الأمل والرجاء (وليس الأحلام ولا الكآبة والتشاؤم).
- نصيب فكري للحقائق الغائبة (افتراض وجود ما لا نعرفه)، وسنذكرها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

ومن الأمثلة المتقنة لتطبيق قانون الإحتمالات هو التشخيص الإحتمالي في الطب،

ويمكن إعادة صياغته في مجالات أخرى، ويقوم على خطوات مدروسة:

- وجود مؤهلين في المجال.
- عرض الإحتمالات التي يمكن أن تفسر الأعراض المرضية، أي وضع قائمة بها.
- تحليل علمي للأعراض لاستبعاد الاحتمالات الضعيفة، وللوصول إلى تشخيص نهائي واحد أو احتمالات قليلة.

● استكشاف الباطن (مختبرياً/ شعاعياً/....) عند فشل او عدم كفاية العملية العلمية والعقلية.

● ترتيب الاحتمالات (الخطورة والشيوع). فالخطورة العالية في احتمال معين قد تقتضي إجراءات سريعة قبل الوصول إلى تشخيص نهائي.

● متى نصل إلى تشخيص نهائي واحد ومتى يكون التشخيص النهائي متعددًا؟ فإذا أصيب شاب صحيح بمرض، فإن الأعراض كلها ترجع عادة إلى مرض واحد. وأما عند كبار السن، فقد يكون المريض مصاباً بارتفاع ضغط الدم وبداء السكري وبتضخم البروستات وبعدم كفاءة الشرايين؛ ولذلك فإن الأعراض قد تكون مركبة معقدة وبينها تأثير متبادل. وكذلك الأمر في المؤسسات والدول، أما الملك المشتد كما في قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ص: ٢٠، فإنه كالشاب السليم حين يمرض، بمعنى أن الأعراض ترجع إلى مرض او مرضين او أكثر بقليل، وفي مواضع محدودة. وأما حين يترهل الملك ويُخترق ويفسد، فإن أمراضه كثيرة وفي مواضع كثيرة.

فهذه الخطوات كلها يمكن تكييفها للتشخيص الإحتمالي في مجالات الحياة الأخرى، وهي عظيمة الفائدة. وفي كل ذلك تفاصيل مهمة ذكرناها في المبحث العاشر من (نخبة المسار).

### الإحتمالات في الحقائق الغائبة:

في الكلام عن الأفق الواسع، تحت عنوان «مضامين الأفق الواسع»، ذكرنا وجوب الإعداد لردع عدو لا نعلمه، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿... وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَن نَّعْلَمَنَّهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠؛ وذكرنا في تفسير آية الإعداد في (وجهة اللواء) بعض الإحتمالات في العدو الذي لا نعلمه.

وينبغي في كثير من الأحيان افتراض وجود حقائق مهمة غائبة عنا حين نواجه مشروعاً او نخطط له، وقد يقتضي ذلك القيام بإجراءات احتياطية لما هو خارج الإحتمالات المعروفة.

**ومن أنواع الحقائق الغائبة: ما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ**

**عَمَدٍ تَرْوَنَهَا ﴾** الرعد: ٢، و«العَمَد» جمع «عمود»، وهي السَّواري، وما يعمد به البناء كما ذكر الطبري. وَالْعِمَادُ وَالْعَمُودُ مَا يُعْمَدُ بِهِ الشَّيْءُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: فُلَانٌ عَمَدٌ قَوْمِهِ إِذَا كَانُوا يَعْتمِدُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ذكر ذلك الرازي في تفسيره. وعند المفسرين أكثر من وجه في إعراب قوله تعالى ﴿ تَرْوَنَهَا ﴾:

**(الوجه الأول):** أن «ترونها» يمكن أن يكون صفة لـ «عمد»، أي ان الضمير في

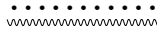
«ترونها» يرجع إلى العمد لأنه أقرب مذكور فهو أولى بعود الضمير؛ والمعنى: رفعها بغير عمد مرئية لنا. ويمكن أن تكون حقيقة هذا المعنى أن الله تعالى رفع السموات بعمد لا نراها، وقد روى الطبري هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد، وهو قول الزجاج كما نقل ابن سيده في (المحكم) وابن منظور في (لسان العرب/ مادة: عمد). وهذا إعراب ظاهر مستقيم المعنى، وقد ذكره أبو حيان والسمين الحلبي وغيرهما. ويفتح هذا الإعراب آفاقاً في البحث والابتكار، فإذا كانت السماء مرفوعة بعمد غير مرئية، فهل يمكن اكتشاف وسائل لرفع الأشياء في عالمنا هذا، بعمد غير مرئية؟؟ ومثل ذلك في تحريك الأشياء بوسائل غير مرئية؟ ولا أعني بذلك الطائرات ولا تحريك الآلات من بُعد ولا شبه ذلك.

ولكن أعني ما هو قريب من عمل الرجل الذي عنده علم من الكتاب، قال تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤٠. وبهذه الرؤية وبالرؤية التي ذكرناها في تفسير آية الأنفال،

يمكن أن يُقال: «تَصَوَّرَ ما لا تراه»، أي اجعل له نموذجاً (شكلاً افتراضياً) وفقاً للمعطيات التي تعلمها والمعطيات التي يُحتمل أن تمتد منها إلى مساحات العلم التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى، ثم فكر كيف تجعل الصورة الافتراضية أو ما يقارنها حقيقة قائمة. والتوسع الذكي في هذه الرؤية يمكن أن يؤدي إلى أنواع من الابتكار والإكتشافات.

**(الوجه الثاني):** أن الضمير في «ترونها» يعود على السموات، وأن «ترونها» جملة حالية، أي: رَفَعَهَا مَرْتَبَةً لَكُمْ بغيرِ عَمَدٍ، كما هي عبارة أبي حيان. وبحمل «ترونها» على الرؤية البصرية (وليست رؤية العلم والبصيرة)، فإن هذا الوجه يقبل أن تكون السموات مرفوعة بعمد ولكن بصر العين يرى السماء فوقه ولا يرى العمدة، فكأنها نوع من الغيب، نؤمن بوجوده وإن غاب عن رؤية العين. فهذا الوجه قريب من الوجه الأول.

**(الوجه الثالث):** أنك تفق عند قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، وتكون عبارة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ جملة جديدة أي استثنائية، وليست مرتبطة بما قبلها في الإعراب، ولكن في عود الضمائر ونحوه. وقد ذكر هذا الإعراب أبو حيان والسمين الحلبي. وعلى هذا الإعراب فإن السموات رُفعت بغير عمد وبصرف النظر عن كونها مرتبة أو غير مرتبة. وأما جملة «ترونها»، فهو كلام مستقل ويمكن أن تكون له صلة معنوية بما قبله، كأن يكون التقدير: أنتم ترونها، أي ترون السماء؛ وقد ذكر النحاس هذا التقدير. والذي أراه لنفسي أن الوجه الثالث ضعيف جداً، لأنه يجعل عبارة «ترونها» في غاية الإبهام بل أشبه باللغز، ولا يمكن تفسيرها إلا بافتراضات لا دليل عليها؛ فمثل هذه العبارة ينبغي أن تكون بياناً (وصفاً) لشيء قبلها كي يتضح المعنى؛ وأقرب مذكور قبلها هو الـ «عَمَد» كما في الوجه الأول.



## عزل العاطفة في رؤية الحقيقة وفي التفكير الإستراتيجي

### آية المائدة:

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ ءَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٨. في الآية الكريمة فوائد عظيمة:

الفائدة الأولى: معنى عبارة ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾، (أما معنى اللفظ): فالقيام

في الأجساد نقيض الجلوس والسقوط والإضطجاع، تقول: جلس فلان على الكرسي ثم قام عنها، وقام المريض ثم سقط. وأما في المعاني وفي أداء الأمور، فإن القيام يُستعمل بمعنى النهوض للأمر، أي الإستعداد والتحضير والتأهب لأداء الأمر؛ ونقيض ذلك: توائى وتقاعس وتكاسل وتثبط. وكذلك يُستعمل القيام بمعنى النهوض بالأمر ومراعاة متطلباته وفعله وتوفيته حقه؛ ونقيضه: هدمٌ وهَدٌّ وقوُصٌ وخَرَبٌ. ومن النهوض بالأمر أي فعله وتوفيته حقه من الجهد، قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ المائدة: ٦٨. (وأما معنى العبارة): أي ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾، فهي صيغة أمر يفيد الوجوب. وقال الإمام أبو بكر الجصاص: وَمَعْنَاهُ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ بِٱلْحَقِّ فِي كُلِّ مَا يَلْزَمُكُمْ ٱلْقِيَامُ بِهِ مِّنَ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْعَمَلِ بِهِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱجْتِنَابِهِ فَهَٰذَا هُوَ ٱلْقِيَامُ لِلَّهِ بِٱلْحَقِّ. اهـ من (أحكام القرآن). و«القوام» صيغة مبالغة مثل الصوم، فهي أبلغ من: قائم. ويشمل ذلك أمرين، الأمر الأول: على المؤمن أن يتأهل ويستعد بقوة للنهوض بدين الله تعالى ولخدمة مقاصده

وأحكامه. الأمر الثاني: أن ينهض المؤمن بالحق في كل ما يكلف به او يعرض له من الأحوال التي تقتضي موقفاً جيداً.

### الفائدة الثانية: معنى عبارة ﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾، (أما الشهادة في العربية):

فهي بيان ما يشهد به الإنسان بطريق الحضور والمعاينة كما في الشهادة على الحدث في القضاء، او ما يشهد به الإنسان بطريق العلم والبصيرة كشهادتنا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن هذا الأمر صحيح او خطأ، وأن هذا الأمر جيد او هو الأجود، ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة: ١٤٣، أي شهداء على آرائهم وأقوالهم وأفعالهم. والمشهد والمشهدة: محضر الناس. ويحصل أن تتفاوت قيمة الشهادة، كما ينه إليه قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ البقرة: ٢٨٢، وقوله تعالى ﴿ .... فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدَقُّ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهٍهَا ..... ﴿١٠٨﴾ المائدة: ١٠٧ - ١٠٨. وأما القسط بكسر القاف والإقساط فهو العدل في القسمة والحكم وفي أداء المشورة والرأي وتقويم القرار، ومنه القسطاس المستقيم وهو أقوم وزن للأمر المعنوية والمادية. فواضح من العبارة أن المسلم إذا شهد في أمر من الأمور فيجب أن تكون شهادته بالعدل أي يجتهد كي يشهد بحقيقة ما يعلمه، وبمعزل عن الهوى والشهوة والحقد والبغض ورغبة الانتقام والميول العاطفية. ويشمل ذلك القرار الإستراتيجي في المصالح العليا المتنوعة. وواضح من النصوص أن الشهادة على الأمر (القضائية وغير القضائية) يجب أن تكون بالحق بصرف النظر عن الأهواء وعن موقف القيادات وعن المآرب الشخصية، والأمر كما قال تعالى ﴿ سَتَكُنُّم شُهَدَاءَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾ الزخرف: ١٩.

## الفائدة الثالثة: معنى عبارة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا

أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾، معنى «ولا يجرمكم» أي لا يحملنكم أو لا يكسبنكم. ومعنى «شَنَاٰنُ قَوْمٍ» أي بغض قوم. والمعنى الإجمالي: ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، أو لا يكسبنكم بغض قوم أن لا تعدلوا. فهذه العبارة تأكيد معنوي لما قبلها من عزل الدوافع النفسية عن رؤية الحقيقة في قضية ما، وعن ما يتعلق بها من قرار. والعدل ليس محصوراً في القضاء بل يشمل القول والسلوك، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰىنِ﴾ الأنعام: ١٥٢. والعدل الإستقامة، ورجل عدل وقضاء عدل. والعدل من الناس المرضي المستوي الطريقة. ويرجع في كل ذلك إلى (تهذيب اللغة) للأزهري، وإلى (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس، وإلى التفاسير.

## صلح الحديبية:

وهو عقد مصالحة في السنة السادسة للهجرة، بين رسول الله ﷺ وكفار قريش. وهي قصة مهمة جداً في أبواب التزاحم والإضطرار والمآلات، وتظهر الضرورات المتراخية ظهوراً قويا في هذه القصة وكيف يجب التعامل معها على أنها ضرورات، وكيف يجب في التفكير الإستراتيجي الإهتمام بالمصالح العامة (الحاضرة والمتراخية) مع عزل تام لتأثير العاطفة. ففي القصة قول النبي ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » رواه البخاري وغيره، ولا يتوقع من الكفار أن يطالبوا بتعظيم حرمة الله تعالى بصورة مباشرة، ولكن المراد مطالبة الكفار أو موافقتهم على ما يؤول إلى تعظيم حرمة الله تعالى، وهذا يؤكد أهمية العواقب المتوقعة أي الضرورات المتراخية؛ وكذلك يشمل نص الحديث شرعية الإتفاق مع الكفار على تفعيل بعض المفاهيم المشتركة في الظاهر، كالعدل والحرية وعدم الإعتداء وما أشبه ذلك مما يؤدي إلى

تعظيم حرمان الله تعالى. وفي القصة قول النبي ﷺ «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مُدَّةً وَيَحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جُمُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ» رواه البخاري وغيره، فتدبر عبارة «ماددتهم مدة...»، فهذا عرض لمدة من الصلح ولكن بشرط فتح طريق الدعوة، وبعد المفاوضات أتفقوا على وضع الحرب عشر سنين كما هو مشهور. وفي القصة من حديث أنسٍ أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَرَطُوا أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنْنا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكُتُبُ هَذَا؟ قَالَ «نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنْنا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا» رواه مسلم وأحمد، ورواه البخاري مطولا من حديث المسور ومروان. وقد كبر هذا الشرط على الصحابة وإن تم استثناء النساء منه، وذلك أن الولاء في الدين يقتضي نصره من جاءهم من المؤمنين وخاصة المضطهدين والمعذيين منهم كأبي جندل وأبي بصير؛ وذلك أن إعادة المسلم البريء الى قومه الكفار الظالمين له غير جائز إلا بالإضطرار، خاصة أن أبا جندل حين قدم على رسول الله ﷺ كان يرسف في قيوده أي يتحامل برجله بسبب القيود، وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله تعالى، وهذا كله ثابت في رواية البخاري، فلا شك أن العاطفة الدينية تدفع إلى حمايته بعد أن وصل إليهم. وكذلك حكم الولاء، فلولا الضرورة المترامية، فإن قواعد الولاء توجب هجرته وتوجب قبولها حين يصل إلى جماعة المسلمين او إلى دار الإسلام، وإنما جاز في صلح الحديبية تسليمه لقريش بسبب ضرورة المصالح العليا المتوقعة من الصلح، ويجوز أيضا كلما دعت إليه الضرورة، وواضح أن النسخ لا يتناول الإضطرار. وكذلك كبر على الصحابة شرط عدم دخول المسلمين مكة ذلك العام ولكن العام المقبل، حتى قال عمر رضي الله عنه: «لَمْ نُعْطِ الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ



وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ مُحَدِّثَنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» رواه البخاري وغيره. وقد كان رسول الله ﷺ مضطراً إلى قبول تلك الشروط، وذلك لأهمية فترة السلم وما كان فيه من المصالح الحاضرة والعواقب الحميدة التي ذكرناها في (المنطلق). ولحذيفة عبارة توضح حقيقة التعامل مع الضرورات او تراحم المصالح والمفاسد، فعن حذيفة قال «إِنِّي أَشْتَرِي دِينِي بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ» رواه ابن أبي شيبة.

وبالجملة، فإن تحكيم العاطفة في القرار الإستراتيجي وغيره، قد يؤدي إلى خسارة مصالح عظيمة او جلب مضار كبيرة، فيجب عزل العاطفة او توجيهها إلى المصالح الحاضرة والمتراخية.

## آية سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦. واضح من صدر الآية الكريمة أن الخطاب فيها هو للمؤمنين بدين الله تعالى، فالمعنى أن القتال فرض عليهم وكانوا يكرهونه قبل ذلك. فكما كانوا يكرهون القتال ثم فرض عليهم بعد ذلك لأنه بشروطه الشرعية يحقق مآلات محمودة. فكذا الأمر في مواجهة الأحداث واتخاذ القرارات للمستقبل والتخطيط للأهداف فإنهم قد يكرهون شيئاً وهو خير لهم، وقد يحبون شيئاً وهو شر لهم، و«عسى» للإشفاق او بمعنى «قد» كما ذكر القرطبي، وهي في كلام الناس توهم بالشك، وأما في كلام الله تعالى فهي تبين حقيقة يمكن أن تقع.

فينبغي توجيه التفكير إلى عزل العاطفة (الحب والكره) بصورة تامة، وحصر التفكير بالمنافع العاجلة والآجلة. فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم وأحمد والنسائي في (الكبرى) وغيرهم، وصححه الألباني وغيره. فتدبر عبارة «أحرص على ما ينفعك»، وليس ما يعجبك ولا ما تشتهي، والحرص هو شدة الإرادة للأمر.

فمدار التفكير في الخيارات وقرارات المصلحة العامة هي المنفعة سواء كانت دينية أو دنيوية مشروعة، وسواء كانت معنوية أو مادية وسواء كانت عاجلة أو آجلة، وينبغي تذكر أن المنافع المادية هي حماية للمنافع المعنوية. وفي كثير من الأحيان تتزاحم هذه الأنواع من المنافع، فالأولوية للمنافع الدينية والمنافع الضرورية والحاجية للدنيا، ولأعظمها نفعاً وأطولها أثراً، ولأبعدها عن الإقتران بالمضار. وينبغي التنبيه إلى أن الحاجيات هي أدوات الواجبات والضروريات، فلا يصح استسهال الحرمان منها. فينبغي ربط التفكير بهذه المعاني في تحليل الأهداف والخطط وفي تحليل التوقعات.

.....  
~~~~~

# المبحث الثالث

## تركيب المهارات الفكرية

---

### نظام التفكير

توجد ثلاثة عناوين في كتاب (نخبة المسار) تتضمن الكثير عن نظام التفكير وعن انتاج وإنضاج الأفكار، وهي: «الهدف والمشروع/ المنهجية وأهمية البدايات/ الأداء الإستراتيجي». وكذلك في عنوانين من كتاب (المنطلق في فقه العمل)، هما: «من قواعد وعوامل الابتكار والتحسين/ مقاومة الإصلاح والتغيير».

### النهي عن العثو في الأرض:

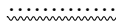
قال تعالى ﴿ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ البقرة: ٦٠، وردت هذه العبارة في خمسة مواضع من القرآن الكريم. ولفظ: لا تعثوا، من عَثِيَ يَعْثُو، وكذلك في لغة بني تميم: عاث يعيث عيثاً.

قال ابن فارس: العَيْثُ وَالْيَاءُ وَالثَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ مُتَقَارِبَانِ، أَحَدُهُمَا: الإسْرَاعُ فِي الْفَسَادِ، وَالْآخَرُ تَطَلُّبُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ. فَأَلَّوْا قَوْلَهُمْ: عَاثَ يَعِثُ، إِذَا أَسْرَعَ فِي الْفَسَادِ. وَيَقُولُونَ: هُوَ أَعَيْثُ النَّاسِ فِي مَالِهِ. وَالذُّئْبُ يَعِثُ فِي الْغَنَمِ، لَا يَأْخُذُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا قَتَلَهُ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). وقال ابن فارس: والعتوة في الشعر: جفوفه وبعد عهده بالمشط. اهـ من (مجمّل اللغة).

وقال ابن منظور: عاثَ في ماله إذا بدَّره وأفسده. والتَّعْيِثُ: طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْيَدِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْصِرَهُ. أَبُو عَمْرٍو: الْعَيْثُ أَنْ تَرَكَبَ الْأَمْرَ، لَا تُبَالِي عِلَامَ وَقَعْتَ. وَالتَّعْيِثُ: طَلَبُ الْأَعْمَى الشَّيْءَ، وَهُوَ أَيْضاً طَلَبُ الْمُبْصِرِ إِيَّاهُ فِي الظُّلْمَةِ. اهـ من (لسان العرب).

فلعل أقرب ما يقع عليه العثو في التصرفات هو أولاً: فقدان النظام والترتيب أو الفوضى، ومنه تصرف الناس بلا تفويض ولا نظام، وثانياً: هو ما يُوصف بأنه عمل في الظلام أو في المجهول، وذلك حين تضع خطاك على أرض وأنت لا تعرف طبيعة هذه الأرض وما يزاحمك عليها وما يؤثر عليك فيها. وقد قيل إن نصف العلم الترتيب أو التنظيم. وأما عبارة: «مفسدين» في الآية الكريمة، فهي حال ثابتة أي غير منتقلة، لأن الفوضى في الأرض تستلزم الفساد، ولذلك فسر العلماء العثو بالفساد، وهذا من باب تفسير اللفظ بما يستلزمه أو يؤدي إليه. غير أن اللفظين غير مترادفين قطعاً، حتى على قول من جَوِّزَ أن يكون لفظ: مفسدين حالاً مؤكدة لعاملها وهو: «تعثوا»، فإن الحال المؤكدة لمعنى عاملها ليست مرادفة له كما هو واضح من الأمثلة المشهورة للنحاة.

وفي آية سورة البقرة دليل آخر يقتضي التنظيم، فتمام الآية قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: ٦٠، الاستسقاء طلب السقي أو الإسقاء، وعبارة ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾، جملة مستأنفة لبيان أن كل سبط منهم قد صار له مشرب يعرفه فلا يتعدى لمشرب غيره، ولا يدخل سبط على سبط في شربه. والمشرب إما اسم مكان أي محل الشرب، أو مصدر ميمي يجسد معنى الشرب، كما يجسد «المصير» معنى وخاتمة «الصيرورة». فهذا تنظيم واضح، وتُختَمُ الآية بالنهي عن العثو في الأرض.



## النهي عن العبث:

قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ المؤمنون: ١١٥-١١٦، أما العبث، فقال ابن منظور: عَبَثَ بِهِ، بِالْكَسْرِ، عَبَثًا: لَعِبَ، فَهُوَ عَابِثٌ: لَاعِبٌ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وَكَيْسٌ مِنْ بَالِهِ. وَالْعَبَثُ: أَنْ تَعَبَثَ بِالشَّيْءِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا»، المرادُ أَنْ يَقْتُلَ الْحَيْوَانَ لَعِبًا، لِغَيْرِ قَصْدِ الْأَكْلِ، وَلَا عَلَىٰ جِهَةِ التَّصِيدِ لِلِاتِّفَاعِ، وَالْعَبْثُ: الْخَلْطُ. اهـ من (لسان العرب). وأما إعراب «عبثًا»، ففي نصبه وجهان في كتب التفسير، (أحدهما): أنه مصدرٌ واقعٌ موقعَ الحالِ أي: عابِثين. (الثاني): أنه مفعولٌ أي: لأجل أن تعبثوا. فلا مجال للعبث في طاعة الله تعالى ومنه خلط الأمور من غير مراعاة لمصلحة الشرع ولا إتقان للنظام الأنفع. وتدبر الإنكار الشديد في بداية الآية الأولى ثم في قوله تعالى ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾، أي تعاضم الله وتنزهه عن العبث وعن خلقكم لأجل أن تعبثوا.

## اجتناب الحرية غير

### المنضبطة، وحماية الحرية المنضبطة:

(أما دعاء الحرية المتفلتة): فقد قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧، فكانوا لا يريدون التقيد بنظام، ولكن يريدون فقدان النظام العام كي تحكمهم الشهوات والرغبات او أنظمة الهوى والطغیان. وأيضاً، فإن رفض الخضوع لنظام شرعي عام هو الدافع عند كثيرين لمقاومة التطبيق الشرعي. وكثير من هؤلاء المقاومين يعيشون على الفساد الوظيفي ويحشون إتهام الكسب غير المشروع. وأيضاً، فإن

الضغوط الخارجية تدفع باتجاه رفض التطبيق الشرعي. فالحرية بلا ضوابط فوضى وفساد، وقد أدت بدول كبيرة إلى غاية الإنحلال الأخلاقي.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا

﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ الفرقان: ٤٣ - ٤٤؛ فأصل العبودية لغير الله تعالى تأليه الهوى وعدم الإصغاء لصوت الحق، ثم يجر الهوى صاحبه إلى عبادة المال أو التسلط أو المتسلط أو غيرها، وتتخطفه هذه الجهات كما تبينه آية الحج:

قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ الحج: ٣١، شبه الله تعالى المشرك بالذي سقط من السماء فتختطفه الطيور، وتنفرك أجزاءه في حواصلها، وذلك أن الساقط من السماء لا يملك نفسه ولا يقدر أن يدافع عن جسده من اختطاف الطيور؛ والخطف والاختطاف هو تناول الشيء أو سلبه بسرعة. فكذلك المشرك، ليست له عقيدة صحيحة تحميه من الإختطاف المعنوي، وإنما تستهويه وتتخطفه الأهواء المختلفة من كل جهة فلا قرار له، وليس له طريق لمداغة الأهواء والشهوات أي للرجعة إلى الحق والعدل إلا بالرجوع إلى التوحيد. فالمشرك ليس بحُرٍّ ولكنه أسير ما يتخطفه من الأهواء والشهوات وإن لم يشعر بذلك. وعبارة ﴿ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾، يُراد بها أن المشرك يدخل في مسار الإنحدار إلى بُعد عميق بسبب شركه، فهو كالذي تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد، فلا يستطيع بعد بلوغ الهاوية أن يخرج منها إلى الحرية الصالحة، ولا يقدر الصالحون خارج الهاوية على تحصيل شيء ثابت منه أو إيصال شيء مفيد له. وهذا تصوير لإنحطاط شديد يسمح لكل فكرة فاسدة من أصحاب المكان السحيق أن تأخذ مأخذها منه. وتدبر الفعل المضارع في «فتخطفه» وفي «تهوي به»، فإنه

يصلح لمسار طويل يتكرر فيه الإختطاف والهوي حتى يبلغ المكان السحيق. وأما حرف الظرفية: «في مكان..» فهو تعبير عن نهاية المطاف، والله تعالى أعلم.

فلا شك أن أوسع مجال للحرية الصالحة هو تمام العبودية لله تعالى، لأنها تحرر الإنسان من أنواع العبودية للأهواء والشهوات والتبعية للطغيان والفساد.

**(وأما ضبط الحرية):** فمن قواعدها أن الحرية الصالحة يجب أن لا تعتدي على

حرية وحقوق الآخرين إلا باستثناءات معروفة كبعض العقوبات السالبة للحرية او الإجراءات الإستثنائية السالبة لبعض الأنشطة، كمنع ما يؤدي إلى تهلكة وشبه ذلك. والمرجع في ذلك كله إلى القانون الشرعي وأدلته، وفي ذلك نصوص كثيرة. ويشمل هذا الأصل المجالات الدفاعية والسياسية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وغيرها. ومن قواعد ضبط الحرية أيضاً أن لا تكون الحرية وسيلة لنشر أي نوع من أنواع الفساد. وستكلم هنا عن ضبط الحرية وعن حمايتها ضمن الضوابط، وستكلم في العنوان القادم عن أهمية الحرية الصالحة، إن شاء الله تعالى.

يتضح وجوب ضبط الحرية من الأوامر والنواهي في القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿ وَفَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة: ١٩٠، تشمل الآية: لا تعتدوا بمجاوزة ضوابط الحرب، ولا تعتدوا أيضاً بمقاتلة من له حق المسالمة.

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣، أي فلا عدوان

إلا على من قام بظلم يسقط حرمة بعض حقوقه.

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا

بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢؛



فتدبر أن العمل لنشر الفساد في الأرض جريمة كبرى تنقض حرمة الحربة. يؤكد ذلك آية المائدة في المحاربة، وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩، فتدبر أنه عذاب أليم في الدنيا ثم في الآخرة. وقال تعالى ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۗ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الشعراء: ١٥١-١٥٢.

**وقال تعالى:** ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ماعون: ٦٠ ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾ ٦١ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٦٠-٦٢، آيات الأحزاب أصل كبير في الخيار الجنائي ضد مخربي المجتمع؛ وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً لها في (ثمار التنقيح)، وفي المبحث السادس من كتاب (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع).

**وعن أبي هريرة قال:** سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ.» رواه البخاري وغيره، ورواه مسلم بلفظ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ.»

**ولتدبر حديث حديث النعمان بن بشير** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا.» رواه البخاري وأحمد وغيرهما، فتدبر العبارتين

الأخيرتين في الحديث. فلا بد من الأخذ على أيدي هؤلاء وتقييد حريتهم لمنع الإضرار بالآخرين.

وتدبر كم في القرآن والسنة من مضمون: «أفعلوا» ومضمون «لا تفعلوا»، وكذلك نصوص التغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصوص العقوبات، وهي تقطع بأن الحرية الصالحة لها ضوابط واجبة الإلتباع.

**(وأما حماية الحرية المنضبطة):** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ.» رواه مسلم وأحمد وغيرهما. وتدبر أوسع العموم في عبارة «كُلُّ الْمُسْلِمِ»، معنى ذلك أن عبارة «وَعَرَضُهُ» تشمل كل الحقوق المادية والمعنوية التي لا تشملها عبارة «دَمُهُ وَمَالُهُ».

### وأما معنى «العرض» في العربية:

فقال ابن فارس: الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بِنَاءِ تَكْثُرٍ فُرُوعُهُ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَرَضُ الَّذِي يُجَالِفُ الطُّولَ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). ويُستعمل العَرَضُ في المعاني بمعنى الإلتساع أو الكثرة، ومنه قوله تعالى ﴿... وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ فصلت: ٥١.

ويُستعمل العَرَضُ بمعنى إبانة الشيء وإظهاره وكأنه برز كله بعرضه وطوله، فإن قياس العرض كاملاً يستلزم بروز الطول كاملاً، لأن خط العرض قد يكون مائلاً أو متسعاً من الأعلى أو الأسفل. وعليه نحو قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٨، وقال تعالى ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ الكهف: ١٠٠. وقال ابن منظور: وَعَرَضْتُ الْجَارِيَةَ وَالْمَتَاعَ عَلَى الْبَيْعِ عَرْضًا، وَعَرَضْتُ الْكِتَابَ،

وَعَرَضْتُ الْجُنْدَ عَرَضَ الْعَيْنِ إِذَا أَمَرْتَهُمْ عَلَيْكَ وَنَظَرْتَ مَا حَالَهُمْ. اهـ من (لسان العرب).

وأما «العرض» فهو ما يُعرض من حال الإنسان في تفكيره وأقواله وأعماله وخياراته في الأمور الخاصة والعامة، مما يمكن أن يقتضي مدحاً أو ذمّاً. ويقتضي حديث: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ.»، أن خيارات المسلم حقوق له فلا يجوز انتهاكها إلا بالحق.

قال ابن منظور: قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَفُلَانٌ نَقِيٌّ الْعَرِضُ أَي بَرِيءٌ مِنْ أَنْ يُشْتَمَ أَوْ يُعَابَ، وَاجْتِنَاعُ أَعْرَاضٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: إِذَا ذُكِرَ عَرِضُ فُلَانٍ فَمَعْنَاهُ أُمُورُهُ الَّتِي يَرْتَفِعُ أَوْ يَسْقُطُ بِذِكْرِهَا مِنْ جِهَتِهَا بِحَمْدٍ أَوْ بِذَمٍّ، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أُمُورًا يُوصَفُ هَوَ بِهَا دُونَ أَسْلَافِهِ، وَجُوزُ أَنْ تُذَكَرَ أَسْلَافُهُ لِتَلَحُّقِهِ النَّقِيصَةَ بِعِيَّتِهِمْ. لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ فِيهِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ مِنْ إِنْكَارِهِ أَنْ يَكُونَ الْعَرِضُ الْأَسْلَافَ وَالْآبَاءَ. اهـ من (لسان العرب). وأبو العباس الذي نقل عنه ابن منظور، المشهور أنه إمام العربية محمد بن يزيد أبو العباس المبرد.

وقال الحافظ ابن حجر: العَرِضُ وَهُوَ مَوْضِعُ الْمُدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الشَّخْصِ، أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ حَسَبِهِ. اهـ من (فتح الباري).

ويشهد لما ذكرناه حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرِضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ.» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فيشمل العرض أمور الإنسان المعنوية والمادية، كخياراته وسلوكه والتزامه وشبه ذلك مما يقبل المدح او الذم. ومعنى تحريم أعراض المسلمين فيما بينهم كما في الحديث الآتي إن شاء الله تعالى، أن مضامين العرض حقوق لكل فرد منهم وهو حرٌ فيها في حدود

القانون الشرعي، سواء كان الأمر في المجال السياسي او الاجتماعي او في غير ذلك.  
فالحديث يمنع الإعتداء على الحرية وتقييدها إلا ضمن ضوابط الشريعة.

ويؤكد معناه قول النبي ﷺ « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. »، رواه بإسناد صحيح بهذا اللفظ عن النبي ﷺ، من الصحابة أبو بكره وابن عباس وابن عمر، ورواياتهم مفرقة في صحيح البخاري ومسلم، وكذلك في مسند أحمد، ومنها أسانيد صححها شعيب الأرنؤوط، ورواه آخرون أيضاً.

فمعنى تحريم الدم والمال والعرض هو تحريم تصرف الآخرين بها او الإعتداء عليها او تقييدها إلا بإذن صاحبها او بحجة من الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ النساء: ١٤٨. وكذلك يحرم على الفرد تلويث عرضه بارتكاب المحرمات.

وتدبر المبالغة في العموم في عبارة « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ »، ففي المجال السياسي مثلاً، يشمل ذلك تحريم قيادة المسلمين بغير رضاهم لأنه يسلبهم حق البحث والاختيار. ولكن يمكن بلوغ رضاهم التوافقي بنظام يتم فيه ترشيح المؤهلين فقط لأن الله أوجب ذلك، ثم يكون المواطن حُرّاً في أن ينتخب من يشاء من المؤهلين، ثم يكون الفوز لمن حصّد أغلبية الأصوات العامة كما هو شائع، او حصّد أغلبية أصوات عدد كبير من المؤهلين الذين وافق عليهم الشعب. والتوافق على أغلبية موصوفة يستند إلى نصوص تحريم التفرق، ويستند أيضاً إلى حديث التطاوع، فقد بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وقال لهما « وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا » رواه مسلم والبخاري وغيرهما، أي توافقا على قرار واحد وإن تباينت الآراء. وواضح أن تحريم العرض يقتضي وجوب الشورى وتغليب صوتها ضمن نظام شرعي، ويشمل تحريم تحويل صوت الناخب إلى غير من

انتخبه. ويشمل كذلك تحريم تضليل الناخب وتوجيهه بمقتضى المنافع الخاصة او الميول الشخصية.

**ومنها:** أن الحرية الصالحة او المنضبطة لها فوائد عظيمة، لعل من أهمها تنمية الفكر والإبتكار. وسنوضح ذلك في العنوان الآتي عن انتاج وإنضاج الأفكار.

## مهارات إنتاج وإنضاج الأفكار:

هذه المهارات ضرورية للإبتكار والتحسين المستمر والتفوق. ونصح بقراءة ما يتصل بها في كتاب (نخبة المسار)، وفي الفصل الثاني من كتاب (المنطلق في فقه العمل):

**فمنها:** أن تختار مجالاً مفيداً ترابط على الاهتمام به وتحسينه ومغالبة الآخرين به؛ وليس المراد مغالبة الضعفاء، ولكن مغالبة أقوى المستويات. وقد سبق ذكر أدلته في الكلام عن «التركيز».

**ومنها:** أن تكتسب رؤية واضحة وتفصيلية لمجال المrapطة، فإنك لن تصيب الهدف من التفكير ما لم تكن رؤيتك للمجال والهدف واضحة وشاملة؛ وأيضاً فإن الرؤية غير الواضحة والجزئية يمكن أن تضلل صاحبها، كأن تحجب عنه مخاطر كبيرة او مصالح عظيمة. فينبغي أن تسدد رؤيتك إلى مشاهد مهمة، **(المشهد الأول):** مضامين ومحاور المجال والهدف باستعمال مهارات التحليل والتقسيم إلى محاور بصورة غير عشوائية. **(المشهد الثاني):** المؤثرات المحتملة (الإيجابية والسلبية) على المجال والهدف وعلى المسار إليه وعلى الهدف بعد تحقيقه، ويشمل ذلك المؤثرات الداخلية والخارجية. وهل توجد او يمكن أن تظهر عقبات وتقاطعات استراتيجية؟ وما هي الفرص والمنافع، وما هي المضار والمخاطر وما هي التناقضات في صناعة الهدف والتي يمكن أن تؤثر سلباً على النجاح. **(المشهد الثالث):** ما هي نقاط القوة والضعف، وكيف يمكن تنمية نقاط القوة وإصلاح

او تحييد نقاط الضعف؟ **(المشهد الرابع)**: هو تقويم كل بيئة او جهة يمكن أن تتفاعل مع الهدف قبل تحقيقه وخلال المسار إليه، او يمكن أن تتفاعل بعد تحقيق الهدف. **(المشهد الخامس)**: ما هي الموارد والقدرات وفرص تنميتها، وما هي قدرات مَنْ يمكن أن يتدخل ويحاول قطع المسار او تخريبه او التآمر عليه؟ فحين تخطط لتحقيق هدف، فعليك بناء القدرات لحماية مسار التحقيق وحماية الهدف بعد تحقيقه، فإن النجاح الذي يتعذر عليك المحافظة عليه إنما هو فشل يضر ولا ينفع. **(المشهد السادس)**: هل توجد مفاتيح يمكن أن تيسر وتقوي المسار او يمكن أن تمنع الخصم من التدخل؟ **(المشهد السابع)**: هل يمكن صياغة تركيب استراتيجي يشمل المضامين الحساسة التي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام؟ **(المشهد الثامن)**: وسائل التقرب من بعيد إلى الهدف او الإمتداد التدريجي إلى الهدف. فالمطلوب في التخطيط الإستراتيجي رسم أهداف مستقبلية كبيرة، بل أكبر بكثير من طاقتنا اليوم، فإنما يبلغ هذه الأهداف من يفكر بها ويرجوها من الله تعالى ويصابر على العمل لها وإن طال الأمد. ونفكر بعد رسم هذا النوع من الأهداف: ما هي الأعمال التي تمتد تدريجياً إلى الهدف المستقبلي، المباشرة منها وغير المباشرة، وما هي متطلباتها اليوم ومستقبلاً وما تحتاجه من تنمية المهارات والقدرات؟ وفي الطريق إلى الهدف، نُعدُّ نقاطَ تحول تقربنا إلى الهدف الكبير وتُبعد العوائق. ونُصابِر حتى يصير الهدف ضمن قدراتنا. ونُذكِّر ثانية بأن نقطة التحول الكبير قد تكون الحدث الحاسم المسبوق بسلسلة من الأحداث المتتابعة او المتزامنة. ويقترن كل ذلك بعمليات الرصد والمكافحة لنقاط التحول التي يعمل العدو لأجلها، وغايته في هدم المجتمع والنمو. وسيأتي إيضاح «نقاط التحول» إن شاء الله تعالى. **(المشهد التاسع)**: التخطيط والإعداد لحماية النجاح وتطويره وتحسينه. **(المشهد العاشر)**: الحال بعد النجاح وبعد المحافظة عليه، قد يتضمن أموراً، منها: أن يتقرب إليك أصدقاء مخادعون. ومنها: أن تكسب عداوة المنافسين والحاسدين وما تُنتجه العداوة من تآمر. ومنها: ينبغي أن تكون حذراً جداً من

الفتور والإسترخاء، كما ينبغي محاولة المزيد من التحسين والتقدم. ومنها: إذا كانت إدارة النجاح ليست لك، فعليك أن تبحث عن هدف جديد.

**ومنها**: الإهتمام الشديد بما تتصدى لفعله او تحقيقه، فإن شدة الإهتمام وكثرة التفكير بالأمر يكون حافزاً كبيراً لتحريك القدرات المستترة في العقل والدماغ (العقل الباطن او الذاكرة المستترة)، أي تحريكها لإنتاج الأفكار المبتكرة والمفيدة. ويعتمد الإهتمام على ركائز، **(الركيزة الأولى)**: الثبات او الإلتزام بمطالب المراقبة على الأمر وبجعله طريقاً إلى رضوان الله تعالى وإلى الجنة، فتكافح الوهن والتفلت، ونكتفي هنا بنص قوله تعالى ﴿ **وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَأَسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ** ﴾ البقرة: ١٤٨. **(الركيزة الثانية)**: الصبر على الإحتضان العقلي لما تصديت له، مما يساعد على النمو التدريجي للأفكار وتكرار التحليل والتنقيح خلال المسار، فإن القدرات العقلية المستترة تُخرج ما فيها بصورة تدريجية مع ثبات الإهتمام والحافز. **(الركيزة الثالثة)**: حافز المواجهة، فمنهج الإسلام يؤكد على المغالبة التنافسية. وقوة حافز المغالبة تتناسب مع قوة الإيثار بقضيتك وما يجب أن تقدم لها في مواجهة المنافسين. يوضح حافز المواجهة أنك قد تكون مشغولاً عن قضية فقهية معينة فلا تتكلم فيها، ولكنك حين تسمع من يتكلم فيها بالباطل والتضليل فإنك قد تبادر إلى الرد والمواجهة؛ وكذلك الأمر في مواجهة المنافسة. **(الركيزة الرابعة)**: الأمانة والإستقامة، فقد ذكرنا في الكلام عن التنقيح أن الغاية من الرؤية الثانية فصاعداً هي تحسين القرار وتحقيق أكبر منفعة منه، وأما مع الفساد الوظيفي وغياب الأمانة فإن الرؤية العاشرة يمكن أن تكون أسوأ من الرؤية الأولى، لأن تكرار النظر عندهم يُستعمل لإحكام الفساد وتحويل المصلحة العامة إلى جيوب مجاميع الفساد.

**ومنها:** أن أوسع مجال للسياحة في المعاني القيمة وبناء قدرة فكرية متينة وحرية

صالحة، هو الإيمان بالتوحيد وتدبر القرآن الكريم، ولتدبر هنا قوله تعالى ﴿ قُلْ لِّئِنْ  
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨، فانظر في عبارة ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾، فإنها في  
حكم النكرة في سياق النفي، وتفيد العموم في نفي الإتيان بالمائل، فلا يأتون بمثله في  
التشريع، ولا بمثله في سعة معانيه، ولا بمثله في الجمال والتأثير في النفوس الطيبة، ولا  
بمثله في النظم والتعبير، ولا بمثله في أي وجه من وجوه عظمة وإعجاز القرآن الكريم.  
والمقصود هنا سعة معاني القرآن التي لا يقربها الإنس والجن مجتمعين ولو كانوا  
متظاهرين على هذا الأمر. فمن أراد الخير لنفسه وأهله وشعبه فلن يجد ما يماثل معاني  
القرآن بحال من الأحوال. ونكرر هنا قوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلٍ إِلَّا  
حِثَّنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣.

**ومنها:** أهمية الحرية الصالحة في إنتاج الفكر. ذكرنا في العنوان السابق حكم

اجتناب الحرية غير المنضبطة، وذكرنا حكم حماية الحرية الصالحة. المهم هنا أن التمتع  
بالحرية الصالحة او المنضبطة، له فوائد عظيمة، لعل من أهمها تنمية الفكر والابتكار.  
فحين يجد الإنسان أن له الخيار في أمور كثيرة في حياته، وأنه يستطيع إطلاق طاقاته  
الفكرية، فإن له فرصاً كبيرة في الابتكار والإتيان بالجديد المفيد.

وفي الكلام عن «التركيز» تقدم تفسير مختصر لقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَّهَا ۗ

فَأَسْتَبِقُوا أَخْبَارًا ﴾ البقرة: ١٤٨، ونحتاج هنا إلى المزيد في بيان معاني الآية، فإن نص  
الآية ينبه إلى ثلاثة أمور، (الأمر الأول): التعبير في الآية بـ: «وِجْهَةٍ» بصيغة المفرد،  
ويمكن جمعها على وِجْهَاتٍ. والوِجْهَةُ اسم للأمر المعنوي او المادي الذي تتوجه إليه، أي



هدفك وغايتك التي تعمل على بلوغها؛ وواضح أن ألفاظ الآية ليست خاصة بقبلة الصلاة. وقال الراغب: ووجه الشيء: أرسلته في جهة واحدة فتوجهه، وفلان وجهه: ذو جاه. قال تعالى: ﴿وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ آل عمران: ٤٥. اهـ من (المفردات). ونقل الراغب في تفسيره الموجود في المكتبة الشاملة نحو ذلك في معنى الوجهة، وهو اختيار ابن عاشور في تفسيره، أي ان الآية شاملة للمعنى العام وليست خاصة بقبلة الصلاة، ونقل عن الحسن أيضاً أن الوجهة الطريقة. قال الراغب: وفي الآية قول آخر، وهو أن الله تعالى قيض الناس في أمور دنياهم وأخراهم لأحوال متفاوتة، وجعل بعضهم أعوان بعض فيها، فواحد يزرع، وآخر يطحن، وآخر يجبز. وكذلك في أمر الدين، واحد يجمع الحديث، وواحد يطلب الفقه، والثالث يطلب الأصول وهم في الظاهر مختارون وفي الباطن مسخرون وإليه أشار النبي بقوله: «كل ميسر لما خلق له». اهـ من (تفسير الراغب). وقال ابن عاشور: وَتُسْتَعَارُ الْوَجْهَةُ لِمَا يَهْتَمُّ بِهِ الْمُرءُ مِنَ الْأُمُورِ تَشْبِيهًا بِالْمَكَانِ الْمَوْجَّهِ إِلَيْهِ تَشْبِيهًا مَعْقُولًا بِمَحْسُوسٍ، ولفظ وجهه في الآية صالح للمعنيين الحقيقي والمجازي فالتعبير به كلام موجّه وهو من المحاسن. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وصيغة الآية قد لا تمنع صراحة من أن يجعل الإنسان لنفسه وجهتين أو أكثر من الغايات المشروعة، غير أن الآية تنبه إلى الصلة بين الوجهة بصيغة المفرد واستباق الخيرات، أي قوة وجودة الإنتاج، فينبغي للمؤمن أن يربط على واجب واحد لتحقيق الإستباق والتفوق فيه. ويمكن عند الضرورة المرابطة على واجبين كحد أقصى، ولكن فقط حين يكون السقف الزمني مفتوحاً. **(الأمر الثاني)**: عبارة «ولكل»، فإن التنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف كما ذكر النحاة، كأن يكون الأصل: ولكل فرد أو طائفة أو أمة. وتعد كلمة «كل» من أوكد صيغ العموم فيما يُضاف إليها، كقولك: كل موظف أو كل يوم. ومن فوائد حذف المضاف إليه التوسع في العموم ليشمل كل ما يمكن إضافته إلى «ولكل» ويقبله السياق بلا تكلف، فتصلح العبارة لشمول كل مؤمن وكل فريق وكل

مؤسسة وشبه ذلك. فلكل مؤمن صورته المعنوية التي ينفرد بها حين يُفَعَّلها ولا يميّتها بالتقليد، فهي صورة مفيدة للأمة إن كانت في مجال استباق الخيرات ونحوه. يؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿هُوَ مُؤَلِّمًا﴾ أي هو بذاته، فهذه العبارة أبلغ من قولك: يتجه إليها او يعمل لها، فإن تقديم موضع الاهتمام او الاختصاص شائع جداً في العربية، ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزمر: ١٧، فإن عبارة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ تفيد الاختصاص والاهتمام؛ وكذلك قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥. ويؤكد أهمية تحفيز المواهب وإطلاق طاقات الخير، قوله تعالى ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٨٤، فلا شك أن الشاكلة التي يعمل عليها كل إنسان هي الأوصاف التي شكّلت صورته الداخلية أي صورة تفكيره وعقله وعاطفته. وإذا نظر الناظر إلى الصور الظاهرة لملايين الناس فإنه لا يجد اثنين متطابقين البتة، إلا التوائم المتطابقة، وهي حالة نادرة. وأما سائر الناس فإن كل واحد منهم ينفرد بأوصاف كثيرة جداً تكون صورته الظاهرة الفريدة، وبذلك يتنوع الجمال الظاهر تنوعاً لا يحصره إلا الله عز وجل. والأمر أعظم إذا نظر الناظر إلى الصور الباطنة للناس، وهي عقولهم وقدراتهم الفكرية والعاطفية، فما من إنسان إلا وتنفرد صورته الباطنة بما يُكوّن صورة عقلية وفكرية فريدة لا نظير لها مهما كثر الناس. فإذا أطلق الإنسان فكره وأعطاه حقه من المهارات وحرّره إلا من قيود الشرع، فإن إنتاجه الفكري لا بد وأن ينفرد بأمور كثيرة لا توجد عند غيره، وبذلك تنهض الأمة حين يضاف ما انفرد به هذا إلى ما انفرد به ذاك، وهكذا بحسب عدد من يسلك هذا المسلك. وهذا المسلك هو الذي أدى إلى ظهور عدد كبير جداً من المتقدمين في العطاء الفكري عند القدماء من المسلمين في القرون الثلاثة الأولى ومن سار على نهجهم في الإجتهد ممن جاء بعدهم. وعلى سالك هذا المسلك أن يستعد لمواجهة

بعض المصاعب من الآخرين، فإن بعض الأساتذة يريد من التلميذ أن يكون نسخة مطابقة من استاذة؛ وكذلك بعض الشيوخ مع تلاميذهم. وهذا خطأ كبير، فإن الواجب إطلاق مواهب الآخرين وخاصة من كان متوقد الفكر وحسن السلوك. **(الأمر الثالث):** «هو» في الآية يرجع إلى «ولكل»، ومعنى «موليها» مستقبلها أي متجه إليها. والأصل في نصوص الإسلام أن كل صيغة خبر يمكن أن يكون الواقع مخالفاً له، فهو خبر عن حكم الشرع وليس خبراً عن الواقع. فينبغي لكل مؤمن ولكل فريق أن يتجه إلى غاية يحبها الله تعالى، فيجعلها وجهته التي يربط عليها ويستبق الخيرات بها، والله تعالى أعلم وله الحمد الكثير.

**ومنها:** كسب معارف وخبرات الآخرين، وقد سبق ذكره موضعين من المبحث الثاني. ومن سبل ذلك الإستقراء، أي دراسة النظائر والأمثلة السابقة. المهم هنا أن إنتاج الأفكار والإبتكار يكون في كثير من الأحيان بالتفريع الجديد على البنى أو النظائر السابقة.

**ومنها:** رؤية مضامين سبيل الشر، للعلم به ولإنتاج أفكار الكبح والمواجهة. قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٥٥؛ من فوائد الآية الكريمة: **(الفائدة الأولى):** الإعراب ومعناه. تفصيل الآيات معناه تبيينها وشرحها وإظهارها. وقد قرأ الجمهور «سبيل» بالرفع فهو فاعل، والمعنى: ولتتضح لكم سبيل المجرمين أو لتتكشف لكم سبيل المجرمين مفصلة. وأما نافع وهو من القراء السبعة، وأبو جعفر المدني من العشرة فقرأ «سبيل» بالنصب على أنه مفعول لـ: «تستبين»، ومعنى هذه القراءة: ولترى بوضوح سبيل المجرمين، وتكون السين والتاء للطلب كما ذكر ابن عاشور. وحكم القراءات الصحيحة العمل بها كلها. ومن جميل الإعراب قول الإمام

الرازي: وقوله تعالى: ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾، عَطْفٌ عَلَى الْمَعْنَى كَأَنَّهُ قِيلَ لِيُظْهِرَ الْحَقُّ وَلَيْسَتَيْنِ، وَحَسَنَ هَذَا الْحَدْفُ لِكَوْنِهِ مَعْلُومًا. اهـ من (تفسير الرازي).

**(الفائدة الثانية):** توجب الآية كشف سبيل المجرمين عموماً، أي معرفة مناهجهم ووسائلهم التنفيذية، وذلك لمنع تأثيرها ولكبحها او مواجهتها. وتصح لذلك عبارتان متكاملتان: لا يعرف الحق من يجهل الباطل، ولا يعرف الخطأ من يجهل الصواب.

**(الفائدة الثالثة):** من وسائل كشف سبيل المجرمين والأشرار افتراض ما يليق بمنهجهم. فبالإضافة إلى البحث عن المشكلة وتحليلها، يمكن أن نطرح سؤالاً استباقياً: لو أرادت جهة أن تُحَدِّث مشكلة أو أزمة أو نزاعاً أو تخريباً كبيراً فماذا يمكنها أن تفعل هنا او هناك او في الأداء العام، وكيف يمكنها التنفيذ؟ وستظهر الأجوبة جملة من سبل المجرمين؛ ومن المشهور قول بعض الخبراء: فكر بطريقة عدوك، أي بصورة افتراضية.

**ومنها:** الرصيد والخبرة. فمما ذكرناه في (المنطلق) أن الابتكار او الإبداع هو في الغالب إخراج فرع جديد من أصل كبير، فلا بد من معرفة الأصل وتفصيله كي يكون بالمقدور إخراج فروع جديدة منه. فمن البعيد جداً على غير الطبيب او الخبير بالعلوم المساعدة للطب أن يبتكر طريقة جديدة في التشخيص السريري لمرض معين او في علاجه. وكذلك من البعيد على من ليس له رصيد في السياسة والعلوم المتعلقة بها أن يبتكر حلولاً استراتيجية للمشاكل الأمنية والدبلوماسية القائمة. وطريق تحصيل الرصيد الجيد متشعب، فمن شُعبه كثرة وحسن القراءة أي القراءة المصحوبة بالتفكير مع المهارة في التقاط الدرر، ومنها أن تكون مستمعاً جيداً، ومنها مصاحبة الأذكى والمفكرين، ومنها إشراك الآخرين في التفكير معك (التشاور)، ومنها قوة الملاحظة، ومنها مساعدة الذاكرة بتدوين الملاحظات والأفكار المستحصلة بهذه الطرق، أي ان الأمر ليس مجرد استحضار

معلومات ولكن إخضاع المعلومات لشيء من التحليل كالأسباب والنتائج والمشاكل والحلول، ونحوها مما يتعلق بمجال الباحث.

**ومنها:** التحسين المستمر. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا

مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١؛ فمن لم يغير أبقاه الله تعالى على حاله، وذلك لأن حركة المخلوقات خاضعة كلها لمشيئة الله تعالى، فإن لم يغيرها الله تعالى فلا تغيير أبداً. ولا شك أن المطلوب شرعاً التغيير إلى الأحسن، وواضح أن عدم التغيير يعني التراجع قياساً إلى من يغير ويتقدم. وواضح أن كل تغيير منك إلى الأحسن يتبعه تغيير من الله تعالى، فمعنى التحسين المستمر أن يتكرر التغيير إلى الأحسن بلا انقطاع، كي لا ينقطع عنا التغيير من الله تعالى. وهذا أصل في غاية الأهمية، وقد ذكرنا ما يتصل به في الكلام عن التنقيح في هذه الدراسة وغيرها، وذكرنا تفصيلاً مهماً في الفصل الثاني من (المنطلق في فقه العمل)، وتحت ثلاثة عناوين: «سلوك التغيير والتحسين»، ثم: «قواعد وعوامل تساعد على الابتكار والتحسين»، ثم: «مقاومة الإصلاح والتغيير».

**ومنها:** اجتناب عوامل الخطأ في صنع القرار. وقد ذكرنا هذا العنوان ومضامينه

في توابع «الهدف والمشروع»، وتوابع «الأداء الإستراتيجي» من (نخبة المسار).

**ومنها:** الإبتعاد عن الإسراف في التنعم بالمباحات، فإنه يُعطل التفكير. وقد قال

تعالى ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ

وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف: ٩٥، وسيأتي تفسير الآية الكريمة في

أواخر عنوان «طرق إطالة الإمتداد المستقبلي» إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** أن لا يوقفك الحرج (عنت الزجاجة): يُقال: أخرجت فلاناً أي الجأته إلى

مضيق، ورجل حَرَجٍ وحَرَجٍ أي ضيق الصدر كما في (تهذيب اللغة). وفي (المحكم):

والحرجُ الَّذِي يهابُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْأَمْرِ وَهَذَا ضَيْقٌ أَيْضًا. اهـ. وربما يُطلقُ الحرجُ على الضيقِ بسببِ تشابكِ المعطيات، ففي (المحكم) أيضًا: والحرجةُ: الغيضة لضيقها، وقيل: الشجر الملتف، وهي أيضًا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الأكلة. اهـ. وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥، قال الإمام الطبري: و«الحرج»، أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة. اهـ. وعن ابن عباس قال: «من أراد الله أن يضلّه يضيّق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقًا، والإسلام واسع». رواه الطبري. فالملبوس للمفكر أن لا توقفه المضايق، ولكن يثابر على التفكير لإيجاد المخارج، فيرزقه الله مخرجًا من حيث لم يكن يحتسب. وقد قال تعالى ﴿ .. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ٣ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣. وبصيغة ثانية: تجنب العجز في التفكير، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم وأحمد والنسائي في (الكبرى) وغيرهم، وصححه الألباني وغيره. فتدبر عبارة «ولا تعجز»، وأما العبارات التالية فتنبه إلى أنه مهما كانت المثابرة فإن الفشل محتمل الوقوع وقد يكون فشلًا جزئيًا. المهم أن الفشل لا يقطع العمل، فإن كان فشلًا جزئيًا، فينبغي التخطيط للتعامل معه منذ البداية والإعداد لمكافحة أسبابه. وإن كان فشلًا كبيرًا، فينبغي إجراء تقويم شامل والتعامل مع أسباب الفشل ثم البداية بمسار جديد.

**ومنها:** إعداد حقيبة الأفكار والمعلومات، فإن جمع الأفكار عملية مستمرة وضرورية لكل صاحب قضية، وبإختصار شديد فإنها تقوم على أربعة مساع، **(المسعى الأول):** المبادرة باصطياد الأفكار والمعلومات المفيدة من كل مكان، وذلك بالإنتهاب لكل فكرة او معلومة يحتمل أن تكون مفيدة، وتدوينها في سجل او مستودع الأفكار والمعلومات، أي دفتر الجيب ثم الحاسبة. وقد يكون أصل الفكرة من خبرات العمل وسجلاته او الحوار مع الآخرين او التفكير في حدث معين او غير ذلك. **(المسعى الثاني):** إنتاج الأفكار وإضافتها إلى الحقيبة، ويحتاج الإنتاج إلى كثير من التفكير والإنضاج. **(المسعى الثالث):** تنظيم أفكار الحقيبة، أي فرزها وتبويبها وتحليلها، وإعدادها للتوظيف والعمل. **(المسعى الرابع):** أن يدرب جامع الأفكار نفسه على توظيف الأفكار وتحويلها إلى مفاهيم منضبطة وأهداف عالية الأهمية ويمكن التخطيط لتنفيذها، هذا بالإضافة إلى قدرته على التخيل والإفراض، أي إقامة الإحتمالات المعقولة. وينبغي لجامع الأفكار أن يتمتع بالصبر والمصابرة والمرابطة (أي المغالبة في الجودة قبل المغالبة في وقت الإنجاز)، فهو يستمر في تنقيح المفاهيم حتى تتضح؛ ويمكن أن يُسرَّع النضج بمهارات العمل الجماعي المتنوعة. ولاجتناب آثار الأخطاء بسبب التسريع، فإنه قد يُقسَّم العمل إلى مراحل كي يستمر الإنضاج خلال المراحل الأولى.

**ومنها:** كن راجياً للخير من الله تعالى، أي كن متفائلاً وليس بحالم. يوضح الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠، فعلى نحو تفسير سعيد بن جبير فإن المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ونعمة ربه فليعمل عملاً صالحاً. فأعمل عملاً صالحاً راجياً أن تصل إلى غايتك الصالحة؛ وهذا خلاف النذر، فالناذر لا يبادر بالخير إلا بعد حصول المراد. فالرجاء منهج الكرماء ويثاب بكرم الله تعالى؛ وأما النذر فلا يُقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يُستخرج به من

البخيل، كما ثبت في حديث الصحيحين. ويقتضي الرجاء أن تنبذ الشاؤم وأن لا تكون صفتك سلبية أي تركز على الفشل ولا تركز على النجاح، وهذا بعض ما يشمله قوله تبارك وتعالى ﴿ قَالَ يَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ النمل: ٤٦.

**ومنها:** صياغة أخرى في حال التصدي لتحقيق هدف كبير، فإن (الخطوة

الأولى): شكل مجموعة صناعة الهدف او حدد المستشارين، فقد قال تعالى ﴿ ... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨، فتدبر المبالغة او الحصر في معرفة أولى الألباب، ولذلك قيل: إن العاقل من اكتسب عقول الآخرين. (الخطوة الثانية): انظر إلى الهدف بأوسع أفق وبرؤية تحليلية غير مرتجلة، وباستخدام المهارات الفكرية التي ذكرناها في المبحث الثاني لأجل الجواب على الأمور الآتية:

- ما هي صورة الهدف بالتفصيل، وكأنك ترى مشهداً كاملاً بكل تفاصيله ومتعلقاته والمؤثرات عليه، وأنت بعيد عنه الآن ولكنك تريد التقرب إليه وتحصيله.
- ماهي الجذور والدوافع العميقة.
- ما هي الفرص والمنافع، وما هي المضار والمخاطر وما هي التناقضات في صناعة الهدف والتي يمكن أن تؤثر سلباً على نجاح الهدف. وما هي التفاعلات المحتملة داخلياً وخارجياً (الإيجابية والسلبية) أثناء المسار التنفيذي وبعد تحقيق الهدف، وما يمكن أن يقوم به الخصوم والمنافسون.
- ما هي العواقب والمآلات.
- ما هي الموارد والقدرات، وكيف يمكن تنميتها الآن وخلال المسار التنفيذي. وحين تخطط لتحقيق هدف، فعليك بناء القدرات لحماية مسار التحقيق وحماية



الهدف بعد تحقيقه، فإن النجاح الذي يتعذر عليك المحافظة عليه إنما هو فشل يضر ولا ينفع.

● إعادة التفكير موضوعياً بالهدف بعيداً عن الأشخاص والأمكنة، أي تدريب الفكر على البحث عن الخيارات والبدائل. وبعبارة أخرى تجريد النظر بفوائد الهدف، وهل يمكن تحقيقها بشكل آخر أو بهدف آخر أكثر نفعاً أو أقل خطراً؟ فإن التفكير بالبدائل طريقة مهمة، وقد قال تبارك وتعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الملك: ٢، والأحسن هو المتفوق على غيره من الخيارات والبدائل. وفي المقارنة بين الخيارات انظر إلى الفوائد والمضار القريبة والبعيدة. ومن الكلمات المتعارف عليها في المصادر الغربية: «فكر خارج الصندوق» أي ابحث عن بدائل وأشياء جديدة.

● قارن جوهر الهدف أي المغزى المركزي منه، قارنه بالتجارب السابقة وبتجارب الآخرين، فإن تأريخ المعاني المركزية يعيد نفسه، وسوف تريك النتائج والعواقب.

● قارن الهدف بالنظائر، وهل يمكنك إضافة تحسينات أو إضافة استخدامات أخرى أو تحويله إلى شيء آخر؟ ففي السياسة مثلاً، مقارنة العمل النيابي بنظائره في الدول الأخرى لاستخراج الفوائد وتنقيح نظام العمل. وفي الصناعة مثلاً، فإن دراسة محرك الطائرة وغيره يمكن أن تجعلك تنقل بعض الفوائد من محرك إلى آخر.

● هل توجد في صورة الهدف فراغات يجب ملؤها؟ وهل توجد مضامين غير مفيدة؟ وهل يحتاج الهدف إلى تعديل أو إضافات أو استبدال؟

● ما هي الخيارات والبدائل في سلسلة المسار التنفيذي.

● قم بجمع المعلومات وفرزها وتحليلها وتقييمها.

● ارسم صورة تفصيلية جديدة للهدف (خارطة الهدف) واتخذ القرار بشأنه.

● قم بعد كل ذلك بإجراء تنقيح متكرر، وقد سبق ذكر شروط التنقيح.

# التفكير

## التصميمي او التشكيلي

أي تصميم او رسم صورة مرئية متكاملة لمشهد الهدف او لمنهج تنفيذي او لنتائج متوقعة في العمل للمستقبل او لنتائج متوقعة من المسار القائم، او شبه ذلك مما نحتاج فيه إلى شكل مرئي يعبر عن المعاني المراد عرضها، كتسلسل الخطوات والعوامل المؤثرة والمتعلقات، او غير ذلك، وبطريقة مرنة تقبل التعديل والإضافات. وإنما يصح تشكيل الصورة بعد تحليل شامل للمحاور والمتعلقات. ولفظ «التصميمي» مستعار أو مجاز، يُراد به رسم شكل يُمثل قوام ما تفكر به من هدف او غيره. قال الصاحب بن عباد: والتصميمُ: المضيُّ في الأمرِ. والتصميمُ: العظمُ الذي هو قوامُ العَضوِ. وصميمُ الرأسِ ونحوه. وهو من صميم قومه: أي من خالصهم وأصلهم، وصممتهم نحوه. وصميمُ الحر والشتاء: أشده برداً وحرّاً. اهـ من (المحيط في اللغة).

وتشكيل صورة افتراضية لهدف مستقبلي او لتوقعات مستقبلية، يُطلق عليها في إصطلاح خبراء بعض الدول الغربية: «السيناريوهات» المحتملة في الرؤية المستقبلية، وقد تزايد الاهتمام بها، وهي من فروع نظام التفكير كما في العنوان السابق. وتُستعمل أيضاً عبارة «الخرائط الذهنية» لوصف تنظيم المعلومات او الأفكار او المراحل او محتوى الهدف او غير ذلك، تنظيمها بصورة مرئية او رسم الهدف كذلك؛ وقد استعمل هذا المصطلح الباحث توني بوزان في كتاب (كتاب القراءة السريعة).

### حديث الصراط المستقيم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ (هو الإمام المحدث ابن هارون): مُتَّفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴿١٥٣﴾ الأنعام:  
 ١٥٣. رواه أحمد وابن ماجه والبخاري والنسائي في (السنن الكبرى) والحاكم وصححه  
 ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط بسبب الراوي عاصم بن  
 أبي النجود، وقد تابع الأرنؤوط هنا تعنت بعض المحدثين، فإن عاصماً هو صاحب القراءة  
 القرآنية المعروفة وهو إمام كبير صحيح الرواية بلا ريب.

## آية الدخول إلى البيوت:

قال تعالى ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ  
 وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ البقرة: ١٨٩.  
الفائدة الأولى: معنى البيوت والأبواب.

(أما البيت)، فقال ابن فارس: الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالْتَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَأْوَى وَالْمَأْبُ  
 وَجَمْعُ الشَّمْلِ. يُقَالُ بَيْتٌ وَبُيُوتٌ وَأَبْيَاتٌ. وَمِنْهُ يُقَالُ لِبَيْتِ الشَّعْرِ بَيْتٌ عَلَى التَّشْبِيهِ لِأَنَّهُ  
 جَمْعُ الْأَلْفَاطِ وَالْحُرُوفِ وَالْمَعَانِي، عَلَى شَرْطِ مَخْصُوصٍ وَهُوَ الْوِزْنُ. اهـ من (معجم  
 مقاييس اللغة). وقال الراغب: أصل البيت: مأوى الإنسان بالليل، لأنه يقال: بَاتَ: أقام  
 بالليل، كما يقال: ظلَّ بالنهار، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه  
 أَبْيَاتٌ وَبُيُوتٌ، لكن البيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشعر. وعبر عن مكان الشيء  
 بأنه بيته. اهـ من (المفردات).

فالبيت هو المأوى والمآب وجمع الشمل كما ذكر ابن فارس، وهو مكان الشيء كما ذكر  
 الراغب. والمُسَجِدُ: بَيْتُ السُّجُودِ. وعلى ذلك، فإن بيت الشعر هو الكلام الحاوي لصياغة  
 ونظام الشعر، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «أَصْدَقُ بَيْتٌ قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ  
 مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ» رواه مسلم وغيره. وبيت المال هو الحاوي للمال ولنظامه، وبيت  
 العرب هو الشيء الحاوي لشرف العرب، وفلان بيت قومه أي شريفهم كما في (تاج

العروس). فكل حاو لشيء فهو بيته، فبيت المنهج هو الحاوي لمضامينه، وبيت الخطة هو الحاوي لمضامينها.

**(وأما الباب)،** فهو مدخل الشيء ومُستفتح الأمر والأسباب المؤدية إليه، ويُستعمل في الأجسام كباب الدار، ويستعمل بكثرة أيضا في المعاني بمعنى الطرق والأسباب المؤدية إلى النهاية، ومنه أبواب الخير وأبواب الشر، كما في نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا...﴾ الأنعام: ٤٤ ، وقد يكون الباب المدخل الأولي إلى الطريق، وتحتمله آية الأنعام وغيرها. وقد يكون الباب المدخل إلى ثمرة العمل وإن طال الطريق، كقولهم: الأعمال الصالحة أبواب الجنة والفواحش أبواب جهنم.

**الفائدة الثانية:** في رسم الهدف المستقبلي، فإنه يُنظر إلى كل أمر مهم كبيت يجمع شمل ذلك الأمر، فمن أراد دخول هذا البيت فعليه أن يكون منهجياً، فيعرف قبل كل شيء محتويات البيت والحركة داخل أجزاء البيت والعوامل المؤثرة عليها، كي يعين مدخلاً أو طريقاً إليه ثم المسار فيه ثم المخرج منه. قال الراغب الأصفهاني: وقوله تعالى ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، أي تحروا في كل عمل إتيان الشيء من وجهه تنبيهاً أن ما يطلب من غير وجهه صعب مثاله. اهـ من (تفسير الراغب في المكتبة الشاملة). وقال عبد الكريم الخطيب رحمه الله: فليس من التزكية للنفس والهداية للعقل والإطمئنان للقلب، أن يلقي الإنسان الأمور من ظهورها وأن ينظر إليها من ورائها، فذلك لا يطلعه منها إلا على ظلال وأشباح. أما إذا أراد أن يتعرف إليها ويعرف وجه الحق منها، فليلقها مواجهةً ولينظر إليها نظراً قاصداً، فذلك هو الذي يذنيه من الحق إن كان طالباً له عن نية خالصة وقلب سليم. وليس كذلك شأن المنافقين الذين لا يأتون الأمور إلا مواربة ولا ينظرون إليها إلا بأبصار زائغة منحرفة. اهـ من (التفسير القرآني

للقرآن). ونحو هذا التفسير للآية ذكره أيضاً ابن عطية والزنجشري والرازي وغيرهم. ويؤيد كلام الخطيب عبارة ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

معنى ذلك في إعداد الأهداف المستقبلية والتخطيط لها أن لا تفكر برؤية جزئية ولا مرتجلة، ولكن عليك أن تفكر بالهدف بعناية، ثم ترسم الهدف بأجزائه او محاوره المتكاملة، وترسم معه التفاعلات المحتملة، الإيجابية والسلبية والداخلية والخارجية، وبعبارة أخرى تقوم بتحليل مضامين الهدف. ثم ما هو المدخل (الباب او البداية) وما هو نوعه ووقته. وكذلك تفعل مع الخطة التنفيذية ثم المسار التنفيذي وخطواته. وبذلك تكون قد شكلت صورة مفصلة لبيت الهدف والطريق إليه.

وبصياغة أخرى، فإننا نحتاج إلى إجابة توقع وتشكيل صورة تفصيلية للمستقبل الممتد من الماضي، ويقتضي ذلك تحليل كل ما يمكن أن يؤثر على الهدف او على المسار التنفيذي او على إدامة النجاح بعد تحقيق الهدف. وهذا جوهر رسم الأهداف المستقبلية الناجحة والتخطيط لتحقيقها، ولا شك أن صورة الهدف المستقبلي قبل بلوغه هي صورة احتمالية، ولكن يجب أن تستند إلى خمسة أمور كي تكون مرتبة الإحتمالية جيدة، **(الأمر الأول)**: جذور قائمة تمتد منها الصورة المستقبلية، وكأن الهدف بيت بعيد غير أن جذوره في الشرعية والضرورة والدوافع والقدرات ممتدة من عندنا، وهو يحوي المعاني الكبيرة الممتدة من الجذور. وقد يكون الجذر هو المعنى المركزي (اللب او الجوهر) دون الظواهر والأشكال والسعة والمتعلقات، ولذلك فإن الرؤية السطحية قد لا تجد أي صلة بين الجذر والصورة المستقبلية. **(الأمر الثاني)**: تتضمن صورة الهدف البدايات والمداخل إلى الأهداف التمهيدية التي تقربنا إلى الهدف الكبير. **(الأمر الثالث)**: تحليل واسع للقدرات الحاضرة ولخطط تنميتها خلال المسار التنفيذي. **(الأمر الرابع)**: تحليل شامل لما يُحتمل حدوثه من العوامل المؤثرة، الداخلية والخارجية. ويساعد هذا التحليل او التقويم على رؤية المؤثرات القائمة والتي يمكن أن تمتد إلى المستقبل، وكذلك توقع المؤثرات التي

يمكن أن تظهر أو تحدث خلال المسار، وكذلك دراسة طرق كبح المؤثرات الضارة وطرق تغيير تأثيرها. (الأمر الخامس): عزم شديد على المضي في المسار إلى تحقيق الهدف بإذن الله تعالى وإن طال الطريق وكَبُرَ الجهد.

ولابد في كل بناء نظري من إعداد خيارات وبدائل عن كل مُكوّن من مكونات البناء، بل يمكن في الرؤية الموضوعية إعداد أكثر من بديل للبناء كله، غير أن البدائل تشترك في تحصيل مصلحة مهمة أو دفع مضرة كبيرة؛ ويتم ترتيب البدائل حسب الأفضلية. وبعد هذا الإعداد، فإنك تدخل وأنت مستعد لمواجهة الأحداث، وثابت في وجهتك إلى الهدف. وهذه رؤية عامة، أي تصلح للأهداف السياسية والأمنية والدفاعية والإقتصادية والاجتماعية وغيرها.

### الفائدة الثالثة: اهتمام الآية الكريمة بإتيان البيوت من أبوابها يعني الاهتمام بنقطة

البداية أو بعمليات الشروع والإنطلاق. ومما ذكرناه في (نخبة المسار) من كلمات السلف أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها. فإن كانت البداية مدروسة ومتقنة، فإن ما بعدها يكون أكثر إتقاناً لأن مراحل الطريق خاضعة للتقويم والتحسين. وبهذا النظر فإن النهايات أكمل من البدايات، غير أن للبداية الحسنة فضيلة كبيرة. ولذلك فإن رجال المشروع الناجح يشتاقون إلى أيام البدايات وما فيها من إندفاع ورجاء وتأثير في ما بعدها. وأما إذا كانت البداية غير متقنة، فإن العثرات سوف تُشغل عن التقويم والتحسين، كما أن الإستقامة إلى الهدف تتعثر، وقد يبقى الطريق وعراً إلى النهاية، خاصة إذا كان مجال المشروع يتسع كلما اقترب من نهايته، كأن يكون في البداية عملية محدودة (سياسية أو غيرها) ولكن المجال يتسع مع التقدم ويشمل عمليات كثيرة متنوعة، فإن الأخطاء والعثرات تكون أكثر عدداً وأكثر تعقيداً مع إتساع المجال. وهكذا تبقى في الذكريات حسرة بسبب تلك البداية غير المتقنة. ومما قيل في أهمية البدايات: «ما يفعله الأحمق في النهاية، يفعله الحكيم في البداية»، نقله الباحث منير عبود في (موسوعة الأمثال

والحِكم والأقوال العالمية). وواضح أن تعيين الباب او المدخل او الطريق ليس أمراً عفويّاً، ولكنك:

- ✓ تدرس منظومة البيت القائم او الذي تريد إقامته.
- ✓ وتدرس البيئة، أي العوامل المؤثرة الداخلية والخارجية.
- ✓ ثم تفكر في الخيارات العديدة للمدخل او الباب، وهل تجعله دخولاً مباشراً إلى ما بعد الباب أم غير مباشر، أي بمسار من الأعمال المساعدة والتمهيدية؟؟
- ✓ ثم تقرر ما هو أصلح وقت ومضمون يمكن أن تجعله باباً او مدخلاً، وما هو ترتيب الخيارات الأخرى، فقد يصلح لبيت واحد أكثر من مدخل؛ وصيغة الجمع في الآية الكريمة ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ تحتل ذلك ولا تمنعه.

#### الفائدة الرابعة: في تقديم الفتح على الكسر. فإن عبارة ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

أَبْوَابِهَا﴾، تنبه إلى أهمية التفكير بوسائل فتح الأبواب المعنوية فلا نلجأ إلى وسائل كسر الأبواب إلا عند الإضطرار. ويقتضي ذلك تولية أصحاب الفكر الواسع في المجالات عموماً، كمجال العلوم الشرعية والمجال السياسي والقانوني وغيرها، لأن ضيق الفكر سوف يدعي الإضطرار لأنه فاشل في التفكير فلا يستطيع أن يتوسع في البحث عن وسائل الفتح.

#### الفائدة الخامسة: قال تبارك وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ

الْمُجْرِمِينَ﴾ الأنعام: ٥٥، تقتضي الآية أن رسم بيت لمنهج الخير وإيجاد بدايات تكون نقاط تحول إلى الخير وترك الشر، فإن ذلك كله يجب أن يقترن برصد ومكافحة البدايات التي يجعلها الأشرار أبواباً إلى الشر، وقد تكون بدايات الشر صريحة او مستترة وخادعة، ويجب مكافحة كل ذلك. وقد سبق تفسير آية الأنعام تحت عنوان «مهارة إنتاج وإنضاج الأفكار».

**الفائدة السادسة:** فوائد تشكيل صورة مرئية لتركيب الأفكار ونحوها:  
**منها:** إيضاح الأمر المركب والمعقد، وإيضاح الإتجاه والإمتدادات المحتملة. **ومنها:**  
تنظيم المراحل أو الأسباب أو التركيب. **ومنها:** تعيين المعاني المركزية وما يتصل بها أو  
يتفرع منها. **ومنها:** تيسير المراجعة للتنقيح والتعديل، غير أن التنقيح يجب أن يشمل  
الصورة بجملتها أيضاً، وهل تصلح أم يجب وضع صورة جديدة؟؟

## التفكير بالمآلات والغايات

وهذا الأصل جزء كبير من الرؤية المستقبلية والتخطيط للمستقبل، فهو تمهيد وجزء  
من العنوان القادم: «الرؤية المستقبلية والتقاط ما يُخْرِجُه اللهُ من الغيب» إن شاء الله  
تعالى. وقضية العواقب والمآلات لها أهمية عظيمة، وأفضل طريق لفهمها هو فهم  
النصوص الشرعية فيها.

**قال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾**

البقرة: ١٩٥.

(أما معنى «بأيديكم») أي بأعمالكم، فاليد كناية عن العمل كما في نحو قوله تبارك  
وتعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ الروم: ٤١، وقد بينا  
ذلك في مواضع من الكتب الأخرى.

(وأما معنى «التهلكة»)، فهي عامة في أشكال التهلكة، وتشمل كل شيء يؤدي إلى  
التهلكة كما ذكر الأزهري والراغب والفيروزآبادي وأبو البقاء الكفوي. ويُستعمل لفظ  
الهلاك في الموت، ويُستعمل كذلك في أنواع العذاب والشدة وتعطيل المنافع. قال ابن



الجوزي: الهلاك والفساد يتقاربان، إلا أن الفساد مع بقاء العين، والهلاك يكون مع بقائها ويكون مع عدمها. اهـ (نزهة الأعين النواظر). ويقال هلك الرجل إذا وقع في أمر شديد، ذكره أبو هلال العسكري في (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم). وكذلك جعل الدماغاني من معاني الهلاك: العذاب والفساد (الوجوه والنظائر). وصح كذلك عن عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، قالت « فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي » رواه مسلم والبخاري وغيرهما، وصح عن النبي ﷺ قال « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا. رواه مسلم وغيره، والمعنى أصابهم عطب وعطل. وتوجد أحاديث أخرى صحيحة وآثار عن السلف، فيها لفظ الهلاك بمعنى فساد الحال وتعطيل المنافع.

**(وأما عبارة «إلى التهلكة»)**، فتدبر استعمال حرف الغاية «إلى» وليس حرف الظرفية «في»، ويدل ذلك على أن طريق التهلكة قد يكون ممتداً. وتُسعمل «إلى» للغاية المجاورة والقريبة والمتوسطة والبعيدة وشديدة البعد. تقول: أنا ذاهب إلى بيت جاري، وأنا ذاهب إلى السوق، وأنا ذاهب إلى بغداد، وأنا ذاهب إلى الشام، وأنا ذاهب إلى استراليا، وأنا ذاهب إلى القمر في رحلة فضائية. وعلى ذلك، فإن الآية الكريمة تنهى عن الإلقاء إلى التهلكة الوشيكة والقريبة والمتوسطة والبعيدة، وسواء كانت التهلكة موتاً أو فساداً وتعطيلاً للمنافع الكبيرة. وبعبارة أخرى يجب مكافحة التدمير السريع والبطيء، ومكافحة الفساد ومكافحة تعطيل المنافع السريع والبطيء.

وكثير من القرارات المهلكة للأمم إنما أدت إلى التهلكة بعد سنوات طويلة، وقد لا يشعر القادة بالتهلكة المقبلة إلا بعد أن يكون التصحيح مكلفاً جداً أو متعذراً. ولذلك فإن باب الإضطرار تدخل فيه الضرورة الحاضرة والمترامية. ولعل سبب توارث تضيق الإضطرار أكثر مما هي حقيقته، أن طائفة جعلت مدار حكم الإضطرار على خشية الهلاك الوشيك بمعنى الموت، علماً أن الله تعالى قال ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١١٩، فواضح أن معنى ﴿ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾، أي ما ألجأكم

الضرر إليه، فالضرر هو مدار الحكم، وتدبر كذلك استعمال حرف الغاية «إليه» وليس لام الإختصاص «له». ولكن العبارة ليست على العموم في كل ضرر، إذ يوجد مجال واجب وواسع للصبر والسعي لإزالة الضرر أو تخفيفه قبل اللجوء إلى المحرمات. ولكن إذا تفاقم الأمر واشتدَّ احتمال أن يؤدي إلى تعطيل المصالح التي أوجبها الشرع على الجماعة فقد حَقَّ حكم الإضطرار. وهذا كلام مختصر جداً، والتفصيل في (المنطلق في فقه العمل)، ولكن سبق هنا الكلام عن صلح الحديدية وما يتضمنه من الضرورات المتراخية، وسيأتي أيضاً الكلام عن «رؤية الواقع وتأثيره»، وما يتصل به من أحكام الإضطرار، إن شاء الله تعالى.

ولذلك ينبغي في كل مشروع أو قرار التفكير بالنتائج المتوقعة، الظاهرة منها والكامنة، وما يُحتمل فيها من خير أو شر. وينبغي العمل على غلق طرق الشر، وتدبر قصة ذي القرنين رحمه الله، وكيف ردم باب الشر ردماً عصياً فنحن إلى اليوم نعم به، ومعنى الردم الغلق من جميع الجهات، قال تعالى ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: ٩٥ ، إلى قوله تعالى ﴿ فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ الكهف: ٩٧ .

والتوقعات المستقبلية ليست يقينية، ولكن يكفي في هذا المجال العلامات المهمة والأحاسيس الذكية التي تؤدي إلى مخاوف يتعذر دفعها، وفي ذلك أدلة قرآنية عديدة، وسيأتي بيانها في الكلام عن الإستشراف في جملة العنوان القادم، أي «الرؤية المستقبلية والتقاط ما يُخرجه الله من الغيب» إن شاء الله تعالى.

ومن الأمثلة المتعلقة بالصراع معرفة «فن التراجع»، فمن كان تقديره للمآلات والعواقب جيداً فإنه قد يعرف في ظرف معين أن استمرار التقدم ينتهي بتهلكة متراخية أو بحرب خاسرة، وبذلك يستطيع التراجع في وقت يكون التراجع فيه نبلاً وحكمة أو إعادة ترتيب، وكذلك يستطيع بتوفيق الله تعالى تحديد مقادير التراجع، وأما من لا

يربط المعطيات بالتنتاج المتوقعة، فإنه لا يفكر بالمصيبة إلا بعد وقوعها، فلا يتراجع إلا بعد هزيمة مرة ودمار واسع. وينبغي في كل تراجع او سقوط التخطيط لجعله قضية ظرفية ومن غير المقبول البقاء فيها او دوامها.

ومن الأمور المهمة أن الكثير من المباحات قد تؤدي إلى تهلكة متراحية إذا أسرف الناس فيها، كبعض الزيوت في الطعام والسكر وغيرها، فهذا لا يعني منع الحلال على الناس، ولكن منع الإسراف والطغيان في الحلال، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل (تفسير آية البقرة ٢١٦ / الأصل الثالث) إن شاء الله تعالى.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ النساء: ٢٩. تشمل الآية الكريمة أمرين، الأمر الأول: لا يقتل بعضكم بعضاً، وفي هذا المعنى نصوص في القرآن والسنة. الأمر الثاني: لا تفعلوا ما يؤدي إلى قتلكم إلا بحجة شرعية ثابتة. ومما يقتضيه هذا المعنى دراسة عادات التغذية وأنظمة العمل والمرور وغيرها، بهدف تقليل الحوادث الضارة التي يمكن أن تقتل الإنسان. وبعبارة أخرى يجب اجتناب أسباب التهلكة.

وتدبر التفكير بالعواقب في القضايا الاجتماعية ونحوها، قال تعالى ﴿ قَالَ يَبْنَئَ لَأ نَقُصَّ رَأْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف: ٥، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ يَبْنَئَ لَأ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَحِيدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف: ٦٧.

وتدبر الأهمية العظيمة للعواقب، كما في نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس: ١٢. وقال تعالى

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ الكهف: ٤٦.

**وقال تعالى:** ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاطِعُوا اللَّهَ وَأَطِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩. وقال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥. فتدبر في الآيتين عبارة ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾، فقد اشتهر عند المفسرين أن المعنى: ذلك خير مآلاً او عاقبة او جزاء. قال الإمام الطبري: وأما معنى «التأويل» في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير. وآل الشيء إلى كذا، إذا صار إليه ورجع، يُؤول أو ولا، وأولته أنا صيرته إليه. وقد قيل إن قوله: ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾، أي جزاء. وذلك أن «الجزاء» هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه. اهـ، وفي تفسير آية النساء قال الطبري: وأحسن تأويلاً، يعني: وأحمد مؤثلاً ومغبةً، وأجل عاقبة. اهـ من (تفسير الطبري).

وقال الإمام الرازي: وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا، أَي ذَلِكَ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً لَكُمْ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ عِبَارَةٌ عَمَّا إِلَيْهِ مَأَلُ الشَّيْءِ وَمَرْجَعُهُ وَعَاقِبَتُهُ. اهـ من (تفسير الرازي). ومثل ذلك روايات ابن المنذر وقول الزجاج والماتريدي والنحاس ومكي بن أبي طالب، والراغب الأصفهاني وأبي البقاء العكبري وغيرهم.

وفي الآيتين كان مآل أعمال معينة سبباً في إيجاب أحكام الآيتين. فلا شك أنه ينبغي النظر في المآلات المتوقعة من الأعمال، بما في ذلك المآلات القريبة والمتوسطة والبعيدة، فإنها قد توجب أعمالاً معينة، وقد تمنع أعمالاً معينة.

## المنافع وما يقترن بها وما يؤول إليه استخدامها:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرَهُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم وأحمد والنسائي في (الكبرى) وغيرهم، وصححه الألباني وغيره. فتدبر عبارة «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»، وليس ما يعجبك ولا ما تشتهي، والحرص هو شدة الإرادة للأمر.

ولابد من التفكير بما يقترن بالمنفعة وبما يؤول إليه استخدام معين لها. ففي كثير من الأحيان يكون تحصيل المنفعة بطريق محرم، او يقترن تحصيل المنفعة بالغفلة عن الإلتزامات الشرعية او بمسايرة الظلمة في ظلمهم او بشبه ذلك من المضار، او يؤول استخدام معين للمنفعة إلى مضار شديدة. وفي هذه الأحوال يكون تحصيل المنفعة امتحاناً كبيراً، هل ينسى المؤمن دينه لمجرد تحصيل منفعة مباحة في الأصل. وتوجد أدلة شرعية توضح ذلك:

**منها:** قوله تعالى ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَئِيَّ كَلُوا

مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ البقرة: ٥٧، إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا ۗ قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٦١.

فتدبر عبارة ﴿ قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ..... ﴾، فلا شك أن الإستفهام هنا يفيد الإنكار والذم، حتى ذكر ابن عاشور أنه توييح شديد لأنه مجرد عن المقنعات وعن الزجر، أي إن كان هذا همكم فأهبطوا. ورجح سيد قطب أن المعنى: عودوا إذن الى مصر التي أخرجتم منها، عودوا الى حياتكم الدارجة المألوفة، إلى حياتكم الخانعة الذليلة حيث تجدون العدس والبصل والثوم والقثاء، ودعوا الأمور الكبار التي نُدبتم لها. وكلام ابن عاشور وسيد قطب موافق للقول بأن سؤال بني إسرائيل كان معصية، وهو قول أكثر المفسرين كما نقل ابن عادل في تفسيره.

وقد استغرب بعضهم الحمل على الإنكار، بحجة أن استبدال طعام بطعام ليس من المنكرات إذا كان حلالاً؛ وهذه حجة ضعيفة. يوضح الأمر في الآية أن الانتقال في الإنكار من ذكر أنواع الطعام الى ذكر «الذي هو أدنى» و«الذي هو خير»، يشعر بأن الإنكار قد لا يرتبط بالطعام نفسه، بل بالتزاحم بين متعلقات او عواقب الطعامين: المن والسلوى من جهة وهو من الطيبات في أرض لا طغيان عليهم فيها، ومتعلقات الفوم والبصل والعدس والقثاء من جهة أخرى، كأن يحتاج هذا الطعام إلى هبوط أرض الذل او إلى ذل الإستعانة بطغاتها لمجرد تحقيق شهوة كما ينبه إليه سياق الآية الكريمة.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ

غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ طه: ٨١، فتدبر النهي عن الطغيان في الطيبات أي في الحلال، بمعنى سوء استخدامها. يوضح الأمر أن استخدام الحلال لخدمة الحرام كثير جداً، ويؤدي إلى عواقب شديدة ومآلات ضارة، وكذلك إمانة الواجبات والإلتزامات بسبب الإسراف في المباحات والغمر في الشهوات.

ومنها: قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيْشَتَهَا فَبَلَكَ

مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ ﴾ القصص: ٥٨، البطر غلو في المرح الدنيوي يجعل الإنسان يستخف بحقوق الله تعالى عليه. ومنه قول النبي ﷺ « الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمْدُ النَّاسِ » رواه مسلم وغيره، أي الكبر الإستخفاف بالحق ودفعه. ومعنى الآية الكريمة: بطرت جودة معيشتها (بحذف المضاف كما ذكر ابن عاشور)، وذلك لأنها في غمرة من الم لذات والشهوات، فلم تشكر الله تعالى وغفلت عن مكافحة عوامل الإنحدار والتردي.

ويوضح حديث صحيح قضية استخدام الحلال في الخير او الشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل النبي ﷺ عن الحمير، فقال « لَمْ يُنَزَّلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ (٨) » رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم.

## أمثلة مهمة من التفكير بالمآلات:

(حديث « لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا »): فما ذكرناه في (وجهة اللواء) حديث أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رواه مسلم والبخاري وأحمد وغيرهم. ومعنى عبارة «في سبيل الله»، يتضح بأمرين، الأمر الأول: أن النية إنما هي جزء من المنظومة الكاملة للجهد، وهذا مثل أحاديث فضائل الصلاة والزكاة والصيام ونحوها، فصحيح أن النية ركن فيها، غير أن صحة الصلاة ونحوها لا تتناول إلا من أدى الصلاة بأركانها وشروطها العملية كلها. وكذلك الأمر في الدفاع او الجهاد، فإنه منظومة كبيرة، فيها شروط للعمل العسكري، فلا مجال البتة لصرف النظر عن الأجزاء المتكاملة للمنظومة.

**الأمر الثاني:** تدبر في الحديث عبارة «لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا»، فإن لام التعليل في بداية العبارة تقديرها: لأجل أن تكون ....، معنى ذلك أن عاقبة العمل أو التقويم بالنتائج والمآلات جزء أساسي من تقويم العمل الجهادي، وقد يُطلق عليه: «التقويم بالجدوى»، فإذا كانت نتيجة العمل الجهادي إعلاء كلمة الله تعالى مع الإلتزام بشروط العمل العسكري فهو في سبيل الله تعالى، وأما إذا كانت النتيجة خادمة لغايات العدو أكثر من خدمة غايات المسلمين أو كانت حرباً ظالمة فاقدة لشروط الشرعية، فهو ليس في سبيل الله تعالى وإن كان المقاتلون مسلمين. وقد تحصل أخطاء في التقويم وتكون النتائج غير مرضية، ولكن يجب أن يكون القرار قد مر بتقويم عميق شامل للجدوى وقد تعاونت عليه العقول وتم تنقيحه المرة بعد المرة، كي يكون الخطأ مغفوراً. وأما دعوى سلامة نية هذا المقاتل أو ذلك فلا قيمة لها، لأن نتيجة القتال تابعة لنية وخطط جملة الجيش وقيادته وليست تابعة لنية أفراد محدودين. بل يمكن لجهة غير مسلمة أن تحرك خفية عمليات قتالية بإسم الجهاد، وإنما المقصود الوصول إلى عواقب مضادة للجهاد، ويمكن أن يكون الحال كذلك في كل عمل إسلامي في الظاهر ولكنه مدعوم سراً من جهة غير إسلامية كما كان حال مسجد الضرار. وقد تكلمنا في (نخبة المسار) عن التقويم بالنتائج، ومن الضروري التأكيد على أهمية تقويم النتائج المحتملة في بداية الأمر أي قبل الشروع، ولا يجوز الإقتحام بالمجازفة بحجة عدم العلم بالغيب؛ فإن عدم العلم بالغيب يقترن بالعلم بالأسباب التي يُتوقع أن تحقق النتائج بإذن الله تعالى، كما أن عدم العلم بالغيب يقتضي المبالغة في التقويم والتنقيح. ويتصل بذلك ما يُقال: «لا تجعل نفسك هدفاً سهلاً، فإنما ينتصر المدافع إذا كان قادراً على الهجوم».

**(قوله تعالى): ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنْ أَلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ**

**السُّوءُ﴾** الأعراف: ١٨٨. ومما ذكرناه في (المنطلق) أن الآية تقطع بأن أخطاء التدبير (التخطيط والتنفيذ) واقعة لا محالة، وهذا في حق النبي ﷺ غير معارض للعصمة لأنه



ليس في التشريع، ولكن في وسائل التنفيذ ووسائل الصيانة والإدامة، وما تتضمنه من أسباب جلب المنافع (الإستكثار من الخير) وأسباب دفع المضار (مس السوء). وهذا يتفق مع المشهور من تفاسير السلف، فقد فسروا «السوء» في الآية بالضر وبالفقر، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون وأتقيه. رواه ابن أبي حاتم . وقريب منه ما نقله الطبري عن آخرين، قالوا: ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجذبة من المخصبة، ولعرفت الغلاء من الرخص، واستعددت له في الرخص.

فمن أراد تقليل الأخطاء والخسائر، والوصول إلى أفضل عاقبة، فعليه أن يبالي في تنقيح وتقويم الهدف قبل عمليات التنفيذ، ولا يقصر أيضاً في تقويم مراحل وخطوات التنفيذ بعد الشروع فيها. ولنا في (المنطلق) تفسير مفصل لآية الأعراف.

**(قوله تبارك وتعالى): ﴿..... فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ**

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۚ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا

﴿الكهف: ١٩ - ٢٠﴾، فتدبر عبارة ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾،

وقد قال تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الشورى:

١٩. ومما ذكرناه في (المنطلق) أن اللطف هو تعاطي الأمور الدقيقة والتعامل مع الخفايا على وجه الرفق والإحسان. واللطف هو الذي يوصل إليك الإحسان برفق حيث يسر لك الأسباب ويسهل لك الصعاب، يُقال: لطف الله تعالى بك أو لك، أي أوصل إليك ما تحب برفق، ولطف فلان بفلان أي رفق به، وجاءتنا من فلان لطفة أي هدية، وألطفه بكذا أي برّه به، والملاطفة المباشرة والملاينة، واللطف في وصف الأجسام ضد الكثيف والخشن والغلي، ودواء أو ظرف مُلطف أي مُحفف. فلا شك أن اللطف صفة راسخة في دين الله تعالى وتظهر في مآلات تطبيق الدين. فإذا ظهر اللطف في تطبيق

الشريعة فهو علامة على فهم الشريعة وحسن التطبيق. وأما إذا نُزِع اللطف من قواعد التطبيق، فلا شك أنه تطبيق غير منضبط بالشرع، ولكنه كما قال رسول الله ﷺ « مَنْ يُحْرِمُ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » رواه أبو داود وابن أبي شيبة، وصححه الألباني، وأصله في صحيح الإمام مسلم بدون عبارة « كله ».

**(متى يُترك الجدل الديني؟):** ففي سورة الشورى، بعد ذكر المشركين ثم أهل الكتاب قال تعالى ﴿ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ الشورى: ١٥، فتدبر عبارة ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾، و«الحجة» مصدر أو اسم للمصدر، ومعنى العبارة: لا احتجاج بيننا وبينكم كما هي عبارة الراغب، أي فلا جدال ولا مناظرة كما هي عبارة ابن عطية. وهذه العبارة ليست لتحريم الجدل معهم، ولكن لبيان أن منع الجدل الديني معهم هو الأصل، وأن جواز الجدل هو الاستثناء بشرط أن يكون بالتّي هي أحسن مع الملتزمين منهم بقواعد الحوار. ولعل السبب في ذلك هو اجتناب المآلات الضارة، فإن الحاجة أو الجدل بين الطرفين مع وجود تناقض في العقيدة، من المحتمل جداً أن يخرج من الضبط ويؤدي إلى تفاقم الشحنة ثم تأليب العداء بين الطرفين. ولعله لذلك فسر مجاهد وابن زيد وغيرهما عبارة ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾، بمعنى «لا خصومة»، روى ذلك الإمام الطبري عنهما. يوضح الأمر أن الأصل في نشر الإسلام هو التبليغ والدعوة، فإن تأثير القرآن الكريم على النفس الطيبة التي تتذكر خالقها هي الحجة الأولى، وسيأتي بيان ذلك في أوائل الكلام عن «من عوامل التفكير السليم» إن شاء الله. وأما حوار الإحتجاج والمناظرة، فقد قال تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٦، فجواز الجدل جاء هنا بصيغة الإستثناء من النهي التي تفيد مطلق

الجواز وليس تحديد الوجوب، وبشرط أن يكون بالتى أحسن إلا مع من ظلم منهم بخروجه عن آداب الجدل.

## آيات أخرى تنبه إلى التفكير بالعواقب:

منها: قوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴾ المائدة: ٩١، فكل أمر يؤول إلى العداوة والبغضاء وإلى الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فينبغي إحداث تغيير في تركيبه او متعلقاته كي لا يؤدي إلى مآلات ضارة.

ومنها: قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِدَ لَكُمْ سُؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدِدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ المائدة: ١٠١، تبين لنا الآية الكريمة الأمر قبل تهيئة الأحوال الملائمة للعمل بالحكم، ولذلك أمروا بالعناية بما عندهم، وترك السؤال عن أمور مؤجلة، وذلك لاجتناب عاقبة سيئة وهي الثاقل والتردد في تطبيق الحكم. ثم تأتيهم الأحكام الجديدة بعد الإعداد كي يكون محل الحكم متآكفا مع الحكم او مؤهلا له، فيحق لهم حينئذ السؤال عن هذه الأحكام وتفصيلها، كما يفهم من قوله تعالى ﴿ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدِدَ لَكُمْ ﴾.

ومنها: قوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَغِيْرَ عِلْمٍ ﴾ الأنعام: ١٠٨.

ومنها: ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ الكهف: ٧١، فوازن الخضر عليه السلام بين عاقبتين، الأولى: ترك السفينة صالحة فيأخذها الملك الظالم غصباً. الثانية: خرق السفينة كي يعرض الملك عنها، ويمكن إصلاحها بعد ذلك.

ومنها: قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَدَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ  
تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ الكهف: ٩٤ - ٩٥، فتدبر أن فساد يأجوج ومأجوج لم يكن قد  
وصل إلى أولئك القوم، ولكنهم فكروا بالعاقبة او المستقبل حين يصل إليهم، وأقرهم ذو  
القرنين على ذلك، بل فكر ذو القرنين بمنع فسادهم زمناً طويلاً جداً، فلا زلنا إلى اليوم  
نتنفع بعمل ذي القرنين إذ جعل ردماً بين القوم ويأجوج ومأجوج. والردم هو غلق جميع  
المنافذ كالدفن، وقال تعالى ﴿ فَمَا أَسْطَعُوهَا أَنْ يَطَّهَرُوهَا وَمَا أَسْتَطَعُوهَا لَهُ نَقَبًا ﴾ الكهف:  
٩٧. وذهب بعض المعاصرين إلى أن الردم على يأجوج ومأجوج كان ردماً فضائياً، والله  
تعالى أعلم.

ومن أصول رعاية العواقب والمآلات: الرؤية المستقبلية وتوابعها، وإعداد نقاط تحول  
تنفع المستقبل. وسنذكر هذه الأصول في العنوان الآتي إن شاء الله تعالى.

## الرؤية المستقبلية والتقاط ما يُخرجه الله من الغيب

### معنى الغيب:

الغَيْبُ في العربية: كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ، كما في (لسان العرب) وغيره، وسواء كان  
الغياب دائماً او مؤقتاً. وغياب الشيء نقيض حضوره ومشاهدته، ولذلك جاءت المقابلة  
بين الغيب والشهادة كما في نحو قوله تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْحَيُّ ﴾ الأنعام: ٧٣. وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ  
﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٧٥) النمل: ٧٤ - ٧٥، أي

ما من مكتوم سرٍّ، وخَفِيٍّ أمر يغيب عن أبصار الناظرين في السماء والأرض إلا في كتاب مبین عند الله تعالى، كما في تفسير الإمام الطبري.

والغيب أكثر من نوع، وشواهد العربية مشهورة في التنبيه إلى أنواعه.

**قال ابن منظور:** وَقَالَ ابن الأعرابي: والغَيْبُ أَيضاً مَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ، وَإِنْ كَانَ مُحْصَلاً فِي الْقُلُوبِ. وَيُقَالُ: سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أَي مِنْ مَوْضِعٍ لَا أَرَاهُ. قَالَ شَمْرٌ: كُلُّ مَكَانٍ لَا يُدْرَى مَا فِيهِ، فَهُوَ غَيْبٌ؛ وَكَذَلِكَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُدْرَى مَا وَرَاءَهُ، وَجَمْعُهُ: غُيُوبٌ. وَغَابَ الرَّجُلُ غَيْبًا وَمَغِيبًا وَتَغَيَّبَ: سَافَرَ، أَوْ بَانَ. وَغِيَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ: قَعْرُهُ مِنْهُ، كَالْجُبِّ وَالْوَادِي وَغَيْرِهِمَا؛ تَقُولُ: وَقَعْنَا فِي غَيْبَةٍ وَغِيَابَةٍ أَي هَبَطْنَا مِنَ الْأَرْضِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَرَبِيِّ: ﴿وَأَلْقَاهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ يوسف: ١٠. وَغَابَ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ غِيَابَةً، وَغُيُوبًا، وَغِيَابًا، وَغِيَابًا، وَغَيْبَةً أَه، مَعَ اخْتِصَارٍ مِنْ (لِسَانِ الْعَرَبِ).

**وقال الزبيدي:** والغَيْبُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا غَيَّبَكَ، وَجَمْعُهُ غُيُوبٌ. وَغِيَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا سَتَرَكَ، وَهُوَ قَعْرُهُ، كَالْجُبِّ وَالْوَادِي وَغَيْرِهِمَا. أَه مِنْ (تَاجِ الْعُرُوسِ).

**وقال مكي بن أبي طالب:** والغيب: كل ما استتر عنك. أه من (تفسير مكي: «الهداية»). وواضح أنه بعد أن يتم إدراك الشيء أو إدراك جزء منه، فإن ما تم إدراكه لم يعد غيباً.

**وفي تفسير «الغيب» قال الزمخشري رحمه الله:** قيل: والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه، أو نصب لنا دليلاً عليه. ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال: فلان يعلم الغيب. وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها، والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد، وغير ذلك. أه (من تفسير أوائل سورة البقرة). وتدبر عبار الزمخشري، وهي صحيحة لأن الإنسان المعين لا يعلم الغيب، وإنما يعلم ما كان سابقاً غيباً وبعد أن ذهب صفة الغيب عنه، فلا

يُقال: فلان يعلم الغيب، ولكن: فلان يؤمن بالغيب، وفلان يستكشف الغيب، أي الغيب القريب الذي تمتد إليه المعلومات الموجودة. وأما الغيب البعيد عن ما نمتلك من المعطيات، فقد قال تعالى ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ سبأ: ٥٣. وقال الرازي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْإِسْتِدْلَالُ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ أَحَدُ أَفْسَامِ الْأَدِلَّةِ. اهـ من (تفسير أوائل سورة البقرة)، أي معرفة حكم الغائب عن طريق المعاني التي تمتد إليه من الأمور المُشاهدة. وهذا يؤكد ما ذكرناه في شرح عبارة الزرخشري.

### ويمكن تقسيم الغيب إلى أنواع:

(النوع الأول): إطلاق «الغيب» على الشيء الذي يدوم غيابه عنا، كما في نحو قوله تبارك وتعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥.

وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ الأنعام: ٥٩، خَمْسٌ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان: ٣٤ » رواه الإمام البخاري والنسائي في (السنن الكبرى) والطبراني في (المعجم الكبير)، ورواه ابن حبان بالمعنى وفي روايته نظر. وينبغي التنبيه إلى أن مضامين عبارة ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾، أكبر بكثير من العلم بأنه ذكر أو أنثى، ونحو ذلك يُقال في سائر عبارات الآية الكريمة حين تُفسَّر ببعض مضامينها أو بما يتصل بها. وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ الأنعام: ٥٩، قَالَ: « هن خمس: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴿١٨﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ رواه الإمام الطبري وابن المنذر كما في (الدر المنثور). وقال بدر الدين العيني: قَوْلُهُ (أَيُّ النَّبِيِّ ﷺ): «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ»، التَّخْصِيصُ بِهَذِهِ الْحُمْسَةِ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ كَثِيرَةً، إِمَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا، أَوْ لِأَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنْهَا، مَعَ أَنَّ مَفْهُومَ الْعَدَدِ لَا احْتِجَاجَ بِهِ، فَانْفَهَمُوا. اهـ من (عمدة القاري ١٨ / قول الله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾)، وكلام الإمام العيني صحيح فإن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله في غاية الكثرة، فلعل التقدير في حديث ابن عمر: «منها خمس»، فإن الحذف في العربية كثير جداً، كما أن الرواية بالمعنى ليست قليلة، والله تعالى أعلم.

**(النوع الثاني):** إطلاق «الغيب» على الأمور التي نعلم وجودها بيقين، وبدرجات متفاوتة من الإجمال والتفصيل. وهو علم مبني على الإيمان بدين الله تعالى والتيقن من صحة مضامينه، غير أننا لم نشاهد هذه المضامين وجهاً لوجه أي بصورة مباشرة لأن ذات تلك المضامين غائبة عنا. مثال ذلك الإيمان بحقيقة الجنة جهنم وعذاب القبر وموازين يوم القيامة وتحاصم أهل النار، وكذلك الإيمان بالملائكة وعرش الرحمن، والإيمان بحصول مضامين قصص الأنبياء المذكورة في القرآن والسنة، وشبه ذلك من أمور الغيب التي نعلم بعض مضامينها ونؤمن يقيناً بوجود مضامينها كلها التي نعلمها والتي لا نعلمها. ومع هذا العلم، فإن هذه الأمور تبقى غيباً لأن ذاتها غائبة عنا. وبعبارة أخرى فإننا نعلم تلك التفاصيل التي أخبرتنا بها نصوص الدين، ولكن من غير مشاهدتها. وقد ينبه إلى ذلك المقابلة بين علم الغيب والشهادة في نصوص عديدة، كقوله تعالى ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ الرعد: ٩؛ أي يعلم الله تعالى ما يغيب عنكم وما تشهدونه.

**(النوع الثالث):** إطلاق الغيب على الأمر وقت غيابه وليس بعد حضوره ومعرفة. ويشمل ذلك ما يظهره الله تعالى من الخبء (أي الغيب)، كما سنذكر بعد قليل إن شاء الله تعالى. ويُطلق الغيب أيضاً على ما كان غيابه جزئياً أي مقيّداً. يدل على ذلك نحو قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ ﴾ آل عمران: ١٧٩، فالعنى: أن ضمائر المنافقين كانت غائبة عن الصحابة، وأن الله تعالى لا يُطلعهم عليها بالوحي، ولكن الإختبار والإبتلاء يُظهر ما في الضمائر وينهي حالة الغيب فيها، كما تنبه إليه عبارة ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ ﴾. وأما رُسل الله تعالى، فإنه عز وجل يجتبي منهم من يطلعه على باطن المنافقين كلهم او بعضهم، وهذا المعنى مشهور في تفسير السلف للآية الكريمة، وقد ذكره القرطبي بصيغة واضحة. وأيضاً، فإن عبارة ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ ۗ ﴾، في سياق الآية كلها تنبه إلى أن من أراد اكتشاف بعض ما يغيب عنه فعليه بالبحث والتعب وبذل الجهد كي يهديه الله إليه، فلا ينتظر أن يرتمي عليه الإكتشاف وكأنه وحي منزل.

**(النوع الرابع):** ما يخرج الله من الخبء أي الغيب القريب، وهذا فرع كبير من النوع الثالث. قال تعالى ﴿ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النمل: ٢٤ - ٢٥، وفي تفسير الآية أمور، الأمر الأول: قوله تعالى ﴿ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ ﴾، حكاية لكلام الهدد، وأما ما بعد ذلك فقال ابن عاشور: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَىٰ لِسَانِ الْمُتَّهَدِّدِ، فَالْوَاوُ لِلْعَطْفِ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ كَلَامٌ آخَرَ مِنْ



الْقُرْآنِ ذِيلَ بِهِ الْكَلَامُ الْمُلْقَى إِلَى سُلَيْمَانَ، فَالْوَاوُ لِلْإِعْتِرَاضِ بَيْنَ الْكَلَامِ الْمُلْقَى لِسُلَيْمَانَ وَيَبَيِّنُ جَوَابَ سُلَيْمَانَ، وَالْمَقْصُودُ التَّعْرِيفُ بِالْمُشْرِكِينَ. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وقال القرطبي: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ [قَوْلِ] اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ وَهُوَ الثَّابِتُ مَعَ التَّأْمُلِ. اهـ من (تفسير القرطبي). الأمر الثاني:

قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أما كلمة «يخرج»، فمعناه يظهر الخبء، ويشمل ذلك جعله مُشَاهِداً كإنزال المطر وإخراج بعض ثروات الأرض، ويشمل كذلك جعله قابلاً للبحث والإستكشاف. وأما كلمة «الخبء» فهو مصدر بمعنى الصفة، ويقع على كل مخبوء وغائب. قال الزجاج: كل ما خبأته فهو خبء، ويجوز وهو الوجه أن يكون الخبء كل ما غاب. اهـ من (معاني القرآن وإعرابه). وقال الماوردي: فيه تأويلان: أحدهما: يعني غيب السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن جبير. الثاني: أن خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات، قاله ابن زيد، والخبء بمعنى المخبوء وقع المصدر موقع الصفة. اهـ من (تفسير الماوردي). ولا ريب أن القول الثاني الذي ذكره الماوردي تخصيص بلا دليل، ولكن يصلح لذكر أمثلة

فقط. الأمر الثالث: عبارة ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ليست عامة في الغيب أو المخبوء في السموات والأرض كله، وذلك لأدلة، منها أن حمل الصيغة على العموم إذا كانت صالحة للعموم ومجردة من أدلة التخصيص، هو أصل صحيح في سياق أحكام التكليف كقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة: ٨٣. وأما الصيغة الصالحة للعموم في سياق الخبر المحض فلا يشملها الأصل المذكور وإن تضمن الخبر معانٍ كامنة تحتاجها الأحكام التكليفية كما في آية الخبء، والحكم حينئذ

للقرائن. ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥، فمهما أخرج الله تعالى لنا من الخبء فإن مضمون ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يبقى قائماً إلى قيام الساعة. الأمر الرابع: الغيب او الخبء الذي يخرج به الله تعالى هو في غاية القلة قياساً إلى المخبوء غير المخرج، ولكنه في غاية الكثرة والأهمية قياساً إلى حاجة الإنسان وحاجة المؤمنين في البحث والإستكشاف، وسيأتي في الكلام عن مساحات العلم بيان كيفية التقرب إلى ما يُخرجه الله تعالى من الخبء او الغيب، إن شاء الله تعالى.

ومن هذا الأصل قصة سليمان عليه السلام، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ: ١٤. واضح أن موت سليمان عليه السلام، غاب عن الجن فكان غيباً حينذاك، ثم لما علموا موته انتهى عهد الغيب في هذا الخصوص وأصبح الأمر شهادة، ولذلك تكرر في القرآن الكريم المقابلة بين الغيب والشهادة، كما في نحو قوله تعالى ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ٧٣. قال علاء الدين الخازن: قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾، أي على سليمان، قال: العلماء: كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها، وقام يصلي على عادته متكئاً على عصاه فمات قائماً، فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان، ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته، وانقطاعه قبل ذلك، فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان، فخر ميتا فعلموا بموته وأيقنت (أي الجن) أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان، وهو ميت ويظنونه حياً، أراد

الله تعالى بذلك أن يُعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم. اهـ من (تفسير الخازن)، مع اختصار ومع تصحيح كلمة «وشراهم» إلى «وشرايه»، وهذا التفسير مشهور عند المفسرين.

ويتصل بذلك أيضاً، قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤، فإن الإنسان بفضل الله تعالى يتعلم اليوم ما كان غائباً عنه بالأمس. وفي حق غير الأنبياء، فإن زيادة العلم أو تحوّل بعض الغيب إلى مشاهدة يكون بالبحث والاستكشاف.

وكذلك قوله تعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ هود: ٤٩، فكما أن الله تعالى أوحى بعض أنباء الغيب للنبي ﷺ وتعلمها المسلمون منه، فكذلك علّم الله الناس بعض الغيب عن طريق النظر والاستدلال والبحث، فإننا ليس لنا من العلم إلا ما كان بإذن الله تعالى، فقد قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ البقرة: ٢٥٥. وواضح أن ما تعلمه النبي ﷺ بالوحي من أمور الدين صار علماً ولم يعد غيباً إلا ما كان منه بمعنى أنه غير مُشاهد أو بمعنى غياب تفاصيل كثيرة، وكذلك ما يتعلمه الناس عن طريق النظر والبحث، فلا تعارض بين آية هود المذكورة وقوله تعالى قبل ذلك ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... ﴾ هود: ٣١.

ويتصل بهذا النوع قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴿ الأعراف: ١٨٨، وقد تقدم تفسير الآية في الكلام عن التفكير بالمآلات والعواقب.

ومن الغيب المقيد بحالة خاصة، قوله تبارك وتعالى ﴿..... وَذَكَرَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ الأنبيا: ٤٨ - ٤٩ ،  
وفي تفسير نظير هذه الآية في سورة الملك، قال مكّي بن أبي طالب: أي الذين يخافون ربهم  
ولم يروه، وقيل: يخافون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس، فمن خاف الله في الخلاء فهو  
أحرى أن يخافه بحضرة الناس. اهـ (الهداية إلى بلوغ النهاية)، القول الثاني فيه إطلاق  
الغيب على حالة خاصة وهي خشية الله تعالى في غياب مشاهدة الناس. وجمع الإمام  
القرطبي القولين في تفسير سورة الأنبياء، فقال: «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ»، أي  
غائبين، لأنهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم رباً قادراً،  
يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس. اهـ  
من (تفسير القرطبي).

وقريب من ذلك نحو قوله تعالى ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا  
حَفِظَ اللَّهُ﴾ النساء: ٣٤، قال الإمام الطبري: وأما قوله: ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾، فإنه  
يعني: حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن، في فروجهن وأموالهن، وللواجب  
عليهن من حق الله في ذلك وغيره. اهـ من (تفسير الطبري)، وروى الطبري هذا المعنى  
عن قتادة وعطاء وسفيان. وهذا القول مشهور عند المفسرين، قال به السمرقندي  
ومكي والقرطبي والآلوسي وابن عاشور. وقريب منه قول غيرهم، قال ابن عطية:  
و«لِلْغَيْبِ» معناه: كل ما غاب عن علم زوجها مما استرعتة، وذلك يعم حال غيب الزوج  
وحال حضوره. اهـ من (تفسير ابن عطية).

ويدخل في النوعين الثالث والرابع أمور كثيرة نعلمها ونشهدها اليوم، ولكنها كانت  
غيباً في القرون الماضية كالتطائرات والصواريخ ووسائل الاتصالات الحديثة ووسائل  
التواصل الاجتماعي والأجهزة الطبية المعاصرة، وغيرها من أمور في غاية الكثرة.

## مقدار الغيب

### وكيفية التقاط ما يُخْرِجُهُ اللهُ مِنْهُ:

قال تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥. وهذا معنى ثابت إلى يوم القيامة، فلو جمعنا اليوم علوم البشر كلهم فإنما هو جزء قليل جداً من العلم المخزون في الكون. وإدراك الفرق العظيم بين المعلوم والمخزون يزداد مع زيادة معرفة البشر، فحين يكتشف علماء الطبيعة ونحوهم شيئاً معيناً فإن مسار الإكتشاف يدهم على مجاهل كثيرة جداً هي في حكم الغيب القريب، أي بدايات ظهور الخبء في مجال الإكتشاف.

فنحن محاطون بمقدار هائل من الغيوب، والمقدار الأعظم من هذه الغيوب في كل زمن هي بعيدة جداً عن الإتصال بما يعرفه البشر فلا يمكن التقرب منها بالعلم البشري ولكن بالعلم المستنبط من القرآن الكريم. وقسم قليل جداً من الغيوب (قياساً إلى القسم الأول) هي امتدادات غير مكتشفة مما يعلمه الإنسان، ويحتاج الإنسان إلى مؤهلات فكرية قوية لربطه بالمعلومات الموجودة وتحويله من غيب إلى شهادة. يوضح الأمر أن «الإبداع» في الغالب هو اكتشاف فرع جديد لأصل حاضر أو قديم، وبعبارة أخرى فإن الإبداع هو في الغالب النجاح في اكتشاف الصلة بين الحاضر والمستقبل الوشيك والقريب. ولا نعني بالقريب غداً أو بعد غد، ففي التطور الاجتماعي مثلاً، فإن توقع الإنحدار أو التحسين وفقاً للأسباب القائمة قد يشمل مدة مستقبلية تزيد على عشرين سنة، وهو المدى القريب أو المتوسط في بعض دراسات الإستشراق. وسيأتي المزيد من الإيضاح في الكلام عن «مساحات العلم» إن شاء الله تعالى.

وهذا في العلوم الكونية والطبيعية، وأما في العلوم الدينية، فإن إخراج المعاني الجديدة من عبارات القرآن الكريم يحتاج إلى قلب متوجه إلى الله تعالى بالإضافة إلى المتطلبات العلمية لفهم النصوص الدينية.

ويوضح حجب المعرفة الدينية عمن يعاند في رفضه للدين، نحو قوله تعالى ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ الروم: ٦ - ٧، وقال تبارك وتعالى ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾ النجم: ٢٩ - ٣٠، فتدبر عبارة ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فإنه مصدر ميمي يعبر عن الخاتمة او النتيجة النهائية لتحصيلهم العلمي، ولإيضاح ذلك أنظر إلى الفرق بين الصيرورة والمصير، وبين الانقلاب والمنتقل. وقال تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ الإسراء: ٤٥ - ٤٦.

وَنُذَكِّرُ فِي هَذَا الْمَجَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨، فتدبر عبارة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، فإنها نكرة في سياق النفي وتفيد العموم في نفي المماثلة، فلا يأتون بمثله في التشريع، ولا بمثله في سعة معانيه، ولا بمثله في الجمال والتأثير في النفوس الطيبة، ولا بمثله في النظم والتعبير، ولا بمثله في أي وجه من وجوه عظمة وإعجاز القرآن الكريم. والمقصود هنا سعة معاني القرآن التي لا يقربها الإنس والجن مجتمعين ولو كانوا متظاهرين على هذا الأمر. ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، فإن عبارة ﴿مُبَارَكٌ﴾ اسم للمفعول من «بارك»، والبركة هي الزيادة والنماء بالخير المادي والمعنوي، فمن مضامين وصف كلام الله تعالى بأنه مبارك، أن فيه من المعاني والفوائد ما يزيد على كل

مقدار. فلا شك أن معاني القرآن الكريم تكمن فيها تنبيهات إلى غيوب كثيرة يمكن بناء البحوث عليها. وتدبر نحو قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ إبراهيم: ٣٣، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥، وقوله تبارك وتعالى ﴿ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ العلق: ١٦، فإن المؤمن في صدر الإسلام كان متيقناً من صحة مضامين هذه الآيات ولكنه غيب غير مشاهد حينذاك، ففي أكثر من آية فرَّق الله تعالى بين الغيب والشهادة. وأما الآن فإن جملة من تفاصيل حركة الأفلاك وضيق الصدر في الإرتفاعات العالية وصناعة الصدق والكذب في مقدمة الدماغ، أصبحت في حكم الحضور والشهادة. ويوجد شرطان لبناء البحوث على بعض الغيوب القرآنية، (الشرط الأول): الإيثار وطهارة النفس، ونكتفي هنا بقوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ الواقعة: ٧٧ - ٧٩، المس هنا مس معنوي، أي لا يفقهه ويتفجع به إلا المطهرون. فالمس هنا من جنس المس في نحو قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام: ١٧. والتنبيه إلى هذا التفسير تعلمناه من الراغب الأصفهاني في مقدمة (المفردات)، وقد بينا تفصيل ذلك في كتب أخرى. (الشرط الثاني): أن يبني الباحث لنفسه رصيلاً معرفياً كبيراً في مجال معين من العلوم الإنسانية أو الطبيعية، كي ينتبه إلى المعاني القرآنية الكامنة التي يمكن أن تتصل ببعض مضامين مجاله.

يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩، فإن التبيان في عبارة ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾، نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة وتقع على أي تبيان سواء كان كلياً أو جزئياً، ولذلك ذكر بعض

السلف أن السنن النبوية كلها لها أصل معنوي في القرآن الكريم. وأما عبارة «لكل شيء» فهي في غاية العموم والشمول. فالقرآن الكريم فيه ما لا نحصىه من التبيان الجزئي، وهي معان كاملة تتفرع السنن النبوية من بعضها، ويمكن أيضاً أن تُبنى الدراسات والبحوث العلمية على بعضها الآخر. معنى ذلك أن المؤمن المتخصص في مجال معين إذا تعلم أدوات فهم القرآن، فإنه يستطيع أن يستخرج بعض جواهر القرآن الكريم في مجال اختصاصه، لأن تلك الجواهر ستجد مفتاحاً لها في فكر المتخصص. فالعالم بالسياسة يستطيع استخراج جواهر السياسة من القرآن، وكذلك العسكري والمهندس والصناعي والإداري وغيرهم، وهذه الجواهر هي منطلقات وتحتاج إلى بناء علمي عليها كي تكون جاهزة للعمل. وبعبارة مختصرة أن وصف القرآن الكريم بأنه تبيان لكل شيء ينبه إلى وجود المفاتيح أو المنطلقات إلى بناء البحوث العلمية، غير أن المتخصص ينتبه إلى المنطلقات التي تخص مجاله. وهذه المنطلقات لها في البداية حكم الغيب لأنه ذاتها المتجسدة غائبة عنا وليست مشاهدة وإن كنا نؤمن بها، ثم تزول عنها صفة الغيب بعد دراستها وتحويلها إلى ذات متجسدة. وهذا كما أن الجنة وجهنم غيب لأنها خارج عالم الشهادة عند البشر، وإن كنا نؤمن بها وبأمثالها من الغيوب، ثم حين يدخل المؤمنون الجنة في الآخرة تزول عنها صفة الغيب، يؤيد ذلك ما ذكرناه من المقابلة بين الغيب والشهادة في أكثر من آية. وتوجد أمثلة كثيرة من هذه المنطلقات ذكرها المعاصرون في مباحث الإعجاز العلمي، كقوله تبارك وتعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، وقوله تعالى ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ العلق: ١٥ - ١٦، فتدبر كيف جاز وصف الناصية بالكاذبة الخاطئة لأنها تضم جزءاً من الدماغ يُصنع فيه الخبر الصادق أو الكاذب، ولا يحسن مثل ذلك في وصف الظهر والبطن إلا تجوّزاً أو بقرينة.

وسياتي المزيد في الكلام عن «مساحات العلم» إن شاء الله تعالى.



## صلة المستقبل بما قبله:

واهمُّ جداً من يظن أن المستقبل تركيب يرتمي على الأرض بمعزل عما قبله!!! يوضح الأمر أن الحياة فيها مسارات كثيرة جداً يمتدَّ مَعْدِنُها أو عمودها (جوهرها ولُبُّها وأصلها) إلى المستقبل، مع تغيير طفيف أو كبير في الصُّور الظاهرة. ويُقال في العربية: فلانٌ مَعْدِنٌ الحَيْرِ ومَعْدِنُ الشَّرِّ. وقال مرتضى الزبيدي: ومَرَكُزُ كُلِّ شَيْءٍ: مَعْدِنُهُ. والمعادِنُ: الأَصُولُ. وَهُوَ مَعْدِنٌ لِلْحَيْرِ وَالْكَرَمِ إِذَا جُبِلَ عَلَيْهِمَا. اهـ من (تاج العروس)؛ وأما عَمُودُ الأَمْرِ: فهو قِوَامُهُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهِ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ. وقد تُسمى الإمتدادات المذكورة بـ: «المسارات» أو «الإتجاهات»، لأنها بدأت في الماضي أو الحاضر ولكن لها خاصية الإتجاه أو الإمتداد إلى المستقبل، ولذلك يصح أن يُقال: إن المستقبل قد بدأ اليوم أو قبل ذلك. وينبغي التذكير أن المستقبل هو ما بعد الحاضر، فيمكن أن يكون المستقبل غداً أو بعد غد أو بعد شهر أو بعد عشرين سنة فصاعداً.

يؤكد الأمر أنه يجب على المسلم أن يجتهد في حساب الآثار المستقبلية المتوقعة لعمله لأنه محاسب عليها. قال تعالى ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ الكهف: ٤٦، والباقيات الصالحات نوعان:

النوع الأول: العمل الصالح الذي لا يضيع أجره.

النوع الثاني: العمل الصالح الذي يمتدَّ عطاؤه إلى المستقبل. ولكل نوع عبارة في قوله تعالى ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَاءَنَّهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ١٢. وقال تعالى ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتِ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ الانفطار: ٤ - ٥.

وكذلك تفسير المستقبل استناداً إلى الماضي، قال تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ النور: ١٢، إلى قوله تعالى ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ النور: ١٧.

وقال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ الحشر: ١٨ - ١٩، الغد هو اليوم الذي يلي يومك، والعرب تكني عن المستقبل بالغد كما ذكر الإمام القرطبي وغيره، وتنكير «غد» ينبه إلى الإطلاق أو العموم في أيام المستقبل لأن كل يوم من أيام المستقبل هو غد لليوم الذي سبقه. وفي هذا تقريب للمستقبل وكأنه غدك، ويمكن لذلك استعارة قول الشاعر: إن غداً لناظره قريب. وهذا مثل التعبير عن الماضي بالأمس، قال تعالى ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤. فعلى العاملين أن يعلموا أن الغد هو امتداد لما قدمناه في الحاضر والماضي، وعليهم أن يشكلوا صورة للأهداف المستقبلية كي ينظروا هل أعدوا لها وهل أقاموا مساراً جيداً يصلح أن يمتد لغد، أم يحتاج إلى تصحيح أو تطوير؟ وعليهم أن ينظروا كذلك هل قدموا لغد ما يكفي لإدامة وتنمية القوة المعنوية والمادية ونقلها للأجيال المقبلة؟ وبعبارة أخرى: هل قدموا لغد ما يكفي في مكافحة عوامل التراجع والتوهين والإنحدار؟ ثم تدبر عبارة ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾، فهؤلاء قطعوا الإمتداد إلى المستقبل أو غيره تغييراً سيئاً.

وكما تمتد الحسنات إلى المستقبل، فكذلك السيئات، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الذاريات: ٥٢ - ٥٣ ، أي لم تكن وصية جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن، ولكن الطغيان تأصل فيه وأمتد عبر الأجيال او عبر المجاميع البشرية.

وقال تعالى ﴿ الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيْثُوكَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ النور: ٢٦، فالحيثات من الأعمال متوقعة من الحيثين من الناس، والحيثون من الناس للحيثات من الأعمال، ويقابل ذلك الطيبات من الأعمال للطيبين من الناس. وكل نوع من العملين يمكن أن يمتد إلى المستقبل.

ومن الإيعاظ بالتجارب السابقة وتأثيرها على الرؤية المستقبلية، قوله تبارك وتعالى ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥، معنى ذلك أن تحريف كلام الله بعد أن يُعقل يدل على مَعْدِنِ سِيءٍ لا يُتوقع من صاحبه أن يؤمن للمؤمنين. وواضح أن الآية الكريمة ترشد المؤمنين إلى ربط التصرف المستقبلي بما كان من أولئك القوم في تحريف كلام الله تعالى. وبعبارة أخرى يجب مراجعة ودراسة التجارب السابق ففيها عبرة في التخطيط المستقبلي.

ومن لم يدرك امتداد السلوك السيء ابتداءً فلا ينبغي له بحال من الأحوال أن يغفل عنه ثانية، ولذلك صح في حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ « لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ » رواه مسلم والبخاري.

غير أن إعادة الكرة (أي المحاولة الثانية) يمكن أن تستند إلى إضافات يُتوقع معها تحسين النتائج، وهذا يختلف من قضية إلى أخرى، ويظهر أن منه قوله تبارك وتعالى ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّهٗ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ يوسف: ٦٤، فالإضافة الأولى تقديم الرجاء على الخوف، خلافاً للمرة

الأولى؛ وأما الإضافة الثانية ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ يوسف: ٦٦، والله تعالى أعلم.

ويجمع الإمتداد الصالح والسيء حديث مشهور. فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ» رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

وعن الحسن (وهو البصري)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً ضَلَالٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أُوزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً هُدًى فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ» رواه الإمام أحمد ورجاله ثقات كما ذكر شعيب الأرنؤوط.

وعن حذيفة بن اليمان، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنَّ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَمِثْلُ أُجْرِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُتَّقِصٍ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ اسْتَنَّ شَرًّا فَاسْتَنَّ بِهِ فَعَلِيهِ وِزْرُهُ، وَمِثْلُ أُوزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُتَّقِصٍ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئًا»، قَالَ: وَتَلَا حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ الانفطار: ٥. رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» رواه البخاري وأحمد والبخاري. ورواه الطبراني من طريق بلال بن

الْحَارِثِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُلقِي الكَلِمَةَ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يُلقِي لَهَا بَالًا، فَيُكْتَبُ بِهَا مِنْ أَهْلِ رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُلقِي الكَلِمَةَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يُلقِي لَهَا بَالًا فَيُكْتَبُ بِهَا مِنْ أَهْلِ سَخَطِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»، من (المعجم الأوسط والصغير). وقد يكون ذلك بسبب آثار الكلمة في وقتها أو آثارها المستقبلية.

وهذا الحساب الشديد على الآثار المستقبلية يقع على اثنين، الأول: رجل مسيء فاسد النية وأدى قوله أو عمله إلى آثار شديدة الضرر أو إلى أضرار مركبة. الثاني: رجل مهذار في الكلام ومجازف في العمل وغير مؤهل فيما يتصدى له، ومع ذلك يتعرض للمصالح العامة والسياسات العليا وللأمور الكبار التي لها عواقب وخيمة.

وأما المجتهد الذي يعطي الاجتهاد حقه، فله أجران إذا أصاب وأجر واحد إذا أخطأ، سواء كان اجتهاده في فقه العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية أو في السياسة والأمن والدفاع، غير أن لكل مجال متطلبات خاصة للاجتهاد بالإضافة إلى المتطلبات العامة، ولا شك أن المصالح العامة تحتاج إلى عناية فائقة للوصول إلى اجتهاد. وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» رواه النسائي والترمذي وابن حبان، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط. ورواه الإمام البخاري ومسلم وأحمد من حديث عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ. والاجتهاد في عبارة «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ» تقتضي أن يجهد العالم نفسه في طلب الصواب، ويتضمن ذلك أن لا يكتفي بنفسه، ولكن ينظر بكفاءة عالية في آراء الآخرين؛ وكذلك يكرر المراجعة والتنقيح بالتعاون مع فريق العمل. يُقال: جَهَدَهُ المَرَضُ والتعب وَالْحُبُّ يَجْهَدُهُ جَهْدًا: هزله. وقال جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي: فمادة (ج ه د) حيث وُجِدَتْ فيها معنى المَبَالِغَةِ. اهـ من (الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى).

## من طرق الإمتداد إلى المستقبل:

وهي طرق بينها كثير من التداخل:

**فمنها: نظام السبب والنتيجة:** وهو نظام يمارسه عامة الناس، فحين يخطط الإنسان لهدف مستقبلي فإنه يتخذ الأسباب إلى الهدف، كأن يريد أن يكون صناعياً أو سياسياً أو مهندساً أو داعية. وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة: ٤٦، فلا شك أن إعداد العدة سيؤدي إلى حالة مستقبلية ملائمة لها. ويوضح الصلة بين السبب والنتيجة نحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرٍ ﴾ الأنعام: ١٠٨. وكذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: ٩٥، إلى قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ﴾ (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي .... ﴾ الكهف: ٩٧ - ٩٨. وواضح أن الأسباب يمكن أن يمتد تأثيرها إلى مستقبل بعيد جداً، فإننا إلى اليوم نعم ببرد ذي القرنين رحمه الله تعالى.

ومن المهم التذكير بأن الصلة بين السبب والنتيجة يمكن أن تشكل خطأً مستقيماً واضحاً كمن شرب ماءً فزال عطشه، وقريب منه من درس فنجاح في الإمتحان حيث تكون العوامل المؤثرة عدا الدراسة محدودة وقابلة للضبط والتقويم. وفي أحوال أخرى يكون المشهد مركباً معقداً بسبب كثرة العوامل والمؤثرات المتعاكسة (المساعدة والمضادة)، ولذلك تتقاطع الخطوط وتتعدر رؤية الخط المستقيم بين كل مؤثر ونتيجته، ويكون تقويم الإستجابات المتوقعة صعباً والثقة به ضعيفة. وهذا النوع من التركيب

والتعقيد كثير جداً في التعامل مع بيئة بشرية متعددة الميول والمؤثرات، وكذلك في الصراع السياسي والدولي، وفيما وراء العلاقات الخارجية (الأمر المستتر). وتوجد احتمالات في دراسة وتقويم المشهد المركب، منها التركيز على الأمور الكبرى مع احتياطات لاجتناب الأضرار الكبيرة المحتملة من إغفال أمور أخرى، ومنها التركيز على الإحتمالات الأكثر خطورة والتعامل معها بخطط متعددة، وكذلك مع احتياطات لاحتمال الخطأ في تقدير المخاطر.

وينبغي تذكُّر الأسباب المعنوية التي تشارك بقوة في الوصول إلى نتائج متعددة، نحو قوله تعالى ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾﴾ الطلاق: ٢ - ٣، وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ﴾ الأعراف: ٩٦. وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. غير أن الأسباب المادية يجب أن تأخذ حقها كاملا في الأعمال التي تتضمن أصولا مادية، كالجهاد والصناعة والزراعة والصحة وغيرها، وتوجد نصوص قطعية من القرآن والسنة تبين ذلك. غير أن الإقتران بالأسباب المعنوية يؤدي إلى المزيد من النجاح ومن حل العقد.

ومن أهم استخدامات السبب والنتيجة هو كيف تبني أسباباً تجعلك بإذن الله متفوقاً في المستقبل.

**ومنها: النمو والإنتاج:** وهو فرع من السبب والنتيجة. مثال واضح نمو الإنسان

من الطفولة إلى الشيخوخة، كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

تُطْفَئِ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا  
وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ غافر: ٦٧،

وتدبر عبارة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ ﴾، فإنها تنبه إلى أن العوامل المضادة يمكن أن تقطع النمو والاستمرارية كما في هذا المثال، فمنها عوامل تعمل في داخل الجسد كالأمراض والتسمم، وعوامل أخرى تضرب من الخارج كالحوادث المرورية والإصابات وشبهها. وكذلك في أمور أخرى كالأعمال الإستراتيجية وشبهها؛ فإنها قد تُؤتَى من داخلها كعمليات الإختراق ونشر الفساد، وقد تُؤتَى من خارجها كعمليات إيقاد الحروب ونهب الأموال ونشر الأوبئة ونحوها. وفي كثير من الأحيان، يكون الإتيان من الداخل ممهداً للضرب من الخارج، وينبه ذلك إلى ضرورة مكافحة الأمراض والأعمال العدائية التي يمكن أن تُهلك الجسد أو تُفسد العمل. وكذلك الأمر حين تخطط لتحقيق هدف، فعليك بناء القُدُرات لحماية مسار التنفيذ ولحماية الهدف بعد تحقيقه، فإن النجاح الذي يتعذر عليك المحافظة عليه إنما هو فشل يضر ولا ينفع.

فمن المهم بناء أعمال قابلة للنمو ولو ببطء. وكل نمو لا بد له من تعهد وتغذية منظورة، او غير منظورة فيُتوهم أنه نمو تلقائي. ومن المهم إبعاد النمو عن التآكل الداخلي وعن الضربات الخارجية.

ومنها: تأثير البيئة، كما في قوله تعالى ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَإِذْنِ رَبِّهِ ۗ

وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ الأعراف: ٥٨. وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً لهذه الآية الكريمة في (نخبة المسار، بعنوان: البيئة الطيبة او الإستراتيجية). وباختصار، فإن «البلد» هو كل قطعة محدودة من الأرض مُعدَّة للإقامة كما هو واضح من كلام الراغب في (المفردات)، وظاهر الإستعمال أن البلد هو الأرض وما عليها من عمران ومؤسسات او زرع او غيره. وأما «النبات» فهو ما نشأ في شيء يساعد على النشوء او ضروري له، يُقال:



نبت فلان في أكرم المنابت، ونبتت لبني فلان نابتة: نشأ لهم نشءٌ صغار، وإن بني فلان لنباتة شر، وقال تعالى ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران: ٣٧، أي جعلها تنشأ نشأة حسنة. ولما جاز أن يكون البلد عامراً بالبناء والمؤسسات، فنباته حينئذ ليس الشجر والنخيل، ولكنها الأعمال والأنظمة والأفكار. ويشمل ذلك الأنظمة السياسية والقانونية والاقتصادية والإدارية وغيرها، ولعل ذلك هو السبب في التعبير بالبلد الطيب وليس بالأرض الطيبة. ومعنى «الطيب» في عمل الدولة بمؤسساتها، يشمل أمرين، الأمر الأول: أن العقول تستحسنه والضماير ترضى به مع تطلعها للمزيد وللتحسين. الأمر الثاني: أن إنتاج البلد (أي نباته) إنتاج طيب، سواء كان الإنتاج سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو غير ذلك.

وتدبر عبارة ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾، فقراءة القراء بإسناد الخروج إلى النبات نفسه وليس إلى البلد، أي ليست بلفظ: يُخرج بضم الياء، فكأن النبات (الإنتاج) يخرج تلقائياً لأن العمل الصحيح صار راسخاً في المؤسسات وفي أنشطة المجتمع وكأنه طبيعة للمجتمع. وأيضاً، فإن الفعل المضارع ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ﴾، ينبه إلى تكرار خروج النبات وكان عدم التوقف صار طبيعة وسجية للمجتمع، ويمكن أن يستمر الأمر كذلك حتى يصل إلى الجيل القادم وما بعده، وبذلك يتصل الحاضر بالمستقبل.

ثم تدبر عبارة ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾، فإنها تتضمن أكثر من معنى، (المعنى الأول): أنها إذن عناية وتكريم وموافقة تشريعية، كما هو واضح من سياق المدح، فالإنتاج الصالح يخرج ببركة الله ورضاه؛ وبعبارة أخرى فإن البلد الطيب يكون إنتاجه طيباً في الفكر والثقافة والقوانين وفي الأنظمة التعليمية والسياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية والاجتماعية. وكذلك يكون إنتاجه طيباً في الإنتاج المادي كالإنشاء والتعمير والصناعة والزراعة وغيرها. ويشمل الإنتاج الطيب (المادي والمعنوي) ثلاثة مضامين على أقل تقدير، المضمون الأول: النية والإتجاه الإستراتيجي إلى المعالي والمكارم. المضمون الثاني:

الإلتقان، فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل: ٩٠، فإن لفظ «الإحسان» إذا لم يكن متبوعاً بحرف الغاية «إلى» فإن معناه إتقان الخير، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. المضمون الثالث: المغالبة العالمية، أي الإستباق والتنافس مع الآخرين بهدف التفوق العالمي؛ وفي ذلك نصوص قرآنية متعددة، ذكرنا منها في تفسير آية المصابرة والمرابطة من (المنطلق/ الفصل الثاني)، وفي هذه الدراسة تحت عنوان «التركيز»، وتحت عنوان «مهارة إنتاج وإنضاج الأفكار». ولا شك أن المغالبة تستلزم التطوير والتحسين المستمرين. (المعنى الثاني): أن تدبير رب العالمين هو الفاعل في تسديد قرار الطيبين وفي توقيت خروج الإنتاج وفي مدى تكراره وتأثيره في المستقبل. ويرجو المؤمن أن يكون الإمتداد المستقبلي مستمراً إلى قيام الساعة، على نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوِّبَ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥، فهذه كلمة منتجة ويتكرر ظهور أثرها وإنتاجها بلا انقطاع، فهي ممتدة إلى المستقبل البعيد. وتذكر ردم ذي القرنين رحمه الله تعالى وكيف امتد الإنتاج بعمله آلاف السنين وإلى يومنا هذا. ومع ذلك كله، لا بد من الرصد والإشراف والمراجعة والتقويم، لأن الخصم ينتظر أدنى غفلة كي يقطع الطريق، ولأن اتخاذ الأسباب واجب.

وأما عبارة ﴿ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ﴾، فإن «النكد» هو اللؤم والشؤم، وكل شيء جرّ على صاحبه شراً فهو نكدٌ، وصاحبه: أنكدٌ ونكدٌ. وأرضون نكادٌ: قليلة الخَيْر. والنكد والنكد: قلة العطاء وأن لا يهناه من يعطاه. ونكد الرجل نكداً: أي قلل العطاء أو لم يعط البتة. ورجل نكدٌ وقومٌ أنكادٌ ومناكيدٌ، وناكده فلانٌ وهما يتناكدان، إذا تعاسرا. وقرأ الجمهور ﴿ نَكِداً ﴾، بكسر الكاف على أنه اسم فاعل أو صفة مشبهة، والصيغة تقبل الوجهين، يُقال: رجلٌ نكدٌ وعملٌ نكدٌ. وتقدير العبارة: والبلد الذي خبث

لا يخرج نباته إلا نكدًا. والمعنى أن السبب الخبيث (القول أو العمل) فإن الصفة الإجمالية والدائمة لإنتاجه هي النكد لأن الصيغة صيغة حصر وإن تضمن قليلاً من الخير. وصيغة العبارة تشمل الإنتاج الخبيث الذي يخرج اليوم والذي يخرج في المستقبل. وينبه ذلك إلى أهمية إيقاف أو إبطال الإتجاه الخبيث.

ومن تأثير البيئة قوله تعالى ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ مريم: ٢٧ - ٢٨ .

**ومنها:** المحافظة على الجذور وتحسينها، فلتتدبر نمو العمل الإسلامي في عهد النبوة، كما في قوله تعالى ﴿ كَزْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩؛ فإن بلوغ المرحلة الخامسة كما في عبارة ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ يجب أن يقترن بالمحافظة على إنتاج بل تحسين إنتاج المراحل الأربع قبله، وبخلاف ذلك فإن المرحلة الخامسة تنقطع بعد حين. ويُعدُّ هذا النوع من الإنقطاع من أهم أسباب إنحدار الأمم. وبعبارة أخرى، فإن الفرح والتوسع في المرحلة الخامسة يجب أن لا يُشغل عن إدامة وتحسين المراحل التي أنتجته. ويتصل بذلك المثل القائل: «لجني الثمار عليك أن تحافظ على البذور»، نقله الباحث منير ب عبود في (موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية).

**ومنها:** التغيرات المؤثرة، وهو أيضاً فرع عن السبب والنتيجة. فإن حياة الشعوب والأفراد ليست جامدة، بل فيها كثير من الحركة والتغيير، وفيها صراع بين الخير والشر.

أما أعمال الخير، ففيها دائماً خاصية الإمتداد الثابت إلى المستقبل، وإن كان ذلك يتفاوت بحسب جودتها وسعتها وامتدادها كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ الكهف: ٤٦، فتدبر معنى الثبات والبقاء في عبارة ﴿ وَالْبَقِيَّتُ ﴾. وقد سبق قبل قليل ذكر نوعي الباقيات الصالحات.

وأما أعمال الشر والباطل فقد تمتد أيضاً إلى المستقبل، غير أن وجودها المعنوي هَسٌّ شديد الرخاوة وتكمن فيه عوامل البوار والإضمحلال، كما أن المواجهة بالحق تُعَجِّلُ بواره.

يوضح الأمرين (الخير والشر) قوله تعالى ﴿ ... قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

الْوَحِيدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الرعد: ١٦ - ١٧. واضح أن الآية الكريمة مثل لمسار الحق وما يُحدثه من

تغييرات مستقبلية، ومسار الباطل وما يُحدثه أيضاً، كما تنبه إليه عبارة ﴿ .. كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾. وتدبر عبارة ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾، أي بقدرها في استيعاب الماء وبقدرها في الإحتفاظ بالماء، فمع سقي الجوانب فإن الماء لا يسيح هدرًا، بل يمتد السيلان إلى أبعد مدى. وبنبه ذلك إلى أن أعمال الخير تتفاوت في درجتها وسعتها وفي حركتها وامتدادها، فإن امتدت الحركة إلى غد فهو امتداد إلى المستقبل، ويمكن أن يكون الأمر أبعد من ذلك بكثير. وكما أن الله تعالى يحيي الأرض بالماء، فكذلك مسار الحق والإيمان فإنه يحيي النفوس ويُسدد الأعمال ويُحدث كثيراً من التغييرات. وليس المراد بعبارة ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ مجرد كثرة العدد، ولكن سعة وجودة ما بنوه من قدرات

فكرية ومعنوية ومادية، ومقدار استعداد النفوس لخدمة الحق وإبعاد الباطل والإبتعاد عنه. وأما الباطل والشر فهو من الجهة المعنوية زَبْدٌ هَشٌّ متفكك الأجزاء فهو يذهب جُفَاءً. وتتضمن كلمة «جُفَاءً» أن تحصل الصفة بصرف النظر عن طريقة الحصول، ولذلك فسره بعضهم بمعنى أسم المفعول، أي: يذهب الزبد مدفوعاً منبذاً، وفسره بعضهم بمعنى اسم الفاعل، أي: يذهب مضمحلاً متلاشياً، فلا قيمة له ولا فائدة. وتدبر عبارة ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾، ثم عبارة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾، أي احتمل الماء على سطحه زبداً ظاهراً منتفخاً، فهو غير مندمج بالماء ولكنه محمول عليه. وكذلك الحال بين الحق والباطل، فإن الباطل (الزبد المعنوي والبشري) قد يدخل بين صفوف الحق، ولكنه عند التدبر والفحص منفصل عنه غير ممتزج به، ولهذا الانفصال درجات كثيرة تختلف في شدتها، وقد يكون إنفصلاً عقيدياً او عملياً، ومع تفاوت الدرجات. ومن المهم أن عمليات فصل الماء عن الزبد او فصل الحق عما تلبس به من الباطل تشمل عمل الصالحين في دفع الشبهات ورد الأباطيل ومكافحة تلبس الحق بالباطل، ويتضمن ذلك سعة الأفق من غير تميع في تصور الحق، ومن غير أدنى انصهار في الباطل. ثم تدبر عبارة ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾، فأصول المنافع المعنوية والمادية تبقى في الأرض فهي ممتدة إلى المستقبل بانتظار من يعرف قيمتها، ويحوّلها إلى مضامين وأدوات جاهزة للإستعمال، أي يحوّلها إلى منافع يمكن مباشرة العمل بها. وتدبر استعمال الفعل المضارع «ينفع» فإنه يشمل الحاضر والمستقبل أي ما يمكن أن ينفع مع تتابع الأيام والسنين. فمن أراد أن يحمل المنافع المعنوية فعليه أن يجهز للناس أفضل ما يمكن من الأنظمة الفكرية والتعليمية والقانونية والسياسية وغيرها، وأفضل ما يمكن من الصالحين المؤهلين لتشغيل هذه الأنظمة. ومن أراد أن يحمي المنافع المعنوية فعليه أن يجهزها بأفضل ما يمكن من المنافع المادية كالمدارس والجامعات والمصانع ومراكز البحث وسائر وسائل العمل والحماية. فالنفوذ العميق هو الإمساك بمنافع معنوية ومادية

ممتدة في الأرض والزمان، وما كان كذلك فهو ماكث في الأرض ومن المتعذر إزالته. ولنا في (نخبة المسار) تفسير مفصل لهذه الآية الكريمة، بعنوان «بناء النفوذ العميق».

**ومنها:** الإستشراف المستقبلي، ونحتاج هنا إلى عنوان مستقل.

## الإستشراف المستقبلي:

الإستشراف في العربية هو وضع الناظر يده على حاجبيه كالذي يستظل من الشمس كي يُبصر الأشياء، ويُقال شارف الشيء أي دنا منه وقارب أن يظفر به، وأشرف على الموت أي قاربه، وينظر في ذلك (المحكم) لابن سيده، و(النهاية) لابن الأثير. فاستعارة هذا اللفظ في هذا المجال يُراد به عملية تخفيف بعض حُجُب أو حواجز الرؤية المستقبلية بواسطة استثمار الحقائق المعلومة، وبعبارة أخرى توقع ما لم يكن بمعرفة ما كان، أو هو استقراء احتمالي للمستقبل بما يمتد إليه من الحاضر والماضي. وهذا كله من جنس توقع النتيجة إذا علمت أن السبب قائم، كما في نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩. يرشد إلى ذلك نصوص شرعية كثيرة، فالإستشراف المقصود هنا ليس من باب التنجيم والعِرافة بحال من الأحوال، بل هو علم في غاية الأهمية.

ويقوم عامة الناس بدرجات متفاوتة من تحسس المستقبل أي الإستشراف لمستقبل قريب جداً، كمن يخطط ويتخذ الأسباب لمستقبله المهني أو العائلي أو الثقافي. ومن الممارسات اليومية التي تعتمد على مرتبة من التوقع والإستشراف أن التاجر يشتري ويبيع بضاعته بحسب ما يتوقعه من عرض وطلب وشبه ذلك من المؤثرات، والمزارع يتوقع نوع وجودة الإنتاج من طبيعة الأرض ونوع الخدمة. وكذلك الرجل في اختيار الزوجة، فإذا أعجبه امرأة من بيئة غليظة الطبع فإنه يتوقع أن يتعرض لأنواع من الحشونة والفظاظة، وإذا أعجبه امرأة متقدمة عليه مهنيًا واجتماعيًا فإنه يتوقع أن يقدم لها ما يُشبع تقدمها، إلى

غير ذلك من الأمثلة التي تقع كل ساعة. وأما إنكار بعضهم للإستشراف الأكثر طولاً كما يقع في الرؤية المستقبلية لأهداف المصالح العامة العليا، فربما لأن التفكير أصعب من العمل، فإن التفكير يكون أكبر بكثير وأشد تركيباً وتعقيداً مع الأهداف طويلة الأمد، ولكنه مستقبل كله.

### من أدلة الإستشراف: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً﴾

التوبة: ٤٦، فالعدّة ليست خاصة بالمعركة الوشيكة جداً أي التي بدأ الشروع فيها ويمكن أن يبدأ التلاحم اليوم او غداً، بل يشمل الإعداد المعركة المحتملة بعد زمن قد يطول. يؤكد ذلك قوله تعالى في آية الإعداد ﴿..... وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠، أي وأعدوا لقوم آخرين لا تعلمونهم، فقد تكون عداوتهم كامنة او يمكن حدوث متغيرات تبدل موقفهم السياسي. ومعلوم أن إظهار العداوة الكامنة او تغيير الموقف التحالفي قد يأخذ زمناً طويلاً. معنى ذلك أنك بالإضافة إلى الإعداد الذي تقتضيه المعطيات القائمة، فإنك تستشرف نوع العدة الضرورية بعد عشر سنين فصاعداً وتُعدُّ وفقاً لذلك وزيادة. المهم، ينبغي ملاحظة مصادر المضار الكامنة، كالتدابير الخفية والخلايا النائمة، وملاحظة الرماد خشية أن توجد نار تحته.

### ويقطع بهذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:

١٩٥، فتدبر استعمال أداة الغاية المستقبلية «إلى» وليس حرف الظرفية «في» كما هو شائع، فإن أداة الغاية هذه تُستعمل للغاية المجاورة والوشيكة والقريبة والمتوسطة والبعيدة والتي في غاية البُعد، وقد سبق بيان ذلك تحت عنوان: «التفكير بالعواقب والمآلات». ولا سبيل لنا إلى العمل بهذه الآية الكريمة إلا إذا كنا نستطيع أن نجتهد في رسم الاحتمالات المستقبلية والتخطيط للتعامل معها.

ومن الإمتداد بين الحاضر والمستقبل، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١. قوله تعالى ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أي الذي بأنفسهم، والنفس هنا هي ذات الشيء وجملته، كما في نحو قوله تعالى ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٣. وتدبر استعمال حرف الباء وليس حرف الظرفية (أي: في)، والأصل في حرف الباء إفادة الإلصاق والاختلاط أي الإتصال، والمعنى: حتى يغيروا ما يتصل بهم من أحوال وأعمال، وذلك أن استعمال الباء يشمل قطعاً الأحوال الخارجية المتصلة او المختلطة بالذات، كقوله تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل: ٥٣، وقوله تبارك وتعالى ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ البقرة: ١٦٦. ولذلك ذهب جماعة من المفسرين في تفسير ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، في الأنفال والرعد، ذهبوا إلى أن المعنى: ما بهم من نِعَم وأحوال وأعمال، منهم السمرقندي والقرطبي والبيضاوي والآلوسي وغيرهم، وهذا كلام صحيح. وظاهر كلام الآلوسي وأبي السعود أن حرف الباء يشمل أيضاً النوايا، أي يشمل الأعمال ومَلَكَاتِهَا، ويساعد على ذلك قول النحاة أن حرف الباء يُستعمل أيضاً للظرفية، أي بمعنى «في»، ولكن من غير أن يفقد معناه الأصلي، أي الإتصال والإلصاق. وواضح من كل ذلك أن تحصيل التغيير من الله تعالى يحتاج في الإبتداء إلى تغيير عملي جديّ من الإنسان. والأمر أكبر بكثير حين نتكلم عن التغيير في المجتمع وفي السياسات العامة، فإنه جهد كبير وطويل لتغيير الأحوال القائمة. فمن فوائد الآية الكريمة أنه لا تغيير من الله تعالى إلا بتغيير من الناس، فإذا أردت الحصول على تغيير مستمر أو متكرر من الله تعالى، فعليك أنت أن تتغير عملياً بصورة مستمرة أو متكررة، كي تحصل بعد كل تغيير منك على تغيير من الله تعالى. وهذا من جنس السبب والنتيجة، فالسبب هو التغيير الذي أحدثته أنت، والنتيجة المستقبلية هو الإمتداد المتطور للسبب والبركة فيه بإذن من الله تعالى. ولا شك أن وجوب المغالبة يجعل الرؤية المستقبلية في غاية



الأهمية، لأنه يجب عليك أن ترسم هدفاً مستقبلياً متفوقاً في كل مجال من مجالات المغالبة، ثم تبحث كيف يمكن أن تمتد إليه من الحاضر.

## دور الإستشراف في تشكيل المستقبل: وذلك أنك تجتهد في تشكيل مجمل

مستقبل الدولة او الأمة، او تشكيل مستقبل مجال معين، ويمكن بإذن الله أن تنجح في كثير من الأحيان. وباختصار شديد يمكن اتباع الخطوات التالية:

**(الخطوة الأولى):** أن تقوم بمجموعات متخصصة بتقويم المجالات او الإتجاهات الكبرى التي تريد لها مستقبلاً متفوقاً، كالأداء الإياني والسياسي والاقتصادي والصناعي والدفاعي والاجتماعي والثقافي والعلمي وغيرها، والتنمية فيها. ويتضمن التقويم محورين، المحور الأول: الأداء الحاضر والبني التحتية له ومواضع القوة والضعف والقدرات، والعوامل المؤثرة والتي يمكن أن تؤثر سلباً او إيجاباً (الداخلية منها والخارجية)، وكذلك المقارنة بين قدراتك وقدرات الدول المؤثرة. وتفكر بعد ذلك بالأداء الكبير الذي تريد أن تبلغه في المستقبل. المحور الثاني: تحديد الإتجاهات الكبرى من الأداء المذكور، أي الأنشطة الكبرى التي نريدها أن تمتد إلى المستقبل بصورة متطورة، وما هي قوة توقع امتدادها وصمود تطويرها.

## **(الخطوة الثانية):** على القائمين على كل مجال او اتجاه أن يتخذوا مسارين لخدمة

أهداف المؤسسة او الدولة، المسار الأول: هو الأداء الحاضر ومتطلبات الهدف الوشيك، فهذه تكون متوافقة مع القدرات القائمة. المسار الثاني: مبني على أننا نحتاج إلى مستقبل متفوق على الحاضر. فعلى قادة العمل أن يفكروا بعناية لوضع أهداف مستقبلية كبيرة قبل التقيّد بقدرات محددة، فينبغي أن تكون صورة الهدف المستقبلي أكبر او أكبر بكثير من القدرات الحاضرة، ولكن يُرجى إمكان تنمية القدرات خلال المسار إليها فهي قابلة للتحقيق. وبعبارة أخرى أن الهدف المستقبلي الكبير حافز قوي، لأنه يوجب علينا أن

نفعل الكثير كي نصل إليه، وهو أفضل بكثير من البقاء ضمن أهداف صغيرة عاجلة. ولا يكون رسم الهدف في أيام قليلة، بل يجب جعل الهدف ومتطلباته التنفيذية مركز التفكير بين مجموعة رسم الهدف، ويُعاد تنقيحها مرة بعد مرة حتى يُصار إلى درجة عالية من النضج في رسم الهدف وفي المتطلبات التنفيذية. ويتم وضع مدى زمني لكل هدف، ويمكن أن يكون المدى قصيراً لبعض الأهداف التمهيدية، غير أن الأهداف الكبرى تحتاج عادة إلى سقف زمني طويل وقد يزيد على عشرين سنة. وينبغي رسم الهدف المشود بتفاصيله المهمة كلها (السيناريو المفضل)، وكذلك رسم أهداف بديلة (سيناريوهات مغايرة جزئياً أو جوهرياً) مع التفكير بمدى تداخلها مع السيناريو أو الرسم المفضل، وذلك لأن الهدف مستقبليٌّ فهو قابلٌ لعمليات التعديل والتنقيح، بل يجب خلال المسار حساب حصول المفاجآت غير المتوقعة، فقد قال تعالى ﴿ .. لَا تَدْرِي لَعَلَّ

اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق: ١. ويجب كذلك افتراض وجود أمور مهمة غائبة عن تفكيرنا، وقد ذكرنا قبل قليل قوله تعالى ﴿ .. وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾. ولذلك ينبغي قبل الشروع في التنفيذ إعداد صور (أو سيناريوهات) محتملة لأمرين، الأمر الأول: العمليات المضادة والمفاجآت المحتملة وسبل التعامل معها. الأمر الثاني: سبل تنمية الموارد. ولتجنب المهالك وللمحافظة على المكاسب، لابد من الواقعية والتقيد بالوسع، وبعبارة أخرى فإننا نعمل للهدف المستقبلي ولكن لا نعيش فيه إلا بعد تحصيله. وشرط نجاح ذلك أن تكون خلال المسار وقبل تحقيق الهدف قد أزلت العوائق والمضادات الكبيرة، فإن من الخسائر الكبيرة أن تفشل في الإحتفاظ بالهدف بعد تحقيقه، وبذلك يضيع جهدك ومالك ومنزلتك. وهذا من أهم مجالات الإبتكار والتقدم النوعي، وبه يظهر الفرق بين من هو بعيد النظر ومن هو قصير النظر.

**(الخطوة الثالثة):** بعد تكرار تنقيح مشهد الهدف والخطط التنفيذية، ينبغي أن تكون مؤهلاً لصنع أعمال وأفكار متتابعة ومتزامنة تتجه إلى المستقبل بإذن الله تعالى، وتتطافر خلال المسار في تشكيل وبلوغ الهدف المستقبلي، ويُساير ذلك عمليات تنمية القُدرات كما ذكرنا. ويتم تنظيم كل ذلك بخطة تنفيذية منقحة لكل هدف مرحلي. وفي كل مرحلة من مراحل المسار يتم إعادة تقويم الهدف ومساره التنفيذي، فقد تقع فُرص تساعد على تحسين وتحقيق الهدف، وكذلك يمكن أن تقع أمور توجب بعض التراجع او التوقف او التعديل. ويحتاج الأمر إلى أهلية عالية في مهارات التأثير والعلاقات ووسائل تخفيف التقاطع والإستفزاز.

وقد ذكرنا جملة من متطلبات وضع وتحليل الهدف المستقبلي، وأوصاف الخطة الجيدة، وذلك في (نخبة المسار/ مبحث الأداء الإستراتيجي وغيره). ويمكن إعادة صياغة هذه الخطوات من أجل تحقيق أنواع أُخرى من الأهداف.

### الإستشراف المبني على العلامات: العلامات لها أهمية كبيرة في الفقه وغيره

من مجالات الحياة، وقد قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ۗ ﴾ (٧٥) وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ الحجر: ٧٤ - ٧٦، «السِّمَّة» هي العلامة، والمتوسمون هم المتعاملون بكفاءة مع العلامات بالبحث والتفكر والإنفعال، لأن التوسم جزء ثابت من تفكيرهم. ومن أهم مضامين الكفاءة العالية أنك تلاحظ التفاصيل المهمة التي يغفل عنها الآخرون، وأنك تلاحظ المعاني الخفية التي لا يدركها الآخرون. وقد بينا ذلك في أوائل المبحث الثاني، تحت عنوان «قوة الملاحظة وتحليل العلامات».

وتوجد أمثلة كثيرة من التصرف المبني على التوسم وما يؤدي إليه من استشراف. مثاله قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبَدِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْحَقَائِينَ ﴿ الأنفال: ٥٨. واضح هنا أن نبذ العهد معلق في الآية على وجود المخاوف، معنى ذلك أن الإعتدال في مثل هذه الأمور ليس على العلم اليقيني ولا على العلم الظاهر، ولكن على الأحاسيس الذكية او على العلامات والأمارات والمقدمات والشبهات التي قد نعجز عن إثباتها، وكذلك يعجز المقابل عن نفيها إلا بمجرد الإدعاء ويمتنع او يفشل في تقديم إثباتات وإجراءات عملية للطمأنة وإزالة المخاوف. فلو كان الأمر خلاف ذلك لما جاز تعليق نبذ العهد على الخوف، ولكن تعليقه على التبين والتحقق، كأن تتضمن العبارة معنى: وإما تخافن من قوم خيانة فتبين او فتتحقق او فتثبت. فمعنى التعليق على المخاوف أن الوسيلة الوحيدة لإبقاء العهد هي إزالة المخاوف بإجراءات عملية والتزامات مضمونة. وأما من تأخر في نبذ العهد حتى يصل إلى علم يقيني او علم ظاهر فإن المصيبة الكبرى قد تصله قبل ذلك، لأن خطورة الحليف الخائن كبيرة جداً. ومن جهة أخرى، ينبغي الحذر أيضاً من تسريب العدو لمعلومات خاطئة من أجل تفكيك العهد او الحلف. ويتضح مما سبق أن مهارات الرصد وتحليل المعلومات لها أهمية فائقة. وواضح أيضاً أن نبذ العهد يعني إبطال الإلتزامات المتبادلة، وأما من زعم أن نبذ العهد يعني التحول تلقائياً إلى الحرب، فهذه مزعومة خارج نص الآية الكريمة، غير أن التحول إلى الحرب أمر محتمل وليس بلازم، وذلك بحسب اجتماع شروط الحرب.

ومن الأحكام المبنية على العلامات والمقدمات قوله تعالى ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة: ١٨٢، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِي تَخَافُونَ دُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ بِ... ﴾ النساء: ٣٤، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا دُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ النساء: ١٢٨، فالحكم في هذه الآيات يتعلق بالخوف من أمور يمكن أن تكون غير حاصلة، ولكن يوجد ما يساعد على توقعها من العلامات، وبالقدرة على إثارة الاحتمالات الممكنة لكل

علامة، ويستعمل بعضهم عبارة «درجة عالية من الشك» بدلاً من عبارة «درجة عالية من إثارة الاحتمالات».

وخاصة ذلك أن المتوسم يرسم صورة مستقبلية محتملة (سيناريو محتمل) لما يُحتمل أن تتضمنه أو تؤدي إليه العلامات.

## طرق إطالة الإمتداد المستقبلي:

**منها:** سياسة التغيير والتحسين المستمر، وهذا الطريق هو أصل الطرق الأخرى. فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١، فالإمتداد إلى المستقبل لا يرتقي علينا ولكنه ثمرة عمليات التغيير التي نقوم بها. وبعبارة أخرى أنك إذا أردت إطالة الإمتداد المستقبلي أي الحصول على تغيير مستمر أو متكرر من الله تعالى، فعليك أنت أن تتغير عملياً بصورة مستمرة أو متكررة، كي تحصل بعد كل تغيير منك على تغيير من الله تعالى. وقد ذكرنا تفسير آية التغيير قبل قليل في «أدلة الإستشراف»، كما ذكرنا في (المنطلق) تفاصيل مهمة عن التغيير، وذلك تحت عنوان «سلوك التغيير والتحسين».

**ومنها:** حماية البناء الداخلي من الهدم، وخاصة البنى التحتية، ويقوم ذلك على فهم الصلة بين الأوامر والنواهي. ومما ذكرناه في (المنطلق) وفي (نخبة المسار) أن بناء الإسلام في الأرض، إنما هو بطاعة الأوامر الشرعية، أي إقامة الواجبات من عبادات ومعاملات وقوة وعدل وعمران ومؤسسات وأنظمة اجتماعية وقانونية وسياسية ودفاعية وغيرها. وأما التحريم أو النواهي الشرعية فهي حماية للبناء من أن يُهدم. فبناء الفرد بالتقوى والفضائل والعلم، ويُهدم بالشهوات والأهواء. والبناء الإجتماعي يُهدم بالردائل والفساد. والبنى القانونية تُهدم بالظلم. والبنى السياسية والأمنية تُهدم بتولية الظالمين

وموالاته الأعداء وشبهها من المحرمات السياسية، وهكذا الأمر في البنى الإسلامية كلها. وعند التساهل في تمرير الفساد وحصول النخر في قواعد البناء فإن الهدم يتسارع جداً، ولذلك قالوا: إن الهدم أسرع من البناء.

وقد قال تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴾ النحل: ٢٦، فالبيان هو الشيء المنشأ من أجزاء مضموم بعضها الى بعض، ويستعمل في البناء المادي والمعنوي، ومنه حديث « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ ». والقواعد هي الأسس او البنى التحتية التي يُبنى عليها، وتُستعمل كذلك في القواعد المادية والمعنوية، ومنه قولهم «قواعد التفسير وقواعد العمل». فالقواعد في بناء الدول والمؤسسات والشعوب متشعبة ونسبية، إذ توجد أسس فكرية متداخلة تُبنى عليها فروع فكرية وأعمال كثيرة، وتوجد أسس تنظيمية مرتبطة بالفكر تُبنى عليها تطبيقات كثيرة. وهكذا الأمر في القواعد او البنى التحتية للنظام السياسي والإداري والدفاعي والإقتصادي والاجتماعي وغيرها. وكذلك لفظ ﴿ السَّقْفُ ﴾ فهو كل ما ارتفع او كان غطاءً لغيره سواء كان مادياً او معنوياً، ومنه قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ الأنبياء: ٣٢، ومنه قول جليلة بنت مرة امرأة كليب حين قتل أخوها زوجها كليياً:

|                                     |                                     |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| يا قتيلاً قوَّضَ الدهرُ به          | سَقْفَ بَيْتِيَّ جَمِيعاً مِنْ عَلِ |
| هدمَ البيتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ | وبدا في هدم بيتي الأولِ             |
| حَصَّنِي قَتْلُ كَلِيبِ بِلَطْيِ    | من ورائي ولطَى مُسْتَقْبَلِي        |

ولا تريد من سقف البيت سقف الحائط ولكنه غطاء وأمن الصلات العائلية، فهو سقف معنوي وقد وصفته بالتقويض.

ونخر القواعد وتقويضها يؤدي في كثير من الأحيان إلى انهيارات كبيرة غير متوقعة او مفاجئة، ولذلك قال تعالى في آخر الآية ﴿وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، هذا بالإضافة إلى حرف الفاء في ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمْ﴾، وهو رابط معنوي بين ما بعد الفاء وما قبلها، والأمر أشد حين يكون البناء من غير قواعد. وأما إذا كانت القواعد راسخة ومقاومة، فإن الإضرار بالبنية الفوقية يمكن إصلاحه. ولذلك يجب على القادة في كل مجال أن يعرفوا الأهداف النبيلة التي يعملون لها، ثم معرفة ما يدخل في القواعد أي البنية التحتية، وما يدخل في البناء الفوقي. مثال ذلك المشاركة السياسية، فإن البنية التحتية هي الحرية السياسية (أي حرية المنافسة الآمنة) وتكافؤ الفرص والأنظمة الانتخابية العادلة واستقلالية المؤسسات الأمنية، والقوانين التي تؤدي إلى تبصير الناخبين وحمائيتهم من التضليل ومن شراء الذمم ومن الفساد الوظيفي؛ يوضح العبارة الأخيرة أن حرية التعبير يجب أن تنمو من حرية التفكير، غير أن حرية التعبير السياسي عند جملة من الناس وربما أكثرهم ليس لها جذور فكرية سليمة، ولكن تُحَرِّجُها المنافع الخاصة والميول العاطفية، وقد تسيطر عليها عمليات التضليل. وأما البنية الفوقية فهي تحديد الدوائر الانتخابية وإعداد المراكز الانتخابية والتوقيتات وإجراء الانتخابات ووسائل الفرز، وشبه ذلك من المتطلبات التنفيذية التي تفقد من قيمتها إذا كانت البنية التحتية ناقصة، وهكذا الحال في سائر الشؤون المهمة.

فلا شك أن بداية الإنشاء يجب أن تكون بالقواعد، مع عمليات مستمرة للتقوية والتحصين من النخر والإختراق. ولأهمية القواعد صارت هدفاً متبادلاً بين الأعداء، كل طرف يحاول نخر او تدمير البنية التحتية للطرف الآخر. فعلى المسؤولين عن عمل او هدف معين سواء كان في الدعوة او الإعلام او السياسة او الدفاع او غيرها، عليهم أن يفكروا جيداً للتمييز بين القواعد والبناء الفوقي، وذلك أن البناء الفوقي يسهل نقضه إذا

كانت القواعد رخوة او غير موجودة. وأشد من ذلك من يتخذ بناءً فوقياً مؤسساً على قواعد عدوه، فيمكن للعدو أن يدمره متى شاء.

ويتصل بذلك، قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَتَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩، فتدبر عبارة ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾، فإن السوق جمع ساق أي قام معتدلاً على الأعمدة (البنى التحتية) التي تمتد منها الفروع أي البنى الفوقية. وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآية في مبحث التدرج من (المنطلق).

وينبغي لكل ذلك مكافحة عوامل الإنحدار وهي في مهدها، أي قبل أن تصبح نقطة تحول.

وينبغي التذكُّر بأن مصدر كثير من أعمال الهدم الداخلي هو عمليات التحريك الخارجي، وتحتاج إلى مهارة فائقة في عمليات الرصد والمكافحة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في (وجهة اللواء/ المبحث الخامس: الحرب غير العسكرية).

**ومنها:** إعداد نقاط تحول راسخة تمتد إلى المستقبل، وكذلك رصد عوامل الإنحدار في مهدها ومنعها من التفاقم إلى نقاط تحول إلى الإنحدار.

نقطة التحول هي القضية او مجموع القضايا التي تؤدي إلى ظهور مسار جديد او إلى تأثير كبير في المسار القائم. وقد يكون التحول في مسار إنسان او جماعة او مؤسسة او دولة او دول متعددة بصورة متزامنة، وكذلك يمكن أن يكون التحول إيجابياً او سلبياً. وتوجد أمثلة كثيرة:

**فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: حِينَ أَجَلَى الْأَخْزَابَ عَنْهُ: «الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»** رواه البخاري وأحمد وغيرهما. ومعنى الحديث: من الآن فصاعداً نحن نغزوهم ولا يغزوننا، أي اصبحوا في حال الدفاع



المحض وهو حال ضعيف، لأن الدفاع القوي هو الذي يقترن بالقدرة على الهجوم. ويمكن أن يكون الحديث رؤية تحليلية من النبي ﷺ، ولكنها مُسددة بالوحي. وكانت نقطة التحول تلك في يوم تراجع أحزاب المشركين في معركة الخندق، غير أنها كانت نتيجة سلسلة من الأحداث التي ابتدأت بتشكيل دولة الإسلام في المدينة ثم معركة بدر وما بعدها إلى يوم الخندق. وواضح أن نقطة التحول تلك تضمنت أمرين مقترنين، الأمر الأول: استمرار صعود المسلمين عقيدياً ومعنوياً ومادياً، وواضح أن إطالة الإمتداد المستقبلي الصالح يعتمد على إدامة وتطوير المسار. الأمر الثاني: استمرار الإنحدار المعنوي والفكري للعدو. وبنه ذلك إلى أن الإنحدار المعنوي (القيَم والأخلاق) ليس فيه مسار للعودة إلى الأعلى إلا بالعودة إلى منظومة معنوية صالحة، فلا عودة مع غياب هذه المنظومة، بل هو إنحدار متواصل او متدرج إلى الهاوية.

**وقال تعالى:** ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٦٦، فتدبر عبارة ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ...﴾، فلا شك أنها نقطة تحول، غير أن التحول هنا هو تراجع في درجة التفوق، كما أن كلمة «الآن» تنبه إلى أن الحكم المتعلق بها يمكن أن يكون حكماً ظرفياً خاصاً بأحوال معينة. وفي حال غياب التفوق المادي فإن نقطة التحول يمكن أن تكون تراجعاً ظرفياً عن المواجهة العسكرية كما كان الحال في العهد المكي. وينبغي في غياب التفوق المادي الحذر الشديد من الإستدراج إلى نقطة تحول إلى التهلكة، وقد بينا ذلك في (وجهة اللواء). ونذكر بظاهرة «تأثير الفراشة»، مختصرها أن شيئاً صغيراً قد يُحدث تأثيراً كبيراً، وأن فقدان شيء صغير قد يؤدي إلى فقدان شيء كبير. ومن الأمثال المشهورة: «القشة التي قصمت ظهر البعير»، معنى ذلك أنك إذا حملت شيئاً طاقته القصوى فإنه ينهار عند أدنى زيادة في الحمل، فهي

نقطة تحول إلى التهلكة. ولذلك كان تعريف «الوسع» أنه دُوِين الطاقة كما بينا في (المنطلق). بل ينبغي في بعض أحوال الخطورة العالية التي تستلزم قُدْرَات احتياطية كبيرة، أن يكون الوسع أقل بكثير من مجموع الطاقة.

**وقال تعالى:** ﴿..... إِنَّ كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْأَجْمَعِينَ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال: ٤١، يوم الفرقان هو يوم بدر كما تشير الآيات التي بعدها، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما. والفرقان في سياق الجهاد هو الحدث الذي فَرَّقَ الله به بين المحق والمبطل وبين المنتصر والمهزوم. ولا شك أن نصر بدر كان نقطة تحول من جماعة حديثة العهد بإدارة الدولة وبالتعامل مع الصراع الدولي إلى قوة فاعلة ويجب أن يُحسب لها كل حساب، ويجب عليها أن تؤهل نفسها لإدارة العلاقات الخارجية.

**وقال تعالى:** ﴿الَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسِفُونَ﴾ الحديد: ١٦، يُقال: أنى الأمر أي حان وقته، ويُقال: أما آن لك أن تفعل؟ فالمعنى: ألم يحن او يقرب الوقت للذين آمنوا أن تخشع... الخ. وعن ابن مسعود، قال: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللّٰهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ﴾ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ» رواه مسلم. يُفهم من آية الحديد أنها تطالب المؤمنين حينذاك بنقطة تحول إلى مرتبة «الخشوع»، التي ينبغي أنهم قد أعدوا لها خلال السنوات الماضية. وتدل الآية على أن بناء النفس يحتاج إلى تدرج كي يمتد إلى المستقبل. وهذا مثال مهم، غير أن المؤمنين مطالبون بالتخطيط لإعداد نقاط تحول مستقبلية تخدم مسار تنفيذ الواجبات العامة.

ويجتمل نحو هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۗ ﴾ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۗ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿ ١٨ ﴾ النازعات: ١٧ - ١٩، التزكية في العربية هي التنمية بالخير، يُقال: زكا الزرع إذا حصل منه نمو وبركة، وأرض زكية طيبة منتجة، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاءً، يؤكد ذلك أن نقيض التزكية هو التدسية، أي تقليل الشأن والإخفاء، كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿ ٩ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ ١٠ ﴾ ﴾ الشمس: ٩ - ١٠. ولما كانت «النفس» تُطلق على الروح، وتُطلق كذلك على جملة الإنسان الحي، فإن تزكية النفس تشمل تزكية القلب وتزكية الحال. وقال أبو حيان: وَتَزَكَّى: تتحلَّى بالفضائل وتتطهر من الرذائل، والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى. اهـ من (البحر المحيط). وتدبر الفرق بين قولك: هل لك في أن تزكى، وقوله تعالى ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۗ ﴾، فإن أداة الغاية «إلى» تُستعمل في الغاية الوشيقة والقريبة والمتوسطة والبعيدة، فتنبه الآية إلى أن طريق التزكية طريق متدرج بضوابط شرعية ولكن يجب اجتناب التسوييف فيه. وقد ذهبت طائفة إلى جعل «إلى» مرتبطة بمضمون مقدر او محذوف تُستعمل معه «إلى»، وكأنه لا فرق بين: «إلى أن تزكى» و«في أن تزكى». وذلك كالكقول بأنه لما كان المعنى دعوة فرعون جاز استعمال أداة الغاية لأنها تُستعمل مع مشتقاة الدعوة، ويكون المعنى: هل أدعوك إلى أن تزكى، ونقل ابن عادل هذا الرأي عن أبي البقاء رحمهما الله تعالى، وأراه تكلفاً، والله تعالى أعلم.

**وتقدم حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »** رواه البخاري وأحمد والبخاري. ورواه الطبراني من طريق بلال بن الحارث، عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُلْقِي الْكَلِمَةَ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، فَيَكْتَبُ بِهَا مِنْ أَهْلِ رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُلْقِي

الْكَلِمَةَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يُلْقَى لَهَا بَالًا فَيُكْتَبُ بِهَا مِنْ أَهْلِ سَخَطِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»، من (المعجم الأوسط والصغير). فلا شك أن الكلمة التي تؤدي إلى عاقبة كبيرة جداً، لاشك أنها نقطة تحول كبيرة إلى درجة عالية في الجنة أو إلى النار.

وقد تكون عاقبة الكلمة تابعة لحسنها أو لخبثها، ففي حسن الكلمة قال تعالى ﴿... يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ المائدة: ٨٣ - ٨٥. وفي خبث الكلمة قال تعالى ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِقَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ التوبة: ٧٧.

وقد تكون عاقبة الكلمة تابعة لطول وصلاح أثرها، فقد قال تعالى ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) تَوْتِيَ أكلها كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥. وفي العموم في الآثار المستقبلية الصالحة والفسادة، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يس: ١٢.

فالمطلوب في التفكير الإستراتيجي، التفكير بعناية وبدون ارتجال لرسم أهداف مستقبلية كبيرة، بل أكبر بكثير من طاقتنا اليوم، ثم نفكر: ما هي الأعمال التي تمتد تدريجياً إلى الهدف المستقبلي، المباشرة منها وغير المباشرة، وما هي متطلباتها اليوم ومستقبلاً وما تحتاجه من تنمية المهارات والقدرات؟ وفي الطريق إلى الهدف، نُعِدُّ نقاط تحول تقربنا إلى الهدف الكبير وتُبْعِدُ العوائق. ونُصَابِرُ حتى يصير الهدف ضمن قدراتنا.

ونُذِّرُ مرةً أُخرى بأن نقطة التحول الكبير ليست الحدث الحاسم وحده، ولكنها الحدث مع ما سبقه من سلسلة الأحداث المتتابعة أو المترامنة. ويقترن كل ذلك بعمليات الرصد والمكافحة لنقاط التحول التي يعمل العدو لأجلها، وغايته في هدم المجتمع والنمو.

وفي الغالب، تكون نقطة التحول نتيجة لمسار من العمل الجاد أو نتيجة لعدد من العمليات المؤثرة. والإعداد لهذا المسار قد يحتاج إلى خبرات متعاونة. وبالجملة فإن وسائل بلوغ نقطة تحول حسنة تشمل:

- استمرار أو تكرار عمليات ناجحة لتقوية الخير وتوهين الشر، لبلوغ نقطة تحول أو عملية حاسمة، تؤدي إلى انهيار الشر وإلى هيمنة الخير.
- مهارات تحويل التصرف الصالح إلى ثقافة عامة.
- ملئ الفراغات التي يدخل منها الشر، لمنع الشر من إنشاء مسارات مضادة.
- ممارسة وظيفة الصياد الماهر، الذي لا ينتظر أن تظهر مشكلة أو خرق للأداء، لأن ظهور الخرق في العلن يعني في كثير من الأحيان وجود خروق عديدة لم تظهر على السطح. فالصياد الماهر يلاحق الخروق ويراها وهي كامنة كي يتعامل معها، فبعض الخروق تُعالج برفق وهي كامنة. وأما الخروق الخبيثة فقد تُنصب لها كمائن كي تظهر على حقيقتها. وتدبر قوله تعالى ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ ص: ٢٠، ومن خصائص الملك المُشْتَدّ سلامته من الخروق. وقد ذكرنا وظيفة الصياد وغيره في (نخبة المسار)، وسيأتي بيانها باختصار إن شاء الله تعالى.
- رصد الفرص الصالحة وحُسن استثمارها، فإن الفرص تقلل المسافات وتيسر بلوغ الغاية، وتُفَوِّت على العدو عمليات الإعاقة.
- مكافحة أسباب التراجع والإنحطاط، وقد ذكرنا جملة منها في كتبنا.

**ومنها:** الحسنات المتعدية عبر الأجيال. ذكر الإمام ابن عبد السلام رحمه الله «الحسنات المتعدية» وهي التي يمتد أثرها إلى الآخرين. وأما الحسنات القاصرة فهي التي يقتصر أثرها على فاعلها.

يوضح الأمر قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥. في الآية الكريمة تمثيل لشجرة الكلمة الطيبة. فتدبر عبارة: ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾، فإنها كناية عن نمو في غاية الإمتداد إلى الأعلى، فإن السماء سقف كل شيء وكل بيت، كما في (العين) و(تهذيب اللغة) وغيرهما؛ والسماء كل عالٍ مُطَلٌّ كما في (مقاييس اللغة). وسقف الشجرة هي السماء الدنيا، وأما السحاب فهو سقف غير ثابت فلا يُحْمَلُ عليه. وينبه ذلك إلى أن نمو هذه الشجرة يمتد عبر زمن طويل وربما عبر الأجيال. يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، فإن الحين في العربية هو الوقت والقطعة من الزمان، طالت أو قصرت، كما ذكر ابن فارس في (مقاييس اللغة) وبينه الأزهري في (تهذيب اللغة)، ونقل الأزهري عن الزجاج أنه قال: اختلف العلماء في تفسير الحين، فقال بعضهم: كل سنة، وقال قوم: ستة أشهر، وقال قوم: غدوة وعشيّة، وقال آخرون: الحين شهران، قال: وجميع من شاهدناه من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت. قال: والمعنى في قوله: ﴿ تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾، أنه يُنْتَفَعُ بها في كل وقتٍ لا يَنْقَطِعُ نَفْعُهَا البتّة، قال: والدليل على أن الحين بِمَنْزِلَةِ الْوَقْتِ قولُ النَّابِغَةِ وأنشدته الأصمعي: (تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا .... تُطَلِّقُهُ حِينًا وَحِينًا تَرَاوَعُ)، المعنى أن السَّمَّ يَحْفُ أله وقتاً ويعود وقتاً. اهـ. وأما كلمة: ﴿ أُكْلَهَا ﴾، الأكل هو الثمر أو المُنتَج المادي والمعنوي. فقد قال أبو إبراهيم

الفارابي: الأكل: المأكول، والأكل: ثمر النخل والشجر، ويُقال: رَجُلٌ ذُو أُكُلٍ: إذا كان ذا رأي، وثوبٌ ذُو أُكُلٍ: إذا كان صَفِيحاً. ويقال ظلُّ مالي يُوَكِّلُ ويشرب، أي يَرعى كيف شاء. ويقال: أَكَلْتَنِي ما لم أكل، أي ادَّعَيْتَهُ عَلَيَّ. تَأَكَّلَتِ الأبطالُ في الحَرْبِ، أي: أَكَلَتْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. اهـ من مواضع متفرقة من (ديوان الأدب). وفي مادة «بِخَع» قال الأزهري: وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ عُمَرَ فَقَالَتْ: «بِخَعِ الأَرْضَ ففَاءتْ أَكَلَهَا»، أي اسْتَخْرَجَ ما فِيهَا مِنَ الكُنُوزِ وَأموالِ المُلُوكِ. اهـ من (تهذيب اللغة). فالأكل هو الثمر أو المنتج الصالح للإستعمال، سواء كان طعاماً أو غيره، فقد قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥، وقال تعالى ﴿ ... حَتَّىٰ يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ آل عمران: ١٨٣ .

فلما كانت الشجرة في آية سورة إبراهيم ممتدة إلى السماء وكانت تؤتي أكلها كل وقت بإذن ربها، فهي شجرة باقية بعد صاحبها، وحسناتها متعددة إلى الآخرين جيلاً بعد جيل.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ الكهف: ٤٦، فتدبر معنى «الباقيات»، فأفضل الحسنات هي أوسعها أثراً وأطولها بقاءً. فهذا ما ينبغي للمؤمن العامل أن يفكر فيه ويبحث عن طرق لفعله في مجالات الحياة، كالأمور الإجتماعية او السياسية او القانونية او غيرها.

ومن أعظم الإمتداد عبر الأجيال ومما تشمله الباقيات الصالحات هو الإهتمام بالأجيال القادمة. قال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ مريم: ٥٩، فلا شك أن من أهم أسباب الخلف السيء هو إهمال الآباء والأمهات والمؤسسات التعليمية والمنابر الثقافية والإعلامية. وقال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿١٨﴾ الحشر: ١٨، تقدم في تفسير الآية أن الغد هو كناية عن المستقبل، فعلى كل مؤمن أن ينظر ما قدم للمستقبل ومنه تأهيل الجيل الجديد. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُتِلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُتِلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُتِلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُتِلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه مسلم والبخاري وأحمد وأبو داود والترمذي.

**ومنها:** الآثار المتراكمة او المتزايدة، فإن كثيراً من المنافع والمضار تقبل التراكم والإمتداد البطيء، فلا يظهر أثرها إلا بعد زمن. مثال المنافع، التغذية الجيدة وأثرها في التقليل من الإصابة ببعض الأمراض، ومثال المضار التدخين (السجائر) وأثرها في التسبب بأمراض الرئة وغيرها، وقد لا تظهر هذه الأمراض إلا بعد سنين طويلة من التدخين.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ بَوَجْهِ طَلْقٍ» رواه مسلم وغيره. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط. وعن سهل ابن سعد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْصَجُوا خُبْرَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ.» رواه الإمام أحمد وصححه الألباني. وفي المثل: تكون النار من مُستصغر الشرر.

ومن روائع كلام السلف، قول بعضهم: إن من ثواب الحسنة الحسنه بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها. قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾



محمد: ١٧، وقال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ البقرة: ١٠. فلا بد من سياسة ملء المجتمع بالحسنات على تفاوت درجاتها، وكذلك مكافحة السيئات صغيرها وكبيرها، فرب حسنة في عائلة تنتج بطلاً يقود الأمة. ولا ريب أن جملة كبيرة من حسنات المجتمع تمتد إلى الجيل القادم وعبر الأجيال.

وينبغي التذكير بأن الأولويات العالية يجب أن تأخذ نصيبها من الإهتمام، فلا يصح أن نقصر فيها بسبب الإشتغال بغيرها، وقد بينا سبيل ذلك في الكلام عن «الأولويات» في (نخبة المسار).

وبقي التنبيه إلى أن بناء الوعي والمهارات الفكرية والتحلي بأخلاق البناء والتفوق، يُعدُّ من ضروريات النهوض وتحقيق الأولويات.

**ومنها:** مكافحة الركود، أو تأسيس المغالبة والتحسين المستمر. فإن الركود معناه البقاء في القعر والسماح للآخرين بأن يصيروا فوقك. ولا يختار الإنسان الركود إلا إذا كان خاملاً جداً أو كان غارقاً في الملاهي والشهوات فلا تخطر على باله الإلتزامات الضرورية. ولذلك قيل إن الفكر الراكد كالماء الراكد، مُعرض للآفات. ونصوص القرآن متظاهرة في بيان هذا الأصل.

ويجب أن تكون الرؤية المستقبلية ممارسة واسعة وهادفة، لأن التغيرات في العالم أصبحت كثيرة جداً وسريعة جداً، ولن يلحقها من لا يمسح العالم في تطوراته، ولا من لا يمارس المغالبة والإستشراف بصورة مستمرة.

فمن مكافحة الركود **قوله تعالى:** ﴿ إِنْكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١، وقد تقدم تفسير الآية تحت عنوان: «الإستشراف المستقبلي».

ومن التحذير من أسباب الركود، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٥، فمن فوائد الآية: (الفائدة الأولى): مقدمة تفسيرية. السيئة هنا الشدة وما شابه فإن السيئة تستعمل في كل ما يسوء صاحبه، والحسنة هنا الرخاء وتحصيل الرغبات المباحة فإن الشئ الحسن هو المبهج المرغوب فيه من المباحات. وتدبر عبارة ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾، فإن الأصل أو الغالب في استعمال «عفا» أنه بمعنى الترك أو المحو أو الإزالة. قال ابن الأثير: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الْعَفْوُ» هُوَ فَعُولٌ، مِنْ الْعَفْوِ وَهُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: عَفَتِ الرِّيحُ الْأَثْرَ، إِذَا طَمَسَتْهُ وَحَتَّتَهُ. فالعفو: محو الذنوب. اهـ من (النهاية). وكذلك ذهب ابن فارس وابن منظور أن أصل هذا اللفظ المحو والطمس. يُقال: هذه أَرْضٌ عَفْوٌ: ليس فيها أثر فلم تُرْعَ. وطعامٌ عَفْوٌ: لم يَمَسَّهُ قبلك أحد. وعفت الرِّيحُ الْأَثَارَ إِذَا درستها ومحتها. وَعَافَاهُ اللَّهُ مَحَا عَنْهُ الْأَسْقَامَ، وَالْعَافِيَةَ اسْمٌ مِنْهُ. وقد تدل كلمة «عفا» على نوع من الكثرة، غير أنها في الغالب كثرة بسبب الترك أو المحو؛ قال ابن فارس: وَقَوْلُ الْقَائِلِ: عَفَا، دَرَسَ، وَعَفَا: كَثُرَ - وَهُوَ مِنَ الْأَصْدَادِ - لَيْسَ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا الْمَعْنَى مَا ذَكَرْنَا، فَإِذَا تَرَكَ وَلَمْ يَتَعَهَّدْ حَتَّىٰ خَفِيَ عَلَىٰ مَرِّ الدَّهْرِ فَقَدْ عَفَا، وَإِذَا تَرَكَ فَلَمْ يُقَطَّعْ وَلَمْ يُجْزَ فَقَدْ عَفَا. وَالْأَصْلُ فِيهِ كَلِمَةُ التَّرْكِ كَمَا ذَكَرْنَا. يُقَالُ نَاقَةٌ ذَاتُ عَفَاءٍ، أَي كَثِيرَةُ الْوَبْرِ طَوِيلَتُهُ. وَسُمِّيَ عِفَاءً لِأَنَّهُ تَرَكَ مِنَ الْمُرْطِ وَالْجُرِّ. وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ كُلُّهُمْ: يُقَالُ مِنَ الشَّعْرِ عَفَوْتُهُ وَعَفَيْتُهُ، وَذَلِكَ إِذَا تَرَكَتَهُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ وَيَطُولَ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). وقال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ ﴾ البقرة: ٢١٩، «العفو» هنا هو ما كان تركه أسهل عليهم، وأما من زعم أنه أفضل المال وأجوده فقد أخطأ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ في حكم الزكاة: « وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ » رواه الإمام البخاري وابن حبان والدارقطني وغيرهم. (الفائدة الثانية):

واضح أن عبارة «عفوا» في سياق الآية هي ما آلت إليه الأمور بعد حصول الحسنة، غير أن هذا المآل كان سبباً في أخذهم بغتة، فلا شك أن كثرة الحسنات الدنيوية اقترنت بمعايب كبيرة يستلزمها أو تتضمنها عبارة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾. فالأقرب والله تعالى أعلم، أنه لما كان أصل العفو هو الترك والتجاوز واستسهال الأمور، فإن معنى عبارة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾، أن كثرة الإنغماس في التنعم بالمباحات جعلهم يتركون تدابير آبائهم في مواجهة السراء والضراء، ويتركون التحسين والمغالبة ومكافحة الركود والإعداد للمستقبل إن جاءهم ما أصاب آباءهم من قبل، فالعفوية غلبت التدبير والتخطيط في سلوكهم، فكانت العاقبة: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. وهذا قريب من قوله تعالى ﴿فُلِّلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ ١٠ الذين هم في عمرة ساهوت ﴿الذاريات: ١٠ - ١١﴾، يُقال: ماء غمر أي كثير مغرق، وقد غمره الماء يغمره أي علاه، فهؤلاء قد غمرتهم الملذات والملاهي فأنستهم الحق، وأولئك في آية الأعراف انغمسوا في الملذات والمحاسن الدنيوية حتى عفوا، أي تركوا متاعب التفكير بالحذر والإعداد والوقاية، فصارت تصرفاتهم تلقائية ومبنية على استسهال الأمور. وذلك أن فترة السلم والرخاء قد تُشغل الناس بالإنغماس في اللذات والملاهي، بل باختراع وسائل جديدة لزيادة اللذة والراحة، وقد تُترك وتُهمل أخلاق المجد والقوة كالتمنية والإعداد والمغالبة والحذر والتأهب ونحوها. وذلك أن العفوية أخت المجازفة والتشتيت وهي نقيض التخطيط والإعداد والتدبير، لأن أي عمل مركب من أجزاء ويتعلق بحال أو وقت أو غير ذلك فإنك إذا فعلته بعفوية فإنك تجازف بتشتيت الترتيب في تركيبه وبفصله عن متعلقاته. وتوجد تفاصيل أخرى مهمة ذكرناها في تفسير الآية في (المنطلق).

وقريب من ذلك أي مكافحة أسباب الركود، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا

هُم مُّبْلِسُونَ ﴿ الأنعام: ٤٤، أي فلما تركوا ما ذُكِّروا به فتح الله تعالى عليهم خيرات الدنيا حتى إذا فرحوا بها طانين أنها تكفيهم للبقاء أي الإمتداد إلى المستقبل، أخذهم الله بغتة لأن الإسراف في الرخاء يُنسي متطلبات البقاء والإمتداد.

وقريب من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ الإسراء: ١٦، أي أمرناهم بالطاعة ففسقوا بالعصيان، وإنما يكون ذلك حين ينتشر فسق المترفين ويمتد في القرية، أي حين يكون المترفون هم القادة أو هم أصحاب النفوذ ولا رادع لهم من القادة. يؤيد ذلك قول الإمام القرطبي: قَرَأَ أَبُو عُمَيْرٍ النَّهْدِيُّ وَأَبُو رَجَاءٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: «أَمَرْنَا» بِالتَّشْدِيدِ (أي بتشديد الميم)، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَي سَلَطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ. اهـ من (تفسير القرطبي). والترف ليس مرادفاً للغنى، فإن الترف هو التوسع في التمتع المادي، إذا كانت لذة أو شهوة هذا التمتع هي التي تسوق الإنسان في مجمل تصرفاته.

وفي ذلك تنبيه إلى أن الترف في النعم يسوق إلى الفسق والإجرام، فإنها عاقبة جعل القيادة للهوى والشهوة؛ وقد قال تعالى ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٢٧؛ وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ سبأ: ٣٤. وأما تدميرهم كما في آية الإسراء فيمكن أن يكون بإضلالهم عن متطلبات البقاء والإمتداد.

وفي تأسيس المغالبة والتحسين المستمر، أي نقيض الركود، قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْدِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠، وقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ البقرة: ١٤٨، وقوله

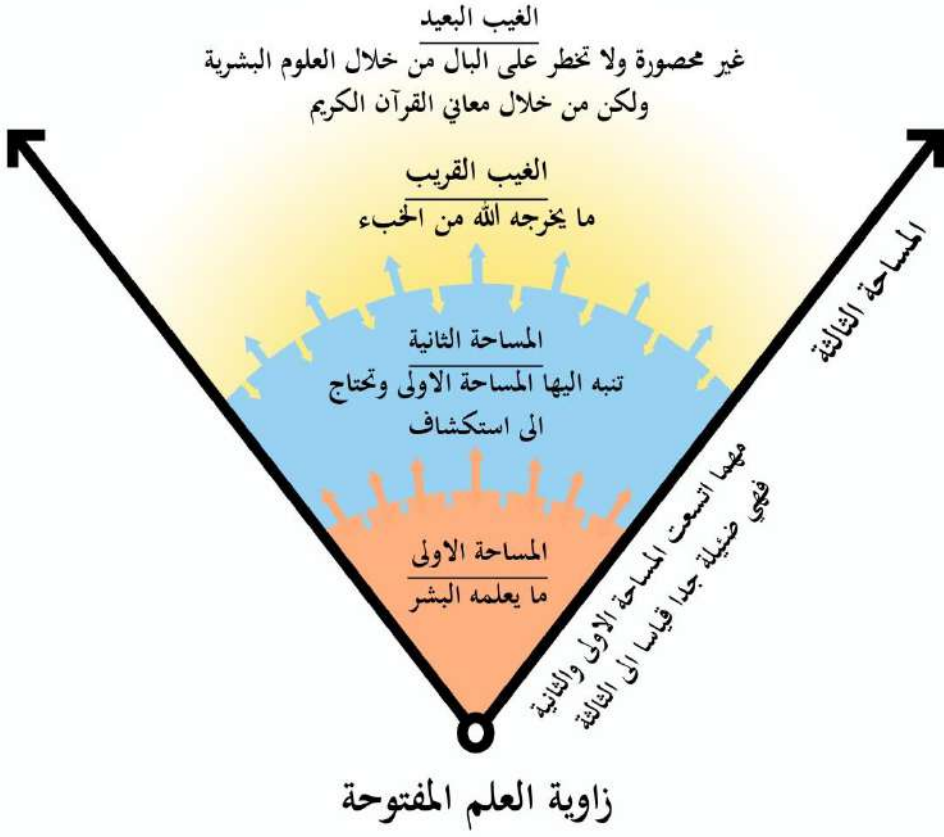
تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الملك: ٢. وقد سبق تفسير هذه الآيات في الكلام عن «التركيز»، وذكرناه بمزيد من التفصيل في (المنطلق).

**ومنها:** جودة توقع صورة تفصيلية احتمالية للمستقبل الممتد من الماضي. وهذا جوهر رسم الأهداف المستقبلية الناجحة والتخطيط لتحقيقها. وقد سبق بيان ذلك في المبحث الثالث (الفائدة الثانية من تفسير آية الدخول إلى البيوت).

## مساحات العلم:

قال تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥، فمهما بلغ البشر في العلم فهو في غاية القلة بالقياس إلى المكنون في كتاب الله تعالى وفي الكون. وتدبر أيضاً ذم من ينكر كل جديد، كما ينبه إليه نحو قوله تعالى ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَى إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ ص: ٧.

ويمكن إيضاح تطور العلم والإزدياد منه عبر الأزمان، برسم مساحات متتابعة، يحصل بينها نوع من التداخل:



فيمكن التمثيل لمساحات العلم بزواوية ممتدة الذراعين إلى الأعلى (مثلث مفتوح)،  
**(فالمساحة الأولى):** هي مساحة صغيرة في أسفل الزاوية وتمثل ما يعلمه البشر.  
ويوجد فوقها: **(المساحة الثانية):** هي أكبر منها بكثير ولكنها محدودة جداً أيضاً، وهي  
تمثل ما يمكن أن يمتلك البشر بعض المؤشرات إليه ولكنهم يجهلون التفاصيل والحقائق،  
أي هي المساحة التي نجهل تفاصيلها ولكن يمكن أن نكتشف من المساحة الأولى ما يمتد  
إلى المساحة الثانية. وما نكتشفه من المساحة الثانية إنما هو امتداد من الأولى ويُحسب عليها،  
وبذلك تتسع المساحة الأولى تدريجياً. وأيضاً، فإن ما نكتشفه من المساحة الثانية فإن له

امتداداً إلى الجزء القريب من المساحة الثالثة، ويمكن اكتشاف هذا الإمتداد بصورة مجملة كي يصبح جزءاً من المساحة الثانية. وبتعبير آخر، فإن المساحة الثانية غيب إلا حين يمتد إليها بعض ما نعلمه في المساحة الأولى فينزل به إلى الأولى، ويحل محله في الثانية ما يتصل به من أسفل المساحة الثالثة. وهكذا تتسع تدريجياً المساحتان الأولى والثانية، ومن غير أن يظهر أي نقص في الثالثة لأنها في غاية الإتساع. **(المساحة الثالثة)**: فوق المساحة الثانية وممتدة إلى بُعد غير منظور من قِبَل البشر فهي كبيرة جداً. وبصورة إجمالية، فإن لهذه المساحة طبقتين، **الطبقة الأولى**: هي أسفل المساحة الثالثة أي الطبقة المحدودة الملاصقة للمساحة الثانية. والشواهد القطعية في البحوث والإستكشاف متظاهرة على أنك حين تكتشف شيئاً جديداً كان كامناً في المساحة الثانية، فإنك ترى في مسار الإكتشاف مجاهل كثيرة تحتاج إلى استكشاف، وبعض هذه المجاهيل لها امتداد إلى أسفل المساحة الثالثة، أي إلى الطبقة الملاصقة للمساحة الثانية. معنى ذلك أن المساحة الثانية والطبقة الأولى من الثالثة تتضمن ما يخرج الله من الحُبء ويمكن البحث لإلتقاطه، ويمكن تسميته بـ: «الغيب القريب» الذي يمكن اكتشافه بدراسة ما يمتد إليه من المساحتين تحته. وقد استعمل ابن عاشور عبارة «أُمُورُ الشَّهَادَةِ الغَامِضَةِ»، قال ابن عاشور: «ومفاتيح الغيب جَمْعُ مضاف يعمُّ كلَّ المغيَّبات، لأنَّ علمها كلُّها خاصٌّ به تعالى، وأمَّا الأمور التي لها أمارات مثل أمارات الأنواء وعلامات الأمراض عند الطبيب فتلك ليست من الغيب بل من أمور الشهادة الغامضة. وغموضها متفاوت والناس في التوصل إليها متفاوتون ومعرفتهم بها من قبيل الظنِّ لا من قبيل اليقين فلا تسمَّى علماً» اهـ من (تفسير ابن عاشور/ الأنعام ٥٩). **الطبقة الثانية**: هي المساحة الكبرى فوق الطبقة الأولى والممتدة إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا نمتلك من المعطيات البشرية ما يُمكننا من الدخول للإستكشاف في هذه الطبقة، ولكن يمكن عن طريق معاني القرآن الكريم أن ندخل فيها لغرض الإستكشاف. وبعبارة أُخرى، فإن المعطيات الإلهية، أي الآيات والأحاديث،

تتضمن نقاط إنطلاق إلى المساحات كلها وتفتح باب التفوق في كل مجال، ينبه إلى ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ النمل: ٤٠. ويجري على هذا المعنى تفسير بعض السلف لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ الرعد: ٣١، فعلى تقدير أن «لو» في الآية شرطية فإن جوابها محذوف، فيحتمل أن يكون التقدير: ولو أن قرآنًا فعل به ذلك لكان هذا القرآن، ويمكن أيضاً أن تكون «لو» هنا للعرض، وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآية في (وجهة اللواء). وواضح أن الذي لا يمارس عمليات التغيير ولا يندفع إلى الأعلى في هذه المساحات، فإنه يبقى في قعر زاوية العلم ويندفع الآخرون فوقه. ولذلك قالوا إن على العالم أن يحافظ على صفة التلميذ ويحافظ كذلك على روح المغالبة. وواضح أن التحول بين المساحات يكون بحسب ما يكتشفه البشر من الإمتدادات القريبة. وأما من يريد أن يدخل الغيب من مكان بعيد، فقد قال تعالى ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سبأ: ٥٣ - ٥٤، هذا حكم الإجتهد البشري المحض. وأما معاني القرآن الكريم فيمكن أن تدخل المساحات كلها وتحدث تَفَوْفًا نوعياً.

يوضح الحركة بين المساحات أنه حين يكتشف علماء الطبيعة ونحوهم شيئاً معيناً في الطب وغيره، فإن مسار الإكتشاف يدهم على مجاهل كثيرة جداً هي في حكم الغيب القريب، بعضها يبدو متفرعاً من المسار، وبعضها يمتد إلى الأعلى. وبعبارة مختصرة أن كل اكتشاف كبير تتصل به أسئلة كثيرة لا يُعرف الجواب عنها. ولذلك يذهب الباحثون إلى



أن نهاية البحث الإستكشافي الجيد ليست مغلقة، بل محاطة بالمجاهل التي يمكن الإجتهد في استكشافها.

ومن المهم في مساحات العلم، هو التسارع الشديد في التوسع العلمي خلال العقود الماضية. وقد ذكرنا أن الإكتشاف الجديد ينبه إلى مجاهل كثيرة يمكن الإجتهد في استكشافها مما يؤدي إلى مضاعفات كثيرة في التوسع. وقد أدى ذلك إلى زيادة كبيرة جداً في المساحتين الأولى والثانية. ويقتضى هذا التسارع أمرين، الأمر الأول: أن تكون مهارات الرؤية المستقبلية منهجاً راسخاً في كل مؤسسة وأن تكون في متناول كل متعلم وكأنها أدب شعبي. الأمر الثاني: لما كانت المغالبة والمنافسة منهجاً ضرورياً للمحافظة على الذات واجتناب التراجع، فإن تسارع عمليات التغيير والتطوير توجب أن تتضمن المغالبة مسحاً عالمياً لمعرفة أين وصل الآخرون؟ وبخلاف هذين الأمرين فإن النتيجة هي الإنحطاط وتنمية التخلف.

## مفاتيح الغيب:

قال تبارك وتعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ الأنعام: ٥٩. قال الأزهري: وَيُقَالُ لِلَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمَغْلَاقُ مِفْتَاحُ بَكْسَرِ الْمَيْمِ وَمِفْتَاحُ وَجْمَعُهَا مَفَاتِيحُ وَمِفَاتِيحُ، وَهَذَا قَوْلُ النَّحْوِيِّينَ. اهـ من (تهذيب اللغة). وقال ابن سيده: والمِفْتَحُ والمِفْتَاحُ: مَا فُتِحَ بِهِ الشَّيْءُ. اهـ من (المحكم). وقال ابن فارس: الْفَاءُ وَالْتَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْإِغْلَاقِ. اهـ من (معجم المقاييس).

والمفاتيح ليست محصورة بالآلات المعدنية التي تفتح الصناديق المعدنية وشبهها، بل تشمل أيضاً أفعال الإدارة والتدبير التي تفتح الصعاب وتُمكن مما كان متعذراً، وتشمل أيضاً قُدرات الله تعالى التي يدبر بها الخلق.

ومنه نحو قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤، وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦، وقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَفْنَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْتِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ الشعراء: ١١٧ - ١١٨، ويتصل به قوله تعالى ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّطَهَّرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْبَاقِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ القمر: ١١ - ١٤، وقوله تعالى ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فاطر: ٢.

وقال ابن الأثير: وفيه « أوتيت مفاتيح الكلم »، وفي رواية « مفاتيح الكلم »، هما جمع مفتاح ومفتاح، وهما في الأصل: كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني، وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت. ومن كان في يده مفاتيح شيء محزون سهل عليه الوصول إليه. ومنه الحديث « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض »، أراد ما سهل الله له ولأمته من افتتاح البلاد المتعذرات، واستخراج الكنوز الممتنعات. وفيه « أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين »

أَيَّ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾  
 الأنفال: ١٩. اهـ من (النهاية في غريب الحديث).

وعلى ذلك فإن مشتقات «فتح» تستعمل في فتح المغاليق المادية والمعنوية، وبصرف  
 النظر عن القُدُرات والوسائل. والشواهد كثيرة في القرآن الكريم وفي العربية. فمن فتح  
 المغاليق المادية المحدودة قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ ﴾ يوسف: ٦٥، وقوله تعالى  
 ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ النور: ٦١. ومن مفاتيح القدرات والتدبير ما ذكرناه  
 من آيات. ومن مفاتيح المعاني والأعمال، مفاتيح الكلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه،  
 قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيَتْ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ الْبَارِحَةَ إِذْ  
 أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ حَتَّى وُضِعَتْ فِي يَدِي» رواه البخاري وغيره.

وعلى ذلك، فإن مفاتيح الغيب هي القُدُرات الربانية التي تتحكم في خزائن الغيب وما  
 يقتضيه ذلك من قَدَرٍ على العباد، نحو قوله تعالى ﴿ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾،  
 وسائر الآيات المذكورة قبل قليل. وهذا في المعنى، كقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا  
 عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ الحجر: ٢١.

فقوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾، ليس معناه أن الإنسان لا  
 يستطيع أن يتقرب إلى الغيب القريب أي ما يُخرجه الله من الخبء، والوصول إلى بعض  
 معانيه بالبحث، كما ذكرناه قبل قليل في مساحات العلم. ولكن المعنى أن معرفة مفاتيح  
 أي إدارة أو تدبير الغيب أو تدبير نظام عالم الغيب، ليس هو بيد البشر من قريب ولا بعيد،  
 بل هو خالص لله تعالى. وبعبارة أخرى أن الغيب ليس عالماً بلا نظام، بل هو خزائن  
 عظيمة تعمل بنظام رباني، ولذلك كان المفتاح كناية عن إدارة نظامها. ويدل عليه قوله  
 تعالى ﴿ وَلَا نُقَوْلَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ﴾ ٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا

نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤، واضح أنه يصح لك أن تقول: «سأفعل ذلك غداً» وهو غيب ولكن بشرط التعليق على مشيئة الله تعالى. ثم بعد وقوع الغيب وتحوله إلى حضور وشهادة يكون دور الإنسان في التعامل مع الأحداث. وقد نهت عبارة المعجم الإشتقاقي إلى ذلك، قال الدكتور محمد حسن حسن جبل: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾، أي عِلْمُ اللَّهِ بجميع الأمور الغيبية، واستعمار للقدرة عليها المفاتيح. اهـ من (المعجم الإشتقاقي المؤصل).

وبهذا النظر يمكن تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَايَاتُهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعُصْبِكِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ القصص: ٧٦، فالمفاتيح هنا لا يلزم أن تكون المفاتيح المعدنية التي تفتح أبواب الخشب والحديد. ولكن يمكن أن تكون الإدارة أو التدابير التي توصل إلى الحال المالي بالتفصيل، كعمليات الإستيفاء وإدارة تنمية الأموال وحسابات الربح والخسارة ومتابعة ذلك في مختلف اتجاهات العمل المالي. فإدارة تلك الأموال هي مفاتيح أموال قارون؛ وهي لكثرتها وتشعبها تُتعب عصبه قوية من خبراء الإقتصاد أو إدارة الأموال، والله تعالى أعلم.

### آية سورة الجن:

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓتُ أَقْرَبُٓ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُٓ لَهُ رَبِّيٓ أَمَدًا ۗ عَنِيمٌ ۗ الْغَيْبِٓ فَلَا يُظْهِرُٓ عَلَىٰ غَيْبِهِٓٓ أَحَدًا ۗ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مِنْ أَرْضَىٰٓ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُٓ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُٓ رَصَدًا ۗ ﴿٣٧﴾ لِيَعْلَمَٓٓ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۗ ﴿٣٨﴾ الجن: ٢٥ - ٢٨.

قوله تعالى ﴿ عَنِيمٌ الْغَيْبِٓ فَلَا يُظْهِرُٓ عَلَىٰ غَيْبِهِٓٓ أَحَدًا ۗ ﴾، كلام يفسر ما قبله من تدبير توقيت اليوم الموعود، فلا يُظهر الله على تدبيره للغيب أحداً إلا من .... وعلى تقدير

أنه استثناء متصل كما هو قول أكثر المفسرين، فقد ذهبت طائفة إلى تخصيص عبارة ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، بغيب دون غيب، كالإمام الرازي والبيضاوي والماتريدي، ويحتمله كلام آخرين؛ ويجوز في الاستثناء المتصل أن يكون فقط من بعض مضامين المستثنى منه، كقولك: تجولت في المدرسة إلا غرفة المدير. فيكون الاستثناء لجزئية محدودة من مضامين المستثنى منه.

ويوجد وجه آخر في الأعراب، قال السمين الحلبي: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَى﴾: يجوز أن يكون منقطعاً أي: لكن من ارتضاه فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه بالوحي. وقوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾، بيان للمرضين. وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُ﴾، بيان لذلك. وقيل: هو متصل. اهد من (الدر المصون). وقال ابن عادل في تفسيره (الباب) بمثل قول السمين الحلبي.

ووجه آخر في المعنى، أن معنى عبارة ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنْ رَسُولٍ ... ﴾، أن الله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً، أي لا يوحى إليهم بمضامين الغيب إلا من ارتضى من رسول؛ وأما غير الرسل فلا يوحى إليهم بالغيب ولكن عليهم استكشاف ما يُخرجه الله من الخبء (أي الغيب القريب). وذلك على نحو قوله تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ آل عمران: ١٧٩، المعنى: أن الله تعالى لا يطلع الصحابة على الغيب، أي على ضمائر المنافقين، ولكن الإختبار والإبتلاء يُظهر ما في الضمائر وينهي حالة الغيب فيها، وقد تقدم تفسير الآية.

وواضح بعد كل ذلك أنه لا تعارض بين آية مفاتيح الغيب وآية سورة الجن من جهة، وما ذكرناه من التقاط ما يُخرجه الله من الغيب القريب والعمل على استكشافه من جهة

أخرى؛ وكذلك الأمر مع اختراق معاني القرآن الكريم للغيب، فهذا كله إنما هو التقاط لمعلومة بما ييسره الله لنا من فهم القرآن ومن كشف ما يمتد إلى ما يخرج به الله من الخبء (أي من الغيب القريب)، ولا شأن له بحال من الأحوال بمفاتيح الغيب (أي بإدارة وتديير أمور الغيب)، فهذا خاص بالله تعالى؛ والله تعالى أعلم.

## الإيمان بالغيب:

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٢ - ٣ . فمن خصائص المتقين الإيمان بالغيب، أي بوجود الغيب، وهو مقادير هائلة من الأمور الخارجة عن الحضور والمشاهدة. ويشمل ذلك نوعين، (النوع الأول): ما أخبرنا الله تعالى عنه من أنباء الغيب كالجنة وجهنم وقصص الأنبياء وغير ذلك، فهذا كله يجب الإيمان بوجوده. وإن تضمن معان تكليفية فيجب الإلتزام بها وفقاً لرتبتها التكليفية. (النوع الثاني): الغيوب الكثيرة التي نجعل أمرها، فواجب المصابرة والمغالبة يوجب البحث عما يُخرج به الله من الخبء، وفقاً لما ذكرناه في مساحات العلم، والله تعالى أعلم وله الحمد الكثير.

## الإحتجاج وميزان الأفكار

### أما الحجة:

فهي الدلالة التي تُستعمل لتأييد الدعوى أو لدفع دعوى الخصم. وبعبارة أخرى، فإن الحجة هي الدليل الذي يُراد به تأييد أمر معين أو يُراد به الظفر عند الحُصومة. ولذلك قال ابن سيده: والحجة ما دوفع به الخصم، والجمع حُجج وحجاج. اهـ من (المحكم). وقال

ابن منظور: وَجَمْعُ الْحُجَّةِ: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةٌ وَحِجَاجًا: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ. وَحَجَّه يُحِجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى »، أَي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. وَاحْتَجَّ بِالشَّيْءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّةً. اهـ من (لسان العرب).

وهذا التعريف يتناول الحجة الصحيحة والفاصلة، فالحجة الصحيحة كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ﴾ الأنعام: ٨٣. والحجة الفاسدة نحو حجج المبطلين التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ الشورى: ١٦، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِيِّنَاتٍ مَا كَانُوا يَحْسَبُونَ أَن حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الجاثية: ٢٥.

والمشهور في كلام أهل العلم يوافق ما ذكرناه من تقسيم الحجج إلى صحيح وفساد، لأنه يكثر في كلامهم وصف حجة معينة بأنها صحيحة، ووصف أخرى بأنها فاسدة أو ضعيفة. وأما الاحتجاج، فهو استعمال الحجة كما ذكرناه في الاستدلال. ويظهر من ذلك أن تفسير الحجة بالبرهان خطأ وقع فيه بعض أهل العلم، وذلك لأن البرهان لا يستعمل إلا في الصحيح من الحجج. وقد ذكرنا جملة من قضايا الإحتجاج في (المنهج الفريد) وفي (تمكين الباحث).

## الحجة البالغة لله تعالى:

قال تعالى ﴿ ..... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩) الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩. حجة الله على خلقه هو القرآن أو الوحي المنزل، كما يدل عليه نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ الأنبياء: ٤٥، ولفظ «البالغة» يجمع معنيين،

**المعنى الأول:** أنها الحجة التي تبلغ أي تصل وتحقق هدفها في هداية من في قلبه إيمان وفي إقامة الحجة على الآخرين. وعلى هذا المعنى قول الطبري وغيره. **المعنى الثاني:** أنها بالغة في ذاتها أي الحجة التي بلغت غاية القوة والوضوح في الإحتجاج بها وفي تأثيرها على القلوب غير القاسية، فإن القلب القاسي هو الذي لا يتأثر بالمؤثرات القيمة، ولكن بالشهوات ونحوها. وعلى أصل هذا المعنى قول البيضاوي وغيره.

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠ .  
الذكر هنا اسم للأمر الذي ينبغي التذكر به، وتدبر الإضافة في «ذكركم»، فهو الذكر الذي قدره لكم الله الذي خلقكم ويعلم ما يناسبكم، فينبغي أن تشعروا أنه ذكركم إن كنتم تعقلون، وكأن المعنى: أفلا تعقلون أنه ذكركم؟ ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ المؤمنون: ٧١ . والله تعالى أعلم.

وقال تعالى ﴿ أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١ . فإن فيما أنزل عليهم من الكتاب كفاية لمن كانت همته الاسترشاد والإنصاف، وأما من كانت همته العناد والمكابرة فلا، كما هي عبارة الماتريدي.

وقال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦ . قال عبد الكريم الخطيب: ففي غير ميدان القتال، وفي حال السلم، قد يرى بعض المشركين أن يلتقى بالنبى ﷺ، ليعرف الدعوة الإسلامية، وليعرض على عقله وقلبه ما يدعو إليه الإسلام، وذلك حق له، يجب ألا يجرم منه.. ليكون إيمانه على علم، وفي غير إكراه.. ولهذا أمر الله سبحانه النبى الكريم أن يستجيب لدعوة من يدعوه إلى طلب الأمان في جواره، وذلك حتى يسمع كلام الله،



أي حتى يسمع ما نزل على النبي من قرآن يقرر أصول الإسلام، وأحكام شريعته، ثم إن لهذا المستأمن أن يطلب النظرة إلى الوقت الذي يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع من كلام الله، وأن يجاب إلى هذا، حتى ينقطع عذره، وتقوم عليه الحجة. اهـ من (التفسير القرآني للقرآن).

وتدبر صيغة الحصر في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٥، وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ يس: ١١، وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ النمل: ٨١.

ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَعَآيِنُهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦﴾ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ الجاثية: ٦ - ٨، فتدبر عبارة ﴿ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَعَآيِنُهُ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وتدبر الشرط الذي يستوعب الزمان والمكان ويتضمن الحصر في قوله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ سبأ: ٥٠.

وتدبر أن العلامات التي تهدي إلى الله يفهمها من في قلبه إيمان، قال تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِهًا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿الحجر: ٧٢-٧٧.

وقال تعالى ﴿..... جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ مَرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَت يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴿إبراهيم: ٩-١٠، فتدبر عبارة ﴿... أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ..﴾.

وتدبر التحديات في قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنت بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبْرِئُ بِهِء رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُل تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُرْتَبِصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُم بِهَذَا أَمْ هُم قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِء إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ..... ﴿الطور: ٢٩-٣٥.

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ الواقعة: ٦٢، أي النشأة الأولى في خلقكم من نطفة ولم تكونوا شيئاً، او النشأة الأولى في خلق أبيكم آدم من طين؛ أي فهلاً تَذَكَّرُونَ أيها الناس، فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى، ولم تكونوا شيئاً، لا يتعذَّر عليه أن يعيدكم أحياءً من بعد مماتكم وفنائكم. وقال القرطبي: وفي الخبر: عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكذَّبِ بِالنَّشْأَةِ الْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى، وَعَجَبًا لِلْمُصَدِّقِ بِالنَّشْأَةِ الْأُخْرَى وَهُوَ لَا يَسْعَى لِذَارِ الْقَرَارِ. اهـ.

يؤكد كل ذلك أن منشأ عدم الإستجابة للدعوة النبوية في عهد النبوة هو الهوى على سبيل الحصر، قال تعالى ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَنعُوبُونَ أهُوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠، وكذلك الأمر بعد عهد النبوة بشرط إتقان الدعوة.

وينبغي أن يقترن تبليغ الوحي ببيان (أي بشرح) موجز وبحسب ما يقتضى المقام، فقد قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤، وقال تعالى ﴿ ... قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ الطلاق: ١٠ - ١١، وقد صحت قراءة «مبينات» بفتح الياء وبكسرهما.

## النهى عن اتباع ما لا علم لنا به:

وفي ذلك أدلة كثيرة:

منها: قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٦، أما «القفو»، فالقفا مؤخر الشيء، قال الأزهري: وَقَالَ اللَّيْثُ: الْقَفَا: مَوْخَرُ الْعُنُقِ، وَاسْتَقْفَيْتَهُ إِذَا جِئْتَهُ مِنْ خَلْفٍ. قَالَ: وَسَمَّيْتُ قَافِيَةَ الشِّعْرِ قَافِيَةً لِأَنَّهَا تَقْفُو الْبَيْتَ. وَفِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ: عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ، فَإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَتَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. اهـ، وقال الأزهري قبل ذلك: قَالَ اللَّيْثُ: الْقَفْوُ: مَصْدَرٌ قَوْلِكَ: قَفَا يَقْفُو قَفْوًا، وَهُوَ أَنْ يَتَّبِعَ شَيْئًا. تَعَلَّبَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ: قَفَوْتُ فَلَانًا: اتَّبَعْتُ أَثَرَهُ. اهـ من (تهذيب اللغة). وقال ابن منظور: وَقَفَاهُ قَفْوًا وَقُفْوًا وَافْتَقَاهُ وَتَقَفَّاهُ: تَبِعَهُ. اللَّيْثُ: الْقَفْوُ مَصْدَرٌ قَوْلِكَ قَفَا يَقْفُو قَفْوًا وَقُفْوًا، وَهُوَ أَنْ يَتَّبِعَ الشَّيْءَ. اهـ من (لسان العرب).

والقفو أصل واحد يمكن استعماله في عدد من المعاني، منها: المعنى الأول: أتباع الأمر وكأنك تنظر إليه من خلفه فتقبله وتعمل أو تحكم به. المعنى الثاني: تَتَّبَعُ الشيء بمعنى التحري عنه وملاحقته، كقولهم: قفوت أثر فلان أي تتبعته. قال مكي بن أبي طالب: وأصل القفو في اللغة التبع. اهـ من (الهداية). المعنى الثالث: أن يُستعار «القفو» لمعان تتفرع من الإتياع أو التبع.

وآية الإسراء من الإتياع، أي من قولهم: قفا يَقْفُوا، وَقَفُوهُ أَقْفُوهُ قَفْوًا، وَتَقَفَيْتَهُ، أي: اتبعتَه، كما في (العين). فمعنى الآية الكريمة: لا تتبع أي لا تحكم بما ليس لك به علم. وقد ذهب إلى ذلك الأخفش والزخشي وابن عطية والسمين الحلبي في (عمدة الحفاظ) وابن عاشور. ويجري على هذا المعنى قول ابن عباس وطائفة من التابعين كما رواها الإمام الطبري.

وأما «العلم»، فيشمل في العربية نوعين، (النوع الأول): العلم المطابق لحقيقة الأمر، ويمكن إثبات أو نفي العلم بهذا الاعتبار، ويُطلق عليه أحياناً: العلم اليقيني أو المعرفة الجازمة المطابقة للحقيقة. ومنه قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ ﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ﴾ التكاثر: ٥ - ٧، وقوله تعالى ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ٥٤ ﴾ (النوع الثاني): العلم الظاهر أي حين يتعذر الجزم بالمطابقة. وقد ذُكر العلم الظاهر في قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُفْرًا الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ٥١ ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ٥٢ ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ٥٣ ﴾ الممتحنة: ١٠؛ فقوله تعالى ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ إنما هو حكم بحسب ظاهر الأدلة، وليس جزمًا بالمطابقة، ومع ذلك فإن القرآن صريح في تسميته بالعلم، وقد بيّن أبو بكر الجصاص في (أحكام القرآن) أنه علم ظاهر.

وكذلك الأمر في آية الأحزاب، أي قوله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ ﴾ الأحزاب: ٥ .

والفرق بين العِلْمَيْنِ أن العلم اليقيني هو إدراك الشيء بحقيقته او بصورة قطعية، وأما العلم الظاهر فهو إدراك للشيء بحقيقة تدل عليه، وليس لنقيضه حقيقة تدل عليه عند المجتهد؛ فهو علم ظاهر لأن من المحتمل حصول الخطأ في الاستدلال بالحقيقة.

وقد يزعم بعضهم أن قوله تعالى: ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٣، يشهد للمشهور عن الأصوليين بأن العلم هو اليقيني فقط أو هو الجازم المطابق للحق، فلا مكان لعلم ظاهر، وذلك بدعوى أن الله تبارك وتعالى جعل العلم دليلاً على الصدق وأن العالم بالشيء صادق إذا أخبر بعلمه، ولما كان الصدق يقتضي مطابقة الخبر لحقيقة الأمر، فقد يُفهم أن معنى الآية الكريمة يوافق رأي الأصوليين بأن العلم معرفة جازمة صادقة، أي مطابقة للحقيقة.

غير أن هذا التأويل يقلب مجرى الآية الكريمة، فهو تأويل غير سديد، وذلك لأن معنى الآية هو: إن كنت صادقاً في مذهبك فإن لك علماً تخبرنا به، وليس معنى الآية: إن كان لك علم فأنت صادق في مذهبك، وأنت ترى الفرق الكبير بين العبارتين، فأن آية الأنعام إنما ذكرت من تكلم بصدق في قضايا الحلال والحرام، وأنه لا بد أن يوجد على صدقه علم يقيني او علم ظاهر أصاب في فهمه. وأما من تكلم بغير الصدق أو بالخطأ، فلم تذكره الآية سواء كان مستنداً إلى محض الهوى أو إلى علم ظاهر لم يُصب فيه، فلا شك أن آية الأنعام لا تساعد أولئك الأصوليين على مذهبهم.

وكذلك القول في معنى قوله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١ . والبرهان هو أوكد الأدلة الذي يقتضي الصدق، فإن كان المستند علماً مطابقاً فإنه برهان، وإن كان المستند علماً ظاهراً فإن البرهان هو الحقيقة التي دلت عليه.

وحاصل ذلك أن آية الإسراء تدل على تحريم اتباع ما ليس بعلم قطعي ولا ظاهر وتحريم الحكم به، فهو ظن منهي عن اتباعه إلا باستثناءات محددة. وتوجد أحوال لا يُكتفى فيها بأي علم ظاهر، بل لابد من تكرار المراجعة والتنقيح والاستشارة حتى تصل إلى اليقين أو تقاربه مع إعداد احتياطي لمواجهة الخطأ المحتمل.

**وأما «الظن»**، فقال الراغب: الظَّنُّ: اسم لما يحصل عن أمانة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حدَّ التَّوَهُّم. اهـ من (المفردات). ويكثر استعمال الظن بمعنى الحساب غير المستند إلى حجة صحيحة، فقوله تعالى ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ الانشقاق: ١٤، وقوله تعالى ﴿... قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) الكهف: ٣٥-٣٦؛ فهذه الظنون من نوع الحساب في قوله تعالى ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ الهمزة: ٣، وقوله تعالى ﴿وَلِيَّائِهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٣٧، وقوله تعالى ﴿وَيَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٥. فهذه ظنون غالبية بالتوهم وليس برجحان الحجة.

فالظن في غالب الإستعمال شك راجح على الخيار الآخر في حساب الإنسان، ولكنه ليس بعلم ظاهر، إما خلوه من حقيقة تدل عليه، وإما لوجود دليل على النقيض من مرتبة الشيء المظنون. وأما الخلط بين العلم الظاهر والظن كما هي طريقة كثير من الفقهاء والأصوليين المتأخرين، فلا شك أنه تقسيم مخالف للإستعمال القرآني. وقد بينا هذا الأصل في بدايات (تمكين الباحث) وفي (المنهج الفريد)، وبيننا كذلك الفرق بين العلم الظاهر والظن. والقضية ليست مجرد اختلاف اصطلاحي في حقيقة العلم الظاهر أهو علم أم ظن؟ بل إن القضية أبعد من ذلك، لأن الأصولي الذي ينكر أو يهمل وجود علم ظاهر أو غير جازم، فإنه مضطر لا محالة إلى الخلط بين العلم الظاهر والظن، وقد يؤدي ذلك به إلى الاحتجاج بكل ظن يُظن أنه ظن غالب، ويفضي الأمر إلى ظهور مذاهب وآراء

كثيرة لا ترقى البتة إلى مرتبة العلم الظاهر، وإنما هي محض ظن معارض بمثله. وسيأتي كلام عن الظن بعد قليل إن شاء الله تعالى.

وكذلك يُستعمل «الظن» بمعنى «الإعتقاد»، كما في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ البقرة: ٤٥ - ٤٦، وقوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ اللَّهَ﴾ البقرة: ٢٤٩.

وقلنا إن القفو في آية الإسراء ليس من باب تتبع او ملاحقة متعلقات حقيقة الأمر والبحث عنها، فهذا يمكن أن يكون واجباً او ضرورياً. من ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنْهُ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦؛ ومنه أيضاً تتبع جذور وتفرعات الملاحظات العلمية فإنه من ضروريات الإكتشافات العلمية والمغالبة. يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿... أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأحقاف: ٤، فتدبر عبارة ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، فإن «مِنْ» تصلح هنا أن تكون تبعيضية، وكلمة «أثارة» هي البقية من الشيء كأنها أثره، والأثارة يمكن أن تكون غير مكتملة المعنى وتحتاج إلى تتبع ما تكتمل به من أصلها، فكأن المعنى: او أثارة من علم يمكن تتبعها، والله تعالى أعلم.

**ومنها:** نصوص النهي عن اتباع الظن، وقد ذكرنا معنى الظن قبل قليل في تفسير آية الإسراء. فمن ذم الظن في الدين، قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ الأنعام: ١٤٨، الآية الكريمة واضحة في أن الظن ليس بعلم، وفي الإنكار على متبعي الظن. وتدلل الآية على أن منتهى الظن هو

الحرص، وَالْحَرْصُ هُوَ حَزْرُ الشَّيْءِ، من غير تحقق ولا تدقيق؛ يُقَالُ: حَرَصْتُ النَّخْلَ، إِذَا رَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ وَحَزَرْتِ ثَمَرَهُ. وَيُرْحَصُ فِي الْحَرْصِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْمَجَاهِلِ. وَأَمَّا فِي مَعْرِفَةِ الدِّينِ وَحَقَائِقِهِ فَلَا مَجَالَ لِلْحَرْصِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّهُ قَرِينُ الْكُذْبِ، وَلِذَلِكَ فَسَرَأُتَمَةُ الْعَرَبِيَّةِ الْحَرْصُ بِالْكَذْبِ، مِنْهُمْ الْخَلِيلُ فِي (العين) وَالزَّجَاجُ وَابْنُ سَيِّدِهِ؛ وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: قَالَ الزَّجَّاجُ: «الْخِرَاصُونَ»: الْكُذَّابُونَ. يُقَالُ: تَحَرَّصَ فَلَانٌ عَلَيَّ الْبَاطِلَ وَاخْتَرَصَهُ، أَي: اخْتَلَقَهُ وَافْتَعَلَهُ. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِرَاصُونَ الَّذِينَ إِنَّمَا يَتَطَنَّنُونَ الشَّيْءَ، لَا يَحْفُونَهُ فَيَعْمَلُونَ بِهِ لَا يَعْلَمُونَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ الْخِرَاصُونَ﴾ الذَّارِيَاتِ: ١٠، يَقُولُ: لُعِنَ الْكُذَّابُونَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ، وَسَاحِرٌ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، حَرَصُوا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ. قُلْتُ: وَأَصْلُ الْحَرْصِ: التَّطَنُّنُ فِيهَا لَا يَسْتَيْقِنُهُ. وَمِنْهُ قِيلَ: حَرَصْتُ النَّخْلَ وَالكَرْمَ، إِذَا حَزَرْتِ ثَمَرَهُ، لِأَنَّ الْحَزْرَ إِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرٌ بِظَنٍّ، لَا إِحَاطَةَ، ثُمَّ قِيلَ لِلْكَذْبِ: حَرَصٌ، لِمَا يَدْخُلُهُ مِنَ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ. اهـ من (تهذيب اللغة).

وقال تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يونس: ٣٦، فلا شك أن الظن ليس بعلم، فإنه لا يغني من الحق شيئاً. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ النجم: ٢٨.

وهذه الآيات متظاهرة على أن الظن ليس بعلم، ولذلك ذهب عامة المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَوْلُهُمْ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧، ذهبوا إلى أن الاستثناء منقطع بمعنى: لكن اتباع الظن، لأن الظن ليس من العلم فلا يُستثنى منه، من هؤلاء الإمام الفراء والزجاج والطبري والنحاس والجصاص ومكي في (مشكل إعراب القرآن) والماوردي ونجم الدين النسفي والزمخشري وأبو البقاء العكبري والمنتجب الهمداني والقرطبي والبيضاوي وأبو البركات النسفي وأبو حيان الأندلسي والسمين الحلبي وابن عادل والآلوسي وابن عاشور. وشدَّ عن هؤلاء ابن عطية في



تفسيره فزعم أنه استثناء متصل، وكأن الظن نوع من العلم!! وقد رد أبو حيان على ابن عطية؛ وبصرف النظر عن الرد النحوي، فإن الآيات المتقدمة (الأنعام ويونس والنجم) تقطع بأن الظن ليس بعلم وبأنه لا يغني عن الحق شيئاً.

وقد يقول قائل إن بعض الظنون أو الشكوك الراجحة قد تكون صحيحة في باطن الأمر، فيقال له: هذا صحيح ولكنها لا تنزل منزلة العلم أو الحق إلا بعد التحري عنها وتحصيل ما يرتقي بها إلى منزلة العلم الظاهر أو العلم المطابق.

ومع ذلك، يمكن الإستناد إلى الظن وما هو دونه لأجتنب المخاوف الدنيوية، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ الأنفال: ٥٨، وقد بينا معنى الآية الكريمة في (وجهة اللواء)؛ وكذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ النساء: ٣٥.

## المراء الظاهر، وعلم القلة:

قال تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢. ونحتاج أولاً إلى فهم ألفاظ الآية.

(أما التماري)، فإن «المرية» الشك والتردد، ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هود: ١٧. ومرى الشيء وامتره استخرجه والريح تمرى السحاب وتمترية تستخرجه، كما في (المحكم). ويقال: مرئت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها، كما في (لسان العرب). وقال ابن الأثير: المراء: الجدال، والتماري والمارة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. ويقال للمناظرة: تمارة، لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند

صاحبه وَيَمْتَرِيه، كما يَمْتَرِي الحَالِبُ اللَّبَنَ مِنَ الصَّرْعِ. اهـ من (النهاية). وقال الزمخشري: ماريته ممارسة: جادلته ولا ججته، وتما روا، ومعناه المحالبة كأن كل واحد يجلب ما عند صاحبه. اهـ من (أساس البلاغة). فواضح أن المرية في الدين كفر لأنها ضد الاعتقاد واليقين، وكذلك المشتقات التي تتضمن الجدال على مذهب الشك بالدين أو جحده، كما في نحو قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ الحجر: ٦١ - ٦٣، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ القمر: ٣٦، وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ سبأ: ٢١. وأما التماري بين المتناظرين المسلمين على مذهب حلب ما عند الآخر من الأفكار والشك بما ليس عليه دليل من الأفكار، فهذا لا إشكال فيه، والإستثناء في آية الكهف ينبه عليه.

(وأما كلمة «مراءً ظاهراً»، فتوجد وجوه مقبولة في معنى «ظاهراً» هنا، الوجه الأول: أنه مراء واضح يمكن بسهولة فهمه، ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ لقمان: ٢٠، فالظاهرة الواضحة الجليلة؛ والباطنة الخفية التي لا نعلمها أو التي نحتاج إلى بحث وتنقيب لمعرفةا. وفي موضع من التفسير، قال الماتريدي: ﴿ .. إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا ﴾، نهي عن التعمق والخوض فيما تقصر عنه الأفهام، وإن كان معلوماً أن الله حججاً ظاهرة وغامضة. وفي ذلك تعليم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: أنه يكون ذلك باللطف والرفق يرى المقصود به؛ ليقرب به عنده الحجة، ويزيل عنه الشبهة من الوجه الذي يحتمله عقله، ويبلغه فهمه. اهـ مع اختصار من (تفسير الماتريدي). الوجه الثاني: أنه مراء بحجة قوية منتصرة، فلا يمكن دحضها ولكن ربما يلجأ الآخر إلى السكوت أو التفاهات أو التناول بالباطل. واستعمال الظهور بهذا المعنى

كثير، منه قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ الكهف: ٢٠ ، وقوله تعالى ﴿ فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ الصف: ١٤ . الوجه الثالث: هو وجه قوي المعنى كالوجه الثاني، غير أن فيه نظراً في التقدير، فقد ذهب التبريزي في عبارة «مرءٌ ظاهراً» إلى أن المعنى: ظاهراً أي ذاهباً بحجّة الخضم، نقله أبوحيان في تفسيره. واحتجوا لهذا التقدير بنحو قول ابن فارس: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ عَنكَ عَارُهُ. أَي زَائِلٌ، كَأَنَّهُ إِذَا زَالَ فَقَدْ صَارَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ. اهـ من (معجم المقاييس). ولكن يُحتمل أن يرجع معنى الذهاب والزوال في هذه الأمثلة إلى عبارة «عنك»، فإن هذه العبارة تُستعمل بمعنى الإبتعاد كما هو الفرق بين قولك: «عدّل إليه» و«عدّل عنه». وقد يُشبه ذلك الفرق بين قولك: «هذا الأمر ظاهر فيك او بك» من جهة، وقولك: «هذا الأمر ظاهر عنك» من جهة أخرى. فلتصحح نحو هذا التفسير، نحتاج إلى تقدير محذوف، أي: مرءٌ ظاهراً عنك ضعفه، أي ذاهباً عنك ضعفه، والله تعالى أعلم. ويُستعمل لفظ «ظاهر» لوصف الرؤية السطحية التي تغفل عن الأعماق وعن المضامين الداخلية، وهذه رؤية مذمومة كما سيأتي في العنوان القادم إن شاء الله، فهي غير مرادة في آية الكهف.

**(وأما عبارة):** ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾، فإن الإستفتاء هو طلب الفتوى او المعرفة، وهو مقيد هنا بعبارة «فيهم» أي في أمر أهل الكهف، والمعنى: لا تستفت في أمر أهل الكهف من تكلم بأمرهم من أهل مكة او غيرها. وسبب ذلك أن الكلام عن القدماء غير المعاصرين ليس بالأمر الصحيح إلا عن طريق الوحي المنزل او بالإسناد القوي الذي يصل إلى القدماء. ينبه إلى ذلك قوله تعالى ﴿ يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) هَاتَانِ هَتَوْلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٦) آل عمران: ٦٥ - ٦٦ .

(وأما التنبيه إلى علم القلة): فتدبر عبارة ﴿... وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلِمُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: وَالْمَوْصُوفُونَ بِالرَّجْمِ بِالْغَيْبِ هُمْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ، وَالْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمْ حَمْسَةٌ. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلِمُهُمْ﴾، كَأَنَّ قَوْلَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ بِدَلَالَةِ عَدَمِ إِدْخَالِهِمْ فِي سِلْكِ الرَّاجِحِينَ بِالْغَيْبِ. اهـ من (تفسير الشوكاني). أما الواو قبل «ثامنهم»، فقد تكلم فيها المفسرون، ولكن إن جاز أن تكون هذه الواو ابتدائية (أي استئنافية) لأنه يكثر في العربية استعمال الواو لابتداء كلام جديد، وأن تكون جملة ﴿وَأَمِنُهُمْ كَلِمُهُمْ﴾، جملة استئنافية بنحو تقدير: وكان ثامنهم كلبهم، فلا شك حينئذ أنهم سبعة لأن الله تعالى جعل ثامنهم كلبهم؛ والجملة الاستئنافية كلام جديد منقطع في الإعراب عما قبله، ولكن يجوز أن تكون له صلة معنوية بما قبله وكذلك بالضمائر. وقال الشوكاني: وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قَالَ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ، كَانُوا سَبْعَةً. وَأَخْرَجَ الطَّبْرَايُ فِي الْأَوْسَطِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ السُّيُوطِيُّ: بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قَالَ: أَنَا مِنْ أَوْلِيكَ الْقَلِيلِ، كَانُوا سَبْعَةً، ثُمَّ ذَكَرَ أَسْمَاءَهُمْ. وَحَكَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ قَتَادَةَ وَعَطَاءٍ وَعِكْرَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةً. اهـ من (تفسير الشوكاني). وقال النحاس: وفي المجيء بالواو «وثامنهم» خاصة دون ما تقدم قولان: أحدهما أن دخولها وخروجها واحد، والآخر أن دخولها يدل على تمام القصة وانقطاع الكلام. ذكر هذا القول إبراهيم بن السري فيكون المعنى عليه أن الله جل وعزّ خبر بما يقولون ثم أتى بحقيقة الأمر فقال: «وثامنهم كلبهم». اهـ من (إعراب القرآن)، والله تعالى أعلم.

وقد يسأل سائل: ما الفائدة من أمر عددهم؟ والجواب وبالله تعالى التوفيق أن في حكاية كلام الناس في عدد أهل الكهف فائدتين أو أكثر، الفائدة الأولى: معرفة طبيعة كثير من الناس، فإن الأمور الشكلية تهمهم جداً كالأسماء والأعداد والأعمار والأمكنة

وشبه ذلك، فهم ينشغلون بها أكثر من اشتغالهم بالمعاني. وهذا ينفع في معرفة كيفية التعامل معهم، ولذلك كان الأصل ترك المهارة في هذه الأمور إلا بالإستثناء المذكور في الآية. والذي أراه أنه استثناء للقليل من الكثير، لأن خوض الناس في مثل هذه الأمور كثير جداً. الفائدة الثانية: أنه مثال للتدريب على معرفة كيف تغوص في المعاني وكيف تُظهر المعاني الكامنة، فإن ما تستخرجه في موضع فإنك تستعمله في مواضع كثيرة بإذن الله تعالى، والله تعالى أعلم.

## الإعتداد بالحقيقة

### او المضمون الداخلي:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ الرعد: ٣٣. في الآية الكريمة فوائد عظيمة:

**(الفائدة الأولى):** تدبر الإلزامات في الآية الكريمة، فإن الكفار جعلوا لله تعالى

شركاء، فقال تعالى ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾، أفيهم عظيم يدبر أمر السموات والأرض، أم هم مخلوقات لا تضر ولا تنفع إلا بإذن الله؟ ثم قال تعالى ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾، وهذا استفهام توبيخ، أي: أم تخبرون الله تعالى بأهله في الأرض تخفى على الله تعالى؟!!

**(الفائدة الثانية):** ثم قال تعالى ﴿ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾، أي أم تُنَبِّئُونَهُ بِظَاهِرٍ

مِنَ الْقَوْلِ؟ وهو أيضاً استفهام توبيخ وإنكار، لأنه ظاهر قول ليس له حقيقة كما قال النحاس والزنجشري والرازي وأبو حيان وغيرهم. فإن المشركين أطلقوا اسم الآلهة على أشياء ليس لها أدنى شيء من معنى الألوهية. فقولهم ظاهر لا حقيقة له، لأن باطنه او حقيقته شيء آخر بعيد إلى الغاية عن المضامين الحقيقية للإسم. ويؤكد ذلك قوله

تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ يوسف: ٤٠، أي أسماء عارية عن مضامين الألوهية. ويتصل بذلك حال المنافقين وأمثالهم حين يتكلمون بكلام مخالف للحقيقة التي في قلوبهم، ومنه قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٦٧.

وهذا أمر في غاية الأهمية لأن الخداع والإيهام يستند بدرجة كبيرة على التضليل أي بإعلان ظاهر جيد او مرغوب، ولكن المضمون مناقض او مغاير عند التنفيذ. مثال معروف: مسجد الضرار، فإن اللافتة المعلنة هي مسجد الله تعالى، لأجل الصلاة والعمل الصالح، ولكن المضمون الداخلي هو الكفر والإفساد واستقطاب الأشرار. ويوجد في العالم اليوم عدد كبير جداً من عناوين الخداع؛ مركز تجاري مثلاً، هو في الحقيقة مركز لغسيل الأموال؛ ومركز إعلامي، هو في الحقيقة مركز لتحريك النميمة الكبرى بين الدول والمؤسسات؛ وأمثال ذلك من اللافتات.

مثال قريب قضية الديمقراطية، فإن صفتها المعلنة هي الحرية السياسية، أي المنافسة السياسية الآمنة مع تكافؤ الفرص، ولكن عند تنفيذ المضمون غير المعلن وجد الناس في بلاد المسلمين أن المنافسة غير آمنة وأن الفرص متفاوتة جداً.

ومما يؤكد أهمية المضامين الداخلية، قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..... ﴾ البقرة: ١٧٧، فمعلوم أنه يجب الإلتزام بالظواهر الواجبة في العبادات، غير أن قيمة هذه الظواهر إنما تتحقق إذا اقترنت بالمضامين الداخلية.

وتحت عنوان «الرؤية العميقة والمنقحة» في المبحث الثاني بينا ذم الرؤية السطحية، فلا بد من التأهيل الفكري للدخول في الأعماق لكشف المضامين الداخلية.

(الفائدة الثالثة): دور المكر والتحريك الخارجي او العدائي في إعداد الظواهر

الخادعة. وتدبر في ذلك عبارة ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾، في قراءة عاصم وآخرين: «زَيْن» و«صُدُّوا» بالبناء للمفعول في الكلمتين؛ وتصلح هذه القراءة للتنبيه إلى وجود مَنْ يَزِينُ لَهُمْ مَكْرَهُمْ وَمَنْ يَصُدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ من خبراء المكر والتضليل. ويمكن أنهم رضوا بإغواء شياطين الجن والإنس، فأضلهم الله تعالى، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَادَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ الأنعام: ١١٢-١١٣.

## تجلية الحقائق وإتقان

### الإحتجاج، وتحريم تلبس الحق بالباطل:

تجلية الحقائق أي كشفها بوضوح كما هي، فلا تختلط بما يُغَيَّبُ او يغير مضمونها، وإتقان الإحتجاج للحق عسى أن يكون الإحتجاج سلطاناً نصيراً يتعذر رده. وكشف الحقيقة يقتضي في كثير من الأحيان بياناً او تفسيراً موجزاً، كي ينكشف بلا لبس. قال ابن فارس: الجِيمُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَقِيَاسٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ انْكِشَافُ الشَّيْءِ وَبُرُوزُهُ. يُقَالُ جَلَوْتُ الْعُرُوسَ جَلْوَةً وَجَلَاءً، وَجَلَوْتُ السَّيْفَ جَلَاءً. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: السَّمَاءُ جَلُوءٌ أَي مُصْحِيَةٌ. وَيُقَالُ تَجَلَّى الشَّيْءُ، إِذَا انْكَشَفَ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة).

وحين نتكلم في الدين او نعمل على تنفيذه، فإن تجلية الحق واجب من لوازم الإستقامة والإخلاص لله تعالى. وينبغي التذكير بأن الحكمة والموعظة الحسنة في الجدال لا تجافيان الحسم والفصل في بيان كلمة الحق. قال تعالى ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا

تَعَلُّوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ..... ﴿ النساء: ١٧١ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿ الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥ ﴾، وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴿ الأعراف: ١٦٩ ﴾.

ومن فوائد تجلية الحقيقة، أنها تساعد المؤمنين على الإذعان للحق، وتقلل من حصول النزاع والاختلاف، خلافاً للإخفاء. فمن الإخفاء المؤقت قوله تعالى في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ الكهف: ٦٧ - ٦٨ .

فالتجلية نقیضة الإخفاء والتغطية؛ سواء كان سبب الإخفاء الخلط والتليس، او كان سببه ضعف الاحتجاج:

**(أما التليس)**، فهو تضليل مركب، ومعناه في سياق تليس الحق بالباطل: الخلط للإيهام وإخفاء الحقيقة. قال ابن منظور: واللَّبْسُ، بِالْفَتْحِ: مَصْدَرٌ قَوْلِكَ لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أَلْبَسُ خَلَطْتُ. واللَّبْسُ واللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الْأَمْرِ. لَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ يَلْبِسُهُ لَبْسًا فَالْتَبَسَ إِذَا خَلَطَهُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَعْرِفَ جِهَتَهُ. فِي رَأْيِهِ لَبَسَ أَي اخْتَلَطَ، وَيُقَالُ لِلْمَجْنُونِ: مُخَالَطٌ. وَالتَّبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ أَي اخْتَلَطَ وَاشْتَبَهَ. وَالتَّلْبِيسُ: كالتدليس والتخليط، شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَرَجُلٌ لَبَّاسٌ وَلَا تَقُلْ مُلَبَّسٌ. اهـ من (لسان العرب). ومنه قوله تعالى ﴿ وَكُوِّنَ لَكُم مِّن دُونِهَا مَلَكًا لِّجَعَلْنَاهُ رِجَالًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ ﴾ الأنعام: ٩، أي شَبَّهْنَا عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ وَزَدْنَاهُمْ ضَلَالًا. وقال تعالى ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ الأنعام: ٦٥، أي يَخْلِطُ أَمْرَكُمْ خَلْطًا اضْطِرَابًا لَا خَلْطًا اتِّفَاقًا، كما في (العباب الزاخر).



وقال تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٤٢، وقال تعالى ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٧١، وقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٧.

ومن أشنع أنواع التلبيس، حين يقوم أصحاب الهوى من رجال العلم بتلبيس الحق بالباطل في قضية معينة، ويستعملون في عرض القضية ما يشبه اللغة العلمية، ولكنهم يدفعون الرعاء إلى عرض القضية بلغة مشحونة بالسب والشتم وبالتضليل او التكفير، هذا بالإضافة إلى الصياح والصراخ. وإذا ظن المقلد أن إثم الخطأ على رجل العلم دون من يقلده، فهو واهم، لأنه سيحمل وزر العدوان والسفه وترويج الباطل. يوضح الأمر أن الغرض من التقليد هو إبراء الذمة من غير اعتقاد صحة ما أخذه تقليداً، فلا يحق له بحال من الأحوال تعنيف المخالفين.

وتلبيس الحق بالباطل له وجوه كثيرة، من أهمها تسيير أحكام الدين في المسار الذي يهواه المتنفذون، او المسار الذي يهواه المترفون من أصحاب الأموال، او غيرهم من أهل الباطل. ومن وجوه التلبيس التكلف الواضح في تأويل النصوص، دفاعاً عن طائفة او مذهب، او دفاعاً عن مطامع.

ومن أقدم أنواع التلبيس في التأريخ الإسلامي، تحريف معنى الحديث المتواتر في عمار ابن ياسر رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية. من ذلك خبر عبد الله بن الحارث قال: إنني لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه وبين عمرو بن العاص، قال فقال عبد الله بن عمرو: يا أبت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار: « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية »؟ قال فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ قال فقال معاوية: « ما تزال تأتينا بهنئة

تدحض بها في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاءوا به». رواه ابن سعد في طبقاته (٢٥٣/٣) بإسناد صحيح، رجاله من مشاهير الثقات سوى عبد الرحمن بن زياد وهو مولى بني هاشم، وقد وثقه ابن معين والعجلي، ونقله ابن كثير بالإسناد نفسه من مسند أحمد (البداية والنهاية ٢٢١/٦ و٢٨١/٧)، فراجعته في المسند وقد صححه شعيب الأرنؤوط. وفي خبر آخر وبإسناد غير هذا الإسناد قال معاوية: «أنحن قتلناه إنما قتله عليّ واصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال سيوفنا». رواه الحاكم في سياق خبر طويل وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٣٦/٣). ولهذا الخبر شواهد أخرى عند ابن سعد وأبي يعلى والطبري وغيرهم. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما تأويل من تأوله أن علياً وأصحابه قتلوه وأن الباغية الطالبة بدم عثمان، فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد التي يظهر فسادها للعامة والخاصة. اهـ من (منهاج السنة ٤/٤١٤). ويحكى عن عليّ عليه السلام لما سمع ذلك التأويل أنه قال: فليقل معاوية إن النبي ﷺ قتل حمزة إذ أخرجه إلى أحد!! أو كما قال ﷺ.

وتوجد أمثلة كثيرة يتضح فيها التكلف الشديد في التفسير من أجل إدخال معانٍ أجنبية إلى النص الشرعي؛ وكثير منه تكلف متعمد. فعلى رجل العلم أن يكون مؤهلاً لتجلية الحقيقة وكشف التلبيس. ولقضية الإخفاء والتلبيس تنمة إن شاء الله تحت عنوان «شراء الشهوات بالحق».

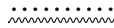
**(وأما ضعف الإحتجاج):** فله ضرران كبيران، الضرر الأول: أن الإحتجاج الضعيف للحق سيوهن الدعوة إليه، ويفتح للباب لتمشية ما يخالف الحق وللايهام بتكافؤ القولين. الضرر الثاني: إطالة بقاء الأخطاء وتوارثها عبر الأجيال.

والإتقان واجب في الإحتجاج الشرعي وما يتصل به، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠، لفظ «الإحسان» إذا لم يكن متبوعاً بحرف الغاية

«إلى» فإن معناه إتقان الخير والصلحاحات، ومنه قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: ٧ . ومنه حديث شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ» رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

ومن خير دعاء أهل العلم مضمون قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الإسراء: ٨٠، ومن مضامين السلطان النصير الإحتجاج المتقن المحكم، كما ينبه إليه نحو قوله تعالى ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَاتُوا بِكِنْيَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ الصافات: ١٥٦ - ١٥٧، وقوله تعالى ﴿..... وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣. وقد قال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال: ٢٩، أي يجعل لكم قدرة على التفريق والتمييز بين الأمور المتباينة، وكشف التلبيس في إحتجاج الآخرين.

ومن الصفات الرفيعة للإحسان في الإحتجاج، أن تبلغ في قوة الإحتجاج درجة تجعل من يرد عليك ردّاً مُعلناً مسؤولاً يرى نفسه قبل نهاية المطاف وكأنه يرد على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية، وأن عليه أن يغير موقفه. ويصعب تحقيق هذه الدرجة في كل قضية تصدى لها، ولكن إن أصبح إتقان الإحتجاج منهجاً عاماً فإن تلك الدرجة ستكون شائعة مع مر الزمان.



## الإمتناع من قول غير الحق على الله تعالى:

(أما معنى الحق): فالحق في العربية هو الثابت الصحيح لجليل أو صافه أو لصحة وقوعه؛ ونقيضه الباطل وهو الزائل بسبب كبير عيوبه ومساوئه أو عطل فوائده. وقال ابن منظور: وَحَقَّ الْأَمْرُ يُحَقُّهُ حَقًّا وَأَحَقَّهُ: كَانَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ؛ تَقُولُ: حَقَّقْتَ الْأَمْرَ وَأَحَقَّقْتَهُ إِذَا كُنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ. اهـ من (لسان العرب).

قال تعالى ﴿..... أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾  
الإسراء: ١٦، أي ثبت عليها القول فلا فكاك منه.

وقال تعالى ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ البقرة: ١٤٧، أي هو الثابت بيقين من ربك، فلا مجال للشك فيه.

وقال تعالى ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ الأنعام: ٦٦، أي هو الصحيح الثابت بيقين فلا وجه للتكذيب به.

وقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ السجدة: ٣؛ فهو الصحيح الثابت بيقين، فلا سبيل لوجود الإفتراء في مضامينه.

وقال تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٤، أي قد وجدنا ما وعدنا ربنا واقعا يقينا مطابقا لما آمنا به، فهل وجدتم ذلك؟

(وأما النهي عن أن نقول على الله إلا الحق): فقد قال تعالى ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ النساء: ١٧١؛

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ الأعراف: ١٦٩؛ وقال تعالى ﴿ .... أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام: ٩٣؛ وهذا نهي مقترن بأشد الوعيد، فمن أشد الكبائر أن يقول أحدهم غير الحق على الله تعالى؛ ومثله قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ النحل: ١١٦.

ويقتضي ذلك أكثر من أمر:

**(الأمر الأول):** أنه يجب الحذر الشديد في التعبير عن المعاني المستنبطة من القرآن والسنة النبوية، فلا يُقال هذا حكم الله او فرض الله ذلك او حرمه إلا إذا كانت صحة الاستنباط قطعية ولا مجال للشك في مضامين المعنى المستنبط. فالمهم هنا أن المجتهد إذا لم يقطع بالصواب في اجتهاده، لم ينسبه إلى الإسلام، ولكن يقول: إنه رأي أو اجتهاد أو استحسان، أو ينبغي هذا ولا ينبغي هذا، وأمر بهذا وأنهى عن هذا، أو نحو ذلك مما يدل على المقصود، وهو أن الأمر أمر المجتهد، لكونه من أولياء الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم في اجتهادهم.

يؤكد ذلك حديث سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ قَالَ: « وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُواكَ عَلَى أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا. » رواه عبد الرزاق وأحمد ومسلم وابن ماجه والنسائي في (السنن الكبرى) وغيرهم في سياق حديث طويل. وليس في الحديث جواز تحكيم الأهواء، ولكنه تنبيه أو إرشاد في مثل تلك الأحوال إلى أحد خيارين، الخيار

**الأول:** إذا كان في الجيش من هو قادر على الإجتهد فعليه أن لا يفترض أنه يستطيع القطع بالصواب في أحكام ساحة المعركة، ويلزمه إضافة الإحتياط إلى اجتهاده كي يجتنب انتهاك ما يمكن أن يكون محمياً في الشرع. وعليه بعد ذلك أن ينسب حكمه إلى رأيه وليس إلى الله ورسوله. **الخيار الثاني:** إذا لم يكن في الجيش مجتهد، جاز عند الضرورة تحكيم الحكمة الإنسانية إذا تعذرت معرفة حكم الشرع، وبشروط وضوابط من جنس ضوابط الإضطراب، وعلّة او سبب هذا الحكم هو صيانة المنهج الإسلامي من أخطاء العاملين، كما هو صريح في الحديث.

وقد ذكرنا في هذا الأصل تفاصيل مهمة في (المنهج الفريد في الإجتهد والتقليد)، تحت عنوان: «حكم نسبة الإجتهد إلى الإسلام». ويتصل بذلك عنوان: «صيانة المنهج من أخطاء العاملين» في المبحث الرابع من (نخبة المسار).

**(الأمر الثاني):** عزل الأخطاء الإجتهدية للمدارس الفقهية، فإن من منفعة المدرسة الفقهية أن تقوم بتنقية وتهذيب ما فيها، فهذا خير من تراكم الإستدلال للخطأ وتلميحه بصورة قد تخدع القارئ وتوهمه بصحة القول وكأنه حق من عند الله تعالى. يوضح الأمر أن الحق واحد في موضع اختلاف المجتهدين، والأقوال الأخرى أخطاء؛ هذا مذهب عامة الفقهاء، وقد بيناه بالتفصيل في الفصل الثاني من (المنهج الفريد في الإجتهد والتقليد). وأيضاً فإن المدارس الفقهية تواجه الصديق والعدو، فينبغي لها التخلي عن كل خطأ لأنه قضية خاسرة. وسيأتي بيان ذلك تحت عنوان «تنقية المضامين المتبناة والتخلي عن القضايا الخاسرة». ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿لِيَأْتِيَ النَّاسَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ﴾ البقرة: ١٥٠؛ فينبغي للمسلم أن لا يجعل للآخرين حجة صحيحة عليه إلا من ظلم فهو يحتج علينا بالأباطيل. ولا شك أن التمسك بالأخطاء الفقهية لمدرسة معينة، لا شك أنه يجعل للآخرين حجة صحيحة علينا. معنى ذلك أنه من

الخطأ محاولة الإستدلال لتصحيح كل قول في مذهب معين، بل ينبغي في تنقيح المذهب الحرص على تقوية الأقوال الصحيحة وتوهين الأقوال الضعيفة حتى يتم التيقن من ضعفها ويتم عزلها. ولا شك أن هذا أفضل بكثير من تراكم الإستدلالات لتمشية كل قول في المذهب مما يُفسد التنقيح ويساعد على بقاء الأقوال الضعيفة في المذهب، ويجعل المذهب جامداً وغير قابل للتصحيح.

**(الأمر الثالث):** أن تكون في الدعوة إلى الله تعالى مخلصاً لله تعالى، فلا تلبس الحق بالباطل، ولا تراوغ لإخفاء باطل في ثنايا الحق. فإن التزمت بذلك اتبعك مريدوا الحق؛ وأما إذا راوغت فقد تحملت أثاماً متراكمة كثيرة.

## رؤية الفراغات

### ومواضع الضعف ومعالجتها:

وذلك لمعرفة وزن الإحتجاج وهل يمكن ملئ الفراغ او إزالة الضعف؟

**(أما رؤية الفراغات ومواضع الضعف)،** فمن ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأَهَّلَ

الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتَانِ هَتَوْلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ آل عمران: ٦٥ - ٦٦، فتدبر عبارة ﴿وَمَا

أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: أن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعد موت إبراهيم عليه السلام. فكل رواية عن رجل، رواها عنه من جاء من بعده بلا واسطة بينهما، فهي رواية ضعيفة بسبب انقطاع (فراغ) مؤثر في الإسناد. معنى ذلك أن كل رواية مرسلة عن غير المعاصر، فلا حجة فيها. وأما الإرسال عن معاصر، فهي غير مذكورة في آية آل عمران، وهي حجة إذا كانت من ثقة عن ثقة، ككثير من مراسيل الصحابة عن النبي ﷺ، وكرواية المدلس الثقة عمّن عاصره ولكن ربما لم يسمع منه تلك الرواية

مباشرة لأنه قال في الإسناد: «عن فلان»، ولم يقل: «حدثني فلان او سمعت فلاناً» وهذا النوع موجود بكثرة في كتب الحديث المعتمدة، والأصل الإحتجاج به إلا إذا ثبت في إسناد معين أن الراوي أسقط واسطة غير قوية من الإسناد، فنترك ذلك الإسناد المعين. وربما يُقال إن الأصل في رواية الثقة عن المعاصر أنها تستند إلى المقابلة والسماع، وأما الجزم بالرواية من غير سماع فهو استثناء فلا ندعيه إلا حين يثبت إسقاط مجهول او ضعيف؟؟ والله تعالى أعلم.

وكل احتجاج خاطئ، فإن فيه فراغاً او أكثر، فانظر مثلاً قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢) سُبْحٰنَهُ، وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا ﴿٤٣﴾ الإسراء: ٤٢ - ٤٣، فالفراغ في تفكير المشركين هو أنهم نظروا بأفق ضيق فلم يفكروا بلوازم مزعمة تعدد الآلهة التي توضح بعضها الآية الكريمة، وهي لوازم عديمة الوجود في أوثانهم مما يقطع ببطلان تلك المزعمة.

ومن الفراغات الشائعة في التفكير الخاطئ إزاحة النظائر والإحتمالات من التفكير، وكأنها غير موجودة!! والقرآن الكريم يوضح ذلك، كما في نحو قوله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ الإسراء: ٦٧ - ٦٩.

وفي أحيان أخرى كثيرة من الإحتجاج بين أهل العلم، يكون الدليل صحيحاً، ولكن الإستدلال به او تفسيره غير صحيح بسبب أخطاء التفسير؛ او يكون الإستدلال به غير تام إذ يوجد فراغ او أكثر يجب ملؤه كي تتجلى الحجة ويصح التفسير. وهذا مجال واسع



وكثير الأمثلة، ونكتفي هنا بمثال واحد، وهو قول النبي ﷺ « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ... » رواه مسلم، فإن تفسير التغيير باليد مبهم في كثير من المصادر، وبعضهم يفسر العبارة بمباشرة القوة عند الإستطاعة، وبعضهم يجعل التغيير باليد من واجب السلطة لأنه عنف. مثال ذلك قول علي القاري رحمه الله: « فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ » أي: بَأَنْ يَمْنَعَهُ بِالْفِعْلِ بِأَنْ يَكْسِرَ الْأَلَاتِ وَيُرِيقَ الْخَمْرَ وَيُرَدِّ الْمُغْضُوبَ إِلَى مَالِكِهِ. اهـ من (مرقاة المفاتيح). والفراغ الكبير الذي حصل، ربما هو تفسير عبارة «بيده» من غير تذكُّر الإستعمال القرآني ومن غير رجوع إلى المعاجم الرئيسة للعربية، التي تستند إلى شواهد العربية وليس إلى الآراء الفقهية. أما الإستعمال القرآني، فإن «اليد» كناية عن العمل بصرف النظر عن وجود او عدم وجود العنف؛ فقد قال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة: ١٩٥، أي لا تلقوا أنفسكم بأعمالكم إلى التهلكة. وقال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ الروم: ٤١، أي بما كسب الناس بعملهم. وقال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ١٨٢، أي بما عملتم. وفي الحديث المشهور وصف المسلمين بـ: « وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ »، فاليد هنا مطلقة في التضامن العملي سواء كان عنيفاً او غير عنيف. يضاف إلى ذلك أن الحديث الصحيح نصَّ صراحة على تقديم الرفق على العنف. معنى كل ذلك أن التغيير باليد هو التغيير بالمهارات العملية الذكية، ويمكن أن تكون غير مباشرة. ولذلك، فإن تفسير الحديث بالتغيير بالعنف او بالعمل المباشر، قد أوقع ضرراً عظيماً على الأمة، لأنه ينقل التغيير إلى اللسان عند فقدان القدرة على العنف او المباشرة، فلا مجال للمهارات العملية غير العنيفة وغير المباشرة (أي القوة الناعمة). وتُسْتَعْمَل «اليد» لتدل على قوة العمل، ولا يلزم أن تكون قوة العنف، بل الغالب أنها قوة الإحكام والإجادة، فقد قال تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات:

٤٧، وقال تعالى ﴿ وَذَكَرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴾ ص: ٤٥، أي أُولَى الْقُدْرَاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ. ويمكن أن يدل السياق على العموم في العمل العنيف وغيره، فقد قال تعالى ﴿ وَكَفَّ أَيْدَى النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ الفتح: ٢٠. وكذلك تدل المعاجم الرئيسة في العربية أن «اليد» هي القوة الفاعلة ولا يلزم أن تكون ضاربة، يُقال: امْرَأَةٌ يَدِيَّةٌ، أَي صَنَاعٌ، وَرَجُلٌ يَدِيٌّ، وَيَدَيْتُ عَلَى الرَّجُلِ: مَنَنْتُ عَلَيْهِ. ونقل ابن منظور عن ابن جني قال: أَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ الْأَيْدَى فِي النَّعْمِ لَا فِي الْأَعْضَاءِ. اهـ من (لسان العرب).

ولاشك أن رصد الفراغات ومواضع الضعف أمر ضروري في الإحتجاج وفي تقويم الأمور وفي العمل المؤسسي، لأجل حمايته من التآكل والإنحدار؛ وكأن الراصد صياد قوي الملاحظة وواسع الأفق، يرى نقاط الضعف ويتتبع أسبابها (جذورها) وينظر كذلك إلى آثارها المحتملة. وفي هذا الأصل ثلاثة أمور في غاية الأهمية، الأمر الأول: أن تشخيص الفراغات ونقاط الضعف يحتاج إلى معرفة قوية بالصورة الصحية للإحتجاج أو العمل، كي يلاحظ الراصد كل حيدة عن الصحة والسلامة؛ فهذا مثل الطبيب، يحتاج إلى معرفة شاملة بأنشطة الجسد الصحيح، وبذلك يلاحظ كل انحراف عن الصحة والسلامة. الأمر الثاني: كفاءة تشخيص الفراغات والضعف تحتاج أيضاً إلى معرفة غايات العمل، فإن عملاً معيناً قد يبدو جيداً الآن ولكنه قد يؤخر الوصول إلى الغاية أو يكون غير كاف للمغالبة والتفوق. وتدبر في ذلك عمل الطبيب، فإن تصرفاً إنسانياً معيناً قد لا يعيق العمل اليوم غير أنه يهلك ذلك الإنسان بعد نحو عشر سنوات أو أكثر، كما في تدخين السكاير وغيرها من السموم والعادات ذات التأثير البطيء. الأمر الثالث: ينبغي في تشخيص الفراغات ونقاط الضعف، أن يقترن بتشخيص المحاسن، والمحاسن المتفوقة في الحسن. فكما يُراد اجتناب المساوئ وتغيير الأخطاء، فكذلك يُراد المحافظة على المحاسن وتنميتها والتفوق فيها. وينبغي التذكير هنا بأن سياسة التحسين لا تقف عند

حد، ولذلك تُطلق عليها عبارة «التحسين المستمر». ويوضح الأمر أن المحاسن هي عوامل البناء والتنمية، وأما الفراغات ومواقع الضعف فهي عوامل الهدم، فلا بد من رصدها ومكافحتها.

**(وأما الرد على مواضع الضعف)**، فقد قال تعالى ﴿فَإِنْ نُنزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩؛ معنى ذلك أنه إذا اقتضى الأمر نزاعاً، فأن الأصل في الرد أنه ليس بقول فلان أو فلان من العلماء، ولكنه إعادة الحكم إلى نصوص القرآن والسنة، ويتضمن ذلك أدوات فهم القرآن والسنة، وهي ثلاثة علوم رئيسة، والتزام سلوكي.

أما العلوم الرئيسية، فالعلم الأول: أصول الفقه. العلم الثاني: معاني النحو واللغة.

**العلم الثالث:** علم الحديث وتشكيل مهارة في انتقاء الأحاديث الصحيحة، ولو بمتابعة أئمة الحديث. المهم أن على الذي يرد في القضايا العلمية بين أهل الإسلام أن يتوصل إلى القدرة في رده على بيان وتحديد وجه الضعف أو الفراغ، من جهة تجاوز مقتضى أدوات فهم النصوص، أي العلوم الثلاثة الرئيسة المذكورة؛ وأما الرد بالتركيز على قول فلان وفلان من أهل العلم، فلا إلزام فيه وقد يؤلّد الشحناء والتنافر.

وأما الإلتزام السلوكي، فالإلتزام الأول: التحلي بمكارم الأخلاق في الرد، فعن

عائشة عن النبي ﷺ، قال «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» رواه مسلم وغيره؛ وستأتي أحاديث أخرى في الرفق إن شاء الله تعالى. **الإلتزام**

**الثاني:** تحمّل مسؤولية الرد في كل قضية لها أولوية، وذلك بالإعداد لرد مكتوب ومعلن.

وهذا يجعل الراد في غاية الحذر والإعداد كي يجتنب الخطأ في رده، كما أن الإكتفاء بالرد القولي قد يكون بسبب عدم الاستعداد، فلا يبلغ غايته، وقد يُفاقم الخلاف. بل إن الرد بلا استعداد قد يهوي بصاحبه في جهنم، والعياذ بالله تعالى.

(ومن فوائد وغايات الرد)، أي النوع المذكور من الرد، الغاية الأولى: أن يكون الرد صحيحاً ومُحكماً ويكفي بإذن الله لحسم الخلاف. الغاية الثانية: أن يتصرف الراد بإنصاف، فإذا كانت حجج المقابل صحيحة وقوية، فإن الراد سيوقف رده ويتراجع، لأنه سيجد رده وكأنه رد على الأدلة الصحيحة، ويعلم بذلك أن القول الآخر صحيح، وأنه تحامل عليه لخضوعه لبعض عوامل ضعف الرؤية، كالتقليد وموافقة بعض الشيوخ والأصحاب من دون تحقق، أو شبه ذلك من عوامل الضعف.

### عدم جمع التناقضات:

ويشمل ذلك الفكر والإحتجاج والعقيدة، وكذلك العمل.  
قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، فصح أن ما كان من عند غير الله تعالى، فإنه يضطرب ويتناقض ويفسد بعضه بعضاً. وأما كتاب الله تعالى فليس فيه شيء من ذلك بل هو صراط مستقيم واحد ولا اعوجاج فيه. وتقييد الاختلاف بالكثير إنما هو في وصف المناهج التي يضعها البشر، وليس له مفهوم مخالفة من حق القرآن، وبعبارة أخرى فإن القرآن منزّه عن الاختلاف كله، القليل منه والكثير.

وقال تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس: ٣٢) في الآية تصريح أنه ليس بين الحق والباطل مرتبة ثالثة، فإذا اختلف اثنان أحدهما محق، فلا محالة أن الآخر على الباطل. والآية عامة في الحق والضلال، لا فرق بين ما كان في عرف المتأخرين عقيدة أو شريعة. والمشهور عن الفقهاء القدامى أن الإجتهد ينقسم إلى صواب وخطأ، وأن الحق واحد في موضع الخلاف، ولا يمكن للأقوال المتناقضة على محل حكم معين أن تكون صائبة كلها، وقد بينا تفصيل ذلك في (المنهج الفريد في الإجتهد والتقليد).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤)، وهذا تصريح أيضا أن الذي كان عليه النبي ﷺ هو الهدى، وأن ما خالفه هو الضلال، وليس هناك مرتبة ثالثة بينهم. ونص الآية عام في مخالقات الكفار للنبي ﷺ، سواء خالفوه في العقيدة أو في الشريعة كما في اصطلاحات المتأخرين. وهذه الآية وإن كانت في سياق مخاطبة الكفار، فإن حكمها عام، فكل من قال بمثل قول الكفار بأن خالف بعض الهدى النبوي، فقله باطل، وإن كان مسلماً غير متعمد. وكذلك صفات الكفار التي ذكرها القرآن في سياق الذم، كالكذب والنميمة وإتباع الظن ونحو ذلك، فإنه يذكر لأمرين: أحدهما: معرفة أحوال الكفار، والثاني إيجاب اجتناب ما يؤذم لأجله الكفار.

وفي الإحتجاج، يمتنع إعطاء الشيء حكيمين متناقضين، مرة هذا ومرة ذاك بحسب الهوى ونحوه. قال تعالى ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ التوبة: ٣٧. مثال ذلك في الإحتجاج الأصولي والفقهية، أن يقدر أحدهم في إسناد حديث معين بدعوى أنه مرسل صحابي مثلاً، أي ان الصحابي الذي رواه لم يسمعه مباشرة من النبي ﷺ، ولكنه جزم بالرواية من غير تصريح بالسمع؛ فمن يرد إسناداً بهذه العلة فإنه ملزم بترك مراسيل الصحابة كلها، وهي كثيرة في الصحيحين وغيرهما، او يتراجع عن قده. وأما إذا أصر على رد الإسناد في حديث دون حديث فهذا تلاعب من نوع ما ورد في آية التوبة. وكذلك من احتج بقاعدة أصولية او نحوية في قضية معينة، فيلزمه أن يحتج بها في سائر القضايا إلا إذا قام دليل على استثناء قضية معينة. فالنظر في اللوازم مفيد جداً في تقويم المذهب وفي خطوات تصحيح المسار وتدارك العواقب.

ويتصل بذلك، أن من تبنى حكماً فعليه أن يقبل بلوازم الحكم إن كان قد انتبه إليها، وإذا فاتته فعليه أن يقبل بها عند تذكيره أو يتراجع عمّا تبناه. يوضح الأمر أن رجل العلم قد يذهب مذهباً له عواقب أليمة لم ينتبه إليها، فهذه العواقب من لوازم مذهبه، غير أن لازم المذهب ليس بمذهب إلا بعد التنبيه إلى اللوازم والتمسك بها. وينبغي لذلك أن يفكر الفقيه جيداً بلوازم وعواقب الرأي الفقهي قبل التمهيد به.

وفي ذم التناقض في الجانب العملي، نحو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠، فالولاء والعداء لجهة واحدة، أمران متناقضان، فلا يجتمعان لجهة واحدة. ومن هذا النوع الأمر بالمعروف من غير نهي عن المنكر، فإنه تناقض عملي لأن المنكر يهدم المعروف؛ صحيح أن الصلاة تنهى عن المنكر، وأن الإلتفاء عن المنكر يجعل النفس تتقبل المعروف، غير أن التأثير غير المباشر ليس بكاف، بل لا بد من مباشرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وقد قال تعالى ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: ٧٩. وهكذا الأمر في كل وظيفة إذا تم إسنادها إلى من تناقض خصاله مع إجادة تلك الوظيفة.

### مجرد عدم العلم بالأمر ليس نفيًا له:

وكذلك عدم ذكر أمر في نص، فإنه لا يعني نفي الحكم عما هو من جنسه ولم يُذكر، إلا إذا كان في النص صيغة حصر بالمذكور. وبعبارة أخرى: لا يجوز تخصيص العام ولا تقييد المطلق بمفهوم المخالفة للخاص أو المقيد.

وأمثلته كثيرة، منها قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة: ٣٦؛ فالآية الكريمة تصف الأرض بأنها مستقر لنا بصيغة النكرة في سياق الإثبات، فهي مطلقة

ويمكن أن تشمل الاستقرار المؤقت والمحدود. ولا ينفي ذلك إمكان تحرك البشر خارج الأرض ثم العودة إلى المستقر في الأرض، كالطيران من بلد إلى بلد والرحلات الفضائية. وواضح أن إبقاء المسكوت عنه في حيز الاحتمالات يفتح للإنسان مجالات البحث والإستكشاف.

وقال تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنفال: ٦١؛ فالآية تذكر جنوح المسلمين للسلم حين يبدأ الكافر المحارب بذلك، فمن يذهب إلى أن غير المذكور له نقيض حكم المذكور إذا كان من جنسه، فإنه يزعم عدم جواز أن يبدأ المسلمون بالجنوح للسلم وتسريب الرسائل بذلك. والصحيح أننا لا نحكم على المسكوت عنه إلا بنص يتناوله او بمفهوم له قوة النص المنطوق كمفهوم الإستثناء، وهذا مذهب الحنفية والظاهرية وآخرين. وقد صرح الإمام القرطبي في تفسير الأنفال وابن عاشور في تفسير «سورة محمد» أن للمسلمين أن يتدثروا بالمسألة إذا دعت المصلحة وتخفيف المضار إلى ذلك.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر وإذنها سكوتها » رواه مسلم. ولما كان الوصف بالثيابة مقابلاً للوصف بالبكارة، فإنه يثبت للبكر عند الشافعية نقيض حكم الثيب عملاً بمفهوم المخالفة!! وذهب أبو حنيفة والظاهرية إلى أن البكر البالغ لا تُكره على نكاح من يريده لها وليها سواء كان الولي أباً أو غيره. والصحيح أن أحاديث هذه القضية تُبطل إعطاء المسكوت عنه في أمر ما نقيض حكم المنطوق به، وذلك أن الأحاديث الصحيحة توجب إذن البكر؛ فعن ابن عباس أن جارية بكرة أنت النبي ﷺ فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ. رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط ونقله تصحيحه عن ابن القيم أيضاً (تحقيق زاد المعاد ٥ / ٩٥ = ٩٦)، وقد رواه بعضهم مرسلًا وليس ذلك بضار فقد وصله جرير بن حازم وهو ثقة مشهور ولا إشكال عند الفقهاء والأصوليين في

قبول زيادة الثقة. ويشهد له حديث آخر رواه النسائي من حديث عائشة مرفوعاً وصححه الأرئووط ورواه ابن ماجه من حديث بريدة مرفوعاً وصححه البوصيري كما نقل الارئووط أيضاً. وتوجد أحاديث أخرى ذكرناها في (تمكين الباحث/ المبحث الرابع، «منهج القائسين في التعليل بالمناسب والمؤثر والشبه»).

## استخراج المضامين المتنوعة من النص:

في هذه الدراسة نصوص كثيرة تم استخراج معان متعددة منها، والفضل بعد الله تعالى يعود للمفسرين الذين أجادوا في استنباط فوائد متعددة من الآية الكريمة، كالإمام القرطبي والإمام الرازي وغيرهما رحمهم الله جميعاً. فالملقصد هنا التذكير بهذا الأصل، مع ذكر آية كريمة في المجال العقيدي والعلمي، وآية أخرى في المجال السياسي والاجتماعي.

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤؛ فلنتدبر عبارة ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، فإن النكرة في سياق الإثبات تكون مطلقة ويمكن توجيهها إلى كل ما يمكن أن تتجه إليه من المعاني السليمة. فتشغيل العقل في هذه الآيات يمكن توجيهه لمعان متعددة، منها: المعنى الأول: أن هذه الآيات تهدي إلى الخالق العظيم المتفرد في تدبير مخلوقاته. المعنى الثاني: أن نجعل تلك الآيات مجالاً للدراسة والكشف العلمي والإستثمار لأجل تحصيل المنافع ودفع المضار. وتوجد آيات كثيرة من هذا النوع.



ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴾ البقرة: ٢١١؛ فإن تبديل النعمة يشمل أنواعاً، منها: النوع الأول: التحول إلى الترف والفسق أو الكفر، ومنه قوله تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ طه: ٨١، فتدبر أنه هنا طغيان في الطيبات أي في الحلال. النوع الثاني: الترهل والإسراف في التمتع وأخذ أمور الدين بضعف، مما يؤدي إلى الإنحدار وإهمال المنافسة والمغالبة، حتى يصبح الحال غنيمة يفترسها الخصوم؛ وفي هذا المعنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٥، وقد ذكرنا تفسير الآية في أكثر من موضع.

## الحذر من كره الرأي الآخر لمجرد أنه مخالف لك:

فلا ينبغي كره مذهب معين إلا إذا تيقنا أنه مخالف للحق، فإن من كره رأياً صحيحاً لمجرد أن لا يعلم صحته أو لكونه مخالف للمشهور على السنة المتدينين، فإنه قد يُحجَب عن الإهداء إلى صحته. قال تعالى ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَٰئِنِّي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود: ٢٨؛ ومعنى عبارة: ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾، أي أُبْهِمَتْ عَلَيْكُمْ عُقُوبَةً لَكُمْ، كما ذكر أبو البقاء في (التبيان في إعراب القرآن). والمفهوم من السياق: أَنُلْزِمُكُمْوهَا ونجبركم عليها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ لا تلتفتون إليها، وفيه إشارة إلى أن المنكر لا يمكن له الإستفاضة من أهل الدعوة إلى الله تعالى ولا يكاد يتنفع بهم ما دام مُنكراً كارهاً لما عندهم، ومن لم يعتقد لم ينتفع. هذا حاصل كلام الألويسي في تفسيره.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ۝٨ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ مُّبِينٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٩ ﴾ الحج: ٨ - ٩، فتدبر عبارة «ثاني عطفه» فإن معناها في اللغة: لا وياً عنقه عنك او مائلاً بجانبه عنك، فهي كناية عن الإعراض عن الحق والشعور بالإستغناء عنه، فعاقبته خزي في الدنيا وعذاب الحريق يوم القيامة.

ومن هذا الأصل قوله تعالى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الإسراء: ٤٧، فتدبر أن الله تعالى لم يقل: بما يستمعون إليه، ولكنه تعالى قال في سياق الظم: ﴿ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾، فإن الباء في: «به»، للإيصال بأداة الإستماع او بمنهج الإستماع وهو المراد هنا، وهذا كما تقول: رأيتُه بعيني وقاومته بالحجة والفكر وضربته بيدي، فالعقلية او المنهج الذي يستمع به أولئك الكفار كان رافضاً للمسموع مُسبقاً وغير مستعد لرؤية واسعة ولا عميقة ولا منقحة ولا تحليلية.

فينبغي أن نتذكر دائماً قوله تعالى ﴿ ... فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝١٨ ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨؛ ومعلوم أن اتباع الأحسن يقتضي الفحص والمقارنة بين الخيارات.

وهذه قضية يقع فيها كثير من المتدينين ومن المنتسبين إلى العلم، فإن بعضهم قد يحمل قضية شرعية على المعنى الذي يكثر جريانه على الألسن التي يميل إليها، وربما ينظر إلى أدلتها ولكنه لا ينظر فيها، فهي رؤية سطحية من غير دراسة ولا تحليل، ثم يبدأ بالضجيج والصياح في الدفاع عن هذه الرؤية وفي ذم كل مخالفة، وقد يأخذ بالسفه والسب والشتم، وهو كاره للرؤية المخالفة، وإذا استمع إليها فاستماعه ليس لفهمها ولكن

لرفضها استناداً إلى رؤيته السطحية، وهو لا يشعر أنه يقع في إثم كبير وقد يُحجب عن الاهتداء إلى الحق.

## الإحتجاج بالإلزامات العقلية:

وهذا كثير في القرآن الكريم، وقد سبق ذكره في المبحث الثاني تحت عنوان: «رؤية النظائر واللوازم».

## الوزن والميزان:

قال تعالى ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ الشعراء: ١٨١ - ١٨٣. توجب هذه الآيات الكريبات أن يتعلم المؤمنون مهارات التقويم وبأعلى ما يمكن من الكفاءة، وأن يزنوا أفكارهم وخططهم قبل الشروع فيها. وسنحاول توضيح ذلك باختصار إن شاء الله تعالى:

**(أما الكيل)**، فإنه فحص لتقدير الشيء، ويُستعمل في الأجساد وكذلك في المعاني، فالمكايلة المقياسة بالقول والتفكير، وكايل الرجل صاحبه أي واجهه بالكلام كيلاً بكيل، ويُقال: كِلِ الفرس بغيره أي قسه به في الجري، وإذا أردت علم رجل فكيله بغيره.

وقال الأخطل:

فَقَدِ كِلْتُمُونِي بِالسَّوَابِقِ قَبْلَهَا      فَبَرَزْتُ مِنْهَا ثَانِيًا مِنْ عَنَانِيَا

والفرق بين الكيل والوزن، هو أن الكيل يُستعمل في أمور يكون التقدير فيها تقريبياً في كثير من الأحيان أي أقرب ما يمكن إلى الحقيقة، كالقياس بالمد والصاع والحجم والطول، وقد يمكن ضبط كيل السوائل بدقة ولكن يتعذر ضبط كيل التمر والفاكهة

ونحوها بدقة متطابقة في كل مرة لأن الكيل يختلف بعض الشيء باختلاف حجوم قطع الفاكهة ومقدار الرطوبة فيها . وكذلك الأمر في قياس المعاني إلا حين تكون الفوارق جلية جداً وكبيرة.

فمعنى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ، الإيفاء بالكيل هو جعله وافياً أي تاماً ، فإذا كان في الأشياء التي يتعذر الإستقصاء فيها كما ذكرنا، فإن تحقيق الإيفاء يكون ببعض الزيادة على الواجب في الكيل، كما نبه إلى ذلك ابن عرفة في تفسيره، اللهم إلا إذا كان في الحق اشتراك يوجب التسوية بين الشركاء . وللتأكيد أو التشديد في قضية الإيفاء بالكيل قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ، فالمُخْسِرُ المُنْقَصُ، والعبارة تتضمن النهي عن التنقيص وكذلك النهي عن أن يكون الإنسان من جملة المخسرين. ويتضمن ذلك في تقويم الأشخاص وفرق العمل إعطاء الناس وأعضاء المؤسسة حقهم المادي والمعنوي كاملاً، فإن تعذر الإستقصاء أعطينا زيادة منضبطة من باب الإحتياط. ويؤكد ذلك عبارة: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ، فالْبَخْسُ: النَقْصُ، وَبَخَسَهُ حَقَّهُ يَبْخَسُهُ بَخْسًا إِذَا نَقَصَهُ، كما في (لسان العرب)، وهذه العبارة عامة في الناس وعامة في أشياءهم.

**(وأما الوزن)**، فهو فحص ومعرفة قدر الشيء أو ثقله وخفته، من الجهة المادية أو المعنوية. قال ابن منظور: الْوَزْنُ: رَوْزُ الثَّقَلِ وَالْخِفَّةِ، وَزَنَ الشَّيْءَ وَزَنًا وَزِنَةً. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْعَرَبُ تَقُولُ مَا لِفُلَانٍ عِنْدِي وَزَنُّ أَي قَدْرٌ لِحِسَّتِهِ. وامرأة مَوْزُونَةٌ: قَصِيرَةٌ عَاقِلَةٌ. وَأَوْزَانُ الْعَرَبِ: مَا بَنَتْ عَلَيْهِ أَشْعَارَهَا، وَاحِدُهَا وَزْنٌ، وَقَدْ وَزَنَ الشُّعْرَ وَزَنًا فَاتَّزَنَ؛ كُلُّ ذَلِكَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْزَنُ مِنْ هَذَا أَي أَقْوَى وَأَمْكَنُ. وَالْمِيزَانُ: الْعَدْلُ. وَوَازَنَهُ: عَادَلَهُ وَقَابَلَهُ. وَقَدْ وَزَنَ وَزَانَةً إِذَا كَانَ مُثَبَّتًا. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَوْزَمَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَأَوْزَنَهَا إِذَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. اهـ من (لسان العرب). ولذلك يُستعمل الوزن فيما يوزن بالقبان ونحوه، وكذلك فيما يوزن باعتبار المعاني في تقويم الآراء

والأعمال. قال تعالى ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ الحجر: ١٩، أي مُقَدَّر بعلم وحكمة. وقال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد: ٢٥، اللام هي لام التعليل في عبارة ﴿ لِيَقُومَ ﴾ ، فلما كانت الغاية من إنزال الكتاب والميزان هي قيام الناس بالقسط، فلا شك أن الميزان يتضمن الأدوات التي توزن بها الآراء والأعمال ويتم التقويم بها لتحقيق القيام بالقسط، وكثير من قضايا التزاحم تحتاج إلى أدوات او ميزان «شديد التحسس» لتقويم القرار قبل تنفيذه وبعد التنفيذ. وقال تعالى ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعِبَائِنَا يُطْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨ - ٩، والمضمون: من ثقلت مزاياه وحسناته ومن خفت مزاياه وحسناته، فالوزن هنا هو وزن النوايا والآراء والأعمال. وتقول العرب: ما لفلان عندي وزن، أي قَدْر، وذلك لخسته. وقالوا: هذا القول أوزن من هذا أي أقوى وأفضل، ورجل وزين الرأي أي أصيله، ووازنه عادله. والموازنة بين الأمور المعادلة بينها أي مقارنة تقويم هذا الأمر بذلك.

وقوله تعالى ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾، قال ابن منظور: والقِسْطَاس: هُوَ مِيزَانُ الْعَدْلِ أَيِّ مِيزَانٍ كَانَ مِنْ مَوَازِينِ الدَّرَاهِمِ وَغَيْرِهَا. اهـ من (لسان العرب). وأما «المستقيم» فهو الثابت الإتجاه، فأصله من أقام فهو مقيم أي ثبت واستقر، ثم نُقل إلى صيغة الإستفعال وكأن الإستقامة هي عملية وجهود تحصيل الإقامة على الحق، والمستقيم هو الحامل لهذا الوصف. وصيغة «استفعل» تُستعمل لوصف الذات نفسها، كقولهم: اسْتَفْحَلَ الأَمْرُ، واسْتَحْصَفَ الثَّيْبُ: إِذَا اسْتَحْكَمَ، واسْتَعْظَمَ واسْتَكْبَرَ. فالمستقيم هو الثابت الإتجاه فلا عوج فيه ولا انحراف. والأمر في عبارة ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾، يوجب بذل غاية الجهد كي يكون التقويم مستقيماً إلى الغاية، فلا انحراف فيه، لا بقصد ولا بغير قصد. وليس معنى ذلك أن يكون المؤمن معصوماً من

الخطأ، ولكن يعني ضرورة إتقان مهارات التقويم ومهارات التفكير، والصبر على التنقيح والتعديل، وإتقان مهارات الإعداد الإحتياطي لتفادي آثار الأخطاء المحتملة. فالقسطاس المستقيم هو الميزان الثابت على العدل والسلامة من الإعوجاج مع كل ما يزنه من أمور، ومع كل من يزنهم او يزن آراءهم وأعمالهم، وبصرف النظر عن الميول العقيدية والمذهبية والعاطفية وبصرف النظر عن الثراء والمنزلة الوظيفية وغيرها.

وتدبر أن مفعول ﴿ وَزِنُوا ﴾ محذوف، وهذا ينبه إلى العموم في الأشياء الموزونة، المادية والمعنوية، بما في ذلك الأعمال المخطط لها والمتوقعة كالمخاطر والأزمات وغيرها، قبل التنفيذ، وكذلك عمليات التقويم أثناء التنفيذ وبعده. ويدل ذلك على وجوب العناية في وزن الأفكار والمخططات والأعمال لأجل تقديم الأولويات، أي ما هو أعظم وزناً في المصلحة العامة، وكذلك لترتيب أجزاء العمل والمخططات لأجل تحقيق الغاية بأعلى المعايير. فعمليات الوزن تشمل مهارات فهم الحكم الشرعي، ومهارات العمليات التنفيذية. ومما يُقال في هذا المجال: ضرورة العناية بتوازن السلطات وتوازن الأنظمة، كي لا تقضي سلطة على سلطة ولا نشاط شرعي على نشاط شرعي آخر.

فالوزن هو الفحص الذي يمكن للناس التدقيق فيه برجاء أن لا تقع زيادة ولا نقصان ولا انحراف. يساعد على هذه الرؤية أن معايير الحساب في الآخرة جاءت في القرآن الكريم بمشتقات «وزن» كما في آية الأعراف المذكورة قبل قليل، ولم أجدتها في القرآن الكريم بمشتقات الكيل. فيقتضي الوزن بالقسطاس المستقيم استعمال أقصى ما يمكن من المعايير لبلوغ الوزن الحقيقي، فإن تعذر ذلك على الناس فينبغي توفية الوزن أي إعطاء زيادة في إجراءات جلب المصالح ودفع المضار، او زيادة للمشتري على نحو ما ذكرناه في الكيل.

ويتصل بذلك أنه توجد أمور كثيرة يصعب على أهل الخبرة حساب درجاتها بدقة كعواطف الناس وطرق استجابتهم للمؤثرات، وتوجد أمور كثيرة يصعب الركون فيها

دائماً إلى الدرجة الإجمالية، وذلك لأنها تضم في طياتها مواضع ضعف غير ظاهرة ومواضع مخاطرة كبيرة إذا حصل خطأ في الوزن أي في التقويم، وهذا يمكن أن يُفسد الإعتماد على التقويم الظاهري. ويقتضي ذلك مساعدة التقويم الإجمالي بأمرين، أحدهما تقويم تفصيلي للمتعلقات والنتائج التي يمكن أن تقع، الأمر الآخر هو إجراءات احتياطية لتقليل المضار والمخاطر، كتقليل بناء الخطط على مواضع الشك أو الضعف في التقويم، والإعداد للإحتمالات.

وفي تقويم الأفكار والخطوات والأعمال التي فيها قدر من الإبهام وتضارب الإحتمالات، فإن عبارة: ﴿ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾، يمكن أن تشمل أمرين، الأمر الأول: الرفق مع صاحب الفكرة أو العمل. الأمر الثاني: عدم الجزم بالقرار إلا بعد المزيد من الدراسة وحصص الإبهام وتضييق الإحتمالات، والله تعالى أعلم.

ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣، فإن في الآية أمرين في غاية الأهمية، الأمر الأول: أن واجب الشهادة على الناس إنما هي شهادة على آرائهم وأقوالهم وأفعالهم، كما أن «الوسط» في سياق الشهادة على الناس ولأجلها يدل على غاية العدالة كما ذكر السهيلي وغيره، لأن الوسط مسافته متساوية متعادلة من جميع من يشهد عليهم، فيشهد على الواقع بالحق بصرف النظر عن ميول القلب والأهواء. وأيضاً فإن الشهادة على آراء وأعمال الآخرين يقتضي التأهيل لوزن الآراء والأعمال. الأمر الثاني: لما كان المطلوب من المسلم أن يكون شاهداً على آراء الناس وأقوالهم وأفعالهم، فإن ذلك يقتضي أن يُربط كل مسلم على مجال معين (إن استطاع) وأن يتعرف إلى الأفق العالمي في هذا المجال وأن يُحاكم إلى الصراط المستقيم ما يريد أن ينتقيه أو يشهد عليه من

الأفق العالمي. معنى ذلك أن المطلوب من المؤمن أن يبلغ مرتبة الأستاذية العالمية في مجاله. وقد سبق تفسير الآية في الكلام عن الأفق الواسع.

## الأعمال المبنية على المخاوف ونحوها:

مثاله قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْيُذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخَافِينَ ﴾ الأنفال: ٥٨. وقد سبق بيانها تحت عنوان: «الإستشراف المبني على العلامات».

## من عوامل التفكير السليم

سبق ذكر عوامل كثيرة في هذا المبحث والذي قبله. وتوجد عوامل أخرى، ذكرناها في (المنطلق) وفي (نخبة المسار)؛ وهذا العنوان امتداد لما يتصل به فيها. وقد نذكر هنا سلوكاً من عوامل التفكير السليم، وذلك لأن سلوكاً معيناً قد يفرض نوعاً خاصاً من التفكير. فمن عوامل التفكير السليم:

### النفس الطيبة الثابتة:

(أما النفس الطيبة) التي تؤمن بما أنزل الله: فهي بعيدة عن الرذائل وغير مغمورة باللهو والشهوات. وتأثير القرآن الكريم على النفس الطيبة التي تتذكر خالقها هي الحجة الأولى، كما سبق بيانه تحت عنوان «الحجة البالغة لله تعالى».

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ يس: ١١، فالإنذار المؤثر محصور بهؤلاء.



ومثله قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ النمل: ٨١.

وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق: ٣٧.

وتدبر أن العلامات التي تهدي إلى الله يفهمها من في قلبه إيمان، قال تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّالْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ الحجر: ٧٢ - ٧٧.

وتدبر قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢، الشرح: فتح الشيء بإذهاب ما يصد عن الإدراك، كما في موضع آخر من (تفسير ابن فورك). وأما القلوب القاسية فهي التي أغلقت منافذ دخول الحق فلا تتفاعل مع مضامين الحق.

وقد ذكرنا في (المنهج الفريد) تفسيراً مفصلاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَرِيبٌ كَرِيمٌ ﴾ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ الواقعة: ٧٧ - ٨٠، ومعنى «مكنون» من كَنَّ الشيء: أخفاه وستره وصاناه؛ والمس في الآية الكريمة مس معنوي، من نوع قوله تعالى ﴿ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ۗ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام: ١٧. فمعاني القرآن مكنونة في المصحف ولا يفهمها ويتنفع بها إلا المطهرون.

(وأما النفس الثابتة بالإيمان): فهي النفس التي رسخ الإيمان في قلبها، وليس هو هدياً ظاهراً غير مرتبط بالقلب. يوضح الأمر قوله تعالى ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغٰوِيْنَ ﴾ الأعراف: ١٧٥؛ قال ابن فارس: السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنِ جِلْدِهِ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). فذاك الرجل جعل الدين غلافاً خارجياً غير مرتبط بالقلب، فسهل عليه أن ينسلخ منه. وأما إذا كان الإيمان الذي في القلب هو المنتج للهدي الظاهر، فهذا هو الثابت بإذن الله تعالى، وسيأتي تفسير أكثر تفصيلاً تحت عنوان «إفراغ القلب من الحق»، إن شاء الله تعالى. وقال تعالى ﴿... وَلِبَاسِ ٱلتَّقْوَى ذٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ الأعراف: ٢٦، فلما كانت التقوى في القلب، فلباس التقوى هو الهدي الظاهر الذي يحركه قلبُ التقى. فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ٱلتَّقْوَى هَآهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - » رواه الإمام أحمد في سياق حديث، وجوّد الإسناد شعيب الأرنؤوط، بل صحح الحديث لتعدد أسانيده.

### جودة التفاعل مع الخير:

يوضح الأمر أن إنتاج الأفكار ومعرفة المهارات الفكرية إنما تظهر قيمتها حين نُحسِن توظيفها وجعلها فاعلة في خدمة الخير.

قال تعالى: ﴿ ٱلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَآبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٱسْفُوتَ ﴾ الحديد: ١٦، فهذا عتاب لطيف يوضح للمؤمنين أنه آن أوان التفاعل والإرتقاء في الصلاح، فإن إطالة الأمد تؤدي إلى القسوة؛ ومعنى القسوة هو فقدان أو ضعف التفاعل مع المؤثرات التي ينبغي التفاعل معها.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ

اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ فاطر: ٣١ - ٣٢؛ توضح الآية تفاوت المؤمنين في جودة التفاعل، ففي تفسير الآية الثانية أقوال متعددة، لعل أقربها إلى سياق الآية إن شاء الله تعالى، أن اصطفاء العباد أمر عظيم، فعلى تقدير أن المسلم الظالم لنفسه بالكبائر ليس من المصطفين، فالآية الثانية ليست خبراً عن طبقة المصطفين بأن فيها ثلاث مجموعات، ولكن يشمل معناها الطبقات المتتابعة ابتداءً بأصحاب رسول الله ﷺ، وأن «مِنْ» في «فمنهم» وما بعدها لا ابتداء الغاية أو المنشأ، أي: فخرج منهم أو تَوَلَّدَ منهم. فالآية الأولى تتكلم عن الكتاب الذي أوحاه الله تعالى إلى محمد عليه الصلاة والسلام؛ وبعد ذلك أورش الله الكتاب أي القرآن الذين اصطفاهم أي اختارهم الله تعالى من المسلمين وعلماء الإسلام، فخرج منهم ظالم لنفسه وهي عبارة عامة تشمل الكافر والمنافق والمسلم الفاسق، وخرج منهم مقتصد أي متوسط في التقوى، وخرج منهم سابق بالخيرات. وأما عبارة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾، فإما أن ترجع إلى الذين اصطفاهم الله تعالى لأنهم أصل الكلام وليس إلى كل من خرج منهم، وإما أن ترجع إلى المقتصد والسابق بالخيرات، ولا يصح أن تشمل الظالمين إلا من انفصل عنهم بعد غسل ذنوبه. وأما الوعد بالجنة في الآية التي بعدها، فهو للسابق والمقتصد ولمن دخل الجنة بعد الحساب. يساعد على هذا التفسير أن ابن عباس ومجاهد وعكرمة فسروا الظالم لنفسه هنا بأنه الكافر أو من أهل النار أو من أصحاب المشأمة كما في آية الواقعة، روى ذلك عنهم الطبري، ونقل الطبري عن الحسن وقتادة أن الظالم لنفسه هو المنافق، ولا شك أن الكفار والمنافقين ليسوا من المصطفين، فلا يصح أن تكون «مِنْ» في «فمنهم» تبعيضية، والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ وَلِتُنظَرَ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ لِغَدٍ ۖ

وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ الحشر: ١٨؛ الآية الكريمة توجب على المؤمن أن يقوم ما سبق أن فعله، وهل يصلح لغد أم يحتاج إلى تحسين وتطوير؟

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَّ أَمْرٌ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ النساء: ١١٤؛ وتقدير الآية: إلا نجوى من أمر بصدقة أو .... فتدبر الثناء العظيم على النجوى المستثناة. والنجوى هو تفاعل بين جماعة قليلة العدد، ولكن يمكن أن تبلغ المعالي في مجالات النجوى المستثناة، وهي الأمر بالصدقة وأعمال الإغاثة، والأمر بالمعروف مع إتقان مهاراته، والإصلاح بين الناس بمجالاته الكثيرة والكبيرة.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿

المائدة: ٢. فهذه صيغة أمر توجب مضمون الآية.

والتفاعل الجيد مع الخير يستلزم تفاعلاً مضاداً للشر وللإسراف فيما يُشغل

عن المطالب العالية، أما التفاعل المضاد للشر فسياًتي قريباً تحت عنوان: «العداء للظلم والفساد» إن شاء الله تعالى. وأما التفاعل المضاد لما يُشغل عن المطالب العالية، فيوضحه:

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُؤْتِيهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ عَن ذِكْرِ

اللَّهِ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ المنافقون: ٩؛ فمن فوائد التفسير، الفائدة الأولى: النهي في الآية يفيد التحريم، يؤكد ذلك عبارة ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾. الفائدة الثانية: الإلهاء بالأموال والأولاد ليس للحصر،

ولكن لأن القيام بالأولاد والأموال واجب، ومع ذلك يجب أن لا تُشغل عن ذكر الله تعالى، فالتحريم أشد في أنواع التسلية التي ليست بواجبة. الفائدة الثالثة: ذكر الله ليس محصوراً بالذكر القولي كالحمد والتسبيح والتكبير، فإن أصل التذكر في القلب وما يؤدي إليه من قول وعمل. فالعبارة عامة في ذكر الله في شأننا كله، أي في الصلاة ونحوها وفي القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرها.

### التفكير القوي بالمعالي:

نصوص مغالبة الآخرين توجب التوجه إلى المعالي والتفوق فيها، كقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوَلِيًّا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة: ١٤٨؛ وقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠، وقد سبق تفسير ذلك باختصار في الكلام عن التركيز في المبحث الثاني، ثم ذكرنا المزيد في تفسير آية البقرة تحت عنوان «مهارات إنتاج وإنضاج الأفكار»، وستأتي تفاصيل وأدلة أخرى في المبحث الرابع أي تفسير آية الإقحام إن شاء الله تعالى.

ومن ضوابط ذلك، ما ذكرناه في (نخبة المسار) كقوله تعالى ﴿وَنَكَّسْتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ١٢، ومعنى ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾، أي نتائج أقوالهم وأعمالهم وما تؤدي إليه على طول الزمن من مصالح أو مضار. وواضح أن الآثار قد تكون آلاف الأضعاف لأصل القول أو العمل أو أكثر من ذلك. ونظير ذلك كما ذكر القرطبي قوله تعالى ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ القيامة: ١٣، وقوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الانفطار: ٥.

وقال تعالى ﴿وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الكهف: ٤٦، فالأفضلية لما هو أبقى أثراً من جلب المصالح ودفع المفاسد. ولذلك فإن المعالي هي ما كان

أعظم صلاحاً عند المقارنة مع الخيارات الأخرى، وكان أبقى أثراً عند دراسة العواقب والمآلات المحتملة، ومع جودة الموازنة بين المنافع والمضار خلال المسار التنفيذي. وبذلك نفهم معنى الأحسن والأهدى في نحو قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك: ٢، وقوله تعالى ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٤، فإن الأحسن والأهدى هو ما كان أفضل من سائر الخيارات عند المقارنة.

وترجع المعالي كلها إلى مضامين قوله تعالى ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ الفاتحة: ٦ - ٧، فالإلتجاء إلى معالي الأمور يعتمد على المغالبة في ثلاثة أمور، الأمر الأول: الفهم الواسع والمتقن للمرجعية الشرعية (الصراط المستقيم). الأمر الثاني: المغالبة في تحصيل النعم المعنوية والمادية، فإن هذه النعم هي وسائل المغالبة ووسائل إقامة الدين. الأمر الثالث: مكافحة أسباب التخلف والإنحدار، أي مكافحة أسباب غضب الله تعالى وضلال الأعمال. وقد ذكرنا في (نخبة المسار/ المبحث السادس: «إدارة النفس والأعضاء») جملة من الأدلة والفوائد في المكارم والمعالي وفي غيرها مما يحتاجه المؤمن، وسيأتي المزيد هنا في المبحث الرابع عن الإقتران، إن شاء الله تعالى.

## أن تفكر وتخطط للأفضل:

أي لأفضل ما تقدر عليه الآن، وما هو أكبر بكثير للمستقبل، فإنما ينال المجد لأمته من يفكر به ويرجوه من الله ويعمل له. وتدبر قوله تعالى ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ الكهف: ٩٤ - ٩٥، فتدبر أنهم

طلبوا سداً وهو حاجز يمكن العلو عليه، فكان جواب ذي القرنين: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾، أي خير مما طلبتم، فاختر ذو القرنين ردماً، والردم كالدفن يغلق المنافذ كلها؛ ولا يزال ردم ذي القرنين رحمه الله فاعلاً إلى الآن.

ويؤكد حكم فعل ما هو خير من غيره، قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ الملك: ٢، فالأحسن هو الخيار المتفوق، ولا حجة لمن زعم أن معنى التفضيل غير مراد وإن كانت الصيغة صيغة تفضيل!!!

وقال تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥، فتدبر أن الله تعالى لم يقل هنا: ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولكنه تعالى كرر «ولا» مع ذكر السيئة أيضاً. ولما كان تأسيس المعاني مقدماً على توكيدها، فإن «ولا» الثانية غير مؤكدة؛ إذ يُراد بالحسنة الجنس، وكذلك السيئة، فكل واحدٍ منهما متفاوتٌ في جنسه؛ لأنَّ الحسناتِ درجاتٌ متفاوتةٌ، وكذلك السيئات. وقد ذكر هذا الوجه السمين الحلبي في (الدر المصون). وبعد ذلك قال تبارك وتعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، أي بالحسنة المتفوقة على سائر الحسنات، وهي هنا الإحتواء السلمي، بدليل عبارة ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.

ويتصل بذلك، عدم إغفال الجهود الممكنة، قال تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُتَلِّبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ آل عمران: ١٦٧، فتدبر عبارة ﴿ تَعَالَوْا فَنُتَلِّبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾، فإن متعلق «ادفعوا» محذوف، فيمكن أن يكون التقدير: إن لم تقاتلوا فادفعوا العدو عنا بتكثير سواد الجيش او القيام بالأعمال غير القتالية التي يحتاجها الجيش؛ وتكثير

السواد تفسير مشهور. ويمكن أن يكون التقدير: إن لم تقاتلوا لوجه الله، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وحریمكم، ذكره السمرقندي. وحكم عبارة ﴿تَعَالَوْا فَنِتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا﴾، خاص بما قبل ظهور علامات النفاق، وأما بعد ظهورها فإن المطلوب هو إبعادهم عن الصف الأمني، فقد قال تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِحُلُلِكُمْ بِبَغْوِكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ التوبة: ٤٧. وأما عند انتفاء علامات النفاق فإن حكم ﴿أَوْ أَدْفَعُوا﴾، تشمل نظائره من الأعمال الثانوية التي تنفع العمل الجهادي وغيره. ومن المفيد تشغيل أكبر عدد ممكن من المواطنين.

ويتصل بذلك أيضاً، قوله تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ....﴾ التوبة: ٤٧، فما تنبه إليه الآية الكريمة أنك إذا كنت ضمن مجموعة صغيرة أو كبيرة فينبغي أن يزدادوا خيراً بك، أي بما تقوله أو تفعله. فعلى كل مؤمن أن يؤهل نفسه لينفع أداء الجماعة.

## إتقان التفكير

### وتنمية الوزن المعنوي:

(أما إتقان التفكير)، فلأن إتقان التفكير يؤدي إلى عمل متقن. وقد قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء: ١٢٥؛ وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ لقمان: ٢٢. معنى الآيتين: من أسلم وجهه لله وهو متقن في معرفة دينه وفي العمل به، فلا أحسن منه كما في آية النساء، وقد استمسك بالعروة الوثقى كما في آية لقمان. يوضح الأمر أنك إذا قلت: أحسن زيد إلى سعيد، فإن



الإحسان هنا عطاء الخير، سواء كان مالاً أو علماً أو غير ذلك. وأما الإحسان إذا اتصل ظاهراً أو تقديراً بفكر أو عمل فهو إتقان الخير، ومنه قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: ٧، وكذلك قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٤.

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» رواه مسلم وأحمد وغيرهما، والأصل في معنى «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ» أي إن الله فرض وأوجب.

وما أجمل قول ابن الوردي:

قيمة الإنسان ما يحسنه      أكثر الإنسان منه أو أقل

(وأما تنمية الوزن المعنوي)، فقد قال تعالى ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا

يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقُونَ﴾ الروم: ٦٠، أي لا يجدونك خفيفاً يمكن تحريكه وفقاً لإرادتهم وأهدافهم. وقد أدت مهارات التحريك العدائي إلى تدمير شعوب وشمل إرادتهم. ومنه قوله تعالى ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَنَاسِقِينَ﴾ ٥٤

فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الزخرف: ٥٤ - ٥٥، أي وجدهم خفافاً أو جعلهم خفافاً بسياسات تنمية التخلف وياغراق الفكر بالأزمات والتفاهات وبالترويض، بل وبعمليات الإعداد للمقتل، إذ جعلتهم خفتهم مسارعين في خدمة طغيان سيدهم؟ وتكافح الخفة بزيادة وتحسين الثقل المعنوي في أمرين، الأمر الأول: شدة الالتزام بالمرجعية الشرعية، فلا يتحرك خلافاً إلا بضوابط الإضطرار. ويقترن ذلك بالمرونة التنفيذية وبالنظر في الخيارات والبدائل، ولكنه جملة وتفصيلاً ضمن

الإطار الشرعي. الأمر الثاني: تنمية المهارات الفكرية كالأفق الواسع وقوة الملاحظة والرؤية العميقة والمنقحة والتحليلية، ونحوها مما يساعد على تشخيص عمليات التحريك العدائي وجودة التعامل لمكافحتها.

## تنقية المضامين المتبناة والتخلي عن القضايا الخاسرة:

(أما العقيدة اليقينية)، فأدلتها كثيرة ومعروفة، وقد ذكر معنى «المرية والشك» في أكثر من موضع في هذه الدراسة، ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤.

(وأما تنقية المضامين المتبناة)، فالمقصود معالجة الأخطاء والتخلي عن القضايا الخاسرة. قال تعالى ﴿ وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٥٠، فتدبر عبارة ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾، فهي جملة جديدة (استثنائية) ومرتبطة معنوياً بما قبلها، وتفيد التعليل (أي بيان السبب)، واللام في «لئلا» تفيد التعليل وهي متعلقة بمحذوف. والتقدير: أمرناكم بذلك في شأن القبلة لئلا يكون للناس عليكم حجة. وهذا التقدير هو مقتضى قول الزجاج وأبي البقاء العكبري وظاهر كلام النسفي. ومن المهم هنا أن كلمة «حجة» في عبارة ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾، هي نكرة في سياق النفي، وتفيد العموم، ولها حكم النهي لأن الواقع يمكن أن يكون على خلافها، فهي خبر عن حكم الشرع وليست خبراً عن الواقع؛

والمعنى: لا تجعلوا للناس عليكم حجة. وأما شأن القبلة فهو مثال على ذلك وفرد من أفراد العموم.

ويتضمن هذا النظر وجوب أن نراجع ما نتبناه من آراء فقهية وتبريرات من تأريخ المسلمين، وتبريرات من تأريخ الجماعات الإسلامية المعاصرة والمواقف المحسوبة على الإسلام. ويجب في كل ذلك التخلي بصراحة عن القضايا الخاسرة التي تجعل للآخرين حجة صحيحة علينا. وأما عبارة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي إلا الذين ظلموا في احتجاجهم، أي احتجاجوا بالباطيل وأسأوا في الإحتجاج، فهؤلاء مبطلون ويمكن ردهم بقوة أو إهمالهم لوضوح جوانب الخطأ والإساءة عندهم.

ويتوهم بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية أو العلوم الشرعية، يتوهمون أن التمسك ببعض الأخطاء خير من التنازل الفكري أمام الخصم، وهذا من وحي الشيطان فإن التمسك بباطل يُفسد العمل ويذهب بالبركة ولا يأتي إلا بالشر.

## العداء للظلم والفساد:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ

الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور: ٢١، وتشمل الفحشاء والمنكر كل أنواع الظلم والفساد، فهذه خطوات الشيطان، وحكمها المعادة، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: ٦.

وقال تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ الحجرات: ٧؛ ومعنى «وكره إليكم»، أي: بغض إليكم، على وزن: ثَقَبَ وَجَرَّبَ. والكره على خلاف الرضا والمحبة،

كما في (معجم مقاييس اللغة)، ويُقال: أمر كربه ووجه كربه. ومعنى الآية: أن الله تعالى ألقى في قلوبكم أو أنزل إليكم ما يقتضي منكم كراهة كل ما هو كفر وكل ما هو فسوق وكل ما هو عصيان، لأن الألفاظ جاءت بصيغة العموم. وأما من فسر الآية بنوع من أعمال الكفر أو الفسوق أو العصيان، فكلامه لمجرد التمثيل وليس للحصر. وهذه الكراهة تستلزم الشعور بالإنكار لكل ما هو كفر أو فسوق أو معصية، ولذلك جاءت النصوص بالنهاي عن المنكر، وهو عام في الكفر والفسوق والعصيان، يكرهه المؤمن طاعة لله تعالى فينكره.

وقد أنكر الله تعالى غاية الإنكار على من فقد الشعور بنكارة المحرمات، قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩.

**قال تعالى:** ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ النساء: ١٤٨، الآية الكريمة توضح بقوة حق المظلوم أن يجهر بالسوء من القول فيما يتعلق بمظلمته، وتوجد أدلة أخرى تُشَرِّعُ للآخرين مساندة المظلوم في ذلك، وقد ذكرنا تفسير الآية في كتاب (أهل البيت).

**وقال تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ القصص: ١٧، أي لن أكون معيناً ولا ناصرأ لهم في جرائمهم.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هود: ١١٣، رُكن الشيء جانبه الأقوى كما في (معجم مقاييس اللغة)، أو جانبه الذي يُسكن إليه كما في (المفردات). فالآية تنهى أن يجعل المؤمن

من الظالمين ركنه الذي يطمئن ويسكن إليه. ففي حال وجود علاقات قانونية مشروعة بين الطرفين، فإن الآية توجب المراقبة ومتابعة الإلتزام.

**وقال تعالى:** ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ

﴿١٥٢﴾ الشعراء: ١٥١ - ١٥٢، واضح من الآية أن مسار المسرفين مسار خاطئ ويجب اجتنابه. والإسراف تجاوز مدموم للحدود، سواء كان في التفكير او في العمل، فهو في الشرع تجاوز الحدود المشروعة، وله أشكال متنوعة. قال تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨١؛ وقال تعالى ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣؛ وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٧.

وأما قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان: ٦٧، فكل إنفاق على معصية فهو إسراف، وكل مبالغة في الإنفاق على المباحات فهو إسراف إذا أشغل المؤمن عما يجب عليه.

ومن مضامين هذا العداء الإهتمام الشديد بمكافحة الظلم والفساد، وكذلك وضع حواجز منيعة (قانونية وإدارية وأمنية) بين المصالح الخاصة من جهة، والقرار العام من جهة أخرى، فلا يمكن للمنافع الخاصة بحال من الأحوال أن تتحكم في القرار العام والمصلحة العامة.

ومن مضامين ذلك أيضاً مكافحة الفساد الظاهر والباطن او المباشر وغير المباشر، وهذا من خصائص الإسلام، كما في قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ

الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿ الأنعام: ١٢٠، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ الأنعام: ١٥١.

ومن المعلوم أن العداة للظلم والفساد متجذر في قلوب أهل الحق ويستلزم نوعاً من الغضب لحرمة الله تعالى. غير أن الغاية الكبرى لأهل الحق هو الإصلاح ونصرة الحق تحت غطاء شامل من العقل والحكمة والرؤية المنقحة للحاضر وللعواقب المحتملة، ومن غير خضوع لسطوة الغضب وشهوة الإنتقام والتنكيل.

ويجب في مكافحة الظلم والفساد أن يقترن بقوة بمشروع الإصلاح والتغيير. ونذكر هنا بحديث أبي سعيد الخدري قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ. » رواه مسلم وغيره. وقد بينا في (المطلق) وغيره أن اليد في مثل هذا السياق هي القوة الفاعلة وليست بالضرورة القوة الضاربة، ولذلك تُستعمل كناية عن العمل، كقوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة: ١٩٥، أي بعملكم، وقوله تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ الروم: ٤١، أي بما عملوا بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود العنف. وواضح من حديث أبي سعيد أن « منكرًا » نكرة في سياق الأمر فهي مطلقة بصرف النظر عن نوع المنكر ومن هو فاعل المنكر، ولكن يكون ترتيب التغيير بحسب متطلبات الأولويات والموازنات بين المنافع والمضار.

وفي غير الجهاد القتالي، فإن الرفق في العمل مقدم على العنف في الرتبة أو الأولوية، وذلك لنحو حديث عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » رواه مسلم. وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » رواه مسلم وغيره. وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ « مَنْ يُحْرَمِ

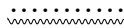
الرَّفْقَ ، يُحْرَمُ الْحَيْرَ » رواه مسلم وغيره ، وفي رواية « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْحَيْرَ كُلَّهُ » رواه أبو داود وصححه الألباني. ولا شك أن الزيادة في استعمال العنف تقترب من ركود التفكير وبالنقصان في استعمال العقل، وهذه مصيبة كبيرة.

وينبغي لذلك إطلاق التفكير في تعلم وإتقان المهارات العملية غير العنيفة في التغيير، ويحتاج ذلك إلى صبر وحظ كبير من الحكمة، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۗ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥ .

## وحدة الإتجاه:

يستلزم وحدة الإتجاه منع تضارب الإتجاهات المباحة في أصلها. قال تبارك وتعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ ..... ﴾ الأحزاب: ٤. وقد ذكرنا في (نخبة المسار) تفسيراً مفصلاً للآية الكريمة. ومختصر ذلك في أمرين، (الأمر الأول): ينبغي للمؤمنين أن يكون لهم عقل واحد في المصالح العامة والغايات العليا وفي مساعدة بعضهم البعض وفي رفع الظلم بينهم. وقد يُطلق على ذلك عند خبراء القيادة والإدارة: عقل الجماعة او روح الجماعة او روح الفريق. وقد ظهر ذلك واضحاً في مثال للقيادة الجماعية، فقد بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وقال لهما « وَتَطَاوَعَا وَلَا تَحْتَلِفَا » رواه مسلم والبخاري وغيرهما. وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٠٥، فيجب الإجتهد في توليد الأفكار التي توحد الرؤية في القضايا التي يُعْمُ تأثيرها ويمكن أن يؤدي الاختلاف فيها إلى التفرق، وإن تعذر ذلك فتوحيد العمل. ويؤسس على وجوب التطاوع وجوب إعداد أنظمة ووسائل التطاوع، أي أنظمة التوافق على عمل

واحد وإن كانت الآراء مختلفة. معنى ذلك وجوب توحيد الإتجاه الإستراتيجي للمصالح العليا. ويؤسس على ذلك أيضاً أن المؤسسات المتعددة وإن تنوعت وظائفها فإن بعضها يساند بعضاً، وتتجه كلها إلى تحقيق المصالح العامة والغايات العليا وكأنها قلب واحد، فلا يجوز أن يحصل تناقض استراتيجي بين وظائف المؤسسات المتعددة. فإن حصل ذلك التناقض فإنه ينبه إلى فساد الأهلية او خيانة الواجب الوظيفي او التقصير فيه. بل إن المعاكسة العملية المتعمدة للإتجاه الإستراتيجي في المصالح العليا قد يصل إلى درجة الخيانة. (الأمر الثاني): واضح من امتناع حمل المتناقضات أن عقل كل عامل يجب أن لا ينقسم بين المتناقضات، فكل وظيفة يقوم إتقانها على المغالبة والمنافسة فلا يصح لموظف واحد أن يشتغل فيها وفيما ينافسها في وقت واحد. ولنضرب مثلاً مهنة الطبيب، فإنها مهنة رفيعة، ويقوم إتقانها في المؤسسة على التطوير والمغالبة، فإذا كانت وزارة الصحة تسعى لتقديم أفضل الخدمات لعامة المواطنين (الضمان الصحي)، فإن هذه الغاية تجعل التزاحم كبيراً بين غاية ومنافع المؤسسة العامة من جهة، وارباح المؤسسات الصحية الخاصة من جهة أخرى، لأن أرباح المؤسسة الخاصة تقوم إلى حد كبير على عدم كفاية المؤسسة العامة. ولذلك فإن الصحيح أن الطبيب في عمله الطبي ينبغي أن يكون متفرغاً للعمل الحكومي او للعمل الخاص من غير خلط بينهما، وهكذا الأمر في وظائف كثيرة جداً، ولكن من مستلزمات التفرغ أن يُعطى الموظف حقه وكفايته. يوضح ذلك التنافس في الفروسية والرياضة، فلا يصح للاعب معين أن يعمل في الفريقين في وقت واحد لأنه سيفسد الفريقين او ينحاز إلى أحدهما، ولأن السباق قائم على منافسة الآخر ومغالبته. وأيضاً فإن كل وظيفة عالية الأهمية تحتاج من الموظف أن يعطيها أعظم ما يمكن من قلبه (أي عقله ومشاعره) لغرض إتقانها وتطويرها والمغالبة فيها.





## رؤية المراحل ومقتضياتها:

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف: ١٥. فتدبر عبارة ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾، فالأشدُّ جمعٌ شِدَّةٍ، أي بلغ اكتمال قواه الأساسية، ويقتضي ذلك أن لا يقف، بل يستمر بتنمية قواه الأساسية بالتدريب والتجربة والعلم والتفكير. المهم أن يرى أين بلغ وما هو تأهيله ولأي شيء يصلح؟

وعلى هذا الأصل قوله تعالى ﴿ كَزَّرَجِ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩، فهذه أربع مراحل، ولكل مرحلة خصائص ومقتضيات. فإذا كنت في المرحلة الثانية فلا يصح أن تتصرف وكأنك قد تجاوزت المرحلة الرابعة. وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآية في الكلام عن التدرج في (المنطلق). وهكذا الأمر في نمو الأشخاص والمجتمع والمؤسسات والأعمال والدول، يجب التفكير بما يصلح للمرحلة مع الإعداد لبلوغ المرحلة التالية.

## ضبط النفس:

لا ريب أن كل حركة في النفس توهن الحكمة أو تُغَيِّبُ بعض البصيرة فهي حركة مذمومة وينبغي ضبط النفس لإخادها أو إزاحتها، ويمكن مراجعة (المنطلق) فقد ذكرنا فيه جملة من عوامل تغييب البصيرة، منها الفتور والغضب والتسرع وعدم استقرار الدوافع العقيدية والهوى.

وتدبر ماذا يمكن أن يفعل عدم ضبط النفس حين تُبهرُ النفس (أي تُغلب) بُمغرٍ أو مُخيف، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ۖ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يوسف: ٣١ .

وتدبر قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ (٢٤) ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٤ ، وانظر الآيات بعدها. فأما الهلع، فقال ابن منظور: قَالَ الْفَرَاءُ: الْهَلُوعُ الصَّجُورُ، وَصِفَتُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، فَهَذِهِ صِفَتُهُ. وَالْهَلُوعُ: الَّذِي يَفْزَعُ وَيَجْزَعُ مِنَ الشَّرِّ. قَالَ ابْنُ بَرِّي: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ: رَجُلٌ هَلُوعٌ إِذَا كَانَ لَا يَصْبِرُ عَلَى خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ حَتَّى يَفْعَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرَ الْحَقِّ، وَأُورِدَ الْآيَةَ. اهد من (لسان العرب). وأما الجزع، فهو نقيض الصبر وهو انقطاع النفس عن حمل ما نزل. فالهلع بسبب الخسائر المادية او بسبب الخوف من عدم تحصيل المطامع يجعل الهلوع يركز كل تفكيره على الكسب المادي وإن كان بالحرام وبالعدوان بغير حق، إلا المصلين والذين ذكرهم الله تعالى في سورة المعارج.

ولنتدبر قوله تعالى ﴿ ..... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۖ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ (١٣٤) ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤ ، كظم الغيظ حبسُ الكرب والغضب، وكتمانه على الرغم من إمتلاء النفس به. ولفظ ﴿ وَالْكَاظِمِينَ ﴾، مجرور بأنه صفة المتقين في الآية التي قبلها، او منصوب بمعنى إرادة هؤلاء وهؤلاء، كأن يكون التقدير: أعني الذين ينفقون والكاظمين الغيظ. ولذلك فإن كظم الغيظ ليس من النوافل، بل هو تعريف للمتقين، ومعلوم أن جنس التقوى واجب.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَمَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟»، قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» رواه مسلم والبخاري وغيرهما.  
ويتصل بذلك أحاديث وعوامل أخرى ذكرناها في (المنطلق) تحت عنوان «ضبط النفس».

## ضبط الراحة:

قال تبارك وتعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ الشرح: ٥ - ٨. فتدبر أن اليسر مع العسر قبل أن يكون بعده. ثم قال تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾، بالفاء التي تفيد ربط المعاني، وليس بالواو كقولك: وإذا فرغت. والنصب التعب، والفراغ نقيض الشغل. قال الإمام الزمخشري رحمه الله: فإن قلت: فكيف تعلق قوله فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ بما قبله؟ قلت: لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآئفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتاً من أوقاته منها. فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. اهـ من (تفسير الزمخشري). وينبه كلام الزمخشري إلى أصول نحوية، الأول: أن الفعل الماضي «فرغت» يُراد به وقوعه في المستقبل، ولا شك في ذلك حين يكون جواب الشرط بصيغة الأمر أي «فانصب». الأصل الثاني: أن الأصل في جواب الشرط أي «فانصب»، أن يكون في حكم القائم بمجرد أن يقع فعل الشرط أي «فرغت»، وهذا واضح جداً حين يتصل الجواب بالفاء.  
وقال ابن فورك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾، خطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين من أمته. اهـ من (تفسير ابن فورك في المكتبة الشاملة). فمن فوائد آيات الشرح:

**(الفائدة الأولى):** الفراغ كالمعدوم عند المؤمن، فهو لنحو إلتقاط الأنفاس او التعافي من مرض حاد او لتقويم ما سبق او لما هو ضروري من النوم. وبخلاف ذلك فإن المؤمن إذا فرغ من واجب انتقل بقوة إلى غيره، فهذا مما تعنيه عبارة ﴿ فَأَنْصَبْ ﴾، أي فاتعب، يُقال: نَصَبَ نَصَبًا أَي أَعْيَا، وَعَيْشٌ نَاصِبٌ فِيهِ كَدٌّ وَجَهْدٌ، كما في (المحكم). وقد أَنْصَبَهُ الدَّاءُ، كما في (المخصص). وقال ابن منظور: النَّصَبُ: الإِغْيَاءُ مِنَ العَنَاءِ. والفعلُ نَصَبَ الرَّجُلُ، بِالْكَسْرِ، نَصَبًا: أَعْيَا وَتَعَبَ؛ وَأَنْصَبَهُ هُوَ، وَأَنْصَبَنِي هَذَا الأَمْرُ. وَهَمَّ نَاصِبٌ مُنْصَبٌ: دُو نَصَبٍ. اهـ من (لسان العرب). فالتدريب على التعب والمصاعب يُقوي الرأي، يدل على ذلك النظر في عواقب النقيض أي اعتياد النعومة والراحة، قال تعالى ﴿ أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ الزخرف: ١٦ - ١٨، صيغة الآية الثالثة تشمل المرأة إذا نشأت في الحلية والنعومة، وكذلك تشمل الرجل إذا نشأ في الزينة والنعومة. ولذلك كان التدريب على الحزم وقوة الإلتزام مطلوباً لحشد طاقات الجنود العسكريين وغير العسكريين، قال تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل: ١٧، فتدبر معنى «يوزعون»، فإن الوزع هو التوجيه بقدر من الحزم، لأنه يُطلق على الكفِّ والمنع، يُقال: وزع فلان فلاناً عن الظلم أي كفه عنه، والوازع الزاجر عن الشيء والناهي عنه، ويُطلق كذلك على الإلهام والتبصير، وعلى ذلك تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ النمل: ١٩. فعمليات السَّوْق تقتضي الكثير من التوجيه والحزم لإتقان التوزيع وضبط الحركة والإنتشار ومنع التشتت والشذوذ. ولعل أقرب شيء إلى هذه

المعاني هو العمل الذي يحتاج إلى اقتحام العقبات والمصاعب، وسيأتي تفسير آية الاقتحام إن شاء الله تعالى.

**(الفائدة الثانية):** المفروغ منه محذوف، ويفيد الحذف العموم في كل واجب تتصدى له، وهذا كقولك: «لا تسرق» من غير ذكر المسروق، فإنه يفيد العموم في كل مسروق. وعلى ذلك، فإن ما ورد عن السلف في تحديد المفروغ منه وما بعده، كقول بعضهم: إذا فرغت من الجهاد فانصب للعبادة، فهذا ونحوه مجرد أمثلة ولا تفيد التعيين ولا الحصر.

**(الفائدة الثالثة):** لما كانت عبارة ﴿فَإِذَا فَرَّغْتَ فَانصَبْ﴾، متعلقة معنوياً بما قبلها فإنها تنبه إلى أن رؤية منافذ اليسر أثناء العسر تحتاج إلى جهد مُتعب مُنصب كي يفتح الله تعالى عليك في الخروج من العسر.

**(الفائدة الرابعة):** قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾، ففي العمل العام والنصب وتحقيق الغايات اجعل رغبتك خالصة لله تعالى، وامنع عن مسارك ما يعارض ذلك من الهوى والشهوة والمصلحة الخاصة. وقال ابن جزري: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾، قدّم الجار والمجرور ليدل على الحصر أي لا ترغب إلا إلى ربك وحده. اهد من (التسهيل لعلوم التنزيل)، وقد صرح بمعنى الحصر أبو حيان ومكي والزجاج والزمخشري وابن عطية والنسفي وابن القيم والشوكاني وابن عاشور.

## التفكير بالجماعة والأمة:

وفيه مجالات عديدة:

**منها:** الولاء في الدين، فإن المعاني المتنوعة لتصاريف كلمة «الولاء»، ترجع كلها إلى معنى التقرب المباشر والإقبال بالتعاون والتناصر والتأييد بالحق وبالاستجابة بالحق

للنداء. وواضح من النصوص الكثيرة، أن المفهوم الإسلامي للولاء مبني على التماسك الديني، أي عدم وجود حواجز عقيدية بين الأفراد. ومنه قوله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٧١.

والولي خلاف العدو، ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠.

وهذا ليس بهانع من أن تقترن علاقة المسلم مع المسلمين من غير المسلمين، بمفاهيم مشتركة كالعدل والإنقاذ والصدق ومنع الظلم والأذى وغيرها، وتقترن كذلك بكثير من الإلتزامات العملية المتبادلة، كالإلتزامات ميثاق التعايش والسلم المجتمعي والمواطنة الصالحة والعلاقات الإنسانية النبيلة.

وأما مقتضيات الولاء، فتدبر حديث ابن عمر أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم والبخاري وغيرهما، ومعنى « وَلَا يُسْلِمُهُ » أي لا يتركه وقية للظلم والكربات والمصائب والمهالك والفشل، بل ينصحه ويعينه ويتعاون معه ويجلب الآخرين لنصرته ومساعدته. وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلَّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلَّهُ » رواه مسلم وأحمد.

ومن مقتضيات الولاء حديث قيس بن عبادٍ، قال: انطلقتُ أنا والأشترُ إلى عليٍّ، فقلنا: هل عهد إليك نبيُّ الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناسِ عامَّةً؟ قال: لا، إلا ما في كتابي هذا، قال: وكتابٌ في قرابِ سيفه، فإذا فيه «المؤمنون تكافأ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ» رواه الإمام أحمد وغيره في سياق حديث، وصححه الحافظ الذهبي وشعيب الأرناؤوط على شرط الصحيحين.

ولنتدبر هنا عبارة « وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ »، فمعنى «ذمة الإنسان»، هي عهده وكفالته كما في (لسان العرب)، فهي إلتزامه ومسؤوليته تجاه الحرمان وتجاه كل ما يحتاج إلى حفظ ورعاية، فلا ذمة لمن تجرد من الإلتزامات. يُقال: في ذمتي كذا، أي هذا ما تحمله والترم به، ويُقال: من فعل كذا فقد برئت منه الذمة أي سقط الإلتزام بحقه. ومن الإجراءات القانونية المعاصرة: «براءة الذمة»، وهي: شهادة تفيد الخلو من المسئولية الماليَّة أو الجنائيَّة، كما في (معجم اللغة العربية المعاصرة).

يوضح ذلك الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ قال « وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّ ﷺ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَبِيكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخْفَرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ آبَائِكُمْ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْ تَخْفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - » رواه عبد الرزاق وأحمد ومسلم وابن ماجه وغيرهم في سياق حديث طويل، بمعنى أنكم إن نقضتم إلتزامكم فهو أهون من أن تنقضوا إلتزاماً منسوباً إلى الله تعالى ورسوله ﷺ.

نرجع الآن إلى عبارة: « وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ »، فتدبر أن الذمة هنا مضافة إلى المؤمنين، فالساعي هنا يسعى بذمة المؤمنين وليس بذمة غيرهم. وعبارة « أدناهم » تُستعمل في العربية بمعنى: أقربهم، وبمعنى: أقلهم منزلة. فالحديث واضح جداً أنه من باب ثقافة المسئولية العامة والجسد الواحد، فالمسؤوليات العامة للمؤمنين وكذلك المسئوليات الخاصة عند الضرورة، يسعى بها المؤمنون كلهم، الأقرب فالأقرب والأقرب

فالأقدر، أي رعاية القرب المعنوي والمادي. وما ذكرناه هو خلاف المشهور في تفسير الحديث فقد حمله العلماء على أن لكل مؤمن مهما انخفضت منزلته، فله الحق في إجارة المشرك، أي تصح إجارة المشرك وبذل الأمان له من قبل المؤمنين عموماً، الذكر والأنثى والحر والعبد والغني والفقير. غير أن ما ذكرناه هو الظاهر من صيغة الحديث، كما أن عمومه يشمل إلتزامات المؤمنين تجاه المسلمين من الكفار، ولا ضرورة لصرف النص عن ظاهره.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩. قال الطبري رحمه الله تعالى: وأولى الأقوال عندي بالصواب في «الربانيين» أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربان، الذي يربُّ الناس، وهو الذي يُصلح أمورهم ويربِّها ويقوم بها، يقال منه رَبَّ أَمْرِي فلان فهو يُربُّه رَبًّا وهو رَبُّهُ. فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل هو رَبَّانٍ، كما يقال هو نعسان من قولهم نَعَسَ يَنْعَسُ. اهـ من (تفسير الطبري). فمعنى ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ ... ﴾، أي: ولكن كونوا بمنزلة القادة المؤثرين في الآخرين، وهي في الغالب قيادة غير رسمية. وواضح من الآية أن طريق الربانية هو تعليم الكتاب المنزل ودراسة العلم النافع.

و يتصل بذلك تشكيل الصداقات الصالحة الهادفة او المجاميع الصغيرة المتعاونة على الخير، أي النجوى المستثناة والمدوحة في قوله تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ١١٤. وقد ذكرنا تفسير الآيتين في (المنطلق)، وذكرنا في (نخبة المسار) تفاصيل أخرى في تفسير آية آل عمران.



**ومنها:** ثقافة التناصح. النصيحة ضد الغش والخديعة، وهي تشمل النية والقول والعمل، يُقال: نَصَحْتُ لَهُ الْوَدَّ، أَي أَخْلَصْتُهُ، وَنَاصِحُ الْعَسَلِ: خَالِصُهُ، وَرَجُلٌ نَاصِحٌ الْجَيْبِ: نَقِي الصَّدْرُ لَا غِشَ فِيهِ. ونصح الثوب خاطه، وَالْأَرْضُ الْمُنْصُوحةُ الْأَرْضُ الْمُتَّصِلَةُ النَّبَاتِ، كَأَنَّ تِلْكَ الْجُوبَ الَّتِي بَيْنَ أَشْخَاصِ النَّبَاتِ خِيطٌ حَتَّى اتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. ولذلك عرّف الراغب النصح بأنه تَحَرِّيٌّ فِعْلٌ أَوْ قَوْلٌ فِيهِ صِلَاحٌ صَاحِبِهِ. فلما كان الدين هو النصيحة كما في الحديث ، فلا مجال لموقف المتفرج، بل يجب إتباع المهارات العملية والقولية في التغيير وفي جلب المنافع ودفع المضار، وبحسب الإستطاعة.

قال تعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩.

وقال تعالى ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر: ١ - ٣.

وعن تميم الداريّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ « اللهُ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » رواه مسلم وأحمد وغيرهما. وتدل صيغة الحديث على أن لبَّ الدين أو جوهره هو النصيحة. ولذلك كان الإنكار شديداً في آيات المائدة والعصر. والحديث صريح أن النصيحة هي قبل كل شيء للدين، أي لله ولكتابه ورسوله، وتشمل كذلك أئمة المسلمين وعامتهم.

وعن أبي المليح: « أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ دَخَلَ عَلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، لَوْ لَا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَا مِنْ أَمِيرٍ بَلِيٍّ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ »

مَعَهُمُ الْجَنَّةَ. « رواه مسلم ورواه البخاري بنحوه. وعبيد الله بن زياد هو والي الكوفة ليزيد بن معاوية، وهو الذي أدار وقعة مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ومنها: العمل على رفع منزلة الأمة، قال تعالى ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤، فتدبر صيغة العموم في الخير والمعروف والمنكر. فالأمة كجملة يجب أن تحمل هذه الصفة، خاصة وأن آخر هذه الآية يُشعر بحصر الفلاح فيهم فلا مجال لاختيار عدم الفلاح، وهذا قول الزجاج وجماعة من المفسرين، ونقل ابن عطية أنه بمنزلة قولك: ليكن منك رجل صالح، وفي «من» هذه معنى التجريد أي تجريده للصالح، وهو راجع إلى معنى «من» الإبتدائية أو البيانية، وليست للتبويض. وتشمل آية آل عمران مسؤولية كل فرد في حق نفسه، ومسؤوليته في النصيحة للآخرين وإعانتهم على النهوض. وقريب من ذلك صيغة الخبر عن الحكم الشرعي في قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠.

وهذا هو المعنى المركزي للتفوق الحضاري، وهو يعتمد على أمور، (الأمر

الأول): اكتساب الخبرة لتشخيص الخير في كل مجال، المعمول به والمتروك، والدعوة إليه، مع ترتيب الأولويات. وينبغي هنا اكتساب مهارات الدعوة إلى الخير كما في آية آل عمران. (الأمر الثاني): صياغة منظومة متكاملة لأنواع المعروف ولمناهج إقامته، فإن الأمر بالمعروف يتضمن السعي لإقامته، ويتضمن ذلك سبل إدامته والدفاع عنه، وتدبر في ذلك قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣؛ ومعنى

إقامة الدين النهوض به. (الأمر الثالث): صياغة منظومة متكاملة لأنواع المنكرات ولمناهج مكافحتها ومنعها، فإن النهي عن المنكر يتضمن السعي لتغييره بالمهارات العملية، كما في حديث «من رأى منكم منكراً فليغيره...».

**ومنها:** تدريب الجمهور والنخبة ورفع منزلتهم في مناقشة قضايا المصلحة العامة

والتفاعل معها. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور: ٦٢، ونحتاج إلى ذكر فوائد لبيان معاني عبارات الآية الكريمة:

(الفائدة الأولى): أهمية المشاركة العامة، يدل عليها عبارة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

الَّذِينَ﴾، فإنها عبارة حصر ومبالغة وتدلل على أن الصفات المذكورة بعدها هي مما يوجبه الإيمان بالإسلام، يؤكد ذلك أنه لا يصح لأحد أن يغادر الاجتماع إلا بإذن من رسول الله ﷺ؛ ويؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿... قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ النور: ٦٣. فينبغي وضع مناهج ثقافية وعملية لتدريب الشعب على خدمة المصالح العامة.

(الفائدة الثانية): معية المشاركة، كما في عبارة ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾، فإن المشهور

في معنى «مع» أنها لبيان مكان أو وقت المصاحبة أو الاجتماع، وآية النور تشمل هذا المعنى. غير أن «مع» يمكن أن تتضمن الاجتماع في المعنى أيضاً، بل يمكن أن تتجرد للمصحبة المعنوية. فالمصحبة المعنوية قد أثبتها الراغب في (المفردات) والزركشي في (البرهان في علوم القرآن) وغيرهما، وهي كثيرة في القرآن الكريم، نحو قوله تبارك وتعالى

﴿ أَيَّتُكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ ﴾ الأنعام: ١٩، أي: أنتم لتشهدون أن مع الله في الألوهية آلهة أخرى. وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٧، أي مع الرسول الكريم في دينه وإن كان في غير ذلك الزمان والمكان. فيمكن جعل المعية في آية النور متشعبة على مراتب، فمن مراتبها: توظيف جماعة مختصة بشؤون المصالح العامة، كما هو الحال اليوم في الوزارات والمجالس النيابية. ومن مراتبها: استحداث صلة (يمكن أن تكون الكترونية) بجميع المؤهلين فكرياً وسلوكياً، لأجل الإستطلاع وحصد الأفكار؛ ويجب تنظيم الأداء في هذه المرتبة لضمان تفعيلها وعدم إهمالها. ونذكر بأن التأهيل في مجالات معينة يشمل السلامة الأمنية. ومن مراتبها: تحديد مستشارين مؤهلين خارج الوظيفة وفي كل مجال من مجالات المصالح العامة، لغرض استشارتهم أو إدخالهم في العمل عند الحاجة. وينبغي لكل مسلم أن يسعى لتحصيل أهلية المعية في الأمور الجامعة مع من يقوم مقام النبي ﷺ من القادة، ويذكر بذلك حديث « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »، وقد ذكرناه كاملاً قبل قليل.

**(الفائدة الثالثة):** العموم في الأمر الجامع. فإن عبارة ﴿ عَلَيَّ أَمْرٌ جَامِعٌ ﴾، نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة في أي أمر جامع، ولها حكم العموم في الأمر الجامع من جهة تعلقها بنفي جواز ذهاب من كانت له معية. وأما استعمال «على» فهي للإستعلاء المعنوي كالتمكن من الأمر والنهوض به أو تولى الأمر. فعبارة ﴿ عَلَيَّ أَمْرٌ جَامِعٌ ﴾، يمكن أن تشمل عدة أحوال، الحال الأول: التلبس بالأمر الجامع أو الاستعداد له، كما في نحو قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ البقرة: ١٨٤. الحال الثاني: الشروع في الأمر الجامع والنهوض به؛ كما هو الإستعلاء أو التمكن المعنوي في قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ

عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ  
 الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾  
 المائدة: ٦٨. الحال الثالث: التخطيط لبناء أمر جامع والإعداد له؛ كما في نحو قوله تعالى  
 ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ النساء: ٣٤، أي يتولَّون أمرهن.

**(الفائدة الثالثة):** أن عبارة «جامع» هي وصف للأمر، فهو أمر يتعلق بمصالحهم  
 العامة. وأما من فسر الأمر الجامع بالأمر الكبير أو الخطير كإعلان حرب أو شبه ذلك،  
 فهو تقييد بلا دليل للإطلاق في عبارة «أمر جامع»، ويفتح باباً للفساد ولاستبداد القادة  
 إذا اتخذوا القرارات بمعزل عن الشورى بمزعمة أنها أمور غير خطيرة؛ فالصحيح أن  
 العبارة تشمل المصالح العامة كلها.

ولابد هنا من تعريف المصالح العامة. فقبل بضعة قرون كانت واجبات كثير من  
 الحكومات هي الشرطة والقوة العسكرية والقضاء، ثم اتسعت المصالح العامة تدريجياً  
 لتشمل مصالح عامة كثيرة كما يتضح من أنواع الوزارات وسائر المؤسسات الحكومية  
 التخصصية. فسواء كانت المصلحة العامة في نظام إداري أو قرار سياسي أو غير ذلك،  
 فيمكن إيضاح المصلحة العامة من خلال خصائصها:

**الخاصية الأولى:** أن تكون فيها فائدة أو تنمية لعامة المواطنين. ويمكن أن تكون  
 الفائدة مباشرة أو غير مباشرة. مثال غير المباشرة اتخاذ قرار لرفع مستوى الطبقة الفقيرة،  
 فإنه مصلحة عامة وإن كان عدد الفقراء أقل من رُبع السكان مثلاً، وذلك لأن القرار  
 سيقلل من أعباء الفقر على الدولة والمجتمع، كما أنه يمثل تنمية بشرية تنفع عموم  
 المجتمع.

**الخاصية الثانية:** أن فوائد القرار تمتد إلى المستقبل.

الخاصية الثالثة: فوائد المصلحة العامة ينبغي أن تكون متفوقة جداً على المضار المحتملة.

**(الفائدة الرابعة):** في معنى «لم يذهبوا» في الآية الكريمة. فإن عبارة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾

حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾، ليست خاصة بالمعية المكانية، بل تشمل على أقل تقدير كل من تعينت مسؤوليته من أهل الشورى والمؤهلين كما ذكرنا في مراتب الفائدة الثانية، وسواء كان تعيينه بالانتخاب او بالتعيين او بالالتزام الشخصي عملاً بالواجب الشرعي، وإن كان خارج المكان. يوضح الأمر أن كلمة «ذَهَبَ» ومشتقاتها تُستعمل في التحول المكاني وتُستعمل بكثرة في تحوُّل المعاني والأحوال، كقوله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ فاطر: ٣٤، وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ هود: ٧٤. فعلى هذا المعنى يكون تقدير العبارة: لم يذهبوا عن الأمر حتى يستأذنوه، لا بسفر ولا بشغل آخر إلا من طريق الاستئذان (أي إجازة رسمية). وهذا الوجه أقوى في الإشراف المباشر للمؤهلين وتدريبهم على صناعة القرار في المصالح العامة. وأما على المعنى المكاني فإن التقدير: لم يذهبوا عن المكان حتى يستأذنوه؛ وفي هذا الوجه إشراف من حضر من الجمهور في التداول في أمور المصلحة العامة، فإن صح هذا الوجه فهو على سبيل التدريب واستطلاع الآراء دون صناعة القرار، لأن إشراف من حضر اتفاقاً ليس معبراً عن رأي الجمهور ولا عن التأهيل المطلوب. وأما جواز الاستئذان بالذهاب وجواز قبوله من رسول الله ﷺ، فينبه إلى أهمية وضع نظام لإجازات الموظفين.

**ومنها:** السعي لضبط الأداء العام قبل القرار، قال تعالى ﴿أَوْكَلَمَا عَهْدُوا

عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ١٠٠؛ في الآية الكريمة ذم الجماعة بتكرار المخالفة الشرعية في القرار العام، مرة من بعضها، ومرة من طائفة أخرى

منهم وهكذا، مما يدل على أن أكثرهم لا يؤمنون. ويقتضي ذلك أن يُسَبَق القرار بضبط الرأي العام بالتوجيه من جهة والقوانين من جهة أخرى، ولكن بشرط القُدرة على تنفيذ القانون؛ وقد يحتاج الأمر إلى قدر من المرحلية والتدرج.

والدول التي لديها اليوم مهارة كبيرة في توجيه الرأي العام هي الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأميركية، غير أن الرأي العام عندهم لم يعد رأياً عاماً في حقيقة الأمر، ولكنه في ظروف مهمة مُنتَج صناعي، تصنعه النخبة المتنفذة وتزينه الآلات الإعلامية الهائلة والمتوافقة مع النخبة؛ ولهم مهارة عالية في زخرفة المُنتَج وفي تلطيح البدائل بأدوات التضليل، وفي ترويض الرأي العام لقبول المُنتَج وإظهاره كراي عام. فعلى أهل الحق تحصيل مهارات ذكية ومشروعة في توجيه الرأي العام.

**تحذير:** فقد ذكرنا في (وجهة اللواء) ذم الذين لا يبالون إلا بأموالهم الخاصة، كما في قوله تبارك وتعالى ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ..... ﴾ آل عمران: ١٥٤. يُقال: هَمَّنِي الشيء، أي أفلقني وأشغلني أو أحزنني وأذابني، ومنه قَوْلُ الْعَرَبِ: هَمَّنِي الشَّيْءُ: أذَابَنِي كما ذكر ابن فارس وغيره، والمُهْمَاتُ: الأمور الشَّدَادُ كما ذكر صاحب (المحيط). وتدبر أن عبارة ﴿يَظُنُّونَ ... ﴾ خبر عن تلك الطائفة أو حال لها كما بينه صاحب (الدر المصون). فتلك طائفة مغمورة في التفكير بالذات، فليس من المُهْمَاتُ عندها إلا منافعها الخاصة وسلامة وتنمية ممتلكاتها الشخصية، فلا كبير هَمٌّ على الدين ولا على مصالح الآخرين ولا المصالح العامة ولا على المحافظة على استقامة الحياة العامة ولا على نشر الخير في المجتمع. ولا شك أن الغمرة في الذات تُفسد تفكيرهم وقناعاتهم وتُبعدهم عن الحق وتسير بهم إلى ظنون الجاهلية وإلى النفاق في إبداء شيء وإخفاء غيره كما في السياق الكامل للآية

الكريمة. ونقيض هؤلاء من يكون مُهتَمّاً بدينه وبنشر الخير في المجتمع وبحماية المجتمع من الرذائل والفساد والظلم. والحمد لله تبارك وتعالى.

ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦، أي جعلوا همهم في تتبع النعم الدنيوية حتى صارت هي التي تسوقهم في تصرفاتهم، فلا كبير اهتمام للدين والآخرة.

## صيانة النفس

### من استهواء الشيطان:

قال تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١. واضح أن الذي استهوته الشياطين هو مثال لمن رُدَّ على أعقابهِ بعد الهداية أي خرج من الإيمان الذي كان عليه، او انسَلخ من الطريق إلى الله تعالى بعد أن كان سائراً عليه.

ونحتاج هنا إلى إيضاح ثلاث فوائد من تفسير عبارة: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾، ثم الفائدة الرابعة في صيانة النفس من استهواء الشياطين:

الفائدة الأولى: معنى «الهوى». قال ابن فارس: (هَوِيَ) الهَاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوعٍ وَسُقُوطٍ. أَصْلُهُ الْهَوَاءُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُمِّيَ خُلُوعاً قَالُوا: وَكُلُّ خَالَ هَوَاءٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ إبراهيم: ٤٣، أَي خَالِيَةٌ لَا تَعِي سَيِّئًا، وَيُقَالُ هَوَى الشَّيْءُ يَهْوِي:



سَقَطَ. وَهَآوِيَةٌ: جَهَنَّمُ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ يَهْوِي فِيهَا. وَهَآوِيَةٌ: كُلُّ مَهْوَاةٍ. وَهَآوَةٌ: الْوَهْدَةُ الْعَمِيقَةُ. وَهَآوَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ لِيَأْخُذَهُ . كَأَنَّهُ رَمَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ إِذَا أَرْسَلَهَا. وَتَهَاوَى الْقَوْمُ فِي الْمَهْوَاةِ: سَقَطَ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ. وَأَمَّا الْهَوَى: هَوَى النَّفْسِ، فَمِنَ الْمُعْنَيْنِ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ خَالَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَيَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ ﷺ:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النجم: ٣. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). وتدل آية النجم أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، لا بسبب فراغ معرفي، ولا بسبب الإجهاد بالرأي في الدين، أي من غير نص ديني. ويُطلق الهوى أيضاً على حركة النفس وإرادتها وإن كانت إرادة مشروعة، ومنه قوله تعالى ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ إبراهيم: ٣٧، قال الفراء: رَأَيْتُ فُلَانًا يَهْوِي نَحْوَكُ، مَعْنَاهُ يُرِيدُكَ، كما نقل ابن منظور في (لسان العرب). ولعل سر ذلك في عبارة ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾، أنه كما يجب أن تكون الإرادة مشروعة، فكذلك الحركة يجب أن تكون مشروعة. فلا ينفع أن تكون الإرادة في معرفة الحكم الشرعي، ثم تتحرك إليه برأي بعيد عن مرتبة العلم الظاهر، ولكن يؤخذ به في الفقه بسبب نوع من الميول الشخصية؛ ومن الأقوال المأثورة: «الهوى أشد من العمى»، لأن الضرير لا يرى الأجساد، وأما صاحب الهوى فلا يرى المعاني الصحيحة، بل يميل إلى المعاني الخاطئة.

### الفائدة الثانية: الفعل «استهوته» صيغته: «استفعل»، ولها معان، والمناسب

للسياق هنا معنى: جعله، كقولهم: استعبده أي جعله أو اتخذه عبداً، وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٥، أي جعلهم يزلون. وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدِيٍّ أَسْتَحْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ يوسف: ٥٤، أي أجعله من خاصتي. فمعنى عبارة ﴿ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾، أي جعلته الشياطين

يَهْوِي فِي مُسْتَنْقَعِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَالرَّذِيلَةِ، وَجَعَلْتَهُ الشَّيَاطِينَ يَهْوَى مَا هُوَ فِيهِ. وَلَعَلَّهُ لَذَلِكَ، كَانَ يُقَالُ لِلْمُسْتَهَامِ (أَيِ الْهَائِمِ) الَّذِي اسْتَهَامَتْهُ الْجُنُّ: اسْتَهَوْتُهُ الشَّيَاطِينُ، كَمَا ذَكَرَ الْأَزْهَرِيُّ فِي (تَهْذِيبِ اللَّغَةِ) وَابْنُ مَنْظُورٍ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ).

### الفائدة الثالثة: معنى عبارة «حيران» في قوله تعالى ﴿كَالَّذِي اسْتَهَوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾

فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴿﴾، فَاْلْمَشْهُورُ فِي كِتَابِ الْمَفْسَرِينَ أَنَّ كَلِمَةَ «حَيْرَانَ» تَمَّتْ لَمَّا سَبَقَهَا، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْهَاءِ الثَّانِيَةِ (أَيِ الْمَفْعُولِ) فِي «اسْتَهَوْتَهُ»، أَوْ مِنْ «كَالَّذِي». وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّيَاطِينَ اسْتَهَوْتَهُ فِي حَالِ حَيْرَتِهِ الَّتِي جَعَلْتَهُ تَائِهًا مُتَرَدِّدًا فَلَا تَسْتَقِرُّ الْهَدَايَةُ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَعْزِمُ عَلَى الْإِسْتِجَابَةِ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى.

فَلِلشَّيْطَانِ فِرَاسٌ (جَمْعُ فَرِيْسَةٍ) كَثِيرَةٌ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُحْتَارًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، أَيْ مُتَرَدِّدًا شَاكًا. وَتَدْبُرُ أَنْ آيَةَ الْأَنْعَامِ شَمِلَتْ بِصَيْغَتِهَا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَرُدَّ عَلَى أَعْقَابِهِ؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْحَيْرَةَ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ فَرِيْسَةً لِلشَّيْطَانِ نَوْعَانِ:

(النوع الأول): الكافر الذي غلبه الشك بالحق وامتلاً قلبه بالحيرة، فلا يتجه إلى الله

عز وجل، قال تعالى ﴿... وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهٌ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ... ﴿٩﴾ إِبْرَاهِيمَ: ٩ - ١٠. وَقَالَ تَعَالَى ﴿... وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴿﴾ سَبَأُ: ٢٠ - ٢١.

(النوع الثاني): من دخل في الإسلام، غير أن قلبه ميال إلى الجاه والنفوذ والترلف إلى

أصحاب الجاه والنفوذ، على نحو قوله تعالى ﴿... وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا

فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿ الأحراب: ٦٧، او كان قلبه متفلتاً من الإلتزامات، على نحو قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿ هود: ٨٧، وقوله تعالى ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ المائدة: ٧٩، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فدمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿ الإسراء: ١٦، أي أمرناهم بالطاعة والصلاح ففسقوا بالتفلسف والعصيان. فمن لم يتب من هذا النوع، فإنه يظل يسوف الإلتزامات الدينية حتي تغيب عن باله، ويقترّب من الذين قال تعالى فيهم ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿ المؤمنون: ٦٣، بل قد يصير عدواً للإلتزامات الدينية لأنها تقيد ظلمه وفساده. وخلال مرحلة من هذا المسار يصير الإنسان حيران من أمر دين الله تعالى، فلا يقين ولا اعتقاد، فينطبق عليه قوله تعالى ﴿ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴿، او قوله تعالى ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴿ المجادلة: ١٩.

### الفائدة الرابعة: صيانة النفس من الحيرة في العقيدة واستهواء الشياطين. قال

تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأرِيدُنِي لَأرِيدُنِي لَهْمُ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿ الحجر: ٣٩ - ٤٣؛ فلننظر في مراتب تحصين النفس من استهواء الشيطان ومن الغواية، ويوجد تداخل كثير بين هذه المراتب. وقد أحسن علماء التصوف وتهذيب النفس في هذا المجال؛ والمقصود هنا الإلتفاع بما قدموه، مع بعض الزيادات والإيضاحات:

**(المرتبة الأولى):** الإرادة الصادقة، وهي أن تتخذ القرار بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وبالتوجه إليه. قال الراغب: والإرادة: إذا سعى في طلب شيء، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل، أو لا يفعل. اهـ من (المفردات). وفي معجم اللغة العربية المعاصرة أن الإرادة (مصدر أراد): تصميمٌ وإعٍ على أداء فعل معين. اهـ. والشواهد القرآنية تؤكد ذلك، فالإرادة ليست مجرد خواطر وحديث نفس ولا هي تردد وحيرة من غير حسم، ولكنها قرار صادق او عزم على سلوك الطريق الصحيح او الخاطئ.

ولذلك يقع الذم على إرادة الطريق الخاطئ، نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠، وقوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ الأحزاب: ١٣.

وبخلاف ذلك، الإرادة السليمة، فإنها تستحق الثناء الطيب والجزاء الحسن، كقوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الكهف: ٢٨، وقوله تعالى ﴿ .... ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الروم: ٣٨.

وأما قوة الإرادة، فإن قوة القرار والعزم يتفاوت بين المؤمنين بحسب درجة الإيمان ومدى القدرة على دفع أعداء الإرادة. فالمطلوب أن تكون الإرادة وافية بمطالب الأداء والمغالبة. وعلامة صدق الإرادة: إعداد العدة كما ذكر أبو طالب المكي وأبو يعلى بن

الفراء، وهي العدة الوافية للأداء وللمغالبة. ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَتَوَّأَرَدُوا  
الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ  
الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة: ٤٦؛ فمن أراد الصلاة فعليه إعداد العدة، ومن أراد حفظ  
المواقيت فعليه أن يُعد العدة، وكذلك من أراد أن يجتهد في فهم القرآن الكريم فعليه أن  
يُعد العدة، وكذلك الأمر في سائر الغايات المشروعة، ومن أراد النهوض والتفوق في  
واجب من فروض الكفاية فعليه بعدة المغالبة (أي المصابرة والمرابطة). ولذلك فإن  
الإرادة هي لبُّ القوة وأصلها، فكل قوي في أمر فإن قوة فعله في هذا الأمر تتناسب مع  
قوة إرادته، فإذا كان زيد حاد الذكاء ومتوقد الذهن فإنه لن يصير عالمياً راسخاً إلا إذا  
كانت إرادته في طلب العلم قوية ومتفوقة، وهكذا في الأمور كلها، فضعيف الإرادة عاجز  
وإن امتلك سائر الأسباب.

وإدامة حُسن الأداء يحتاج إلى حفظ الإرادة والصبر على تذكر المراد. ويتصل بذلك  
قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ طه: ١١٥، العزم  
هُوَ تَوَطُّينَ النَّفْسِ عَلَى الْفِعْلِ. وقال الزمخشري: العزم: التصميم والمضى، وأن يتصلب في  
ذلك تصلباً يؤسس الشيطان من التسويل له. اهـ مع اختصار، من (تفسير الزمخشري).  
وواضح أن عبارة: ﴿ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾، يتعلق معناها بالعهد المذكور في الآية، أي:  
ولم نجد له عزمًا في حفظ العهد المذكور، وهذا مضمون قول القدماء من السلف كابن  
زيد ومجاهد وقتادة وعمرو بن عبيد وسفيان الثوري والفراء، وهو قول جمهور المفسرين.  
يؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ ... وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۗ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْبَنَّهُ رَبُّهُ فَوَاقَبَ  
عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۗ ﴿١٢٢﴾ طه: ١٢١ - ١٢٢. وكان ذلك سبب نزول آدم عليه السلام من  
الجنة إلى الأرض. وتدل الآية على أن عدم المؤاخذه على النسيان ليس حكماً عاماً في أنواع  
النسيان، ولكنه يعم نوعاً خاصاً من النسيان.

وقد يكون سبب ضعف الأداء تشتت الإرادة او العزم، وذلك حين يقوم المؤمن بمهام متعددة وبسقف زمني محدد، فلا يستطيع تركيز الإرادة ولا بد له من توزيعها على المهام، مما يؤدي إلى القصور. وعلاج ذلك في المصابرة والمرابطة التامة، أي على واجب واحد، وفي حال الإضطرار على واجبين أي مرابطة ناقصة. وما زاد على ذلك فليس بمرابطة. وقد سبق تفصيل ذلك في الكلام عن «التركيز» في المبحث الثاني.

وقد يُحسّن المؤمن إعداد العدة في مجال ويقصر في مجال آخر، وقد تتكرر منه الذنوب ولكن يتكرر منه أيضاً الإستغفار والتوبة، فالإرادة ثابتة ومعصومة بإذن الله من الشك والحيرة في أمر الدين، غير أن درجات الإرادة تتفاوت كما تتفاوت درجات الإيمان. هذا في حال الفرد، وأما حال الجماعة والمؤسسة، فلا بد أن تُؤسس على منهج الإستباق والمغالبة كي تبلغ التفوق، فيجب أن يتضمن نظامها أنظمة للتشخيص المبكر والإسراع بتصحيح الأخطاء وبتعويض النقص في مجالات العمل.

وسياتي المزيد عن الإرادة في المرتبة الثالثة إن شاء الله تعالى.

### (المرتبة الثانية): التعرف والتعلم والتدرج في ذلك. وذلك أن تشغيل الإرادة

يستلزم معرفة المراد بنوع من التفصيل، كمعرفة ما يجب فعله وما يجب تركه وما هي الأهداف والغايات. قال ابن القيم: **وَمَا كَانَ كَمَالُ الْإِرَادَةِ بِحَسَبِ كَمَالِ مَرَادِهَا وَشَرَفِ الْعِلْمِ تَابِعٌ لَشَرَفِ مَعْلُومِهِ كَأَنَّ نَهَايَةَ سَعَادَةِ الْعَبْدِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ لَهُ بِدُونِهَا وَلَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا إِنْ تَكُونُ إِرَادَتُهُ مُتَعَلِّقَةً بِالْمَرَادِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ وَلَا يَفُوتُ، وَعِزَمَاتُ هِمَّتِهِ مَسَافِرَةٌ إِلَى حَضْرَةِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى هَذَا الْمَطْلَبِ الْأَسْنِيِّ وَالْحِظِّ الْأَوْفِيِّ إِلَّا بِالْعِلْمِ الْمُرُوثِ عَنِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ وَحَبِيبِهِ الَّذِي بَعَثَهُ لِدَلَالِكَ دَاعِيًا وَأَقَامَهُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ هَادِيًا. اهـ من (مفتاح دار السعادة).**

يوضح ذلك الواجبات المتداخلة للنبوة، قال تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ الجمعة: ٢؛ وقد ذكرنا في أكثر من موضع أن التركيزية هي التنمية بالخير، المعنوي والمادي، وفي ذلك أكثر من مجال، المجال الأول: تركية القلب او تعليم وتحقيق المعرفة بالله تعالى، كتعظيمه وتوحيده ومحبته وذكره والخوف منه وخشيته وطاعته بطاعة كتابه وطاعة رسوله الكريم. ويسعى السائر او المرید إلى الإرتقاء في العمل بهذه المضامين. المجال الثاني: تركية الحال أي بتنمية ما يحتاجه المؤمن للنهوض بنفسه وبدينه: من العلوم الفقهية والإنسانية والطبيعية والمهارات الفكرية والمهنية وغيرها، ومن الأموال التي يحتاجها النهوض. وسيأتي في المبحث الخامس إن شاء الله، تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ النساء: ٥؛ فتدبر عبارة ﴿ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾، فإن القيام يُستعمل بمعنى النهوض للأمر، أي الإستعداد والتحضير والتأهب لأداء الأمر. وكذلك يُستعمل القيام بمعنى النهوض بالأمر ومراعاة متطلباته وفعله وتوفيقه حقه؛ فالقيامُ وَالْقَوَامُ. مَا يُقِيمُكَ كما ذكر القرطبي، أي ما ينهض بك.

**(المرتبة الثالثة):** أسباب الثبات والتحسُّن، واجتناب الرجس والإنحدار. وهي

هنا أكثر من عشرة أسباب، وهي في غاية الأهمية:

منها: تقويم النفس ومحاسبتها، قال تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿ الحشر: ١٨؛ «الغد» كناية عن المستقبل، فعلى كل مؤمن أن ينظر، هل وضع أهدافاً مستقبلية في طريقه إلى الجنة؟ وأن ينظر فيما قدمه، هل يصلح لغد، أي لبلوغ الأهداف؟ وما هي سبل التحسين والتطوير؟ ومن توابع التقويم المبادرة بكثرة الإستغفار وبالسعي لتحقيق التوبة وما تشمله من عمليات التغيير والتحسين المستمر.

ومما يوجب المحاسبة والتقويم حديث أبي وإيل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ. » رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

وكذلك حديث أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ » رواه الترمذي وغيره ووصفه بأنه حسن صحيح، وصححه الألباني؛ فينبغي للمؤمن أن يُسأَلَ نفسه قبل أن يُسأَلَ.

**ومنها:** الصبر والشكر. وذلك أن النشاط والقوة قد تقل بعد زمن ويُصاب العامل بدرجة من الركود والتفلة، فلا بد من مراقبة الصبر على العمل والمحافظة على قوته. يوضح الأمر أن الصبر ثلاثة أنواع، **النوع الأول:** الصبر على البليات والشدائد، فلا يغلبه الجزع والهلع، ومن واجباته أن الصبر عند الصدمة الأولى كما صح في الحديث وليس بعد الجزع والهلع. **النوع الثاني:** الصبر على المكاره، كالصبر على المخاوف التي لا بد منها، وعلى ترك ما يدعوك إليه الهوى والشهوة مما قد يُضعف خدمتك لدينك أو يؤخرك في المسار إلى الله تعالى. **النوع الثالث:** الصبر على العمل والقوة فيه ومكافحة عوامل التفلة والفتور، وعوامل الغفلة بسبب الرخاء المفسد أي عدم ضبط الرخاء. قال تعالى ﴿ وَنَبَلَّوْا نَفْسَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد: ٣١، وسيأتي تفسير هذه الآية الكريمة في فوائد تفسير آية الإقحام إن شاء الله تعالى. وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: إن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر. والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين، وبهذا النظر قال عمر: « بلينا بالضرأ فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نشكر »،



ولهذا قال أمير المؤمنين: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله. وقال تعالى: ﴿ وَنَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥. اهـ من (المفردات).

يوضح كلام الراغب أن تعود النعمة قد يُنسى الشكر ويستبدله بالبطر، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهَرَ وَكَانَ فِيهَا السَّيْرُ سِيْرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ (١٨) فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنهم كل ممزق إن في ذلك لآية لكل صبار شكور ﴿ (١٩) ﴾ سبأ: ١٨ - ١٩، فكان من يسافر منهم يجد في طريقه قري بارزة، فالمسافر يجد حاجته وهو آمن ولا يحتاج إلى كثير من عدة السفر، ثم يصل إلى قري بارك الله فيها، فيجد فيها ما ذهب لأجله. قال الآلوسي: ﴿ فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا ﴾، لما طالت بهم مدة النعمة بطروا وملوا وآثروا الذي هو أدنى على الذي هو خير، وقالوا: لو كانت متاجرنا أبعد كان ما نجلبه منها أشهى وأغلى، فطلبوا تبديل اتصال العمران وفصل المفاوز والقفار، وفي ضمن ذلك إظهار القادرين منهم على قطعها بركوب الرواحل وتزود الأزواد الفخر والكبر على الفقراء العاجزين عن ذلك، فعجل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب. اهـ من (تفسير الآلوسي). وتدبر في الخاتمة قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾.

ويتصل بالشكر، قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ العاديات: ٦؛ قال الأزهري: قال الفراء: قال الكلبي: لکنود: لکفور بالنعمة. وقال الحسن: لوأم لربيه يعد المصائب وينسى النعم. أبو عبيد عن الأصمعي: امرأة كند وكنود أي كفور للمواصلية. وقال الليث: كند يكند كنودا. قال أبو عمرو: كنود: كفور للمودة. اهـ من (تهذيب اللغة). وقال أبو حيان: وقال الفضيل: هو الذي تُنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة،

وَيُعَامِلُ اللَّهُ عَلَى عَقْدِ عَوْضٍ. وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ الَّذِي لَا يُعْطِي فِي النَّائِبَاتِ مَعَ قَوْمِهِ. وَقِيلَ:  
الْبَخِيلُ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَرْضٌ كَنُودٌ: لَا تُنْبِتُ شَيْئًا. اهـ من (البحر المحيط).

ومما يتضمن الصبر على العمل، قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
الكهف: ٢٨، وقوله تعالى ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ  
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم: ٦٥، وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا  
وَرَأِبُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

ومن عظيم أمر الصبر واليقين قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤. ونختم بـ: **فائدة**: الصبر حسنة  
كبيرة دافعة للبلايا، وذلك أن المسلم سيُمتحن بالصبر لا محالة، فقد قال تعالى ﴿أَمْ  
حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ آل  
عمران: ١٤٢؛ فمن يختار الصبر على العمل فعسى أن يدفع الله عنه صبر المصائب، فينبغي  
لكل مؤمن أن يختار قضية لها أولوية من واجبات الكفاية الكثيرة فيعمل عليها بصبر، بل  
يصابر ويرابط عليها حتى يتوفاه الله تعالى أو يبلغ غايته.

**ومنها**: التعب والسهر. يدل عليه نحو قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩، لفظ «جاهدوا» هنا مطلق في  
كل عمل نعمله الله تعالى؛ وسيأتي في مبحث الإقتحام إن شاء الله تعالى أن الجهاد في سبيل  
الله تعالى هو المبالغة والمغالبة في بذل الوسع والطاقة في مرضاة الله تعالى، وفي أي مجال من  
مجالات الخير والحق. يُقال: جَهَدَهُ الْمَرَضُ وَالتَّعَبَ وَالْحُبَّ يَجْهَدُهُ جَهْدًا: هزله. وقال جمال  
الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي: فمادة (ج هـ د) حيث وُجِدَتْ فيها معنى

المبالغة. اهـ من (الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى). ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ الشرح: ٧ - ٨، الفراغ نقيض الشغل، والنصب التعب. وفي الآية خطاب للنبي ﷺ بأن يجاهد في العمل، فإذا فرغ من عمل بدأ بآخر، وكأن الراحة معدومة إلا لالتقاط الأنفاس وتقويم ماسبق والتفكير بما بعد ذلك، وقد سبق تفسير آية الشرح تحت عنوان «ضبط الراحة»، من جملة عناوين: «من عوامل التفكير السليم».

**ومنها:** مكافحة الهوى. الهوى مِيلُ الطَّبَعِ إِلَىٰ مَا يَلَائِمُّهُ، كما ذكر ابن الجوزي. فالهوى الجائز محصور بالخيار بين المباحات، كمن يهوى هذا الطعام ولا يهوى ذاك أو يهوى هذه المرأة للزواج بها ولا يهوى تلك. وأما في الإلتزامات الشرعية وفي خيارات المصالح العامة وفي التفكير بالمآلات والعواقب وفي شبه ذلك، فإن اتباع الهوى هو أصل الضلال فلا مجال له أبداً. قال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُنَكِّتُهَا أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكُفِّرُ كَمَا كُفِّرُ الْكَلْبَ إِنْ نَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ﴾ الأعراف: ١٧٦، وقال تعالى ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ القصص: ٥٠. ولذلك كان تدريب النفس على كبح الهوى أحد مضموني الطريق إلى الجنة كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١. يوضح الأمر أن من أراد أن يرتقي في الغايات الشرعية فعليه أن يكبح كثيراً من الهوى المباح في أصله لأنه قد يؤخر مساره إلى الغاية، فهذا هو طريق بلوغ المعالي في خدمة الدين. قال القشيري: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرِاقَ يَمْنَعُ أَصْحَابَهُ عَنِ الْأَسْفَارِ وَالسِّيَاحَاتِ وَيَقُولُ: مِفْتَاحُ كُلِّ بَرَكَةٍ الصَّبْرُ فِي مَوْضِعِ إِرَادَتِكَ إِلَىٰ أَنْ تَصِحَّ لَكَ الْإِرَادَةُ، فَإِذَا صَحَّتْ لَكَ الْإِرَادَةُ فَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْكَ أَوَائِلُ الْبَرَكَةِ. .. قَالَ الْمُرْتَعَشُ: الْإِرَادَةُ حَبْسُ

النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا بموارد القضاء عليه.. قَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: الإرادة استدامة الكد وترك الراحة وَقَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَضْرَ عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ مَسَاحَةِ النَّفْسِ فِي رُكُوبِ الرِّخْصِ وَقَبُولِ التَّأْوِيلَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْقُرْبِ فَقَالَ: قُرْبُكَ مِنْهُ تَعَالَى بِمَلَازِمَةِ الْمَوَافَقَاتِ وَقُرْبِهِ مِنْكَ بِدَوَامِ التَّوْفِيقِ. اهـ من (الرسالة القشيرية). ويؤكد هذه المعاني قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمْ طَبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ الأحقاف: ٢٠، فكأن الإسترسال في الإستمتاع بالطيبات أنساهم ما يجب عليهم فأدى بهم إلى الكفر والفسق، والله تعالى أعلم. ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ طه: ٨١، فتدبر أنه طغيان في الطيبات أي في الحلال، وأحد أنواع هذا الطغيان الإسترسال في المباحات إلى درجة تُنسي بعض الواجبات والإلتزامات.

**ومنها:** ما يتصل بما ذكرناه من مكافحة الهوى، وهي قضية ضبط الشهوات او اللذات المباحة، وذلك كالطعام والتسلية وسفر المتعة وغيرها، وهذا من فروع من الصبر، فهو صبر عن إرادة الإزدياد من اللذة والمتعة، وإن كانت مباحة. وينبغي التذكير هنا أن هذه المعاني ليست تشجيعاً للفقير ولا نهياً عن طلب الغنى، وإنما هي طلب للصبر عن الإكثار من التمتع، مما يُشغل عن مسار المعالي. وسيأتي بيان أهمية الأموال، في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ النساء: ٥، إن شاء الله تعالى. وحقيقة ذلك أن إرادة بلوغ رضوان الله تعالى وتحقيق المكارم والمعالي ينبغي أن تكون هي الحاكمة على إرادة التمتع بالملذات والشهوات. وقد تقدم قول القشيري: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرِاقَ يَمْنَعُ أَصْحَابَهُ عَنِ الْأَسْفَارِ وَالسِّيَاحَاتِ وَيَقُولُ: مِفْتَاحُ كُلِّ بَرَكَةٍ الصَّبْرُ فِي مَوْضِعِ إِرَادَتِكَ إِلَى أَنْ تَصِحَّ لَكَ الْإِرَادَةُ، فَإِذَا صَحَّتْ لَكَ الْإِرَادَةُ فَقَدْ ظَهَرَتْ

عليك أوائل البركة. . قَالَ المرتعش: الإرادة حبس النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تَعَالَى والرضا بموارد الْقَضَاءِ عَلَيْهِ. .... اهـ من (الرسالة القشيرية).  
والصحيح قبول الرخص، غير أن طالب المعالي يغتنم الرخص لإعطاء المزيد من الوقت والجهد لواجب المrapطة ونحوه، وللتقدم في الإستباق. وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُحْوِنُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَفْشَوْنَ فِيهِمْ السَّمْنُ » رواه أبو داود الطيالسي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، واللفظ للطيالسي. وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿ ثُمَّ لَتُسَلََّنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ التكاثر: ٨، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ نُعِيمٍ نُسَأَلُ عَنْهُ؟ سُئِفْنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا وَالْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا حَرْبٌ، يُصْبِحُ أَحَدُنَا بِغَيْرِ عَدَاءٍ، وَيُمْسِي بِغَيْرِ عَشَاءٍ. قَالَ: « عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُعْدَى عَلَيْهِ بِجَفَنَةٍ، وَيِرَاحُ عَلَيْهِ بِجَفَنَةٍ، وَيَرُوحُ فِي حُلَّةٍ، وَيَعْدُو فِي حُلَّةٍ، وَيَسْتُرُونَ بِيُوتِهِمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ، وَيَفْشُوا فِيهِمْ السَّمْنُ. » رواه أبو يعلى في معجمه. وواضح أن في حديث عمران بن حصين ذمَّ السمن، فإنه نتيجة كثرة الأكل فوق الحاجة، أي بسبب غلبة النهم والشهوات عليهم. ولذلك كان علماء التصوف ينصحون بدرجة من الجوع. يوضح الأمر أن واجبات المغالبة والإستباق كثيرة وخاصة في فروض الكفاية، ولا يُكتفى في ذلك إلا بالسبق والتفوق في المغالبة وإدامة التفوق، ويستلزم ذلك التوقف عند حدٍّ في كثير من المباحات.

**ومنها:** بلوغ مرتبة النفس المطمئنة التي يُقال لها ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿ يَتَأَيَّنَهَا

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنِّي ﴿٣٠﴾ الفجر: ٢٧ - ٣٠. الطَّمَأْنِينَةُ الشعور بالسكون والأمن والإستقرار أو الثبات، وهي خلاف الهلع والجزع. وتستند الطمأنينة إلى أحد سببين، (السبب الأول): زوال

سبب المخاوف، ومنه قوله تعالى في صلاة الخوف: ﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ النساء: ١٠٣. (السبب الثاني):  
التوكل على الله والاستنصار به، ومنه قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ١٧٣ ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضِلِّ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ١٧٤ ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١٧٥ ﴿ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥. فالطمأنينة ثمرة العناية بالأسباب الخمسة السابقة، فهي نفس مطمئنة، أي آمنة ثابتة لأنها مستندة إلى صفات الله تعالى ومتعلقة بالرجاء مع الخوف من الله تعالى. فإذا وردت عليها مخاوف العدوان اطمأنت إلى حماية الله ودفاعة عن المؤمنين؛ وإذا وردت عليها مخاوف المرض اطمأنت إلى ذي الفضل العظيم وإلى قدرته، وإذا وردت عليها مخاوف الفقر اطمأنت إلى الرزاق المنان الوهاب، وإذا وردت عليها شكوك المرجفين والأقويل اطمأنت إلى نصوص القرآن والسنة، وإذا وردت عليها شكوك المرجفين اطمأنت إلى أن الحق اليقيني هو في القرآن وفي السنن الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وإذا وردت عليها دوافع السوء دفعتها بذكر الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨، وهكذا في سائر الأمور، ولكن مع الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية. وفي سورة المعارج أسباب الطمأنينة مفصلة، كما قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ١١ ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ ٢٠ ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ١١ ﴿ إِلَّا الْمَصْلِينَ ﴾ ٢٢ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ٢٣ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ ٢٤ ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ٢٥ ﴿ المعارج: ١٩ - ٢٥، وإلى قوله تعالى

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ٣٢ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ ٣٣ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ  
 يُحَافِظُونَ ﴾ ٣٤ ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ ٣٥ ﴿ المعارج: ٣٢ - ٣٥.

ومنها: اجتناب الرجس او الخبث المعنوي والمادي. قال تعالى ﴿ فَأَجْتَكِبُواْ

الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ الحج: ٣٠؛ أما الإجتنب، فيتضمن الإبعاد المطلق أي الإبعاد بكل وجه ومن كل جهة، ولذلك كان الأمر باجتنب الخمر في آية المائة أبلغ بكثير من النهي عن شربها، لأن الاجتناب يوجب الإبعاد المطلق فيدخل في ذلك الشرب والصنع والبيع والشراء والنقل وشبه ذلك من التصرفات، فمن تصرف في الخمر بشيء من ذلك فإنه لم يجتنبها. وأما الرجس، فهو الشيء القذر سواء كانت القذارة مادية او معنوية كالفكر الفاسد والعمل الخبيث الذي يؤدي إلى سخط الله تعالى وعذابه. وأما لفظ «من»، في عبارة ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾، فإنها تصلح أن تكون لابتداء الغاية أي بيان المنشأ، وهذا إعراب مستقيم في العربية نحواً ولغَةً وهو أبعد من غيره عن التكلف في التقدير، وقد نقله أبو حيان في (البحر المحيط) والسمين الحلبي في (الدر المصون) وغيرهما، كما في نحو قوله تعالى ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ١٤٤. وأما الوثن، فإن كل ما عبده الناس من دون الله تعالى فقد اتخذوه وثناً، سواء كان بشراً او حجراً او منظومة (صورة) فكرية أضفوا عليها القدسية الدينية او أوجبوا عبادتها، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ العنكبوت: ١٧، فهذه صيغة حصر تدل على أن كل من عبد شيئاً من دون الله تعالى فقد اتخذ ذلك الشيء وثناً. وأما إذا عبدوا نبياً فإن النبي ليس بوثن ولا طاغوت، ولكن الطاغوت هي مضامين الصورة الفكرية التي صنعوها بالغلو والأهواء، وخدعوا بها أنفسهم وخدعوا الناس، وكذلك الأمر إذا عبدوا رجلاً صالحاً. وتنبه عبارة ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾، إلى الأكاذيب في زخرفة الوثن وإظهاره بأوصاف

الألوهية او الصلاح. وعلى ذلك يكون معنى عبارة: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: اجتنبوا المكر والفواحش والقبائح والمنكرات التي تصدر من الأوثان او من طواغيت العالم ويمكن أن تنتقل إليكم او تنال منكم، علماً أن الرجس موجود أبداً في الأوثان، بعضه ظاهر وبعضه كامن؛ ويقتضي أصل دفع الضرر او سد الذرائع إعاقه حركة الشر وإبقائه بعيداً عنا، بالإضافة إلى مكافحة ما وصل إلينا. ويعم الرجس مسالك التضليل والإفساد كلها. وواضح من هذه النصوص أن القدسية الزائفة والطغيان هما مصدران كبيران لتصدير الأضرار إلى الآخرين. ويقتضي ذلك أنواعاً من تحليل وتقويم ما يتم تسويقه من الأفكار والأنشطة، وتشخيص الفساد الظاهر والكامن فيها، من أجل إعداد السياسات الوقائية الذكية.

**ومنها:** الخُلُوة. يُقَالُ: خَلَوْتُ بِهِ وَمَعَهُ وَإِلَيْهِ وَأَخْلَيْتُ بِهِ إِذَا انْفَرَدْتُ بِهِ، كما في (لسان العرب). وَتَخَلَّى فلان للعبادة أي خلا مما يشغله عنها، بمعنى تفرَّغ لها. ومنه قوله تعالى ﴿أَقْلُوبًا يُوَسِّفُ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ يوسف: ٩. فلا بد من درجة من الخلوة في عبادة الله عز وجل، لمناجاته تعالى في الذكر والدعاء، وللتفكير بما سبق وتقويمه، والتفكير بما ينبغي إصلاحه او الإعداد له او التحوُّل إليه، وتكون الخلوة في البيت عادة باستثناء الإعتكاف في المسجد. فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمْلُهُ مَا تَنَفَّقَ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ



مِنْهُ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُوكَةً.» رواه مسلم وأحمد وغيرهما. وأما من كان في وقته كله يخالط الآخرين، فإن سيفقد كثيراً من الخير، وتنزل به مرتبة المناجاة والدعاء. ويُشترط في الخلوة أن يُضبط وقتها فلا تضر الإلتزامات الدينية الأخرى، فالخلوة الفعالة عظيمة الأثر وإن قل وقتها. وتوجد واجبات كثيرة توجب المخالطة، كالأمر بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وكالتناصح والأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى والتواصي بالحق والصبر، وكالإهتمام الشديد بالجماعة والمصالح العامة وشبه ذلك من الأحكام الكثيرة.

**ومنها:** اتخاذ المحراب إذا دعت الحاجة. المحراب من مشتقات الحرب التي هي نقيض السلم وتُستعمل بمعنى القتال وبمعنى العمل العدائي، والمحروب هو الذي أُخذ أو سلب ماله. وقال الراغب الأصفهاني: المحراب: قيل: سُمِّيَ بذلك لأنه موقع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: لكون الإنسان حربياً (أي مجرداً) من أشغال الدنيا. اهـ من (تفسير الراغب). والمحراب على وزن مَفْعَال، ويكون اسماً أو صفة، مثل: امرأةٌ مُنْجَابٌ أي تَلِدُ النُّجَبَاءَ، والمِحْرَابُ: ما تُحْرَثُ به النَّارُ، والمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ. قال ابن فورك: «المِحْرَابُ» مجلس الأشراف الذي يجارب دونه لشرف صاحبه، ومنه: سمي المصلي: محراباً، وموضع القبلة أيضاً: محرابٌ. اهـ من (تفسير ابن فورك). ونقل ابن منظور عن الأزهري، قال: وَسُمِّيَ المِحْرَابُ مِحْرَابًا، لِانْفِرَادِ الإِمَامِ فِيهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ النَّاسِ؛ قَالَ: وَمِنْهُ يُقَالُ فَلَانٌ حَرَبٌ لِفُلَانٍ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا تَبَاعُدٌ. وَقِيلَ: سُمِّيَ المِحْرَابُ مِحْرَابًا لِأَنَّ الإِمَامَ إِذَا قَامَ فِيهِ، لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَلْحَنَ أَوْ يُخْطِئَ، فَهُوَ خَائِفٌ مَكَانًا، وَالمِحْرَابُ: مَاوَى الأَسَدِ. اهـ من (لسان العرب). فالمحراب يصلح أن يكون مكاناً للخلوة والمناجاة والتفكير، وتجريد الفكر من القضايا الدنيوية. قال تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنَى لَدِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل

عمران: ٣٧، فكأنها خلت للعبادة فلا يدخلون عليها إلا لغرض. ولننظر في قوله تبارك وتعالى ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ مريم: ٢ - ٣، إلى قوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم: ١١. وقال تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ..... ﴿١٢﴾ ﴾ ص: ٢١ - ٢٢، فتدبر أنهم تسوروا المحراب أي أتوه من فوق وليس من المدخل النظامي، والسور الحائط المرتفع. فالمحراب ليس للعمل مع الآخرين، ولكن للخلوة والتفكير، والله تعالى أعلم. ولكل إنسان شاكلته (أوصافه الداخلية) في هذا المجال، فمن الناس من يحتاج إلى الخلوة حين يقوم بأي عمل يحتاج إلى تفكير، كالدراسة والكتابة. ومن الناس من رزقه الله تعالى قدرة على إهمال الضوضاء حوله وكأنها غير موجودة، فهو يفكر ويكتب ويركز ويحلل المسائل المعقدة من غير أن تؤثر عليه ضوضاء العائلة حوله. وأما مناجاة رب العالمين، فأفضل ما تكون في الخلوة.

**ومنها:** المغالبة والإستباق، وإقتحام المضاعف. أما المغالبة فقد ذكرناها في البحث الثاني تحت عنوان: «التركيز»، وذكرناها في (المنطلق) في تفسير آية المصابرة والمرابطة. وأما الإقتحام فسيأتي في البحث الرابع إن شاء الله تعالى. ونُذَكِّرُ هنا أن الأهداف الصغيرة تؤدي إلى ركود النفس وفتور العمل، وأما الأهداف الكبيرة فتؤدي إلى رفعة النفس وقوة العمل وتنمية الصلة بالله تعالى.

**ومنها:** التفكير بالعواقب، وهذا من أهم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، ويُعَدُّ إغفاله من أهم أسباب الأضرار والمهالك في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿ إِنَّكَ هَتُولَاءُ يُجِبُونَ الْعَجَلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٧، وقال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ

الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴿ القيامة: ٢٠ - ٢١. وقد سبق أيضاً الكلام فيه في المبحث الثالث، تحت عنوان «التفكير بالمآلات والغايات».

**ومنها:** الصحبة الصالحة، وفيها نصوص شرعية كثيرة، ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨، ومعنى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ﴾، أي احبس نفسك عليهم، فإن فارقتهم في المكان بسبب الضرورات والحاجات فإن قلبك معهم كما تنبه إليه عبارة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ ..﴾؛ ومن المنقول، قولهم: الصاحب صاحب.

### التشبع بمهارات التفكير:

مهارات التفكير (او العلوم العقلية) التي تعلمناها من القرآن والسنة لها أهمية بالغة، فإنها تعمل في مجالات كثيرة جداً، والغفلة عنها توقع في أخطاء كثيرة وكبيرة. وقد ذكرنا مهارات كثيرة في هذه الدراسة، ويضاف إليها ما ذكرناه في (المنطلق) وفي (نخبة المسار) وفي (وجهة اللواء).

**رؤية الواقع وتأثيره:** تتصل هذه الرؤية بأكثر من أصل كبير من الأصول الشرعية، وتحتاج إلى عنوان مستقل.

## رؤية الواقع وتأثيره

### تأثير الواقع في أصول الفقه:

تكلم الأصوليون عن الأحكام التكليفية والأحكام الوضعية. أما الأحكام التكليفية، فهي كل ما كلفنا الله تعالى بفعله أو بتركه، أي أحكام الإيجاب والتحرير وما يلحق بهما اصطلاحاً أو مجازاً من المندوبات والمكروهات والمباحات. وذلك مثل وجوب الصلاة والزكاة والصيام والعدل والإحسان وغيرها، ومثل وجوب ترك (أي تحريم) الخمر والميسر والربا والقتل غير المشروع وغيرها؛ واصطلاح «الأحكام التكليفية» موافق في لفظه للصيغ القرآنية. وأما الأحكام الوضعية، فهي مضامين الحال الواقع وتأثيرها على تنفيذ الحكم التكليفي، أي المضامين التي تجعل الحكم التكليفي قابلاً للتنفيذ أو قابلاً لإيقاف أي تأجيل التنفيذ؛ وبعبارة أخرى فإن الأحكام التكليفية متوقفة على الأحكام الوضعية. وهذه في اصطلاح الأصوليين هي الأسباب والشروط والموانع.

قال أبو علي حسين بن علي الرجراجي: لأن كل حكم تكليفي لا بد له من سبب وشرط وانتفاء مانع، فإذا وجدت الأسباب والشروط وانتفت الموانع: وجب وقوع الحكم لدلالة تلك الأدلة على وقوعه، وإذا عدت الشروط أو وجدت الموانع: سقط وقوع الحكم لدلالة تلك الأدلة على سقوطه؛ وإن عدت الأسباب: سقط وقوع الحكم لعدم الدليل على وقوعه. ومثال ذلك: أن تقول مثلاً: الزوال سبب لوجوب الظهر، والبلوغ شرط فيه، والحيض مانع منه، فإذا وجد الزوال والبلوغ وانتفى الحيض وجبت صلاة الظهر، وإن عدم البلوغ أو وجد الحيض: سقط وجوب صلاة الظهر، وإن عدم الزوال سقط وجوب الظهر أيضاً. اهـ من (رفع النقاب عن تنقيح الشهاب/ المكتبة الشاملة).

ويوجد نوعان من التداخل بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي. النوع الأول: أن الطهارة أو الوضوء مثلاً هو شرط لصحة الصلاة، فهو حكم وضعي، وهو أيضاً حكم

تكليفي مرتبط بالصلاة لأن الله تعالى أمرنا به. مثال آخر الزنا، فإنه سبب الحد فهو حكم وضعي حين يقع، غير أن المسلم مكلف بترك الزنا، وهذا حكم تكليفي. النوع الثاني: أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو مشهور عن العلماء، بمعنى وجوب السعي لتحقيقه. وبعبارة أخرى، أنه يجب السعي لتحقيق متطلبات إقامة الأحكام التكليفية، وكذلك السعي لإزالة الموانع. وبهذا المعنى يصير الحكم الوضعي تكليفاً على سبيل الفور أو المطاولة، وذلك بحسب نوع الواجب ومقدار الوسع أي القدرات ووسائل تنميتها، وبحسب حال المكلفين وقدرتهم على الاستجابة. وقد تقدم أن علامة صدق الإرادة: إعداد العدة التي يفتقر إليها الواجب، كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة: ٤٦. وذكرنا أيضاً أن النهوض بالدين واجب، كما في قوله تعالى ﴿..... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تُمَفَّرُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣، إقامة الدين هي النهوض به في الأرض. ولا يقدر في هذا الأصل قول القائل: إن وجوب الزكاة لا يوجب تحصيل النصاب الذي تجب فيه الزكاة وأن ذلك يُشعر أن وجوب الزكاة ليس لذاتها ولكن لتطهير المال. وهذا القول مجرد افتراض، ولا أعلم دليلاً عليه، فإن التزكية (أي التنمية بالخير) واجبة في الأصل، وتشمل التنمية المعنوية والمادية، ولا ندري لعل بلوغ نصاب الزكاة هو الحد الأدنى كي يقوم المؤمن بنفسه وبمن هو مسؤول عنهم، وأن المطلوب هو الزيادة على ذلك؛ وسيأتي الكلام عن التنمية في المبحث الخامس إن شاء الله تعالى. والله تعالى أعلم.

يوضح ذلك قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا... ﴿الحج: ٣٩ - ٤٠. معنى ﴿أُذِنَ﴾ أي أُجيز، يُقال: أُذِنَ له في الشيء أي أباحه له، والإذن بالشيء هو فك

الحجر وإطلاق التصرف. ومعنى عبارة ﴿يَأْتَهُمْ ظُلْمُوا﴾، أي لأنهم ظلموا او بسبب توجيه الظلم إليهم، وقد صرح المفسرون بهذا المعنى كأبي حيان والزخشي وابن عطية والرازي والبيضاوي وغيرهم، أي ان الباء سببية، كما في نحو قوله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩. غير أن آية الحج مدنية، وأما الظلم الذي وقع على الذين يقاتلون فإنما كان قبل ذلك بسنوات طويلة قبل الهجرة إلى المدينة. فعلة أي سبب القتال كان موجوداً في مكة، ولكن الحكم تأخر بسبب الأحوال على الأرض، أي بسبب عدم اكتمال شروط الحكم او عدم القدرة على إزالة الموانع، او بسببها معاً.

## ضرورات الواقع التي تؤثر على الحكم التكليفي:

قد تكلمنا عن الإضطرار وضوابطه بقدر من التفصيل في كتاب (المنطلق)، والمقصود هنا الإختصار والوضوح مع الإحالة إلى (المنطلق) لمن أراد أن يعمل بهذا الأصل. وتوجد ضرورات متنوعة بينها تداخل، ويمكن أن تؤثر على الحكم التكليفي:

**منها: عمليات الإنقاذ الطارئة،** كإنقاذ جريح او غريق او مصدوم، وكذلك الإنقاذ من جوع شديد او مرض خطير؛ فالأولوية هنا للإنقاذ بها تيسر وإن تضمن مخالفة شرعية، ولكن بشرط أن لا يكون ضرر الإنقاذ أكبر من ضرر الخطورة القائمة. وقد قال تعالى ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الأنعام: ١١٩، ففي الآية الكريمة تشريع للإستثناء من حكم التحريم إذا ألجأت الضرورة إلى ذلك. ويتصل بذلك إنقاذ المال والحقوق المادية والمعنوية، إذا كان ضرر الخرق الفقهي أصغر من ضرر ترك الأمر، كما في قوله تعالى ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُعْرِقَ

أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿ الكهف: ٧١، إلى قول تعالى ﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ الكهف: ٧٩.

### ومنها: اجتناب التهلكة بمعناها العام، فقد سبق تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا

تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥، وذكرنا أن لفظ «التهلكة» يشمل الموت ويشمل فساد الحال وتعطيل المنافع مع بقاء حياة معاقة. وذكرنا أيضاً أن عبارة «إلى التهلكة» وليس: في التهلكة، ينبه إلى أن طريق التهلكة يمكن أن يكون ممتداً، وأن العبارة تشمل التهلكة الوشيجة والقريبة والمتوسطة والبعيدة، أي العمل بأحكام الضرورات الحاضرة والمتراحية كما ذكرنا في (المنطلق). والحكم حينئذ لقانون الموازنات، فإن كان اجتناب التهلكة يستلزم النزول إلى حكم الإضرار جاز ذلك إذا كان الضرر المتوقع من التهلكة أكبر من مضار الوقوع في الإضرار؛ ويُعتد في هذا الأمر بالعوامل المؤثرة الداخلية والخارجية.

### ومنها: تزامم الأحكام، وذلك حين تو جد أحوال على الأرض يتعذر معها

إقامة حكمين في وقت واحد، فنضطر حينئذ إلى فعل ما هو أولى في هذا الحال، وإيقاف الحكم الآخر إلى حين. فمما ذكرناه في (المنطلق) حديث أبي سعيد الخدري قال سَأَفَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَكَانَتْ رُحْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطَرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا. رواه مسلم وغيره. فالجهاد يحتاج من جملة متطلباته إلى القوة الجسدية والصفاء او التفرغ الفكري، وتترتب عليه آثار كثيرة كالنيل من العدو وتوسع النفوذ وما يحتاجه التوسع من أنظمة ونفقات، ومن آثاره كذلك الخسائر

المادية والبشرية وربما تفاقم الصراع. وأما الصيام فمن آثاره الضعف الجسدي والتباطؤ الفكري. فلا ريب أن آثار الصيام تتعارض مع متطلبات القتال إذا وقعا في وقت واحد. فهذا التعارض بين متعلقات الحكمين نسميه تزامماً بين الحكمين، والفقهاء في تقديم أحد الحكمين عند التزاحم نسميه فقه الأولويات وهو يتضمن فقه الموازنات. فلما كانت الآثار الحاضرة للصيام تفسد متطلبات القتال، فإن من لم يفهم ذلك وصام وقت القتال فإنه قد يسبب مصائب كبيرة لنفسه ولأمته. ومن آثار الجهاد أيضاً الخسائر المادية والبشرية، فإذا لم تحسب هذه الأمور وأدت الخطط العسكرية إلى خسائر كبيرة جداً، فإن هذه الآثار قد توهن أو تدمر متطلبات كثير من الواجبات الشرعية الأخرى كالرعاية الصحية والتعليم والتطوير والأمن وغيره، ومن هنا كان الإفراط في الإنفاق أو العمل العسكري سبباً في إنبهار الأنشطة المدنية الواجبة، ويؤدي في النهاية إلى انهيار القوة العسكرية كذلك، لأن الأنشطة المدنية داعمة للجندى.

مثال آخر أن من المقاصد الشرعية الكبيرة تنمية المؤمنين بالخير، أي بالمنافع المعنوية والمادية. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة: ٢. التزكية في العربية هي التنمية بالخير، سواء كان الخير مادياً أو معنوياً. فمن الخير المادي قول ابن منظور: والزكاء: ما أخرجه الله من الثمر. وأرض زكية: طيبة سمينه؛ حكاؤه أبو حنيفة. زكاء، والزرع يزكو زكاء، أي نما. وكلُّ شيء يزداً وينمي فهو يزكو زكاء. اهـ من (لسان العرب). ومثله قول آخرين، منهم الزمخشري في (أساس البلاغة). وأما التنمية أو النمو بالخير المعنوي، فمناه قول الزبيدي: وزكا الرجل يزكو زكواً: صلح؛ وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ النور: ٢١، «ما زكى منكم من أحد»، أي ما صلح. اهـ من (تاج العروس).



وسياتي تفصيل «التزكية والإحياء» في المبحث الخامس إن شاء الله تعالى. المهم هنا أن مطالب التزكية قد تتعارض مع الأحوال على الأرض في حال تعطيل الشريعة أو العيش في بلاد غير المسلمين. مثال ذلك المسلم الذي يعيش في الدول الأوروبية أو الغربية عموماً، فإن التنمية المادية للمسلم قد تتعذر في كثير من الأمور إلا في ظل أنظمتهم الإقتصادية الربوية، علماً أن التنمية المادية هي من الحاجات التي تنزل منزلة الضرورة ولكن ضمن ضوابط شرعية، فإذا كانت تنمية الطائفة أو الأمة ضعيفة فإن نهوضها يكون ضعيفاً.

والجراحة في مثل هذه الفتاوى تعتمد على الصلاح والرسوخ العلمي وقوة الحججة، أي السلطان النصير كما في آية الإسراء، وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى إيقاف حكم الربا في دار الحرب أي دار غير الإسلام في عرفنا اليوم، وهو مذهب مشهور جداً عنه، ووافق أبا حنيفة كما نقل العلماء: إبراهيم النخعي وسفيان الثوري ومحمد بن الحسن الشيباني والناصر من الزيدية. ثم بعد زمن طويل جداً ومعاناة كثيرة أفتى المجلس الأوروبي للإفتاء عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، أفتى بجواز أن يشتري المسلم في الدول الغربية بيتاً للسكن بقرض ربوي إذا كان لا يمتلك بيتاً ولا يستطيع أن يشتري بيتاً نقداً. وهذا قول الإمام يوسف القرضاوي وغيره من المعاصرين، وسبقهم إلى ذلك العلامة محمد رشيد رضا.

والحجة الصحيحة لقول أبي حنيفة ومن وافقه هو الإضرار الذي يقتضيه تراحم الأحكام، فإما التنمية التي يريد الله تعالى للمسلمين وإن كان بإيقاف بعض الأحكام الشرعية في الأموال، وإما أن تبقى منخفضاً في التنمية المادية مع العمل بأحكام الإقتصاد الإسلامي في ظل كون النظام العام غير إسلامي.

وقد ذكرنا أن حكم الإضرار غير مقصور على خشية تلف الجسد أو الموت أو انتهاك العرض، بل ينبغي إدخال تراحم الأحكام في باب الإضرار، أي خشية هلاك

العمل بالإسلام او ببعض أحكامه. وأما مجيء نص الإضرار في سياق حكم الأكل، فليس دالاً على حصر الإضرار به، فإن سبب الورود من نوع سبب النزول، فالعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب ولا بخصوص الورود. ولا شك أن هلاك العمل بالدين او ببعض أحكامه هو الهلاك الحقيقي، لأن في أحكام الدين حياة الإنسان، كما في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤.

ويلحق بأصل التزامه، قوله تعالى ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٣٨﴾ ﴿الإسراء: ٢٦-٢٨.

والحرام الذي يتم إيقاف العمل بتحريمه فإنه يوصف بالعمو، ولا يوصف بأنه حلال. وقد توسع الإمام الشاطبي في (الموافقات، ١/ ١٠٠-١١٢) في هذا المعنى، وجعل العفو مرتبة بين الحلال والحرام، وأدخل فيه كل مخالفة لمطالب الشريعة بسبب عذر يعتد به في الدين كالأكره والخطأ في الاجتهاد. ثم إذا زالت الموانع والأعذار سقط العفو، وظهر الحكم المطلوب في القضية. ومثل الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى بالتدرج في تحريم الخمر في عهد النبوة، ومقتضى كلامه أن الخمر لم تكن حلالاً في الشرع قبل تحريمها، وإنما كانت في حكم العفو حتى نزل التحريم وسقط العفو، والله تعالى أعلم. وهذا رأي قوي جداً، وبنه إليه قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ سُؤُوكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ المائدة: ١٠١. فهذا واجب عظيم الأهمية من أجل اجتناب تضليل الجمهور وإيهامهم بأن الحرام حلال.

يُضاف إلى ذلك أن تنمية الجمهور بالخير يُعدُّ من المصالح العامة، فهو من مصالح الدين، ويجب أن يأخذ حقه من التوضيح الفقهي. والأمر أوسع من ذلك، فقد كان صلح الحديبية مشروعاً بأولوية عالية وإنْ خالف ما يقتضيه الولاء من نُصرة المسلمين المستضعفين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ كأبي بصير وأبي جندل، وذلك لأن صلح الحديبية تضمن مصالح عامة كبيرة، قريبة ومستقبلية، وقد ذكرنا تفصيل ذلك وأمثلة أخرى في أواخر مبحث الإضطرار من (المنطلق). ونكتفي هنا بقول الإمام أبي البركات ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن مصالحة العدو ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للحاجة والضرورة، دفعاً لمحدور أعظم منه. اهـ من (المنتقى)، باب ما يجوز من الشروط مع الكفار؛ وبالرواية عن حذيفة قال «إِنِّي أَشْتَرِي دِينِي بَعْضَهُ بِبَعْضٍ مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ» رواه ابن أبي شيبة.

ويتصل بذلك حكم رفع الحرج، قال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨؛ الحرج هو كل ضيق يتعذر الخروج منه، وواضح من الآية أن الجهاد ونحوه ليس من الحرج على الصحيح القادر، ولكن ورد التعقيب برفع الحرج لبيان رفع الإثم عن المريض والعاجز وعمَّن هو مكلف بواجب شرعي مزاحم للعمل العسكري. وأولى الحرج بالإزالة هو حين تضيق المداخل إلى أداء الواجبات الإسلامية. وتدبر لو أن قادة المسلمين لم ينهضوا بالبُنى التحتية، فتخلف الاقتصاد والتعليم والأمن والرعاية الصحية، فإن هذا يوقع جمهوراً عظيماً في حرج كبير ويوقف التنمية واكتساب القوة. وبعض هذه الأمور قد تكون حاجية حين يتعلق الأمر بمكلف معين او بعدد محصور من المكلفين. وأما إذا عمَّ في المجتمع ترك التعليم المدرسي او الجامعي او القُدرة العلاجية او نحو ذلك من خدمات البُنى التحتية، فإن هذا عظيم الضرر والعواقب، ويدخل حقيقة في باب الضرورات ويتناوله حكم الإضطرار العام.

ويجب في العمل بتزاحم الأحكام والإضطرار، عدم نسيان الحكم المؤجل، لأنه حكم شرعي، فلا بد من العمل الجاد الدائب لتجاوز المرحلة والخروج من حكم الإضطرار وإحياء الحكم المؤجل. وأما الأنس بالإضطرار وتأجيل حكم شرعي وعدم السعي للخروج من ذلك، فهذا ليس من سبيل أهل التحقيق. ويتصل بذلك قول القائل: لا بد في الخطاب السياسي التركيز على المستطاع مع الإعداد لما هو غير مستطاع الآن.

وأخيراً، فإن جملة من الناس ومن أهل العلم قد يتأخرون في فهم مسوغات الإضطرار أو تزاحم الأحكام، وقد يؤدي ذلك إلى سوء الظن والاختلاف. وفي حكاية قول الخضر عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ۗ خُبْرًا ﴾ الكهف: ٦٨؛ فلا بد من الإيضاحات الكافية لاجتناب ذلك. وتدبر في قصة موسى والخضر عليهما السلام، أن موسى تراجع عن إنكاره على الخضر في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ومنه مضمون قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تُؤْخَذُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ﴾ الكهف: ٧٣. وهذا لأن موسى كان يعلم أن الخضر أعلم منه كما صح في الحديث، وأن الخضر نبي غير مرسل كما تدل عليه آيات القصة. وأما بعد ختم النبوة، فإن أصحاب الغيرة على الدين سيقولون لمن يخالف الشرع من القادة وغيرهم بمعنى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ الكهف: ٧١، وبمعنى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ الكهف: ٧٤؛ ولن يتراجع أصحاب الغيرة عن ذلك وعمما يقتضيه من تبعات حتى يعلموا التفاصيل وتظهر لهم الحجة التي سوغت العمل بالتزاحم، أو يتبين لهم أن الأمر تفلت متعمد عن الإلتزام الشرعي، وأن مزعمة التزاحم أو الضرورة أو المرونة إنما هي زخرفة للخداع والتضليل؛ فالخيار هو البيان أو تحمل العواقب.

**ومنها:** أن الحكم المعلق على غاية يقوم المسلمون بتحقيقها بإذن الله تعالى، فإن الحكم يتوقف إذا قامت الأدلة والعلامات على تعذر تحقيق الغاية. وقد سبق ذكر هذا المعنى تحت عنوان: «التفكير بالمآلات والغايات»، وتفسير حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رواه الإمام مسلم والبخاري وأحمد وغيرهم؛ فلا ينبغي اختيار القتال إذا كان التقويم التوقعي للنتائج هي عدم إمكان بلوغ إعلاء كلمة الله تعالى في ذلك الظرف. ومن هذا الأصل التوازن في الخيارات الدفاعية بين القوة الذاتية والتعرض للمخاطر، فلا ينبغي أن تُعرض نفسك لمخاطر يمكن أن تكون أكبر من قوتك الذاتية، أي قوتك التي تصنعها أنت وتنتجها.

**ومنها:** مقتضيات التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية، فإن حال الناس قد يقتضي تأخير العمل ببعض الأحكام الشرعية، وفي ذلك أدلة شرعية متعددة. ونذكر هنا بأن التدرج أصل مستقل، فبالإضافة إلى تعلقه بالعوامل الخارجية كالأسباب والموانع، فإنه يرتبط أيضاً بطبيعة النفس الإنسانية التي تحتاج إلى تدرج لأجل الإستيعاب وتنظيم الباطن ومقاومة الإضطراب والمؤثرات. يوضح الأمر أن العمل المتسرع يؤدي من الناحية التربوية إلى استجابة عملية مضطربة او متفلتة لأنها غير متناسقة مع تكامل استجابة النفس، وأما التدرج والمرحلية فإنه يفسح المجال لتكامل العمليات النفسية والدماعية وتحسين تجاوبها، كي يكون العمل قضية ثابتة وشبه تلقائية، ويمكن حينئذ الانتقال من حيّز العمل إلى حيّز التحسين والتطوير.

ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ الفرقان: ٣٢. وقد ذكرنا معنى الآية وأدلة أخرى وتفصيل مهمة، في الكلام عن التدرج، أي الفصل الرابع من كتاب

(المنطلق). ومقتضى الأدلة الشرعية أنك إذا أردت الرفق بالناس كما يجب، فلا بد من إعادة ترتيب حياة الناس وفكرهم وأعمالهم بالتدرّج قبل إتمام المسيرة المستقيمة. وبخلاف ذلك فإنك تكسر الناس وتنفرهم عن الدين، علماً أن تحبيب الدين إلى الناس لا يقل أهمية عن تعليمهم الدين وتنفيذه عليهم.

يوضح الأمر أن حياة الناس قبل التطبيق الشرعي قائمة على طريق مأهول ولكنه كثير الإعوجاج، فإذا أردت أن تنطلق فيه وكأنه طريق مستقيم، فعليك أن تهدم بيوتاً كثيرة على أهلها، فلا مفر من التدرّج في الإنطلاق وفي عمليات التعديل.

وواضح من هذه الأمثلة أن رؤية المؤثرات الواقعية تحتاج إلى أربع خصال:

**(الخصلة الأولى):** أن الواقعية لا تُنسك الهدف المستقبلي، فأنت تعمل للهدف المستقبلي وتفكر فيه ولكنك لا تعيش فيه عملياً إلا حين تبلغه.

**(الخصلة الثانية):** النظر إلى المؤثرات الواقعية نظر المخالط لها والواقع فيها، وليس نظر المراقب من بعيد الذي قد يسهل عليه إدعاء المثالية ولا يحكم على غيره كما يحكم على نفسه إلا حين يلبس الإضطراب. وكذلك رؤية الصلة بين الضروريات والحاجيات، فإن الحاجيات هي في كثير من الأحيان وسائل الضروريات والواجبات، ومعلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**(الخصلة الثالثة):** الخبرة في تقويم قُدّرات الناس على تحمل التغيير وحسن الإستجابة له.

**(الخصلة الرابعة):** البحث عن المصالح العامة الكامنة في النصوص الشرعية والسعي لإتقان فقه الموازنات والأولويات.

## من موانع صحة التفكير

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾  
العنكبوت: ٦٩ . فمن موانع التفكير السليم:

### ضعف التأهيل:

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ النساء: ٥٨ . وضعف التأهيل أنواع، النوع الأول: ضعف الإحاطة بضامين مجال التفكير وما يتصل بها او يؤثر عليها. فإذا كنت تتصدى لبلوغ هدف سياسي، فعليك بدراسة المشهد والمسار إليه بكل تفصيل وإتقان، وهذا بالإضافة إلى الخبرة السياسية المتراكمة. وهكذا في سائر الأهداف.

النوع الثاني: ضعف الإحاطة بمهارات التفكير، وقد ذكرنا جملة منها في هذه الدراسة، وفي (المنطلق) وفي (نخبة المسار). النوع الثالث: ضعف الأمانة والإستقامة او ضعف العدالة، لأن ضعف الإستقامة يوهن الاهتمام بمسؤولية المصالح العامة، ويدفع بالتفكير لخدمة المنافع الخاصة، او يؤدي ضعف الأمانة إلى القيام بالحد الأدنى من الجهد لمجرد إسقاط الواجب، وليس للتفوق والمغالبة. وتدل نصوص القرآن على عدم أهلية المجروح بالعدالة لقيادة المسؤولية العامة؛ قال تعالى ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٤، وقال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٣، وقال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِمْ فَفَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴾ الحجرات: ٦ .

## البعد عن الإيمان:

وفي ذلك أمور ينبغي إيضاحها:

(الأصل العلمي): قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

أَهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ النجم: ٢٩ - ٣٠، نفهم أموراً من الآيتين:

الأمر الأول: الأمر بالإعراض عمن تولى عن ذكر الله تعالى؛ الإعراض هو الترك أو عدم الإهتمام أو عدم التصدي لدعوته. والتولي هو الإدبار والإنصراف عن الأمر، والمراد هنا هو الإنصراف التام أي رفض الإيمان، بدليل صيغة الحصر في عبارة ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾.

الأمر الثاني: عبارة: ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾، أي الحياة الدنيا هي مبلغهم من العلم فلا علم لهم فيما وراء الحياة الدنيا، وبصيغة أخرى: هنا انتهى تحصيلهم من المعلومات، كما هي عبارة ابن عطية في تفسيره، فلا رصيد لهم في رؤية الحلال والحرام ولا ما يتصل بالدين من ثقافة وقانون وتربية وشبه ذلك. يوضح الأمر أن كلمة «مبلغهم» مصدر ميمي يجسد الحدث إلى منتهاه، بل يجسد غاية ما وصل إليه الحدث، فالفرق بين البلوغ والمبلغ هو كالفرق بين الانقلاب والمنقلب، فإن المنقلب يجسد خاتمة مسار الانقلاب، كما في قوله تعالى ﴿... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ الشعراء: ٢٢٧، وقد بين ذلك العلامة فاضل السامرائي في (معاني الأبنية). فمعنى العبارة القرآنية أن انتهى علمهم هي الحياة الدنيا، فقد تجد غير المؤمن عالماً قوياً بالطب أو بالهندسة أو بالفيزياء أو بنحوها من العلوم، ولكن الأهواء قد تتجاوزه في كيفية استخدام هذه العلوم.



ومن القواسم المشتركة بين الذين يرفضون دين الله تعالى: اتباع الهوى وجعله حاكماً على الحق، قال تعالى ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠ ، ثم يزخرف عديم الإيمان هواه ويظهره بواحد من ظواهر كثيرة. ومن الكلام المأثور: «الهوى أشد من العمى»، وذلك لأن الأعمى لا يرى الأجساد، وأما صاحب الهوى فلا يرى المعاني الصحيحة المتصلة بالدين وبالآخرة.

ثم لو قضى هذا عمراً في دراسة القرآن الكريم فإنه لن يفقه معانيه. قال تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ..... ﴿٤٦﴾ الإسراء: ٤٥-٤٦.

**(تفاوت المنصرفين عن ذكر الله):** نُذَكِّرُ هُنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١، وقد سبق تفسير الآية الكريمة، ونكتفي هنا بأن الفعل المضارع في «فتخطفه» وفي «تهوي به»، يصلح لمسار طويل يتكرر فيه الإختطاف والتهوي حتى يبلغ المكان السحيق. وأما حرف الظرفية: «في مكان ..» فهو تعبير عن نهاية المطاف. فمنهم من يقف عند درجة معينة، ومنهم من يستمر إلى نهاية المطاف ويُطبع على قلبه كما في نحو قوله تبارك وتعالى ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ يونس: ٧٤.

يوضح ذلك، أن الله تعالى ذكر الصالحين ثم ذكر المنكرين لدين الله، ثم قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ الأحقاف: ١٩.

وهذا يؤكد تفاوت الناس عموماً فيما هم فيه، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا  
دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ آل عمران: ٧٥.

وتوجد أحوال كثيرة يُكتفى فيها بدرجة الإطمئنان المتبادل وبالضمانات المتعارف  
عليها كالوصلات والمكاتبات القانونية. وأما في السياسة، فلا يُكتفى بهذا النوع من  
الإطمئنان، لأن مسار الإنسان قد يتطور، ولأنه يوجد وراء كل شخص كثير ممن يؤثر  
عليه سياسياً، فلا بد من إجراءات أكثر فاعلية.

وأيضاً، فإن القرآن الكريم يسد المؤمن وينير عقله على قدر جهده وتقواه أي طهارة  
نفسه. قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا  
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ الواقعة: ٧٧-٧٩، فقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أي كلام الله تعالى  
وهو كريم بمعانيه، ولكنه ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾، أي مستور في المصحف، ومنه قوله  
تعالى ﴿ أَكْتَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٣٥، أي أسرتم أو سترتم في قلوبكم، ثم  
قال تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾، أي لا يفقه معانيه فيخرجها من الكِن الذي  
حفظ فيه القرآن إلا أصحاب القلوب النقية الطاهرة، فهذا مس معنوي من جنس قوله  
تعالى ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام: ١٧. وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: لكن محاسن أنواره -أي  
القرآن- لا يُتَّقَفُّها إلا البصائر الجليلة، وأطايب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع  
شفائه لا ينالها إلا النفوس النقية، كما صرح تعالى به فقال في وصف متناوله ﴿ إِنَّهُ  
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾، وقال في وصف  
سامعيه ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ <sup>ط</sup> وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى ﴿ فصلت: ٤٤. وذكرت أنه كما لا تدخل الملائكة الحاملة للبركات بيتاً فيه صورة أو كلب، كذلك لا تدخل السكينات الجالبة للبينات قلباً فيه كبر وحرص، فالخبثات للخبثين والخبثون للخبثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات. اهـ من مقدمة (المفردات). يؤكد ذلك، قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَشْقُوا اللَّهُ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴿ الأنفال: ٢٩، أي يجعل لكم قدرة على رؤية الفروق بين الأمور المتباينة، كالراجح والمرجوح، والصواب والخطأ، والحق والباطل. معنى ذلك أن لضعيف التدين نصيباً ضعيفاً من رؤية هذه الفوارق فيما يتصل بمعاني القرآن والسنة.

## الرؤية الخادعة:

الرؤية الخادعة يمكن أن يقع فيها المسلم وغيره. قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿ التوبة: ٢٥، فإنهم خُدعوا بالكثرة وحدها، فأنستهم هذه الرؤية المؤثرات الأكثر أهمية، فأعظمها أهمية التوكل على الله تعالى، ثم الإعداد المادي والمهارات العملية في ساحة المعركة.

ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿ الحشر: ٢، فتدبر أن إخراج أولئك حينذاك وقع على خلاف ظن المؤمنين وظن أولئك اليهود. فالمهم أن على المؤمنين إعداد العدة المناسبة وزيادة احتياطية وتقويم الموقف وفقاً للعوامل والمتغيرات بين الطرفين. ومع ذلك يجب التفكير بما هو خارج الحسبان من أفعال الله تعالى، فتدبر عبارة ﴿ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

يَحْتَسِبُوا ﴿٢﴾، وكذلك قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ الطلاق: ٢ - ٣.

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ طه: ١٢٠ - ١٢٢، فعلى المؤمن الحذر من أن رؤية معينة إنما هي من خداع الشيطان، وينبغي لذلك اعتماد تنقيح النظر بالرؤية الثانية فصاعداً، على نحو ما بيناه في المبحث الثاني.

وأما عند الكافر، فإن تزيين السيئات يُعطي مجالاً واسعاً للرؤى الخادعة، قال تعالى ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ فصلت: ٢٥، وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ الزخرف: ٣٦ - ٣٧.

ويتصل بهذا الأصل، افتعال الأعذار غير الصادقة وخداع النفس بها قبل خداع الآخرين، ومنه قوله تعالى ﴿ .... وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَيْسِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ الأحزاب: ١٣ - ١٥.

فينبغي للمؤمن أن يسأل الله الهداية والتسديد والتثبيت على الحق. وعن علي عليه السلام، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ » رواه مسلم وأحمد وأبو داود وأبو يعلى، وصححه الألباني وحسين سليم أسد، وقواه شعيب الأرنؤوط. فواضح أن السداد إصابة القصد الصالح، فعلى المؤمن أن يجعل لكلمته أو تصرفه غاية صالحة، كمن يسدد سهمه إلى هدف مُحدّد. وهذا غير ممكن إلا بضبط النفس، أي حماية عملية صناعة الكلمة والتصرف، من العوارض المؤثرة كالغضب والهوى والتسرّع والإضطراب.

ومن أنفع الرُقى في هذا المعنى أن يرقى المسلم نفسه بقوله تبارك وتعالى ﴿ يَثَبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ إبراهيم: ٢٧.

## أمراض النفس:

كالكبر وغيره كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤، وقوله تبارك تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ غافر: ٥٦.

وتدبر مصير التوجه الفكري للمتكبرين، كما في قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٦.

وكذلك الحسد وإرادة حصر المنزلة والخير الدنيوي بأنفسهم، ومنه قوله تبارك وتعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَتَّبِعُوكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ إِنَّمَا يَتَّبِعُوكُم لِكَيْ تَتَّقُوا أَلَيْسَ بِالْعِزَّةِ الْعَظِيمَةِ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَآبَاءِ اللَّهِ إِذْ كَفَرُوا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَيُطَهِّرَ الْبَاطِنَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٩٠. ومنه قوله تعالى ﴿أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ﴾ الأحزاب: ١٩، الشح أشد البخل، والمعنى أنهم بخلاء بالخير عليكم، فلا يريدون الخير الدنيوي إلا لأنفسهم. قال ابن فارس: الشُّحُّ، وَهُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ. وَيُقَالُ تَشَاحَّ الرَّجُلَانِ عَلَى الْأَمْرِ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْفَوْزَ بِهِ وَمَنَعَهُ مِنْ صَاحِبِهِ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). ثم قال تعالى ﴿فَإِذَا ذَهَبَ لُخُوفُ سَلْفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَهَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأحزاب: ١٩، وفي العبارة تأكيد أنهم لا يريدون الخير إلا لأنفسهم.

ومن أكبر أمراض النفس، كراهة الحق والإشمزاز منه، قال تعالى ﴿وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ الحج: ٧٢. وقال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر: ٤٥. وقال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ الزخرف: ٤٧.

ومن أمراض النفس اتباع الهوى، وقد قال سلفنا: «الهوى أشد من العمى»، وذلك لأن الأعمى لا يرى الأجساد، وأما صاحب الهوى فلا يرى المعاني الصحيحة. فالهوى أصل الإنحراف الفكري كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ القصص: ٥٠.

ومن أمراض النفس التطبع بمضامين الكذب، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُتُونَ ﴾ آل عمران: ٢٤، ولعله التأثير النفسي للبقاء على الكذب، فإن النفس تغتر به وكأنه حقيقة. وقيل: المغرورون هو ضعفاؤهم، والمفترون كبراؤهم؛ أي عرَّ الضعفاء قول الكبراء، نقله أبو حفص النسفي في (التيسير في التفسير). وهذا تأويل قوي، فإنه يعبر عن حقيقة التأثير بين الطغاة واتباعهم.

### الإحاطة بالخطيئة:

قال تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٨١. فتدبر عبارة ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ ﴾، فإن ما يحيط بالإنسان هو ما لا يترك له منفذاً للخروج والإقبال على أمور أخرى، أو بعبارة أخرى: استولت عليه خطيئته وغلبته، فلم يبقَ لغيرها عليه حكمٌ، كما هي عبارة أبي حفص النسفي في (التيسير في التفسير). ولذلك فإن الوصف في الآية يقع على نوعين من الناس:

(النوع الأول): الكافر الذي ينحدر شيئاً فشيئاً في الخطايا حتى يُحاط به فلا يخرج منه إلا الشر.

(النوع الثاني): المسلم الذي يكتسب سيئة كبيرة لا يمكن حمايتها في الدنيا إلا بالإصرار عليها والاستزادة منها حتى تملأ عليه نفسه وتحيط بأقواله وأفعاله، ويقوم بزخرفتها والإيذان بها ويقرن بذلك الإنكار لما يعترض طريقه من مضامين الحق والعدل

في القرآن. وقد وقع في ذلك كثير من الطغاة والمستبدين الذين حملت ظهورهم أوزاراً كبيرة من كثرة ما قتلوا من نفوس وانتهكوا من حرمت ونهبوا من أموال؛ ولا اعترفوا بخطأ ولا خضعوا لقصاص، بل زينوا إفسادهم وأنكروا كل ما يعارض ذلك، ومنعوا محاولات التصحيح.

وتدل الآية الكريمة على أن الإنسان الفاسد يمكن أن يتطور تطوراً سفلياً سواء كانت البداية بالكفر أو بسيئة كبيرة، لأن حكم الآية معلق على وصفين، الأول كسب السيئة، والثاني أن يحاط الإنسان بخطيئته أو بخطيئته، وهذا تطور تدريجي، فمنهم من ينزل بالدركات إلى أن يحاط به، ومنهم من يقف في وسط المسار وتظهر له مواقف حميدة، ومنهم من يراجع نفسه ويتوب إلى الله تعالى.

وتدبر قراءة نافع من السبعة وأهل المدينة: «وأحاطت به خطيئته» بصيغة الجمع، ويُنْبَه ذلك إلى نحو ما ذكرناه من أن السيئة العظيمة التي ابتدأ بها جرتة إلى خطايا كثيرة أحاطت به، من قتل وعدوان وظلم وبطش وترويع وسائر الفواحش السياسية والإقتصادية والاجتماعية. وأما قراءة الجمهور ﴿حَطِيئَتُهُ﴾ بالإفراد فإنها تجعل الإحاطة للذنب الذي ابتدأ به من كفر أو جريمة فعلية كبيرة، وذلك لأن الخطيئة الكبيرة الأولى هي التي جرتة إلى سائر الخطايا فكانت السيئة الأولى هي نقطة التحول والنزول في دركات الخطايا، فلا تعارض بين القرائتين.

وتوجد نصوص تؤكد تأثير الخطايا والآثام على قرار الإنسان وخياراته، والأمر أشد حين يتوغل الإنسان في الآثام ويصير فاسقاً. والفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى، ولكنه أبلغ في الذم من الوصف بالذنب أو الظلم أو الإثم أو السوء أو العصيان، فإن المؤمن الصالح قد يصف نفسه بالذنب ونحوه كما في سيد الإستغفار وغيره، ولكنه لا يوصف بالفسق. يوضح الأمر أن المسلم الفاسق قد بلغ درجة في الذنوب، وكأنه خرج عن الإستقامة إلى الجور والخبث في العمل، وبدرجة توجب إسقاط عدالته، وقد قال تعالى



﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَمِينُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦.

وأكثر ما يُطلق الفسق على المعاصي العملية الكبيرة، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ الأعراف: ١٠١ - ١٠٢، وقوله تعالى ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ البقرة: ٢٦ - ٢٧.

وواضح أن المعاصي الكبيرة توهم التفكير الإياني وتوجه التفكير إلى المزيد من الخطايا والجرائم أو إلى الكفر، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (٩٩) أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴿ البقرة: ٩٩ - ١٠٠، وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ٣٣، أي حقت كلمة الله على الذين فسقوا بأعمال الكفر وبالغوا فيها.

## قسوة القلب:

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٧٤، فإن القسوة هي ضعف أو فقدان التفاعل مع المؤثرات التي ينبغي التفاعل معها، فلا تثير المؤثرات تفكيراً سليماً، ولا تعاطفاً مع مظلوم ولا نصرة لحق ولا إبطالاً لباطل. وإنما ينطلق التفكير وفقاً

لأسباب التي أدت إلى القسوة. ومن أهمها سببان، **(السبب الأول)**: إطالة عهد الركود وعدم الإرتقاء حتى يصير الركود صفة راسخة، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ الحديد: ١٦. **(السبب الثاني)**: أن تكون النفس مغمورة بالملاهي والشهوات والترف فهي غير مؤهلة للتفاعل مع الأمور الأخرى، ينبه إلى ذلك نحو قوله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٣.

### شراء الشهوات بالحق:

وهذا العنوان هو الوجه المضاد لأصل سابق تحت عنوان «تجلية الحقائق وإتقان الإحتجاج...».

وشراء الشهوات بالحق داء قديم حديث، وقد يزل فيه من يُظهر التدين ويتوهم أنه داعية، ومع ذلك يجب الحق ويُغيبه نضالاً عن حزبه او قادته. وهو داء شديد الخطورة، لأنه يُغيب الحق ويُشوّه الرؤية، ويضلل أعضاء المؤسسة والمجتمع والأجيال المتتابة، ويُفسد النظام ويهوي بصاحبه في جهنم.

**قال تعالى** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٧٤. الكتمان نقيض الإعلان والإظهار. قال ابن فارس: الكاف والتاء والميم أصل صحيح يدلُّ على إخفاءٍ وسترٍ. مِنْ ذَلِكَ كَتَمْتُ الْحَدِيثَ كَتَمًا وَكَيْتَانًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٤٢. وَيُقَالُ: نَاقَهُ كَتُومٌ: لَا تَرُغُو إِذَا رُكِبَتْ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة).

والوعيد الشديد في الآية ينبه إلى خطورة كتمان شيء من الدين، لأن عاقبة الكتمان أن الباطل سيحل محل الحق، سواء كان ذلك في المجال السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي او غيرها. فهم أخذوا الثمن الدنيوي لتسويق الباطل، وهذا ما تنبه إليه عبارة ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

ولتدبر عبارة ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، فإن العبارة لم تصرح بالقوم المكتوم عنهم، فتحمل العبارة على الإطلاق في الكتمان، سواء كتم عن هؤلاء او أولئك، ويقتضي ذلك العموم في المشمولين بالرسالة كلهم، كما في نحو قوله تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٨، وقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٧٩، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨.

فواضح أن دين الله تعالى قرآنًا وسنة، قد أنزل إلينا لفهمه والعمل به ونشره والدعوة إليه. وليس في القرآن والحديث الصحيح ما يحل كتمان، سواء كان كتمان به عزله عن النشر او بحصر تداوله في الغرف المغلقة او بتحريف معناه، او بغير ذلك من وسائل كتمان النص او المضمون. وهذا غير معارض لنظام التدرج، فإن التدرج يشمل العمل التنفيذي؛ وأما التدرج في التبليغ والمعرفة فمع من أسلم حديثاً او خرج حديثاً من غمرته، وليس مع أعضاء المؤسسة الإسلامية وأمثالهم. ولكن الذي حاصرته الحجة بسبب كتمان، فربما يفتعل الأعذار بمزاعم التدرج ونحوها. وقد قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ الأحزاب: ٣٩.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم: «ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً»، أي لا

يضع العلم حتى يصير سراً؛ الخبر منقول في (نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم).

ومن المعاني المأثورة أن إخفاء العمل نجاة في كثير من الأحيان، وأما إخفاء العلم فهلكة إلا في استثناءات الضرورة.

فالذين يكتمون الحق يجعلون الفتوى على هوى الطغاة، أو هوى القادة والأسياذ الرسميين أو غير الرسميين، أو هوى التيار المخالط لهم على نحو قوله تعالى ﴿وَكَأَنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ المدثر: ٤٥، أو لتبرير ما يعلمون أنه مخالف للدين وللإيهاام بشرعيته. ويتحمل هؤلاء آثاماً متواصلة بسبب كثرة المخدوعين والمضللين بكتماهم، وبسبب تكرار العمل بها زينوه زمناً طويلاً.

**وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ**

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ البقرة: ١٥٩ - ١٦٠. تُدَكِّر

الآية بأمرين إضافة إلى ما ذكرناه قبل قليل، (الأمر الأول): عبارة ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنْ

الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ صريحة أن الوعيد الشديد على الكتمان يشمل كتمان المضمون المعنوي

وإن كان النص الشرعي معلناً. وهذه مصيبة كبرى يقع فيها بعض المنتسبين إلى العلم

الشرعي وبعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية، حين يتعمدون كتمان مضامين شرعية في

مجال السياسة أو الاقتصاد أو الإدارة والقيادة أو في غير ذلك من المجالات؛ وليس ذلك

بسبب الإكراه والإضطرار، ولكن كما قال تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا

فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الأحزاب: ٦٧. (الأمر الثاني): عبارة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ ...﴾، فتدبر الإقتران بين لعنة

الله تعالى ولعنة اللاعنين، فاللاعنون بصيغة العموم هنا هم الصالحون الذين يُغضبهم كتمان المضامين الدينية. فواضح أن الذين يكتمون المضامين الدينية يستحقون اللعن أي الطرد والإبعاد مع السخط والإمتعاض، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك يتوب الله عليهم.

### وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٤٠.

معنى عبارة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي لا أحد أظلم ممن كتم شهادة عنده عن مضامين وأحكام الدين. يوضح الأمر أن «من» في عبارة ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾، ابتدائية لبيان المنشأ، كما هو واضح وبينه ابن عاشور في تفسيره. وواضح من السياق المتصل بالآية أن الشهادة هنا ليست قضائية، ولكنها شهادة بالمضامين الدينية، كما في نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٤٣. فتدبر الهمم الشديد لمن كتم شهادة عنده عن مضمون من مضامين دين الإسلام.

### وقال تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

البقرة: ٤٢. «اللبس» هو الخلط، والخلط للإيهام وإزالة الوضوح. قال ابن منظور: واللبس، بالفتح: مصدر قولك لبست عليه الأمر ألبس خلطت. لبس عليه الأمر يلبسه لبساً فالتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته. في رأيه لبس أي اختلاط، ويقال للمجنون: محالط. والتلبس: كالتدليس والتخليط، شدد للمبالغة، ورجل لبس ولا تقل ملبس. اهـ من (لسان العرب). والباء في ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ للإصاق، كقولك: خلطت الماء بالبن. والحق هو الثابت الصحيح أو الثابت لجليل أو صافه أو لصحة وقوعه؛ ونقيضه الباطل وهو الزائل بسبب كبير عيوبه ومساوئه أو عطل فوائده. وظاهر إعراب «وتكتموا» الجزم عطفاً على «تلبسوا»، والتقدير: ولا تكتموا.

فالتلبيس المذكور هو الخلط لإظهار الباطل بصورة الحق، وللتعمية لجعل الإنسان كالأعمى عن إدراك الحق. فكتمان الحق من لوازم التلبيس بالباطل، وتدبر كيف قرن الله تعالى بينهما في آية واحدة. وقد جاء النهي عن تلبس الحق بالباطل بجملة والنهي عن كتمان الحق بجملة معطوفة، وبذلك يُعلم أن الجمع بينهما أمر في غاية القبح والشناعة. وقد يجد المبطل مصاعب في إنكار الحق مباشرة، فسيبيله حينئذ التلبيس أو تشويش دلائل الحق لجعلها طريقاً إلى الباطل، على أمل أن يغيب عن كثير من الناس رؤية الفساد في جمع الضدين.

وقد بينت الآيات القرآنية المذكورة قبل قليل أن الذين يكتمون هدى الله ملعونون وأنهم ما يأكلون في بطونهم إلا النار، فتدبر درجة الهبوط حين يُضاف إليه تلبس الحق بالباطل، فهو ضرب من المراوغة والخداع مع الدين، وعقوبته شديدة جداً كما سيأتي تحت عنوان: «المراوغة في التعامل مع الشرع»، إن شاء الله تعالى.

ومن وسائل التلبيس القيام بعمليات تلميع وتمجيد قضية معينة ونشر تمجيدها كي تصير القضية مقبولة جداً، ويصير الإعتراض عليها منكراً. كل ذلك لتمشية محور فاسد من محاور القضية وإضفاء شرعية مزيفة عليه.

وفي كثير من الأحيان تكون درجة متدنية من التلبيس غير كافية، فلا بد من التوغل في تزوين الباطل الذي يُراد الإقبال عليه (أي ما بين أيديهم)، وتزوين جذوره أو نظائره السابقة (أي: وما خلفهم). وقد قال تعالى ﴿ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ فصلت: ٢٥.

ويتصل بالتلبيس: المداينة، قال تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٨) ودُوا لَوْ نُدُّهُنَّ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ القلم: ٨-٩، ومعنى الآية الكريمة: ودوا من النبي ﷺ تلبين وتلوين

وتطويع بعض مضامين دعوته وفقاً لأهوائهم كي يُقابلوا ذلك بالمثل، وهي استعارة من تدهين الشيء لجعله ليناً قابلاً لإعادة التشكيل، فلا مجال لذلك في الإسلام.

## إفراغ القلب من الحق:

فإذا فرغ القلب من الحق سهل على الشيطان أن يملأه بالباطل؛ ومن المعاني المأثورة عن السلف: قلبك إن لم تُشغله بالحق شغله الشيطان بالباطل. وقد قال تبارك وتعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الأعراف: ١٧٥، فتدبر ترتيب الأحداث، (الحدث الأول): أنه انسلخ من آيات الله تعالى، قال ابن فارس: السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ جِلْدِهِ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة). فذاك الرجل جعل الدين غلافاً خارجياً غير مرتبط بالقلب، فسهل عليه أن ينسلخ منه. وأما إذا كان الإيمان الذي في القلب هو المنتج للهدي الظاهر، فهذا هو الثابت بإذن الله تعالى. والتعبير بـ: «انسلخ» ينبه إلى الانفصال الكامل عن آيات الله تعالى، فهو رفض وكفر، وليست زلة مؤقتة. تصرح بذلك الآيتان بعد الآية التي ذكرنا تفسيرها. (الحدث الثاني): لحقه الشيطان بعد انسلاخه من آيات الله. والفاء في ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، تدل على ذلك. (الحدث الثالث): استقرار وحي الشيطان في القلب الخالي من الهدى، كما تدل عليه عبارة ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، والغِيُّ خلاف الرُّشْدِ، قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، فالغي هو فساد الرأي، أو إظلام الأمر كما هي عبارة ابن فارس. يوضح عبارة ابن فارس أن «الإغواء» هو التحريك في الظلمة أو في حال تغييب الرؤية، مثاله نصب كمائن السقوط والمهالك المادية أو المعنوية، فالمُعَوَّياتُ بالتشديد وفتح الواو واحدها مُعَوَّاةٌ وهي حُفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ تُحْتَفَرُ لِلذُّبِّ وَيَجْعَلُ فِيهَا جَدِيٌّ إِذَا نَظَرَ الذُّبُّ إِلَيْهِ سَقَطَ عَلَيْهِ

يريدُه فيُصَادُ، ومن هذا قيلَ لكلِّ مَهْلَكَةٍ مُغَوَّاةٌ، والتَّغَاوِي: التَّجْمَعُ والتَّعَاوُنُ عَلَى الشَّرِّ. والغاوون (اسم فاعل) هم الذين وقعوا في الإغواء ورضوا به لأنفسهم. وقد يقع المسلم بنوع آخر، وهو درجة معينة من فراغ القلب من الإندفاع إلى العمل، ولكن مع بقاء الإيمان بالدين.

### الطعن بالأدلة الصحيحة:

أي بسبب نواقص في التفكير، وهذه النواقص شديدة الضرر، لأنها تجعل الكافر يثبت على كفره، وتجعل المسلم يثبت على خطأه، وتجعله يسارع بتكذيب ما يمكن أن يكون صحيحاً من المعاني والأدلة. وهذا بالإضافة إلى المخاطر الدنيوية المترتبة على التكذيب بما يمكن أن يكون صحيحاً، في الأمور الدفاعية والسياسية وغيرها. وتوجد نصوص قرآنية عديدة توضح ذلك:

**منها:** قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يونس: ٣٩، قال ابن سيده: حاطه حوطاً وحياطة: حفظه وتعهد. واحتاط الرجل، أخذ في أموره بالأحزم. والحوطة والحيطه والحيطه: الاحتياط. وحاطه الله حوطاً وحياطة، والإسم الحيطه: صانه وكلاه. والحائط: الجدار لأنه يحوط ما فيه. وكل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه، فقد أحاط به. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ البروج: ٢٠، أي لا يعجزه أحد، قدرته مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِمْ. اهـ من (المحكم والمحيط الأعظم). وفي معنى قوله تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مُحِطْ بِهِ﴾ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ النمل: ٢٢، قال الزجاج: ومعنى أَحَطْتُ علمت شيئاً من جميع جهاته، تقول: أَحَطْتُ بهذا علماً، أي علمته كله لم يبق عليّ منه شيء. اهـ من (معاني القرآن وإعرابه). ولما كانت الإحاطة بمعاني القرآن كلها متعذرة على الإنس



والجن، فإن الذي كذبوا به في عبارة ﴿يَمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، هو ما عرضه النبي ﷺ عليهم من نصوص او من مضامين القرآن والإسلام، وهذا كاف في الوعيد والإنكار عليهم. فيمكن أن يكون المقصود أنهم كذبوا بالوعيد في الآخرة او ببعض الجملات القرآنية التي يأتي تفسيرها مستقبلاً، وذلك لأن عبارة ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، تدل على توقع أن يأتي التأويل، كما أن لفظ «التأويل» يُستعمل بمعنى التفسير وبمعنى حقيقة المآل المستقبلي حين يقع، قال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ ....﴾ الأعراف: ٥٣.

وقال الإمام الزمخشري: بَلْ كَذَّبُوا: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن، وفاجئوه في بديهته السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم، وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد إذا أحسَّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه- وإن كانت أضواً من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة- أنكرها في أول وهلة، واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه، من غير فكر في صحة أو فساد، لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عدها من المذاهب. اهـ مع اختصار من (تفسير الزمخشري). وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ النمل: ٨٤ - ٨٥.

ونرجع إلى العموم في عبارة ﴿يَمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، فإنها تنبه أيضاً إلى التعامل بين الناس في الدنيا، فقد قلنا إن «لَمَّا» تدل أو تُشعر بتوقع أن يأتي تأويله؛ فيجب اجتناب التخلُّق بدرجة من التسرع المذموم، وذلك في التعامل بين الصالحين من العلماء والدعاة وغيرهم، فلا يسارع أحدهم إلى الإنكار على أخيه، ولكن يتناول الأمر برفق، فربما يأتيه تأويل مقبول بعد حين. وتنبيه الآية الكريمة أيضاً إلى ذم أن يستدل

بعضهم برؤية جزئية، بعيدة عن الإحاطة، ويتخذ القرار قبل أن تأتيه الحقيقة والتفسير الصحيح. وتجمع هذه الرؤية ثلاثة أخطاء كبيرة، **(الخطأ الأول):** الإعتماد على رؤية جزئية غير محيطية. **(الخطأ الثاني):** قرار التكذيب قبل التنقيح وإعادة النظر، وبعبارة أخرى: المجازفة بالإختيار، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ الإسراء: ١١. **(الخطأ الثالث):** عدم إثارة الاحتمالات، وبعبارة أخرى الفشل في إثارة احتمال أن الأمر حق فلا ينبغي التكذيب به. وهذا سبب شائع من أسباب الخطأ أو فساد الرؤية، ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۗ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأحقاف: ٢٤، فلم يفكروا باحتمال صدق الرسالة وأن العارض عقوبة لهم. ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۙ وَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦، فلم يفكروا باحتمال أن الله تعالى يمدهم ليزدادوا إثماً، كما يوضحه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۗ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ آل عمران: ١٧٨.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٤)، فتدبر أن سبب إعراضهم هو الجهل بالحق، ولا ريب أنه ليس مطلق الجهل لأن بعض أنواع الجهل يقبل العذر، وهو الجهل بسبب عدم بلوغ الحجة. معنى ذلك أن الجهل المفهوم من عبارة: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ﴾، هو الجهل بالحق بعد بلوغ الحجة، كما تنبه إليه عبارة: ﴿ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾، ويوجد أكثر من سبب لذلك، **(السبب الأول):** هو رفض النظر في الحجة الصحيحة، وكأنه مكتف بما هو عليه ويشعر بالاستغناء عن غيره؛ وسيوضحه تفسير آية عبس بعد قليل إن شاء الله تعالى. **(السبب الثاني):** هو النظر في

الحجة ليس لفحصها ولكن لافتعال حجة باطلة لردها، أي النظر فيها بهدف الإعراض عنها، لأنهم ألزموا أنفسهم مسبقاً برؤية خاطئة، وسيأتي إيضاح ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى. ويوجب ذلك الحذر الشديد من الإعراض عن حديث صحيح مع سلامة إسناده، بل يجب إعادة النظر فيه مراراً وتكراراً لفهم توافقه مع أحكام الشرع، وهكذا القول في النظر في حجة الفقيه المخالف وفي سائر الأدلة الشرعية. وتنبه الآية إلى عدم جواز الإعراض عن الأمر الخطير الذي لا نعلم حقيقته، ولكن ينبغي البحث والتعلم.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الأحقاف: ١١)، الهداية أكثر من نوع، (النوع الأول): وصول البيان والدلالة أو وصولها والتعرف عليها، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ فصلت: ١٧. (النوع الثاني): قبول الهداية والتوفيق للإنتفاع بها، ومنه قوله تعالى ﴿ ... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٦) ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾ الزمر: ٣٦ - ٣٧. وعلى ذلك فإن آية الأحقاف تتضمن ذم أمرين، (الأمر الأول): الإنكار على من أنكر شيئاً أو جحدته لأنه لم يتعرف إلى مضمونه؛ ويمكن أن يقع المؤمن بدرجة من ذلك. فلاجتنب هذه المذمة، ينبغي للمؤمن في القضايا الخلافية أن يبحث ويتثبت، فلا يُعادي ما يجمله كما يفعل كثير من الناس. (الأمر الثاني): ذم من عرف الحق فلم يقبله، وجحدته زاعماً أنه إفك. والمؤمن الثابت معصوم من ذلك، والحمد لله تعالى.

**ومنها:** الإلتزام مسبقاً برؤية خاطئة: قال تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدُّهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴾ (٤٦) ﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ۖ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِخُجُوعٍ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (٤٧) الإسراء: ٤٦ - ٤٧، فتدبر أن

الله تعالى لم يقل: بما يستمعون إليه، ولكنه تعالى قال في سياق الذم: ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، فإن الباء في: «به»، للإيصال بأداة الاستماع او بمنهج الاستماع وهو المراد هنا، وهذا كما تقول: رأيتُه بعيني وقاومته بالحجة والفكر وضربته بيدي، فالعقلية او المنهج الذي يستمع به أولئك الكفار كان رافضاً للمسموع مُسبقاً وغير مستعد لرؤية واسعة ولا عميقة ولا منقحة ولا تحليلية. ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ النمل: ٤٣.

**ومنها:** خطورة التكذيب بما يمكن أن يكون صحيحاً. من ذلك التكذيب بالجديد

الذي لا تألفه عوائدهم من غير فحص له، قال تعالى ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَاقٌ﴾ ص: ٧؛ فبالإضافة إلى وجوب الإستجابة السريعة إلى الإيوان، فإن صيغة العموم او الإطلاق في الآيات الأربعة المذكورة قبل قليل تدل أيضاً على وجوب الحذر من التكذيب بما يمكن أن يكون صحيحاً، فإن أخباراً صحيحة كثيرة تأتي في البداية بمشهد غير متكامل او بعلاوات غير مباشرة، وقد يؤدي التكذيب بها إلى خسائر كبيرة، ولذلك أمر الله تعالى بالتبين او الثبوت من خبر الفاسق قبل التكذيب به، وقد يأخذ التبين وقتاً طويلاً. وفي قضايا المخاطر وشبهها، قد يكون من الضروري اتخاذ تحذيرات احتياطية إلى أن تظهر الحقيقة. وكثير من غير المؤمنين لا يُكذِّبون في الأمور الدنيوية بما يمكن أن يكون صحيحاً، بل يبحثون ويتبينون إلى أن تنكشف الحقائق، ولكن إذا جاؤا إلى الإيوان بالله تعالى وبدينه، فإن التكذيب وسوء التفكير يغلبهم.

وقد قال تبارك وتعالى ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿النجم: ٢٩ - ٣٠، المعنى: ذلك منتهى او غاية ما يصل إليه علمهم. ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَىٰ﴾ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا

عَلَيْكَ أَلَا يَزِيغِي ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا نَذِيرَةٌ ﴿١١﴾ ﴿عيس: ٥ - ١١﴾؛ فتدبر هنا أن الله عز وجل لم يقل: أما من كفر، ولكنه تعالى جعل العتاب على التصدي لمن استغنى؛ فإذا ظهر لك أن أحدهم قد استغنى عن دعوتك أو عن مشروعك أو عن العرض الذي تعرضه عليه، فاجعل دعوتك له عملية أداء واجب أو أكثر بقليل، فلا يصل عرضك عليه مرتبة التصدي. والتصدي ليس مطلق العرض، ولكنه عرض قوي أو متكرر كصدى الصوت أو التزام بالتعرض حتى تصل إلى غاية وكأنه تَعَقَّبَ لصدى الأمر لتحقيق غرض ما، وبنحو ذلك فسره الصحاب بن عباد في (المحيط).

ومنها: ذم من يقتصر في الإذعان على الأدلة الموافقة له ولرأيه. وهذه صفة المنافقين، كما في قال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَلَيْ قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النور: ٤٧-٥١).

## الإسراف والغلو في الحذر:

الحذر واجب في الأمور الخارجية والداخلية، وقد ذكرناه في (وجهة اللواء) تحت عنوان «نصوص أخرى تقتضي الرصد»، ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ ﴾ المنافقون: ٤، وقوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا

لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ﴿التغابن: ١٤. وما ذكرناه في موضع آخر من (وجهة اللواء) أن الحذر احتراز من مخيف كما ذكر الراغب، وتشمل عبارته الإحتراز من فوات مصلحة ضرورية لأن من المفسدة فقدان مصلحة ضرورية. ورجلٌ حَذِرٌ وَحَذْرٌ: مُتَّقِظٌ مُتَحَرِّزٌ شَدِيدُ الْحَذَرِ، ورجلٌ حَازِرٌ مُسْتَعِدٌّ مُتَأَهِّبٌ كَأَنَّهُ يَحْذَرُ أَنْ يُفَاجَأَ، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٦. فالحذر إعداد لدفع أو مواجهة خطر مستقبلي أو قريب، أو لاغتنام مصلحة ضرورية خشية ذهابها عنك. وما ذكرناه في (نخبة المسار)، أن من متطلبات الحذر أن يكون لك رصد واسع يؤدي إلى رؤية جيدة لما يُحتمل وقوعه من مخاطر وتهديدات وإخفاقات، وكذلك لفرص المصالح، وأن تكون مستعداً للتعامل معها، أي قد أعددت عدتك لها قبل أن تقع.

غير أن الإسراف الفكري يُفسد الحذر كما يُفسد الإنفاق وتحصيل الحقوق، فقد قال تعالى في ذم المنافقين ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ المنافقون: ٤، قال الزمخشري: أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجنبهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب: إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة: ظنوه إيقاعاً بهم. وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. أهـ من (تفسير الزمخشري).

وقال بعض مشاهير اللصوص:

|                                                 |                                                 |
|-------------------------------------------------|-------------------------------------------------|
| لَقَدْ خَفْتُ حَتَّى لَو تَمُرُّ حَمَامَةٌ      | لَقُلْتُ عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةٌ مَعَشِرٍ        |
| وَوَخِفْتُ خَلِيلِي ذَا الصَّفَاءِ وَرَأْبِنِي  | وَوَقِيلَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ فَاحْذِرِ      |
| فَأَصْبَحْتُ كَالْوَحِشِيِّ يَتَّبِعُ مَا خَلَا | وَيَتْرُكُ مَا نُوَسَّسَ الْبِلَادِ الْمُدْعِرِ |
| إِذَا قِيلَ خَيْرٌ قُلْتُ هَذَا خَدِيعَةٌ       | وَإِنْ قِيلَ شَرٌّ قُلْتُ حَقٌّ فَشَمِّرِ       |

ولأبي الطيب:

يروون من الذعر صوت الرياح صهيل الجياد وخفق البنود

أي يحسبون صوت الرياح صهيل الخيول وخفق الأعلام.

وقد يؤدي الإسراف في الحذر إلى الإضرار بالعلاقات الاجتماعية، وقد يكون أشد بكثير من الوسوسة في الطهارة والغسل؛ بل قد يؤدي أيضاً إلى سوء تقدير المواقف الإستراتيجية وإيقاد الحروب بين الدول المتنافسة.

ونحتاج هنا إلى فهم آية كريمة توضح التوجيه الخاطيء للحذر:

**قال تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَشْكُرُونَ ﴿ البقرة: ٢٤٣، ونحتاج إلى بيان فوائد في تفسير الآية الكريمة:

**(الفائدة الأولى):** في ألفاظ وعبارات الآية، أما قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ﴾، فالحمزة

في «لم» أصلها للإستفهام وقد دخلت على حرف النفي، فصارت العبارة إيجاباً وتقريراً، وليست استفهاماً ولا نفيّاً، كما يتضح من كلام أبي حيان في تفسيره، وكلام أبي البقاء في (التيبان في إعراب القرآن). ومعناها التعجب ولفت الإنتباه إلى ذلك الحدث، وكذلك

التذكير بمعنى تعريف من ليست له سابقة بهذا الخبر. وأما مضمون او سبب التعجب، فيمكن في العربية أن يكون إنكاراً على المرئي او استحساناً ومدحاً له. فمن الإنكار قوله

تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ النساء: ٦٠. ومن المدح والإستحسان قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ

كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿

إبراهيم: ٢٤. وأما مع الاسم الموصول، أي عبارة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾، فإنها لم تُستعمل في القرآن الكريم إلا في التعجب من الصفة المذمومة للمرئي، أي ذم «الذين» كما في آية النساء وغيرها. وأما كلمة ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾، فألوف جمع ألف كشخص وعيون، وهو جمع كثرة، ولذلك ذهب الإمام القرطبي أنهم زادوا على عشرة آلاف.

**(الفائدة الثانية):** سبب خروج ذلك العدد الكبير هو: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾، وليس حذر الفتنة في الدين، ولا لأجل أن يجاهدوا، ولا بسبب ضيق العيش؛ وعددهم قد يزيد على عشرة آلاف ويمكن أن يبلغ عشرات الآلاف، وجملة «وهم أُلُوفٌ» هي جملة حالية. ومع ذلك كان اجتناب سبب الموت عندهم هو أن يخرجوا جميعاً من الديار. ولذلك صرح ابن عاشور أن جملة «وهم أُلُوفٌ» هي محلُّ التَّعَجُّبِ في الآية الكريمة. وبعبارة أخرى، ألم يتضمن ذلك العدد الكبير مجاميع صغيرة تفكر في التعامل الصحيح مع أسباب الموت من دون الخروج الجماعي من الديار؟! فقد يدل ذلك على درجة كبيرة من ركود العقل وفقدان عنصر المبادرة بسبب الهلع والجزع أو الترف، ويدل كذلك على تركيز التفكير عندهم على الهروب من الموت وليس على تحسين الحياة، فرؤيتهم ليست واسعة، بل كأنها محصورة بأنفسهم وغير متفاعلة مع إخوانهم الذين لم يخرجوا، على نحو قوله تعالى ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ ..... ﴾ آل عمران: ١٥٤. هذا بالإضافة إلى فقدان الشعور بالأضرار الكبيرة (القريبة والآجلة) للمفارقة الطويلة أو الدائمة للديار إلا في أحوال استثنائية.

ولمعرفة الخسائر الجلية والكامنة للمفارقة الطويلة أو الدائمة للموطن، تدبر قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ مَن



أَلْقَتِلِ ﴿ البقرة: ٢١٧، وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ البقرة: ٨٤.

فإن كان في البلد وباء، ففيه أحكام شرعية، ويمكن لمن لم تصل إليه الشريعة أن يفكر بعقل واسع وحكمة. وإن كان سبب الخوف من الموت أنه طُلب منهم الجهاد في سبيل الله مع العناية بالضوابط الشرعية للجهاد، فإن الفرار من ذلك مصيبة كبيرة. وإن كان سبب الخوف من الموت وجود الإستبداد والطغيان، فقد لا يُعذر أحد في ذلك إلا لأمر محدود، من هذه الأمور: أن يُستهدف شخص معين أو مجموعة صغيرة بأمر خطير يجعله مضطراً إلى الخروج بنفسه وربما مع أهله؛ ومن هذه الأمور: أن يُضيق على مجموعة في الرزق والحقوق، فُتضطر إلى الخروج. ولكن تدبر هنا أن عبارة الآية ﴿ خَرَجُوا ﴾، وليس «أُخْرِجُوا»، وظاهر ذلك أنهم خرجوا طوعاً وليس إجباراً. وأنظر في ذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ التوبة: ٤٠، فإن كفار مكة أرادوا منع النبي ﷺ من الهجرة، غير أن تعاملهم مع المسلمين كان في غاية السوء، وتضمن قتل بعضهم وتعذيب آخرين، هذا بالإضافة إلى التهديد والتخويف والمحاصرة، ولذلك كان حكم كفار مكة أنهم هم الذين أُخْرِجُوا النبي ﷺ كما في آية التوبة. يُضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ هاجر في سبيل الله تعالى إلى أهل المدينة الذين التزموا بحمايته وحماية دعوته، فلم يهاجر إلا بعد أن أُعِدَّتْ له مدينة يُنَصَّرُ دين الله فيها؛ وكان عليه الصلاة والسلام قد وافق قبل ذلك على هجرة مجموعات صغيرة إلى الحبشة. وأما الذين خرجوا وهم أُلوف، فإن فاعل الإخراج هم الذين خرجوا، وقد نبه إلى نحو ذلك العلامة عبد الكريم الخطيب في تفسيره، والله تعالى أعلم.

**(الفائدة الثالثة):** ذهب كثير من المفسرين إلى أن خروج أولئك القوم حذر الموت كان مذموماً، أو أن إمامتهم كانت عقوبة لهم. فقد روى الطبري ما يقتضي ذلك عن

الحسن وعن قتادة، ومثله قول أبي بكر بن العربي كما نقل القرطبي في تفسيره. وقريب من ذلك قول أبي بكر الجصاص في (أحكام القرآن)، وهو مضمون كلام أبي حيان والبيضاوي وعبد الكريم الخطيب، وما نقله ابن عطية في تفسيره. وكلام آخرين يحتمل ذلك من غير تصريح.

**(الفائدة الرابعة):** حين تحذر أمراً، فلا تقصر تفكيرك على الخوف والهرب منه، فلعل هذا هو جوهر الملامة على الذين خرجوا وهم ألوف حذر الموت. ولكن عليك أن تسأل الله السكينة والسلامة من الهلع، وفكر في الأمر بأفق واسع وقابل للإتساع، وفكر في خطورته، وفي الأسباب والجدور، وفي المآلات والعواقب، وفي المتعلقات والعوامل المؤثرة، وفي الحلول والخيارات وفي الترجيح بينها؛ واستخدم مهارات التفكير التي سبق ذكرها، والله أعلم وله الحمد الكثير.

## الإسراف والترف

### والإنغماس في التمتع الدنيوي:

أما الإسراف، فهو الإكثار بلا تبصر، أو هو الإفراط ومجاوزة الحدود والضوابط. والإسراف ليس خاصاً بالأموال بل يشمل التفكير والتصرفات، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۗ﴾ الأعراف: ٨١، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ قِيلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۗ﴾ الإسراء: ٣٣.

وأما الترف، فيقال: أترفته النعمة أي أطعته، واستترف القوم أي طغوا كما في (المحيط) للصاحب بن عباد. والمُتْرَف هو المُتَنَعِّم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها كما ذكر ابن الأثير في (النهاية)، وهو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش كما في تهذيب الأزهري،

وزاد ابن عرفة كما نقل صاحب (تاج العروس) أنه سُمِّيَ الْمُتَنَعِّمُ الْمُتَوَسِّعُ فِي مَلَاذِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا مُتَرَفًّا لِأَنَّهُ مُطْلَقٌ لَهُ، لَا يُمْنَعُ مِنْ تَنَعُّمِهِ. والترف ليس مرادفاً للغنى، فإن الغنى المنضبط بالحق والأخلاق ليس مترفاً. وحقيقة الأمر أن الترف هو التوسع في التمتع المادي، إذا كانت لذة أو شهوة هذا التمتع هي التي تسوق الإنسان في مجمل تصرفاته، فلا شك أن الترف في النعم يُبعد عن التقيد بالحق ويسوق إلى الإجمام. يوضح ذلك قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦، فالظالم يصير تابعاً لما أُتْرِفَ فيه، فالشهوة والملذات هي التي تتحكم فيه؛ قال الفراء: اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم وإيثار اللذات على أمر الآخرة. اهـ من (معاني القرآن). وقال ابن عاشور: وَاتَّبَعَ مَا أُتْرِفُوا فِيهِ هُوَ الْإِنْتِقَاعُ لَهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ إِقْبَالَ الْمُتَّبِعِ عَلَى مَتَّبِعِهِ. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وبذلك يتضح معنى قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ سبأ: ٣٤، وقوله تعالى ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ۖ ﴿٤٣﴾ وَظَلَّ مِنَ يَحْمُورِ ﴿٤٤﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ ﴿٤٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۖ ﴿٤٦﴾ ...﴾ الواقعة: ٤١ - ٤٦.

وأما الإنغماس في التمتع بالنعم الدنيوية، فإنها تُنسي الإلتزامات الواجبة وتُصيب بترهل الفكر والعمل، وتُصيب كذلك بضمور قُدرات الإستجابة للحق. وتدبر قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف: ٩٥، فإن معنى العفو هو الترك، فعبارة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾، تعني: حتى تركوا ما ينبغي لهم من الإلتزامات والإحتياجات والحذر وصارت تصرفاتهم عفوية، بسبب انغماسهم في اللذات والحسنات الدنيوية، ونسوا قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الأعراف: ٩٩، فحقت عليهم عبارة ﴿ فَأَخَذْنَا لَهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾. ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ الفرقان: ١٨.

والدرجة الشديدة من الإنغماس، هي العَمْرُ او الغرق، أي حين تكون نفس الإنسان مغمورة بالملاهي والملاذات الدنيوية، فلا مجال للتفكير بالمكارم والمعالي التي ترضي الله تعالى. يوضح ذلك قوله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٣، وقال تعالى ﴿ قُلِ الْخِرَاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الذاريات: ١٠ - ١١، وقال تعالى ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ..... ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢ - ٣. وتوجد الآن مهارات شيطانية لإغراق الناس باللهو والرغبات المرسفة والإهتومات الفارغة، فلا يجد الغارق مجالاً للتفكير بالمعاني العميقة القيّمة.

وقريب من ذلك «البطر»، وهو الدهش والفرح بالمتعة مع الإستخفاف بالحقائق، ومنه حديث عبد الله بن مسعود، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمُطُ النَّاسِ » رواه مسلم وغيره في سياق حديث. وقال تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِينَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَمِنْ ذَلِكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص: ٥٨، أي استخفت بمعيشتها وما فيها من نعم، ولم ترها شيئاً يستحق الشكر والعناية والتزكية (أي تنمية الخير).

وأما الطغيان في الحلال والمباحات، فيشمل ما تقدم بالإضافة إلى تسخير الحلال لخدمة الحرام، قال تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ

عَضْبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ عَضْبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿ طه: ٨١، فتدبر أنه طغيان في الطيبات، أي في الحلال.

## المثل السيء:

قال تعالى ﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿ الأعراف: ١٣٨. فإن للمثل السيء والقدوة السيئة تأثيراً على ضعف النفوس، مما يقتضي ثقافة مضادة استباقية لتسقيط النماذج السيئة.

ويقابل ذلك التأثير الجيد للمثل الحسن وللبيئة الصالحة، ومنه قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿ الأحزاب: ٢١. وقال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ... ﴿ التوبة: ١٠٠، فتدبر عبارة «والذين اتبعوهم ..». وقال تعالى ﴿ .... وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿ لقمان: ١٥. وقال تعالى ﴿ يَتَأَخَذَ هَدْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ..... ﴿٢٩﴾ مريم: ٢٨ - ٢٩.

## التفلت من الضوابط العقلية الجلية:

ولهذا النوع وجوه متعددة:

منها: عدم الالتزام بثوابت صحيحة، ولكن تغيير القناعات وفقاً للرغبات

الدنيوية، وقد يُسمى ذلك بـ: «المعايير المزدوجة». قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ

اللَّهُ فَيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿التوبة: ٣٧﴾. ويكثر وقوع ما يشبه ذلك، كالتفلسف من الحكم الشرعي بكلام مزخرف وليس بحجة.

وقريب من ذلك التسامح بتتبع ما يشتهي الإنسان من هذا المذهب وذاك، كأن يجمع المقلد في قضاياها ما هو أسهل عليه من هذا المذهب وذاك، أو يقع المقلد في قضية فيها حكم شرعي، فلا يقلد من يترجح تقليده من جهة أهليته، أو قوة دليله، أو تقواه، أو شبه ذلك من أسباب الاختيار، ولكنه يختار من المفتين في قضاياها من تكون فتواه في القضية المعينة سهلة على المقلد أو جارية على هواه. وهذا من أفسد أنواع التقليد بلا خلاف، لأن المقلد لم يخلص إرادته لله تعالى في الأحكام الشرعية، ولكنه جعل التقليد تابعاً للهوى والشهوة والعياذ بالله تعالى. وأدهى من ذلك أن يكون المفتي المنتسب إلى العلم هو الذي يختار لكل مقلد ما هو أسهل عليه من المذاهب، وأقرب إلى هواه!! فإن هذا خطأ كبير وإن كان يفعله بعض المنتسبين إلى العلم. وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: ليس للمقلد أن يتخير في الخلاف، فإن ذلك يقضي إلى تتبع رخص المذاهب من غير استناد إلى دليل شرعي. وقد حكى ابن حزم الإجماع على أن ذلك فسق لا يحل. اهـ. ثم قال الشاطبي: قال سليمان التيمي: إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله، قال ابن عبد البر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً. اهـ من (الموافقات ٤ / ٨٣-٨٤ و ١١٠). ثم قال الشاطبي: وَهَذَا كُلُّهُ وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى طَلَبِ الْحَذَرِ مِنْ زَلَّةِ الْعَالِمِ، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ عِنْدَ الْغَفْلَةِ عَنِ اعْتِبَارِ مَقَاصِدِ الشَّارِعِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي اجْتَهَدَ فِيهِ، وَالْوُقُوفِ دُونَ أَقْصَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْبَحْثِ عَنِ النَّصُوصِ فِيهَا، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ وَصَاحِبُهُ مَعْدُورٌ وَمَأْجُورٌ، لَكِنْ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَيْهِ فِي الْإِتِّبَاعِ لِقَوْلِهِ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ قَالَ الْغَزَالِيُّ: «إِنَّ زَلَّةَ الْعَالِمِ بِالذَّنْبِ قَدْ تَصِيرُ كَبِيرَةً وَهِيَ فِي نَفْسِهَا صَغِيرَةٌ»، وَذَكَرَ مِنْهَا أَمثلةً، ثُمَّ قَالَ: «فَهَذِهِ ذُنُوبٌ

يَتَّبِعُ الْعَالَمُ عَلَيْهَا، فَيَمُوتُ الْعَالَمُ وَيَبْقَى شَرُهُ مُسْتَطِيرًا فِي الْعَالَمِ آمَادَ مُتَطَاوِلَةً، فَطُوبَى لِمَنْ إِذَا مَاتَ مَاتَتْ مَعَهُ ذُنُوبُهُ». اهـ من (الموافقات).

وقد زعم بعض العلماء المتأخرين جواز أن يتتقى المقلد ما هو أيسر عليه، مرة من هذا المذهب ومرة من ذاك وهكذا. واحتجوا بنصوص اليسر، وبحديث عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ « مَا خَيْرَ رَسُولٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. » رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وذاك الإحتجاج خطأ كبير، فمعنى قول عائشة « مَا خَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ »، أي بين أمرين متماثلين في جلب النفع او دفع الضر وفي الخطورة، فلا إشكال حيثئذ في اختيار الأيسر بل لا ينبغي إلا ذلك. والعمل بالدين خير كله، كما في نحو قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤، ويشمل ذلك الإصابة في الإجتهد دون الخطأ، فلا بد من بذل الوسع لاجتناب الخطأ، فعلى المقلد أن يجتهد في اختيار المجتهد الذي يقلده، كأن يقلد الأتقى من العلماء او الأعلم او المرابط على مجال الفتوى، ولا شك أنه لا يجوز أن يختار بالهوى بحجة التيسير.

**ومنها:** تجزئة الكل وفقاً للهوى. يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ النساء: ١٥٠ - ١٥١، وهذا النوع له أمثلة كثيرة، كمن يريد أن يصلي ويصوم ولكنه يترك تحريم الربا او يترك تحريم الخمر او يترك المضامين السياسية في الإسلام. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

فَوَرِّبِكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ الحجر: ٨٩ - ٩٢، أما «المقتسمون» فهم الجماعة التي اقتسمت أدوار الشر بينهم. ومن خطايا المقتسمين أنهم جعلوا القرآن عضيّن، أي قسموه إلى أعضاء ليأخذوا ويتركوا منه وفقاً لهواهم. وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً لهذه الآيات في (وجهة اللواء/ المبحث السادس: «السلم الداخلي ومكافحة التفرق»).

**ومنها:** إغفال لوازم المعتقد. فكان مشركوا مكة يعلمون أن الأرض ومن فيها لله، وأن بيد الله ملكوت كل شيء، فكان يجب عليهم تعظيم الله تعالى، ولكنهم نسبوا إلى الله تعالى ما ينتزهون عنه ويعدونه من المساوي، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ النحل: ٥٧ - ٥٩.

وكذلك قوله تبارك وتعالى ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩، فمع علمهم بكل ذلك فإنهم يرفضون الإيمان بدين الله وكتابه ورسوله.

**ومنها:** تحكيم العقل خارج قُدراته. وله أمثلة كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ١٠١.



## الغلو في الحرية الفردية:

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧. وقد تكلمنا عن هذا الموضوع في أوائل المبحث الثالث، تحت عنوان: «اجتناب الحرية غير المنضبطة».

## الخضوع لوحي الشيطان:

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِنَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ الأنعام: ١١٢ - ١١٣. فتدبر غاية الجمال في التعبير عن منهج الشر وذمه. ونكتفي هنا بأن أفئدة رافضي الإيثار تميل وتصغي إلى وحي الشيطان وترضى بمضامينه ثم تحوّل وحي الشيطان إلى عمل، كما تدل عليه عبارة ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾، أي وليكتسبوا، والإقرار بالإكتساب حسناً كان أو سيئاً، إلا أنه في السوء أغلب. وواضح أن إصغاء الأفئدة إلى وحي الشر والرضا به يتبعه العمل بمقتضياته ولخدمته أي إقرار الآثام. والفؤاد هو القلب كما هو مشهور، ولعل الأصح أنه جندي القلب أي الدماغ. ولنا في (نخبة المسار/ المبحث السابع: «إدارة الفكرة والكلمة») تفسير مفصل لهذه الآية الكريمة ولآيتي الأعراف.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَؤْذُهُمْ أَرًا ﴾ مريم: ٨٣،

قال الزمخشري: الأز والهز والاستفزاز: أخوات، ومعناها التهيج وشدة الإزعاج، أي: تغريمهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات. اهـ من (تفسير الزمخشري).

وقال ابن منظور: والأز: التَّهْيِجُ والإِغْرَاءُ. وَأَزَّهُ يُؤَزُّهُ أَزًّا: أَغْرَاهُ وَهَيَّجَهُ. وَأَزَّهُ: حَثَّهُ. اهـ من (لسان العرب). ومنه: أَزَّتِ الْقِدْرُ، أي: اشتدَّ غليانها.

**قال تعالى:** ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنبِتَنَّهُمْ مِنِّ

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧، توضح الآية تنوع مجالات عمل الفكر الشيطاني. قوله تبارك

وتعالى ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾، أي فسبب إغوائك إياي لأفعدنَّ لهم. وتدبر عبارة:

﴿لَأَفْعُدَنَّ﴾، فإنها كناية عن الملازمة والمواضبة بلا فتور على جلسة عمل مستمرة، غايتها هو استهدافٌ تخريبيٌّ لأعمال الصراط المستقيم، فإن من أراد المبالغة في قضاء أمر

فعد له أي تفرغ له، يؤكد ذلك أن كلمة ﴿لَأَفْعُدَنَّ﴾ هي جواب قسم والنون هي نون

التوكيد الثقيلة. وقوله تعالى ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، معناه: لأفعدن لهم على خلاف

صراطك المستقيم او في الصد عن صراطك المستقيم. وجلسة العمل هذه تبحث عن

كل ما يمكن لتخريب أعمال الصراط المستقيم، فإنها تبحث في الحوادث السابقة وفي

الإحتمالات المستقبلية وفي التفرعات الجانبية، كي تجد فكرة تخويف او إغراء يمكن

استعمالها لتضليل أهل الحق والإيقاع بهم. يوضح ذلك أن عبارة ﴿ ثُمَّ لَأَنبِتَنَّهُمْ ﴾

أشبهت تأكيداً مثل ﴿لَأَفْعُدَنَّ﴾ فهو إصرار لا تردد فيه على إتيانهم. ثم قوله تعالى

﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾، فهذا لبيان أنه يأتيهم من

الجهات المعنوية كلها وليست جهات مكانية محضة. فمن بين أيديهم، أي مواجهة ومما

يبصرون ومما يُقبلون عليه او يُقبل عليهم، استعارة من قولهم: بين يديه أي أمامه.

ومعنى من خلفهم، أي مغافلة ومما لا يبصرون ومن ماضيهم وما سبق أن فعلوه وأبرموه.

وأما عن أيانهم، أي من جهة حسناتهم ونقاط قوتهم. وأما عن شمائلهم، أي من

جهة سيئاتهم ونقاط ضعفهم وغفلتهم. وهذا من قول العرب: اجعلني عن يمينك أي من المعتمدين المقدمين، ولا تجعلني عن شمالك أي من غير المعتمدين، وعن الأصمعي: هو عندنا باليمين أي بمنزلة حسنة، وبالشمال للعكس من ذلك، وأيضاً فإن اليمين مشتق من اليمن أي الخير والبركة، ويستعمل اليمين بمعنى القوة والقدرة كما ذكر المفسرون في قوله تبارك وتعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ الصفات: ٢٨. وأما الشمال فإذا حسنت منزلة الرجل قيل له: أنت عندي بالشمال ويستعمل كذلك في الشؤم. مثال التعرض لنقاط القوة أن يحاول توريطهم بمشكلات تستهلك قوتهم، كالنزاع والحروب وغيرها، أو يحاول تدمير عناصر القوة بتوجيهها إلى أمور قليلة النفع. ومثال التعرض لنقاط الضعف، أفكار التحريض في مواضع الحطام الاجتماعي والسياسي والإقتصادي، أي مجاميع الفقر والظلم والإقصاء، فإن التحريض ينتشر في هذه المواضع كالشرارة في الهشيم، فإذا كان الجهل حاكماً في هذه المجاميع فإن التحريض يجعلهم يتحركون على غير بصيرة، وقد يتولى أتباع الشيطان توجيه حركتهم. ومن قواعد الصراع المشهورة اليوم عمليات استهداف نقاط الضعف وعمليات توهين نقاط القوة، وربما يُسمى ذلك بالإستراتيجية غير المباشرة. فسلح إبليس هو الفكرة التي يوسوس بها ويتبناها خبراء الشر، ويقدمونها للآخرين بوسائل الخداع كما يُدس السم في العسل.

**وقال تعالى:** ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرِنِّهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ النور: ٣٩ - ٤٠؛ قال الراغب: السَّرَابُ: اللامع في المفازة كالماء، وذلك لانسرابه في مرأى العين،

وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة... والقيح والقاع: المستوي من الأرض، جمعه قيحان. اهـ من (المفردات). ومما ذكرناه في (ثمار التنقيح) أن كلمة «الظمان» عامة في أي ظمان وليست خاصة بالظمان من الكفار، هذا هو ظاهر السياق وأختاره أبو حيان والألوسي وغيرهما، وكذلك ينبغي أن تكون الضائر الراجعة إلى الظمان في الآية. ولذلك فإن الآية الكريمة تشمل نوعين من الناس:

**(النوع الأول):** الكافر الذي يستمر بخداع نفسه حتى يأتي يوم الحساب فيجد حسبانته ليس بشيء ويجد بدله حساب الله تعالى.

**(النوع الثاني):** ضعيف الإيمان من المسلمين وهو ظمان إلى ما ينجيه من مصائبه، فيخدعه تزيين الشيطان وزخارف أتباعه في أنظمتهم ووعودهم، وبعد أن يدخل فيها يجدها لاشيء ويجد بدلها الحساب في الدنيا، وهي النتيجة الطبيعية لمن طلب الخير من الطريق المؤدي إلى الشر.

ولذلك قال الألوسي في آخر تفسيره للآية: ثم لا يبعد أن يكون في حكم هؤلاء الكفرة الفلاسفة ومتبعوهم من المتزيين بزي الإسلام، فإن اعتقاداتهم وأعمالهم حيث لم تكن على وفق الشرع، كسراب بقية. اهـ من (روح المعاني). وفي آية النور التي بعدها تشبيه آخر لأعمال الكفار بأنها ظلمات مركبة بعضها فوق بعض.

وهذا كله لا يمنع من إتفاق المسلمين على مصالح مشتركة مع غير المسلمين، ولكنه يمنع من الإغترار بأنظمتهم، ويوجب إحاطة الإتفاق معهم بالحذر من احتمال عدم ثباتهم عليه. وقد سبق بيان ذلك في الكلام عن التقية في كتاب (المنطلق)، وفي كتاب (وجهة اللواء). وينبغي التنبيه هنا إلى أن عملية بناء مصالح متبادلة يضطر غير المسلم إلى احترامها، تحتاج إلى مهارة عالية في المجالات السياسية وفي التوقعات والاحتمالات التي ينبغي الإعداد لها.

## الإعاقه بسبب العقائد السابقة:

قال تعالى ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ النمل: ٤٣ .  
ولذلك يحتاج الناس إلى تدرج في التوغل في الدين الجديد؛ وبعبارة أخرى يحتاجون إلى  
تدرج في التخلص من فروع الجاهلية. وقد سبق ذكر قوله تعالى ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى  
﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزُكَّى ﴾ ﴿١٨﴾ النازعات: ١٧ - ١٨ ، فتدبر التعبير بـ: «إلى أن  
تزكى»، وليس: «في أن تزكى»، فإن العبارة القرآنية تسمح بأن يكون طريق التزكية  
متدرجاً. وقد بينا أدلة التدرج في مبحث خاص في (المنطلق).

## الفساد الباطن

### والمراوغة في التعامل مع الله تعالى:

(أما الفساد الباطن) او الفساد غير المباشر كما في الإصطلاح الغربي، فقد حرمه الله

تعالى كله.

قال تعالى ﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا  
كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٠ . وقال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا  
عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ  
مَنْ نَزَعْنَا نَفْسَكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾  
الأنعام: ١٥١ . الآيتان صريحتان في تحريم باطن الإثم والفواحش.

ومن أمثلته، نوايا ظالمة وراء أعمال تبدو وكأنها مشروعة كما يوضحها قوله تعالى  
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوهُا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ  
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨ ، وقوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ

بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴿ النساء: ١٩. وقال تعالى ﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِنَعْدُوا ﴾ البقرة: ٢٣١.

ويمكن في ذلك كله إيجاد قرائن تدل على فساد الباطن، كما ينبه إليه نحو قوله تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ التوبة: ٤٣.

والفساد الباطن كثير جداً اليوم، فإنه يشمل المال السياسي، خاصة وأن بعض الدول تمنع المال السياسي المباشر، ولكنها تبيح المال السياسي غير المباشر. ويشمل كذلك مشاريع اقتصادية كثيرة مفيدة ولكن مع تعمد إخفاء ما هو أفضل وأقل كلفة، او مع تزوين المآلات القريبة، والتغطية والتضليل عن العواقب الخطيرة. ويشمل كذلك التضليل الإعلامي الذي يُتخذ دخلاً للتغطية والتضليل. وسيأتي بعد قليل إيضاح لمعنى «الدَّخُلُ» المذكور في آية النحل، إن شاء الله تعالى.

**(وأما المراوغة) في التعامل مع الشرع، فقد قال تعالى ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ الأعراف: ١٦١ - ١٦٢.**

وتدبر أيضاً قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ النساء: ١٥٤، فكانوا ممنوعين من الصيد في السبت، فراوغوا بأن شرعوا بالصيد يوم السبت وأتموه في اليوم أو الأيام بعده. وقال تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

الأعراف: ١٦٣. فكانت العاقبة المذكورة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّانَهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ البقرة: ٦٥-٦٦.

ومن هذا الأصل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ... ﴾ النحل: ٩٢، وتوكيد ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قدمُ بَعْدَ ثبوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النحل: ٩٤. الدَّخُلُ: ما أُدْخِلَ على الشَّيْءِ للفساد، فهو هنا بمعنى الدغل والخيانة والتحايل، قال ابن قتيبة: ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ ﴾، أي: دغلاً وخيانة وحيلاً أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ، أي: لأن يكون قوم أغنى من قوم، وقوم أعلى من قوم، تريدون: أَنْ تَقْتَطِعُوا بِأَيْمَانِكُمْ حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء. اهـ من (تأويل مشكل القرآن). والدَّخُلُ في الآية الكريمة هو مثال للتبنيهِ، ومثله كل أمر يتم إدخاله في عمل أو أداء لتغطية الفساد الباطن، كما ذكرنا قبل قليل في المال السياسي ونحوه.

### وتوجد أمثلة أخرى كثيرة جداً للفساد الباطن:

**منها:** الفساد الباطن في تنفيذ الشورى العامة أي العمل النيابي: فالتملص من التزامات الشورى وإفراغها من مضمونها له طرق كثيرة لجعلها شورى شكلية بلا حقيقة. (الطريق الأول): تغييب الشفافية في أعمال الشورى، وذلك لحجب مواضع الضعف والفساد عن الجمهور، ولتجنب عمليات المحاسبة والتقييم. (الطريق الثاني): تخفيف شروط الأهلية للنيابة أو الشورى، مما يُسهل أن تستحوذ قوى فاسدة على صناعة القرار في المجلس النيابي أو الشورى الحزبية. فإذا كان أعضاء الشورى ضعفاء،

فإن بعض القوى المتصارعة سوف تستحوذ على صنع القرار النيابي او الحزبي، وتصير الشورى عملية شكلية بلا حقيقة، ويتم تمرير قرارات بعيدة عن المنهج. **(الطريق الثالث):** تهميش الرصد (الرقابة) والتقويم، مما يُسهل الإختراق الأمني والمهني وتحويل القرار النيابي من خدمة المصالح العامة إلى خدمة المصالح الخاصة. **(الطريق الرابع):** إيهام الأهداف الشرعية والغايات الأصلية، وتمرير مشاريع الآخرين بحجج جاهزة تُستخدم بلا ضوابط، كالإحتجاج بالمرونة وعدم التصلب وبالضرورة المرسلة (بضوابط مفتعلة فاسدة) وكذلك المصلحة غير المنضبطة. **(الطريق الخامس):** الخيانة الباطنة، فإن الأصل الراسخ في عمل العضو النيابي او الشوري أنه يشاور أصحابه، ثم يُدلي بما يراه هو أنه أنفع للمصلحة العامة، وبصرف النظر عما يراه أصحابه وأعضاء حزبه؛ ولكنه للمحافظة على منزلته الحزبية او علاقاته الحكومية، فإنه ينصر دائماً ما يتبناه قادة الحزب؛ ولدفع الشبهة عن نفسه فإنه بين حين وآخر يخالف الحزب مخالفة غير مؤثرة. وهذه آفة عالمية، ولعل السبب أن بعض الدول تمنع الفساد المباشر، ولا تمنع الفساد غير المباشر أي الباطن، خلافاً للإسلام. **(الطريق السادس):** من الخيانة الباطنة أيضاً التي يمكن أن يقع فيها الحزب السياسي؛ وهي أن الحزب قد يتشاور داخل التنظيم في قضايا الشعب والمصالح العامة، وليست خاصة بالحزب. ثم إذا تولى أعضاء الحزب المناصب، فإنهم يقضون بالرأي الشوري للحزب بعيداً عن الغالبية النيابية المؤهلة. **(الطريق السابع):** المساومة والإبتزاز بين الكتل النيابية. قلنا أن واجب النائب هو التصويت للأمر الذي يرى هو أنه أصلح وأرشد، وبصرف النظر عن الآراء الحزبية. ولكن قد تقع مساومة على التصويت، وهو مؤشر فساد واضح، كأن تساوم الكتل البرلمانية بعضها بصيغة: وافقونا على هذا القرار كي نوافقكم على ذلك القرار. ولضمان الإلتزام الفاسد يتم تقديم القرارين في سلة او حزمة واحدة، كي يكون التصويت على حزمة المشروعين بصيغة واحدة أي بقرار واحد. وهذا فساد واضح وينبغي أن يكون منعه تلقائياً لأنه من



لوازم النزاهة، ومع ذلك نصت أنظمة بعض الدول الأوروبية على منعه. **(الطريق الثامن):** تلميح أقوال ضعيفة جداً في حكم الشورى، وذلك لتبرير تفرد القادة بالقرار. ولتندبر قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الشورى: ٣٨ ؛ فإن كلمة «وأمرهم» مبتدأ كما ذكر المفسرون، كما أن إضافة الأمر إلى ضمير الجماعة يدل على أن مجال الشورى يتناول الأمور العامة كلها، وأما التفريعات التنفيذية فلها نظامها التنفيذي. وكلمة «شورى» مصدر مثل: بُشِرَ ورُجِعَ، وهو خبر المبتدأ، ووضع المصدر موضع الخبر يفيد المبالغة كما ذكر ابن عاشور وغيره، كما أن الأصل في الخبر أنه وصف للمبتدأ أي لأمرهم، والظرف «بينهم» هو وصف للشورى في الأمر أنه بين أهل الشورى فلا يصح أن يتجاوزهم. معنى كل ذلك أن «أمرهم» ليس هو قرار القائد ولا قرار فئة يختارها القائد، ولكن أمرهم هو ما أخرجته الشورى. وفي ذلك تفاصيل تنفيذية لا مجال لها هنا. **(الطريق التاسع):** زخرفة وتزيين التملص من الإلتزامات الشرعية، بأدلة زيوف وإملاءات من تكتلات الفساد. وتوجد طرق أخرى.

**ومنها:** المرونة المرسلة أي غير المنضبطة. المرونة خصلة مهمة جداً في السياسة والإدارة وفي الضرورات وفي كثير من المجالات العملية، غير أنها منضبطة بحدود الشرع الفقهية والسلوكية، ومنضبطة عند الإضطراب بضوابط الضرورة الحاضرة والضرورة المتراخية.

ويأتي الإشكال في المرونة من طرفين، **(الطرف الأول):** من تولى منصباً مهماً وليس له ملكة شرعية ولا يجبر نقصه باستشارة أهل العلم. **(الطرف الثاني):** من له نوايا خفية وليس بأمين، فيستند إلى مرونة مرسلة بلا ضوابط ولكنه يسندها إلى زخرفة فارغة لغرض التبرير والخداع.

## فساد الجدال:

الجدال الفاسد هو محاولة تغليب الرؤية سواء كان بحق او بباطل. قال تبارك

وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤، فالإنسان كثير الجدل، وأكثر جدله لتمير الهوى او لدفع الآخر ولو بالباطل.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا

ءَالِهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ الزخرف: ٥٧ - ٥٨، فجدلهم ليس للبحث عن الحق ولكن لمجرد تبرير مخالفة الحق.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّيْمِدٍ

﴿٢﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٤﴾ الحج: ٣ -

٤، وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآيتين في (ثمار التنقيح)، أما عبارة: ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي بلا حجة صحيحة، ولكن بافتراضات وأوهام واستدلالات فاسدة.

وأما عبارة: ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّيْمِدٍ﴾، فصيغة عموم تقع على كل شيطان من الإنس

والجن؛ ومعنى ﴿مَّيْمِدٍ﴾ أي مجرد من الخير موغل في الشر، وأصل اللفظ من العري والتجرد، يُقال صخرة مرداء أي ملساء وصرح ممد أي ملمس وشجرة مرداء وغصن أمرد، أي لا ورق عليها، وتمرد أي أقدم وعتا، وكأنه تجرد من الإلتزامات والضوابط.

وأما عبارة: ﴿كُتِبَ﴾ كناية عن اللزوم والثبات، بمعنى أن الضلال نتيجة لا إنفكاك

منها لموالة الشيطان او موالة أتباعه. وقوله تعالى: ﴿تَوَلَّاهُ﴾ أي أقبل عليه تقرباً منه، ولم يجعل حدود الله تبارك وتعالى حاجزاً بينهما، أي حاجزاً بينه وبين أفكار الضلال.

وأصله من الولي وهو لفظ يدل على القرب والدنو بلا فاصل، يُقال: كل مما يليك أي أقرب الطعام إليك فلا يفصل طعام غيره بينكما. وعلى هذا المعنى قوله تعالى ﴿ فَذَلُّوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ التوبة: ١٢٣، أي أقرب الكفار المحارِبين إليكم فلا يفصل كفار آخرون بينكما، والمؤمن ولي أخيه المؤمن لشدة تقاربهما وتماسكهما وتناصحهما وتناصرهما، فلا يفصل شيء بينهما. وولي الأمر وتولاه في سياق الكلام عن المذاهب والأفكار بمعنى لزم مذهباً واتخذ منهجاً أو عقيدة. ومفهوم الولاء الديني غير معارض للعلاقات الطيبة مع غير المسلمين ولا مع بناء درجة عالية من التعايش الوطني بين الطرفين. وعلى ذلك فإن الإقبال على كافر مسلم لمساعدته أو لضمان حقوقه أو للبيع والشراء منه أو التعامل المهني معه ونحو ذلك من العلاقات الإنسانية النبيلة، فهذا كله ليس بموالاتة، وذلك لعدم وجود حواجز شرعية تمنع من ذلك. وأما الإقبال على الكافر المسلم لنصرة عقيدته أو لتلقي مناهجه المخالفة للإسلام والانتماء إلى فكره الديني أو للإضرار بالمسلمين أو شبه ذلك من الغايات الممنوعة في الشرع، فهذه هي حقيقة الموالاتة الممنوعة.

وقد سبق ذكر قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ غافر: ٥٦.

وليس من هذا المعنى، الجدل بمعنى الحوار الذي يتضمن الطلب أو الإلتماس، ففي سياق الحوار بين الملائكة وإبراهيم عليهم السلام قال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ هود: ٧٤ - ٧٦؛ فافهم معنى الجدل هنا من التعقيب بعبارة ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ

مُنِيبٌ ﴿١﴾. وكذلك قال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١.

## التحجر على التقليد حين يجب التقويم وإعادة النظر:

وقد تكلمنا عن التقليد المذموم في مواضع متفرقة من هذا الدراسة، كما أن في القرآن الكريم آيات كثيرة تتصل بحكم التقليد.

ونذكر هنا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الزخرف: ٢٣ - ٢٥؛ فتدبر عبارة ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا...﴾، قال الإمام الرازي: وَالْمُتْرَفُونَ هُمُ الَّذِينَ أَتَرَفْتَهُمُ النَّعْمَةُ أَيَّ أَبْطَرْتَهُمْ فَلَا يُجِبُونَ إِلَّا الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاهِي وَيَبْغِضُونَ تَحْمَلِ الْمُسَاقِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ. اهـ من (تفسير الرازي). وتدبر عبارة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾، فإنهم لم يقلدوا آباءهم بوجه خاص، ولم يقلدوا أباً معيناً من آباءهم، ولكنهم قلدوا حالة شائعة كان آباؤهم عليها، فإن كلمة ﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾، أي على دين أو على سُبُل مقصودة في حياتهم. وتدبر عبارة ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، فإن صيغتها تشمل الحوار بين المؤمن والكافر كما هو السياق، فيكفر الكافر بدين المؤمن؛ وكذلك تشمل الصيغة الحوار بين المسلمين في قضايا النزاع، فيأبى أحد الطرفين أن ينظر في حجة أخيه ويأبى أن يرد النزاع إلى القرآن والسنة النبوية.

ولالإمام الرازي في تفسير هذه الآية كلام جيد عن حكم التقليد، ولم أنقله لأنه يوهم بالعموم في ذم التقليد.

وُتذكَرُ أَيْضاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا

السَّبِيلَ ﴾ الأحزاب: ٦٧. والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يطيعونهم في الدنيا ويقتدون بهم، سواء كانت رئاستهم سياسية أو محسوبة على الدين، أو غير ذلك من أنواع تحصيل السلطة الرسمية وغير الرسمية. ونكرر هنا قول الإمام الغزالي رحمه الله: فهذه ذنوبٌ يُتَّبَعُ الْعَالِمُ عَلَيْهَا فَيَمُوتُ الْعَالَمُ وَيَبْقَى شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا فِي الْعَالَمِ آمَادَ مِطْطَاوَلَةٍ، فَطُوبَى لِمَنْ إِذَا مَاتَ مَاتَتْ ذَنْبُهُ مَعَهُ. اهد من (إحياء علوم الدين). المهم هنا أن التقليد الجائز له ضوابط في حق المقلد، وعليه الإلتزام بها كي يسلم يوم الحساب. وقد يقول معترض: إن آية الأحزاب هذه جاءت في سياق الكلام عن الكفار. وهذا الإعتراض ليس بشيء، لأن ما ذمه الله تعالى من سلوك الكفار فإننا مأمورون باجتنابه، فإن المسلم قد يقع في درجة أو أكثر من صفات الكفار، ويوضحه حديث عبد الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ. » رواه البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم.

# المبحث الرابع فكر الإقحام والمسارعة الإستراتيجية

## الإقحام وطلب المعالي

يشمل هذا المبحث ما يُطلق عليه في المعاني المشتقة من القرآن والسنة: اقتحام العقبات والمصاعب، وطلب المعالي والمسارعة في الخيرات، والنفار لخدمة الدين، والإستباق إلى الغايات، والمبادرة؛ ومن توابعها اغتنام الفرص وعدم تفويتها. ويتصل بذلك اصطلاح «الرشاقة الإستراتيجية» وهو اصطلاح لباحث أميركي، وكذلك اصطلاح: «الخفة الإستراتيجية».

### تفسير آيات سورة البلد:

قال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴿البلد: ٤ - ١٠﴾ ، ثم قال تعالى ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَيْتًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ

وَتَوَاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ البلد: ١١ - ١٨. في هذه السورة القصيرة فوائد عظيمة، منها:

### الفائدة الأولى: مختصر المعنى العام للآيات، بتصرف من التفسير القرآني للقرآن

للعلامة عبد الكريم الخطيب رحمه الله تعالى. الكبد: المعاناة والشدة. والظرف: «في» هو المحتوى الذي يضم الإنسان، وما يلاقى فيه من كبد. فحياة الإنسان - كل إنسان - في هذه الدنيا، هي شدائد ومعاناة، فكم يفقد الإنسان من صديق وحبیب؟ وكم يتداعى على جسده من أمراض وعلل؟ وكم وكم؟ مما يطرق الناس من أحداث على مر الأيام، وكر الليالي؟ فالشباب يذبل ويولّى، والقوة تتبدد وتصبح وهناً وضعفاً، وسيعصف به الموت يوماً، ويلقى به في باطن الأرض، جثة متعفنة، لا تلبث أن تصير تراباً! وقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟ هو إلفات لهذا المغرور بقوته، المعتزّ بسلطانه وجاهه، المفتون بنفسه، المتشامخ بذاته، حتى ليحسب أن أحداً لن يقدر عليه، ولن يسلبه شيئاً مما معه. إنه أضعف من أن يثبت لنخسة من نخسات الحياة. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾، هكذا يقول الإنسان مباحياً مفاخراً بما أنفق من مال. واللبد: الكثير، الذي جمع بعضه إلى بعض، فكان أكداساً مكدسة. وفيم أهلك هذا السفیه المغرور هذا المال الكثير؟ أفي ابتناء حمدة، أو اكتساب مكرمة؟ أو إغاثة ملهوف؟ أو إطعام جائع؟ كلا، إنه لا يعرف وجهاً من هذه الوجوه ولا تنضح يده لها بدرهم، من هذا المال الكثير الذي أهلكه. إنه أهلكه في مبادله، وفي استرضاء شهواته، وإشباع نزواته. وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾؟ أي يحسب هذا السفیه المفتون، أن عين الله لا تراه، ولا تكشف عن هذه الوجوه المنكرة التي يهلك فيها هذا المال اللبد؟ وكلا، فإنه محاسب على هذا المال الذي أهلكه. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْئَيْنِ ﴿٩﴾

وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾؟ هو تعقيب على موقف هذا الجهول، الذي ظن أن قدرته لا تُغلب، وأن ماله لا ينفد، وأنه لا يحاسب على ما يفعل!! وهل يجرؤ على أن يدعى - ولو تجرد من كل حياء- أنه هو الذي أوجد وجوده، وأودع فيه هذه القوى التي يعمل بها؟ أيجرؤ على أن يقول إنه هو الذي خلق هاتين العينين اللتين يبصر بهما، أو هو الذي خلق جهاز النطق الذي ينطق به، من لسان وشففتين؟ وقوله تعالى ﴿وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾، النجد: ما ارتفع من الأرض، أشبه بالنَّهْد البارز على الصدر، وجمعه نجد، وبه سمي الصَّقع المعروف من بلاد العرب بنجد، لأنه عال بارز على ما حوله من الأماكن، مثل تهامة وغيرها. والنجدان هنا، هما جانبنا الخير والشر في الإنسان. وسميا نجدين لأنها أمران بارزان بين ما يتقلب فيه الإنسان من أمور. فالخير واضح الملامح، يَبِين السَّمَات، وكذلك الشر، أمره ظاهر لا يخفى، ولن يخطيء أحد التفرقة بين ما هو خير وما هو شر، كما لا يخطيء أحد التفرقة بين النور والظلام، والنهار والليل، والحلو والمر، اللهم إلا من فسد عقله واختل تفكيره، فيرى الأمور على غير وجهها، تماما كمن تعطلت حاسة من حواسه، من سمع أو بصر أو شم، أو ذوق، فلا يميز بين المسموعات أو المبصرات، أو المشمومات أو المذوقات. فمعنى: «وَهَدَيْتَاهُ النَّجْدَيْنِ»، أي عرّفناه وجهى الخير والشر، وأعطيناه الميزان الذي يزنهما به، ويضع كلاً منهما موضعه الذي هو له. وكما يشير النجدان إلى أن كلاً من الخير والشر بالمكان البارز الذي لا يخفى وجهه ولا تخطيء الأنظار الإستدلال عليه- كذلك يشيران إلى أن الاتجاه إلى أي منهما، وأخذ الطريق إليه، هو مرتقى صعب، يحتاج إلى جهد ومعاناة! فالذى يتجه إلى الخير، ويحمل نفسه على معاشته، إنما يغالب أهواء جامحة، ويدافع شهوات معرّبة. وفي الحديث: «حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».. ولهذا كان الصبر من عِدَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، ومن زادهم على طريق الحق والخير. فمن لم يرزق الصبر، لم يقو على السير في طريق الهدى والإيمان، قال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ



لَفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ  
 ﴿٢﴾ العصر: ١ - ٣.

**الفائدة الثانية:** معاني عبارة ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعُقَبَةَ﴾، يتضح ذلك بأمور:

**(الأمر الأول):** معاني النحو في العبارة. لهذه العبارة صلة معنوية قوية بما قبلها وبما بعدها، فيمكن أن تكون الفاء عاطفة لجملة «فلا اقتحم» على جملة «وهديناه»، وقد نص على العطف عدد من المصنفين في إعراب القرآن، منهم العلامة محمد الأمين في (حدايق الروح). وقال الأستاذ محيي الدين بن أحمد: «فَلَا أَقْتَحَمَ»، الفاء عاطفة، ولا نافية وهو قول أبي عبيدة والفراء والزرجاج، كأنه (أي تعالى) قال: ووهبنا له الجوارح ودللناه على السبيل فما فعل خيراً أي فلم يقتحم. اهـ من (إعراب القرآن وبيانه). ويحتمل معنى العطف كلام القرطبي وابن عادل وابن عاشور.

**الإنكار في السياق:** فالمساوي الكبيرة المذكورة قبل عبارة الإقحام تجعل السياق

سياق إنكار، فالعطف بعبارة ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعُقَبَةَ﴾، يتضمن الإنكار عليهم بأنهم تبادوا في الملمات الدنيوية ولم يقتحموا العقبات إلى الصلاح. ويدل الإنكار على وجوب اقتحام العقبات في طريق الواجبات الدينية.

ويكثر الإنكار على نفي فعل الواجبات وعلى فعل المخزيات ومن غير حاجة إلى أداة الإنكار المشهورة وهي همزة الإستفهام وغيرها من أدوات الإستفهام. من ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصُّلُوهَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَدِرْهُونَ﴾ التوبة: ٥٤، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب: ١٨، وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء: ٢٢، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الرعد: ٥، قال أبو حفص النسفي:

وإن جعلت معنى قوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ من الله تعالى فمعناه الإنكار؛ أي: أنكرت أنت من هؤلاء كذا، فقد أنكّر الله منهم قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾. اهـ من (التيسير في التفسير). وقال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ الحج: ٣، فهذا إنكار أيضاً، وقوله تعالى ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بُيِّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الأنفال: ٦. وتوجد أمثلة كثيرة.

المعنى المركزي لـ: «فلا» هو النفي ولكن يمكن أن يتضمن معانٍ أخرى إضافة إلى النفي، ولذلك فسرها الجمهور بـ: فلم يقتحم أو فما اقتحم أو بعبارة تتضمن معنى النفي، فعلى هذا التفسير قول أبي عبيدة معمر بن المثنى والزجاج والأخفش وابن خالويه وأبي البقاء العكبري وأبي هلال العسكري وابن يعيش وأبي القاسم السهيلي وأبي البركات الأنباري والمرادي في (الجنى الداني) ومحمد بن يوسف ناظر الجيش وابن أبي زمنين ومكي ابن أبي طالب في (المهداية) والواحدي وأبي حفص النسفي والزنجشري وفخر الدين الرازي والمنتجب الهمداني وأبي حيان الأندلسي والسمين الحلبي في (عمدة الحفاظ) وشرف الدين الطيبي وأبي إسحاق الشاطبي في (المقاصد الشافية) والزرکشي في (البرهان) وأبي البركات النسفي وابن عاشور.

وأما المعاني التي يمكن أن تقترن بالنفي: فالوجه الأول: تضمين النفي الجمع بين التحضيض على الإقحام والإنكار على من لا يقتحم. قال ابن قاسم المرادي: وذهب قوم إلى أن قوله تعالى ﴿فَلَا أَقْنَمَ﴾، تحضيض بمعنى: فألاً، ذكره ابن عطية. اهـ من (الجنى الداني في حروف المعاني). وقد ذهب القرطبي وابن عادل والسمعاني والبغوي وابن الجوزي (في «تذكرة الأريب») ومحمد الأمين الهروي (في «حدائق الروح») وآخرون إلى تفسير «فلا اقتحم» بـ: «فهللاً» وهي للتحضيض، وواضح أن التحضيض على فعل في سياق الإنكار على من لا يفعل، يدل على أنه تحضيض على واجب. وهذا أصح ممن قصر

المعنى على التحضيض او قصره على الإنكار، فكما أن سياق الذم قبل عبارة الإقحام والعطف بالفاء يدل على الإنكار على من لا يقتحم، فكذلك أعمال الخير المذكورة بعد عبارة الإقحام تطلب التحضيض والترغيب قطعاً، أي قوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۚ ۱۲ فَكُ رَقَبَةٌ ۚ ۱۳ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ ۱۴ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ ۱۵ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ۱۶ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۚ ۱۷ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ ۱۸ ﴾. ويمكن أن يُقال: إن المعنى: أفلا يقتحم العقبة (أي بتقدير حرف استفهام محذوف)، فإن عبارة «أفلا» مستعملة بكثرة في القرآن الكريم بمعنى الإنكار على من لا يستجيب، ويتضمن ذلك التحضيض على الإستجابة، كقوله تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ ۲۰ ﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿ ۲۱ ﴾ الذاريات: ۲۰ - ۲۱، ففي آية الذاريات حث على التبصر وإنكار على من يمتنع عن التبصر. وربما يستبعد بعضهم حذف حرف الإستفهام، والصحيح أنه ليس بمستبعد، فقد قال تعالى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۚ ۱۱۳ ﴾ الأعراف: ۱۱۳، والمعنى: إن لنا لأجراً، وقد جاءت الهمزة غير محذوفة في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۚ ۴۱ ﴾ الشعراء: ۴۱. فالوجه الأول هو الصحيح إن شاء الله تعالى. الوجه الثاني: لتضمين النفي معنى الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة، وذلك بسبب المساوي التي ذكرتها الآيات عنه؛ ومن الدعاء قولهم: «لَا فَضَّ اللَّهُ فَكَّ»، كما ذكر الزركشي في (البرهان). وكذلك قولهم: لا عافاك الله، وقولهم: لا رده الله سالماً وغيرها. ولا شك أن الدعاء من الله تعالى عليه بأن لا يقتحم العقبة أي بأن لا يفعل الخيرات المذكورة، معناه أنه فعل منكراقتضت هذا الدعاء عليه، فالدعاء المذكور يتضمن الإنكار والتحضيض المذكورين في الوجه الأول.

ومما يقوي معنى التحضيض مع الإنكار، أن الغالب في كلام العرب أن «لا» النافية تُستعمل لنفي الاسم ولنفي الفعل المضارع، كقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ١٢. والشائع في نفي الفعل الماضي استعمال «ما»، كقوله تعالى ﴿..... مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ النساء: ٦٦. وقد ذكرنا قبل قليل دلالة نفي فعل الواجبات على الإنكار، وكذلك يُستعمل الفعل الماضي مع «لا» النافية لتضمين معنى التحضيض أو الدعاء، كما ذكرنا قبل قليل. ويُستعمل الفعل الماضي أيضاً مع «لا» عند تكرار الفعل الماضي المنفي، كقوله تعالى ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ القيامة: ٣١، ويُقال أيضاً: «لا جلب خيراً ولا دفع ضرراً».

ومع ذلك فإن «لا» النافية تُستعمل أيضاً لنفي الفعل الماضي من غير تكرار، كما في آية الإقحام، وكما في الشعر القديم: (إن تغفر اللهم تغفر جماً... وأني عبد لك لا أَلَمًا)، نقله أبو البركات الأنباري في (الإنصاف في مسائل الخلاف)، ومعناه: أي عبد لك لم يُلم بذنوب؟ ومن الرجز أيضاً قوله: (فأي أمر سيئ لا فعله)، نقله ابن يعيش في (شرح المفصل). ومنه قول زهير: (... فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ)، نقله ابن عادل في تفسير آية القيامة، ونقل عن الأخفش أن «لا» تنفي الفعل الماضي. وقال ابن عاشور: وَيُظْهِرُ أَنَّ كُلَّ مَا يَصْرِفُ عَنِ التَّبَاسِ الْكَلَامِ كَافٍ عَنِ تَكْرِيرِ «لَا» كَالِاسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِ الْحَرِيرِيِّ فِي «الْمُقَامَةِ الثَّلَاثِينَ»: «لَا عَقَدَ هَذَا الْعَقَدَ الْمُبَجَّلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْأَعْرَ الْمُحَجَّلِ إِلَّا الَّذِي جَالَ وَجَابَ». اهـ من (تفسير ابن عاشور)، وقول ابن عاشور رحمه الله في غاية الجودة. وسيأتي المزيد عن هذا الأمر في القول الرابع من الفائدة السادسة إن شاء الله تعالى.

**(الأمر الثاني):** يمكن أيضاً أن تكون الفاء في عبارة ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، استثنائية، أي لبداية جملة جديدة غير مرتبطة بما قبلها في الإعراب، ولكن يمكن أن تتصل بما قبلها بالظواهر وبالمعنى. وهذا قول الدعاس في (إعراب القرآن). وظاهر هذا الإعراب

معنى التحضيض على الإقحام والإنكار على ترك الإقحام. وعلى تقدير صحة هذا الإعراب، فإنه غير معارض للإعراب بالعطف كما ذكرنا. وحكم وجوه الإعراب الصحيحة بلا تكلف وغير المتناقضة، حكمها العمل بكل منها وكأنها قراءات صحيحة، والله تعالى أعلم.

**(الأمر الثالث):** معنى «الإقحام». قال ابن منظور: والقَحْمُ: الأمور العظام التي لا يركبها كلُّ أحد. وَقَالَ شَمْرٌ: كُلُّ شَأْنٍ صَعَبٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُعْضِلَةِ وَالْحُرُوبِ وَالذُّيُونِ فَهِيَ قُحْمٌ. وَقَحْمُ الطَّرِيقِ: مَا صَعَبَ مِنْهَا. اهـ من (لسان العرب). والقَحْمُ تشمل الأمور العظام من الخير والشر والأمور المهلكة، قال ابن السكيت: ويقال: إنه لذو قَحْمٍ عِظَامٍ: يَتَقَحَّمُ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ الْجَسَامِ، يَدْخُلُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. اهـ من (الألفاظ). قال تعالى ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُنْتَجِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ ﴾ ص: ٥٩ - ٦٠ .

والفرق مهم بين قَحْمٍ واقْتَحَمَ بإضافة التاء، فهو كالفرق بين «سمع واستمع»، فإن «سمع» قد يحصل بدون قصد، وأما «استمع» فيتضمن تعمد السماع والإجتهاد في تحصيله، ومثله الفرق بين «كسب واكتسب»؛ هذا مذهب سيويه كما ذكر ابن يعيش في (شرح المفصل / معاني صيغة افتعل)؛ وهذا هو الأصل في الأفعال المتعدية على صيغة «افتعل»، ويعرف صحة ذلك من يتدبر قوله تعالى ﴿... فَلْيَشْرَعْ بَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..﴾ الزمر: ١٧ - ١٨. وقد زعم بعضهم أن لا فرق بين كسب واكتسب في قوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦، وهذه مزعومة غير صحيحة، وذلك أن الإقتران بين الأعمال الصالحة والمباحة من جهة، والأعمال المحرمة من جهة أخرى، اقتضى زيادة التاء في جهة الأعمال المحرمة من أجل إخراج من وقع في الحرام خطأ وليس متعمداً. وقد يقول بعضهم: إذا كان معنى «اقتحم» بإضافة

الناء كما ذكرتم، فكيف يكون معنى قوله تعالى ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَضِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۗ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۗ ﴾ ص: ٥٩، فالجواب أن أحوال الآخرة كبيرة جداً وتجعلهم يدخلون العذاب قاصدين له. يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۗ ﴾ لقمان: ٢٤، فكما أن المضطر في الدنيا يتعمد أكل الميتة وهو كاره لها، فكذلك أهل النار، تجعلهم أحوال الآخرة يقتحمون النار قاصدين لها، إذ ليس للمضطر غير ما اضطر إليه، والله تعالى أعلم.

يتضح مما تقدم أن الإقتحام نوعان، النوع الأول: الدخول في المصاعب بسرعة وبلا إحجام ولا نظر في العواقب، قال ابن الأثير: يُقَالُ: اقْتَحَمَ الْإِنْسَانُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، وَتَقَحَّمَهُ: إِذَا رَمَى نَفْسَهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَتَثَبَّتْ. اهـ من (النهاية). وذكر ابن منظور نحوه في (لسان العرب)، وذكر غيره نحو ذلك. ففاعل ذلك قد أخذ من التفكير والتبصر نصيباً ضئيلاً. والأصل في اختزال الرؤية وإغفال النظر في العواقب هو النهي أي المنع، إلا في أحوال اضطرارية تعتمد على الخبرة وسرعة البديهة؛ وذلك لنحو قوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۗ ﴾ البقرة: ١٩٥، وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۗ ﴾ يوسف: ١٠٨. ومن الأقوال المأثورة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه». النوع الثاني: الدخول في المصاعب والأموال العظام بجرأة إذا كانت عدته المعنوية والمادية كاملة، أو يدخل فيها بالعزم على خدمة هدف كبير، ويبقى في طور الإعداد الفكري والمادي حتى تتهيأ متطلبات نجاح العمل؛ وهذا هو الإقتحام المطلوب شرعاً. وقال ابن منظور: قَالَ سَاعِدَةُ ابْنِ جُرَيْتَةَ: (وَالشَّيْبُ دَاءٌ نَحِيسٌ، لَا دَوَاءَ لَهُ ... لِلْمَرْءِ كَانَ صَحِيحاً صَائِبَ الْقَحْمِ)، يَقُولُ: إِذَا تَقَحَّمَ فِي أَمْرٍ لَمْ يَطِشْ وَلَمْ يُحْطِئْ. اهـ من (لسان العرب). وسيأتي بيان النوع الثاني في الفائدة الثالثة إن شاء الله تعالى.

**(الأمر الرابع):** معنى «العقبة» وما تشمله من مجالات. تُطلق «العقبة»، على الطريق الوعر في صعود الجبل، وما يوضع في الطريق من مصاعب لصد العدو، وجمعه عقاب وعَقَب وعَقَبات. فافتحام العقبة كناية عن العمل الذي يشق على النفوس. وإذا تدبرنا قوله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴾ ١٢ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ ١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ ١٤ ، فإن التقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة، فإنه مفهوم من السياق، كما أن تفسير العقبة في الآية هو نفسه اقتحام العقبة. والعقبة هنا هي العوامل النفسية التي تمنع من فعل الخير العظيم، وما تقتضيه من مجاهدة النفس. فإن فك رقبة يحتاج إلى إعطاء الكثير من المال واقتحام عقبة شح النفس، ونحو ذلك في عقبات الإطعام في يوم ذي مسغبة؛ فالعقبات هي عوامل الإحجام عن الأمور العظيمة، كالمخاوف وإيثار الراحة على النصب والتعب وشبه ذلك. وواضح أن الإنكار على من لا يقتحم العقبات، يتضمن التحضيض على اقتحام العقبات وإيجابه في خدمة الواجبات الدينية، يؤيد ذلك الخاتمة الحسنة في الآية الأخيرة. وتدبر عبارة ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴾ ، فهي تَعَجُّبٌ في لفظ الإستفهام كما ذكر ابن خالويه، ويُستعمل لتفخيم شأنها، وتنبه العبارة إلى كون إقتحام العقبة أمراً عزيزاً ينبغي فهمه والعمل به. وكذلك إيضاح معنى العقبة في قوله تعالى ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ والآية التي بعدها، فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن التقدير: اقتحامها فك رقبة او هو فك رقبة، والأصح إن شاء الله تعالى أن التقدير: منها فك رقبة او إطعام في يوم ...، وذلك لأن ما ذكر إنها هو أمثلة من اقتحام المصاعب وليس للحصر، فما من صعوبة في مجال الخير او في مكافحة الشر إلا ويمكن النظر في جعلها فرصة للإقتحام؛ يؤكد ذلك نحو قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعَّةُ ﴾ التوبة: ٤٢.

**(الأمْر الخامس):** ثقافة الإقتحام. لما كان اقتحام العقبات هو الدخول في الأمور العظام التي لا يركبها كل أحد، وما يقتضيه من العمل على تذليل العقبات الكبيرة في الطريق إلى الغاية، فإن ذلك هو طريق المعالي والتفوق. وينبغي التوسع في نشر هذا الحكم، لجعل أكبر عدد ممكن سائراً على هذا الطريق. وقد ذكرنا في أكثر من موضع أهمية وضع أهداف مستقبلية أكبر بكثير من قُدراتنا اليوم، فإن الهدف الكبير يُحفز المؤهلين للبحث عن تنمية القُدرات واغتنام الفرص وصناعة الفرص التي تساعد في بلوغ الهدف. ويمكن تشكيل فريق عمل لخدمة هذه الثقافة، كأن يضع رؤية للطموحات الكبيرة وللمصاعب والعوائق الكبيرة، وبقدْر من التوضيح، لتحفيز الصالحين لانتقاء مجال الإقتحام. ويمكن أيضاً أن يكون المؤمن مقتحماً للعقبات في مجال عمله.

### الفائدة الثالثة: أهمية الحزم في اغتنام او اقتحام فرص الخير. واضح مما سبق في

تفسير عبارة ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعَقَبَةَ﴾، أن الله تعالى أوجب وحَضَّ على اقتحام المصاعب والعقبات في خدمة الواجبات الدينية، بمعنى دخول هذا الطريق بقوة، سواء كان ذلك في الأمور العلمية او العملية، وأن معنى الإنكار على عدم الإقتحام يدل على ذم تفويت هذه الفرص.

ولنضرب مثلاً إن كنت عالماً بالفقه او بإدارة الدولة او الهندسة او الطب او غيرها، فلا ينبغي لك أن تقتنع بالمباحث السهلة، فلا مصاعب ولا عقبات. بل ينبغي لك أن تقتحم المباحث المهمة التي تنتشر المصاعب والعقبات في طريقها، وهذا من أهم مضامين التفوق والمغالبة، فإن الفرص العظيمة إنما تكون في طريق الأهداف الكبيرة المركبة، وما تتضمنه من عقبات ومصاعب.

**فالمرحلة الأولى من الإقتحام:** هي العزم على البحث عن مشروع كبير لجعله هدفاً مستقبلياً، ولا بد في ذلك من عمل جماعي للقيام بدراسة تحليلية للخيارات والبدائل



المحتملة، وما يقتضيه ذلك من شدة الإهتمام بمهارات التفكير والصبر على طول الطريق. وأما الإجراءات التنفيذية، فإنها تكون بعد إحكام عمليات التفكير والإعداد للنجاح والتخطيط. وبعبارة أخرى، فإنك لا تهمل المراحل الأولى ثم تقتحم نهاية المسار، فإن مصير ذلك هو الفشل. والصحيح أن أهم العقبات هو تبني الأهداف الكبيرة بعد العزم وتحليل البدائل، لأنه يصطدم بالمخاوف وإيثار الراحة، وبإغفال المآلات أو العواقب، وبضعف الرجاء، ونحو ذلك مما يُبعد الإنسان عن الأمور الكبار، ويقصره على الأمور الصغيرة السهلة، ولا شك أن من يكتفى بالأهداف السهلة الخالية من المصاعب والعقبات ولا تحتاج إلى كثير من التفكير، فإنه يبقى في المؤخرة ويتخلى عن المغالبة. ولذلك فإن الإقتحام هو قبل كل شيء تذليل العوامل النفسية المذكورة وثبات النية على هدف كبير. وبعد ذلك، المرحلة الثانية: تتم فيها دراسة الهدف وما يتصل به ويؤثر عليه، دراسة شاملة وتفصيلية؛ وكذلك دراسة سائر ما يحتاجه التخطيط والإعداد لتحقيق الهدف. وبعد أن يكون الإعداد متكاملًا، مع زيادة احتياطية، ويكون التخطيط التنفيذي مُنقحاً بصورة تامة، بعد ذلك تكون: المرحلة الثالثة: أي التوكل على الله تعالى في العمل التنفيذي، وتدبر في ذلك قوله تعالى ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٩، أي خذ بالتشاور وتنقيح الأفكار، فإذا عزمت أي إذا أثبت التشاور والتنقيح اكتمال أركان العمل التنفيذي، فتوكل على الله تعالى. وهذا هو حقيقة السرعة الإستراتيجية. وقد ذكرنا ما يتصل بذلك تحت عنوان «دور الإستشراف في تشكيل المستقبل».

يوضح الأمر أن العزم يكون بعد الحزم، فمما ذكرناه في (نخبة المسار) عن الحزم، أن كل شيء جمعت بنوع من الشد كالإضبارة فقد حزمته، ومنه قولهم: حزمت الحطب أو المتاع، وحزم فلان أمره وأخذ بالحزم في الأمور، فَيُسْتَعْمَلُ اللَّفْظُ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمَعَانِي.

فالحزم في الأمور هو الكفاءة في جمع المتطلبات الفكرية والنفسية في حزمة واحدة، وجمع متعلقات القضية في حزمة واحدة أيضاً، ومتعلقات القضية هي الأهداف والوسائل (الموارد ونحوها) والأسباب والعوائق والمآلات والعواقب والمخاطر والموازنات بين المضار والمنافع وسائر ما يتصل بالقضية من مؤثرات. فالرجل الحازم هو الذي يجمع كل ذلك بكفاءة عالية تناسب الهدف، كما يجمع المتاع أو يجمع الحطب في ربطة أو عقدة واحدة، بهدف السفر أو لإيقاد النار. فالحزم هو الإتقان والقوة في تدبير الأمور، ويعبر بعضهم بأنه ضبط الأمور وإتقانها، وبقولهم: المشاورة من الحزم. ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى النَّسَاءِ، فَقَالَ «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» رواه البخاري وابن حبان في سياق حديث. فالحزم أقرب إلى قوة العقل والتفكير، والعزم أقرب إلى قوة قرار التنفيذ، يساعد على ذلك قولهم في المثل: «لا خير في عزم بغير حزم»، أي لا خير في قرار للتنفيذ إذا لم يأخذ حقه من التعقل والتفكير. والحزم من مضامين قوله تعالى ﴿حُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ٦٣.

ولتقي الدين أبي بكر الحموي:

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| والحزم والتدبير روح العزم   | لا خير في عزم بغير حزم     |
| والحزم كل الحزم في المطاولة | والصبر لا في سرعة المزاوله |
| وفي الخطوب تظهر الجواهر     | ما غلب الأيام إلا الصابر   |

ويزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمْتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ

حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝﴾ هود: ١ - ٢؛

الإحكام: هو غاية أو تمام الإتقان. يُقال: نسج محكم أي متقن فلا تفاوت في نظامه ولا شقوق ولا فراغات. وعبارة «أَحْكَمْتُ آيَاتَهُ»، أي نظمت نظماً في غاية الإتقان فلا يقع فيه

تناقض ولا خلل، ولا يأتيه باطل ولا خطأ ولا فساد في مضامينه ولا في صياغته. ثم، أي بعد الأحكام، فَصَّلَت الآيات، قال الراغب: الفصل: إبانة أحد الشَّيئين من الآخر: حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل: المفَاصِلُ، الواحد مَفْصِلٌ، وفَصَلْتُ الشاة: قطعت مفاصلها، وفَصَلَ القوم عن مكان كذا، وانْفَصَلُوا: فارقوه. ويستعمل ذلك في الأفعال والأقوال نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الدخان: ٤٠. اهـ من (المفردات). فقد فَصَّلَ اللهُ تعالى آيات القرآن الكريم بأنواع من الأحكام والمعاني والتدابير، فَأَنْزَلَت الآيات فصلاً فصلاً كما هي عبارة أبي القاسم الكرماني، أو جُعِلت فصولاً من أنواع المعاني والأحكام على نحو عبارة أبي حفص النسفي، وبهذا الأحكام والتفصيل فإن الآيات جاهزة في كل زمان للعمل التنفيذي من قبل البشر. وتدبر في الآية عبارة: ﴿الرَّكَانِبُ أُحْكِمَتْ أَيْنَهُنَّ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾؛ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ رَحْمَنِ وَلَا رَحِيمٍ، لِلتَّصْيِيرِ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْحِكْمَةِ لِلْقِيَامِ بِالْأَحْكَامِ، ولا بد من الخبرة بال مخلوق لإعداد الكتاب المنزل للعمل التنفيذي من قِبَل البشر. يؤكد كل ذلك قول

الآلوسي: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، في موضع العلة للفعلين السابقين (أي لفعلي الأحكام والتفصيل)، على جعل «أن» مصدرية وتقدير اللام معها كأنه قيل: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أي لتتركوا عبادة غيره عز وجل وتتمحضوا لعبادته سبحانه. اهـ من (تفسير الآلوسي)؛ فالإحكام والتفصيل لهما صلة متينة بنجاح العمل التنفيذي للبشر. وقريب من ذلك قول الإمام الطبري، قال: أحكم الله آياته من الدَّخَلِ والحَلَلِ والباطل، ثم فَصَّلَهَا بالأمر والنهي... وأما قوله: ﴿مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾، فإن معناه: حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها، خير بما تؤول إليه عواقبها. اهـ من (تفسير الطبري). فينبغي دراسة مشهد الهدف والطرق المحتملة إليه بإتقان تام أي بكل مضامينه وبكل ما يمكن أن يتصل به أو يؤثر عليه خلال المسار وبعده، وكذلك رؤية محاور وأقسام المشهد والطرق إليه، وما هي خصائص كل محور وما هي التفاعلات بين

المحاور، وبينها وبين ما يحيط بالمشهد، وكيف يمكن التعامل مع كل ذلك. وبعد ذلك يمكن تفصيل الخطط التنفيذية المحتملة وفقاً لعوامل وتوقعات النجاح، واختيار الوقت المناسب للشروع؛ والله تعالى أعلم وله الحمد الكثير.

### الفائدة الرابعة: المصاعب بعد الإقحام، وثمرن المكارم والمعالي. الإقحام في

القضايا الشخصية البحتة، وفي الحسنات غير المتحدية للآخرين كعتق رقبة أو إطعام في أيام المجاعة ونحو ذلك من الصالحات، فإن اقتحام هذا النوع من الأمور يسير عادة برفق بين الآخرين ولا يواجه مصاعب منهم، ولكن يواجه مصاعب مجاهدة النفس.

وأما اقتحام القضايا التنافسية كالقرار السياسي والضوابط الرئيسة للإقتصاد وتقنين بعض التشريعات وشبه ذلك من الأمور المتحدية، فإن اقتحامها بصورة مباشرة قد يواجه في كثير من الأحيان مصاعب المقاومة والتحريض والكرهية. وهذه لا بد منها فإن من لم يركب المصاعب لم ينل المطالب. ويقتضي ذلك أمرين، **(الأمر الأول):** قد تقتضي الضرورة إطالة مسار الإقحام، فقد ذكرنا أن الإقحام يبدأ بمجرد اختيار المشروع الكبير وما يتضمنه من التحدي والأمور الصعبة، والشروع في الإعداد والتخطيط لهذا المسار. ثم يمكن أن يطول المسار، كأن يبدأ الإقحام العملي بالتمهيد والتَّهْيئة، أي إعداد الأجواء القابلة؛ وتشمل «الأجواء» تقويم الرأي العام وقُدُرات المقاومة، بها في ذلك العوامل الخارجية. وتوجد وسائل لفحص الأجواء ثم إعادة تشكيلها. **(الأمر الثاني):**

اقتحام هذه القضايا قد يواجه أنواعاً من المصاعب والمطاعن، فقد طعن المشركون في الأنبياء، وزعموا أنه ﷺ ساحر أو مجنون أو مفتون أو مرتبط بأجانب يتلقى التعليم منهم، فقد قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣. وفي عهد الصحابة، قامت حملة إعلامية واسعة وظالمة للطعن في عثمان ثم في علي رضي الله عنهما،

وكانت عاقبة المطاعن أن جعلها الله تعالى هباءً منثوراً، فلم يثبت منها شيء، ثم انقلبت المطاعن على من كان ظالماً في إشاعتها. وسرُّ ذلك أن ما رفعه الدين لا تضعه الدنيا، وما رفعت الدنيا عادت عليه فوضعت. فالمقصود هنا أن من يقتحم لفعل الخير في القضايا المتحدية، فإن عليه أن يكون ثابتاً فلا تهزه الإشاعات وشبهها. وقد قال تبارك وتعالى ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان: ١٧.

ويوضح ثمن المعالي قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة: ٢١٤.

وقوله تعالى ﴿.... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١٥٤.

وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران: ١٧٩.

وذكرنا في (نخبة المسار)، ثمن المعالي من جهة الجهد الذي يجب تقديمه.

### الفائدة الخامسة: مجالات الإقتحام. ذكرنا في الأمر الرابع من الفائدة الثانية أنه ما

من صعوبة في مجال الخير أو مكافحة الشر إلا ويمكن النظر في جعلها فرصة لاقتحام العقبة، وذلك حين لا نجد ما هو أيسر منها وليس بأقل منها في جلب المصلحة ودفع المفسدة، بما في ذلك المصالح والمضار المستقبلية. فينبغي اقتحام العقبات في العلوم الشرعية وسائر العلوم من فروض الكفاية، كالهندسة بفروعها والسياسة والإدارة وغيرها. وكذلك اقتحام العقبات في الأداء المهني (السياسي والأمني والدفاعي

والقانوني والإقتصادي والخدمي وغيرها). وكذلك الأمر في منهج المنافسة والمغالبة في كل مجال مهم.

### الفائدة السادسة: في ذكر الإيمان بعد فك الرقبة والإطعام، قال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَصَّوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾. الأصل في «ثم» أنها للفواصل الزمنية، فإذا قلت: جاء زيد ثم سعيد، فمعناه أن سعيداً جاء بعد زيد؛ وهذا في عطف المفردات حيث يكون التركيز على المهلة بين أمرين أو حدثين. وأما «ثم» في عطف الجمل، فإن الفواصل موجود ولكن ليس من الضروري أن يكون فاصلاً زمنياً، كما أن التركيز في الجمل قد يكون على مضمون معين وليس على الفاصل. وعلى ذلك، فإن ذكر الإيمان بعد فك الرقبة والإطعام، فيه أكثر من قول للعلماء:

### **(القول الأول):** لما كانت الأعمال الصالحة ثمرة الإيمان، فإن «ثم» في الآية ليست

للفواصل الزمنية الذي يؤخر الإيمان، بل هي بمعنى الواو، والتقدير: وكان من الذين آمنوا. قال بذلك الفقيه الحنفي الإمام الجصاص في (أحكام القرآن). وقال مكي بن أبي طالب: قيل: «ثم» بمعنى الواو، والمعنى: وكان من الذين آمنوا [بفعله] هذه الخصال. اهـ من (الهداية). وهذا قول ضعيف، ولا مُسَوِّغٌ له إذا أمكن حمل «ثم» على ما يوافق أصلها.

### **(القول الثاني):** إن سورة البلد ذكرت بعض أحوال «الإنسان» ابتداءً من قوله

تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ البلد: ٤ ، ثم الضمائر العائدة عليه، فالكلام هنا عن الإنسان وليس عن المؤمن. ولما كان الأصل في معنى «ثم» هو التراخي أو وجود الفاصل الزمني، فإن معنى كل ذلك أن الإنسان الذي يقتحم العقبات ويفعل الخيرات فإنه يُتوقع منه أن يدخل في الإيمان ولو بعد حين. وهذا بخلاف قساة القلوب من مدمني

الفواحش والعصيان، فإنه بعيد عن الإيمان، فقد قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١) أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ البقرة: ٩٩ - ١٠٠، وقال تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيهِ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ الماعون: ١ - ٣ . والقول الثاني موافق لسياق الآيات وأصول العربية، ولا تكلف فيه، وهو قول الأستاذة عائشة عبد الرحمن (نت الشاطي) رحمها الله، وذلك في (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق)، وقد بيته بياناً حسناً، وذكرت لمعناه شواهد من القرآن الكريم. ويقضي قول الأستاذة عائشة أن تكون عبارة ﴿ تُعْرَكَانَ مِنَ الَّذِينَ ... ﴾، معطوفة على عبارة ﴿ فَكُ رَقِيبَةً ﴾؛ ولا إشكال في عطف الجملة الفعلية على الإسمية، والعكس أيضاً إذا استقام المعنى، وتوجد أمثلة قرآنية عديدة.

**(القول الثالث):** إن «ثم» تُستعمل أيضاً للفصل والترتيب بصرف النظر عن الزمن، ولكن باعتبار مضمونٍ آخر، وقد يكون المضمون منطوقاً أو مُقَدَّرًا. فإنك تقول في وصف جماعة: «أفضلهم زيد ثم سعيد ثم سيف»، فالفاصل هنا فاصل معنوي. ونقل العلامة فاضل صالح السامرائي عن القائلين بعدم لزوم الفصل الزمني قولهم: «أعجبنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب». اهـ من (معاني النحو ٢٠٧/٣). وقال الزركشي: وتقول: زيد عالم كريم ثم هو شجاع. اهـ من (البرهان في علوم القرآن). يوضح الأمر قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١، فإن الترتيب الزمني تحصيل حاصل هنا، غير أن التركيز في آية الأنعام على الإعراض عن الأدلة والعلامات؛ قال أبو المظفر السمعاني: هو مثل قول القائل: أَنْعَمْتَ عَلَيْكَ كَدًّا، وتفضلت عَلَيْكَ بِكَدًّا ثُمَّ لَا

تشكرني، ثم تكفر بنعمتي. اهـ من (تفسير السمعاني)؛ فالتركيز هنا على سوء استجابتهم على الرغم من وضوح العلامات والأدلة، ولا مانع أن يوجد فاصل بين رؤية العلامات وفهم دلالتها. وعلى هذا الأصل في عطف الجمل، فإن قوله تعالى في سورة البلد ﴿... تُرْكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، يمكن أن يكون معناه: فك رقبة أو إطعام ثم تُذَكَّرُ أنه كان (أي قبل ذلك أو كان مع اقتحامه) من الذين آمنوا. وتفسير «ثم» هنا قريب من تفسيرها في قوله تبارك وتعالى ﴿... ذَلِكَمَّ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الأنعام: ١٥٣ - ١٥٤، فإن المفسرين قدروا جملة بعد «ثم» كتقدير: ثم أتى عليهم أنا آتينا موسى الكتاب، فإن الغالب أو الأصل في «ثم» أنها لفصل الحدث في الزمان، ولكنها تستعمل أيضاً لتأخير الخبر عن الخبر وليس لتأخر الواقعة، وقد بين ذلك أبو حيان والرازي وغيرهما. ويمكن أيضاً بالنظر إلى جنس الإنسان كما هو ظاهر السياق، أن يكون المعنى: أن أعمال الخير الكبيرة كفك رقبة أو إطعام في يوم المسغبة، تؤهل الإنسان للدخول في الإيمان، على نحو ما تقدم في القول الثاني، والله تعالى أعلم.

**(القول الرابع):** لما كان المثال المنصوص عليه من اقتحام العقبة هو فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة ثم كان من الذين آمنوا...، فمعناه أن هذه الحسنات ثابتة لمن يقتحم العقبات، وأما الذي لا يقتحم عقبات النفس فالمتوقع منه أن لا يفك رقبة ولا يُطعم في يوم ذي مسغبة ولا يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة. وهذا مقتضى قول الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه)، ويحتمله قول الفراء في (معاني القرآن). وهذا استدلال واضح من غير حاجة إلى افتراض تقديرات نحوية، لأن نفي اقتحام العقبات يشمل نفي ما تتضمنه هذه العبارة. غير أن الزجاج رحمه الله استدلل له بتقدير تكرار «لا» مع الفعل الماضي، قال الزجاج: والمعنى في ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعَقَبَةَ﴾،



موجود أن «لا» ثانية كائنها في الكلام، لأن قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾، تدل على معنى: فلا اقتحم العقبة ولا آمن. اهـ من (معاني القرآن وإعرابه). يساعد على ما ذكرناه أن جملة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾، إن كانت جملة معترضة للبيان كما هو قول جماعة من المعاصرين، منهم صاحب (حدائق الروح والريحان)، أو كانت جملة استثنائية كما هو قول الدعاس في (إعراب القرآن)، فإن الجملة الإعتراضية والإستثنائية غير تابعة في الإعراب لما قبلها، ولكن يمكن أن ترتبط بما قبلها بالضمائر وبمعان واضحة، وهذا يساعد في دفع تقدير تكرار «لا»، أي تقدير: فلا اقتحم ولا فك رقبة ولا أطعم ولا كان من الذين آمنوا وتواصوا...، خاصة وأن المعنى واضح من دون تقدير ذلك. ومن أئمة العربية الذين ذهبوا إلى عدم لزوم التكرار للفعل الماضي مع «لا» أبو علي الفارسي وأبو العباس المبرد، كما نقل الشيخ محمد الأمين الهرري في تفسير (حدائق الروح والريحان)، وكذلك الأخفش كما ذكرنا قبل قليل. وقد ذكرنا في الفائدة الثانية أيضاً معلومات مهمة عن حكم تكرار «لا» مع الفعل الماضي.

### الفائدة السابعة: نصوص أخرى تتصل باقتحام العقبات:

منها: قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَكَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الدَّهْرِ، ومعنى أكدى أنقطع عطاؤه قبل بلوغ غايته بسبب تعرضه لبعض المصاعب، وأصله إكداء الحافر، وذلك إذا انتهى الحافر إلى كُدْيَةٍ (كصخرة مثلاً) يئس وانقطع حفره، ولذلك ذكر ابن الجوزي أنه يُقال: أكدى لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره أو أعطى ولم يُتم. وعلى ذلك فكل من توقف بلا عذر قبل تحقيق غايته فقد أعطى قليلاً وأكدى. فعلى المؤمن أن لا توقعه العقبات، بل يجب أن يجتهد في البحث عن مخرج صالحة وطرق بديلة

للاستمرار. وقد ذكرنا في (المنطلق) و(نخبة المسار) قضايا فتح طرق العمل وتذليل العقبات.

**ومنها:** قوله تبارك وتعالى ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٤١، وهذه آية جامعة تشمل معنى الإقتحام والرشاقة الإستراتيجية، وفيها فوائد كثيرة، منها: **(الفائدة الأولى):** النفر هو الدفع والإنطلاق ومنه النفر من الحج، وكل جازع من شيء نَفُور، يُقال: نَفَرَ القوم في الأمر يَنْفِرُونَ وَيَنْفِرُونَ نُفُورًا وَنَفْرًا وَنَفَارًا وَنَفِيرًا، وأنفروه أي نصروه ومدّوه، ونفروا في الأمر أي نهضوا إليه، والاستنفار: الاستنجاد والاستنصار. ونفر فلان إلى الأمر: هبّ وأسرع إليه بقوة، ونفرت الدابة: جزعَت وتباعدت. ومن هذا الأصل حديث « **وَبَشْرًا وَلَا تَنْفَرًا** »، أي لا تجعلوا الناس يهربون من الإسلام. فالنفر إلى الأمر ليس هو مطلق الحركة والتوجه، بل هو حركة سريعة وقوية إلى غاية، ولا تصح إلا بترك ما يتعارض مع تحقيق تلك الغاية؛ ويشمل النفر كل وظيفة واجبة سواء كانت قتالية أو غير قتالية. وبداية النفر هو العزم على السير إلى الغاية الكبيرة والبدء بالتفكير الجاد من أجل الإعداد للشروع في المسار. يوضح ذلك أن ثقل الحركة يُفسد النفر، كما ينبه إليه قوله تبارك وتعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ التوبة: ٣٨. فالهم هنا أن كل وظيفة تحتاجها الأمة، فإن المتتصب لها يجب أن يكون نافرًا إليها، ويترك كل ما يتعارض مع إتقانها وإجادتها، وبعبارة أخرى يكون مُخْتَصَبًا بها بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فعليه أن يصبر على الطريق الطويل للمرابطة على وظيفته، ولا يتوهم أنه يقطع الطريق بكتب محدودة وسنوات قليلة. فإن قصر في الإتقان لعذر، فعليه أن يحتاط لغيره فلا يمد نفسه إلى المصالح والحقوق العامة، بل حتى مع إتقان الوظيفة فإنه يحتاج إلى مشاركة ومشاورة

المؤهلين قبل الشروع في الأمور العامة. والأمر واضح مما ذكرناه هذه الدراسة وفي (المنطلق) في تفسير آية المصابرة والمرابطة. **(الفائدة الثانية):** استيعاب أفراد الأمة في النفار، كما في عبارة ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، فهذه عبارة مطلقة في كل خفة أو ثقل يمكن أن يؤثر في نوع ودرجة النفار، فهي تشمل من خف حملة ومن ثقل، ومن خفت أو ثقلت حركته وإلى غير ذلك من أحوال الخفة والثقل؛ فتشمل العبارة أيضاً إيقاع الخفة والثقل على متعلقين، أحدهما ضد الآخر كالغنى والفقر. فيمكن مثلاً أن يكون متعلق الخفة والثقل هو سهولة أو صعوبة حركة النفار، فالخفيف هو المتمكن والمدرب والمؤهل وغير المُثَقَّل بالتزامات أو مصاعب تعيقه عن النفار، وعكسه الثقيل، كمن قال: خِفَافًا من العيال، وثِقَالًا بهم. ويمكن أن يكون متعلق الخفة والثقل الصفة التي يحتاجها الأداء، فالخفيف هو غير المؤهل والثقيل هو حامل المؤهلات، وقد نقل ابن عطية في تفسيره ما هو من هذا القبيل. ويمكن أن يكون متعلق الخفة والثقل هو المتطلبات التنفيذية، فالخفاف هي المجموعة الصغيرة وغير المحملة بأثقال مادية كبيرة، وأما الثقال فهي المجموعة الكبيرة كالجيش بألياته الكثيرة. وهذا الإستيعاب الشامل لأفراد الأمة يؤكد أن النفار ليس خاصاً بالعمل العسكري، بل يُراد من كل فرد في الأمة أن ينطلق نافرًا إلى عمل مناسب لأهليته من أعمال الخير، مع إمكان أن يعمل المؤمن لتطوير أهليته وتحسين نفاره، وهذا من أهم طرق المغالبة وتكوين أمة متفوقة. وقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى أن قوله تعالى ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يشمل المبادرة إلى جميع ثواب الله تعالى، كما في تفسيره في المكتبة الشاملة. معنى ذلك أن حكم النفار إلى عمل صالح يشمل كل فرد من المكلفين وبحسب قدرته وتأهيله، إلا من كان مضطراً إلى خلاف ذلك، والمقصود أن تبلغ الأمة أعلى درجات الحياة في أنواع التخصصات والواجبات. **(الفائدة الثالثة):** معنى الجهاد في نحو عبارة ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. أما الجهاد في سبيل الله فهو المبالغة والمغالبة في بذل

الوسع والطاقة في مرضاة الله تعالى، وفي أي مجال من مجالات الخير والحق. يُقال: جَهَدَهُ المَرَضُ والتعب وَالْحَبُّ يَجْهَدُهُ جَهْدًا: هزله. وقال جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي: فإذ (ج ه د) حيث وَجِدَتْ فيها معنى المَبَالِغَةِ. اهـ من (الدر النقي في شرح ألفاظ الخرفي). ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم استعمل هذا اللفظ للمبالغة، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ الأنعام: ١٠٩ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ « جُهْدُ الْمُقِلِّ ، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وصححه الألباني وغيره، وهو في بعض نسخ كتب الحديث بفتح الجيم، والمعنى طاقة المُقِلِّ كمن له مال قليل فيتصدق بربعه او بنحو ذلك، وقد تشمل أيضاً طاقة النفس، كما يوضحه أحد الوجهين في تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ التوبة: ٧٩ ، أي ليس لهم متاع المقاتل ولا ما يتصدقون به، فلا يجدون إلا طاقتهم الذاتية (أي النفسية او العلمية او البدنية)، وهذا قريب من أحد الوجهين في الآية كما نقلها ابن عاشور. وصح أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ « .... وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ » رواه الإمام مسلم وغيره، وهو البلاء الذي يذهب بجزء كبير من الطاقة. وأما الجهاد بالأموال فهو إنفاق الأموال في وجوه الجهاد كلها، العسكرية وغيرها. وأما الجهاد بالنفس، فإن النفس في العربية تُستعمل بمعنى الروح وبمعنى ذات الشيء بجملته، كقولهم: أخرج نفسه من الأمر وجاء زيد نفسه، وعليه نحو قوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ النور: ٦ ، وقوله تعالى ﴿ سَتَرِيهِمْ عَيْنِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ فصلت: ٥٣ . ولذلك فإن الجهاد بالنفس يقع على معنيين، المعنى الأول: المخاطرة بالروح وفق الضوابط الشرعية، وتشمله الآيات الكثيرة الصريحة في القتال في سبيل الله تعالى، وكذلك ما كان خاصاً بالقتال من نصوص الجهاد. المعنى الثاني: جاهدوا بأنفسكم، أي بما تتضمنه ذاتكم من طاقات، كالطاقة الحركية والدعوية والفكرية والعلمية والسياسية والإعلامية والحياتية وغيرها. وواضح أن هذا المعنى (أي الثاني)

يشمل المعنى الأول ، لأن الروح داخلة في جملة الإنسان، فقواعد الأخذ بالعموم تقتضي تقديم هذا المعنى.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة: ٤٢. الآية الكريمة تصف المنافقين في غزوة تبوك، وهي تتضمن أيضاً وجوب مواجهة الصعاب واقتحام العقبات في خدمة الواجبات الدينية. فالعرض هو كل ما عرض لك من منافع الدنيا؛ والسفر القاصد هو سفر متوسط بين البعد والقرب او متوسط بين شدة مشقته وقلتها؛ وأما عبارة «بعدت عليهم الشقة»، فالشقة مسير إلى أرض بعيدة كما هو شائع في التفسير، او هي الغاية والمنفعة المشتقة (الناجحة) من السفر او العمل، فقد فسر مكّي بن أبي طالب العبارة بـ: «الغاية التي يقصد إليها». وحاصل أمر المنافقين مع غزوة تبوك أنه لو كان ما تدعوهم إليه منفعة دنيوية قريبة وسفراً متوسطاً في مصاعبه، لخرجوا مع النبي ﷺ. وتدبر عبارة «عليهم»، أي بعدت الشقة عليهم وليس على الصحابة الذين ساروا إلى تبوك، وهذا يوضح الفرق بين المقتحم والمحجم المتردد. فإن المقتحم يرى العقبات ويُعد العدة لها، فإما أن يُعد لإزالتها او لتوهينها او الإلتفاف عليها او احتوائها او يُعد للتصدي لها بالعمل المباشر.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: ٣١، فمن فوائد التفسير، (الفائدة الأولى): معنى ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ﴾، قال ابن منظور: بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلَوًا وَبَلَاءً وَابْتَلَيْتُهُ: اخْتَبَرْتَهُ، وَبَلَاءُهُ يَبْلُوهُ بَلَوًا إِذَا جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ. وَابْتَلَيْتُ فَلَانًا عُدْرًا أَيْ بَيَّنْتُ وَجْهَ الْعُدْرِ لِأَزِيلَ عَنِّي اللَّوْمَ، وَكَذَلِكَ أَبْلَاهُ جُهْدَهُ وَنَائِلَهُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَيُقَالُ أَبْلَى فَلَانٌ إِذَا اجْتَهَدَ فِي صِفَةِ حَرْبٍ أَوْ كَرَمٍ. يُقَالُ: أَبْلَى ذَلِكَ

اليومَ بلاءً حسناً. اهـ من (لسان العرب). ومن معنى الإختبار قوله تعالى ﴿ وَابْتَلُوا الَّذِينَ ﴾ حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ النساء: ٦، وقوله تعالى ﴿ وَابْتَلُونَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٨، وقوله تعالى ﴿ وَابْتَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥. **(الفائدة الثانية):**

معنى عبارة ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾، أما معنى «حتى» هنا فقال ابن عاشور: وحتى حُرْفُ انْتِهَاءٍ، فَمَا بَعْدَهَا غَايَةٌ لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهَا وَهِيَ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَى لَامِ التَّعْلِيلِ. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وأما عبارة ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾، فإن الله تعالى علّم بكل شيء، فمعنى العبارة: حتى نجد الأثر العملي للجهاد والصبر ويمكن أن يشهده الناس. ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه يقول في مثل هذا: إِلَّا لِنَعْلَمَ أَيُّ لِنَرَى. اهـ من (تفسير ابن كثير). وإلى هذا المعنى ذهب القرطبي وغيره. وقد ذكرنا قبل قليل معنى الجهاد، وتقدم أيضاً معنى الصبر. ولما كان الخطاب في ﴿ وَابْتَلُوكُم ﴾، يشمل المؤمنين عموماً، فإن عبارة ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾، تنبه إلى أهمية أو وجوب أن يكون لكل مؤمن نصيب جيد من الجهاد يكفي لوصفه بأنه «مجاهد»، ونصيب جيد من الصبر يكفي لوصفه بأنه «صابر»، وقد تقدم قبل قليل أن مطلق الجهاد ليس محصوراً بالعمل العسكري. **(الفائدة الثالثة):** معنى

عبارة ﴿ وَابْتَلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾. الأخبار تنقل الأقوال والأعمال والأحداث وما تدل عليه، فمعنى أن الله تعالى يبلو أخبارنا: نحكم في أخباركم وما هو صحيح منها وما هو كذب وتضليل، ونحكم في عواقبها وفي الجزاء عليها، وما يكشف عنها وما يخفى عن الناس، ونحكم في مراتب أعمالكم، الحسن منها والسيء. ونقل القرطبي وغيره عن إبراهيم بن الأشعث قال: كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ بَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَبْتَلْنَا فَإِنَّكَ

إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا. اهـ من (تفسير القرطبي). ونقل السمعاني عن مجاهد نحو قول الفضيل بن عياض؛ وكلام الفضيل بن عياض من باب محاسبة النفس واتهامها، فإن الغاية من بلو الأخبار غير مصرح بها في هذه العبارة، فلا يلزم أن تكون فضيحة لذنوب الصالحين، والله تعالى أعلم.

**ومنها:** قوله تبارك وتعالى ﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ المائدة: ٢١

— ٢٢. فحتى بعد تمام الإعداد، فإن من الناس من يريد تحقيق أفضل الغايات بدون مخاطرة أي بدون التعرض للتضحيات، بل بلا مخاطرة محسوبة. وللجواهري أبيات يصف بها هذا النوع من التفكير، منها:

|                                          |                                     |
|------------------------------------------|-------------------------------------|
| هَوَيْتَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ السُّهَادَا | فلولا الموتُ لم تُطِيقِ الرُّقَادَا |
| ولم تحتجَّ أنَّ البَغْيَ جَيْشُ          | وأنَّ الزاحفينَ له فُرَادِي         |
| ولا أنَّ اللياليَ مُحْرِجَاتُ            | وأنَّ الدَّهْرَ خِصْمٌ لا يُعَادِي  |
| وأنَّ الأمرَ مرهونٌ بوقتِ                | ينادي حينَ يَأْزِفُ لا يُنَادِي     |
| معاذيرُها اذْرَعَتْ نُفوسُ               | ضعافُ ترهبُ الكُربَ الشُّدَادَا     |
| تريدُ المجدَ مُرْتَمِيَا عَلَيْهَا       | جَنَى غَضًّا تَلَقَّفُهُ اذْرَادَا! |

**ومنها:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ النحل: ١٢٠ - ١٢١،

ثم قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ النحل: ١٢٣.

(قال الراغب): وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾، أي: قائماً مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة. وقوله تعالى ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ آل عمران: ١١٣، أي: جماعة. اهـ من (المفردات).

(وقال ابن قتيبة الدينوري): قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾، أي: إماماً يقتدي به الناس، لأنه ومن اتبعه أمة، فسُمِّي أمةً لأنه سبب الاجتماع. وقد يجوز أن يكون سُمِّي أمةً: لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة. ومن هذا يقال: فلان أمة وحده، أي: هو يقوم مقام أمة. اهـ من (تأويل مشكل القرآن).

فالفرد الذي يصير سبباً في أمر عظيم النفع فإنه أمة. من ذلك أن ينظر الفرد إلى أمر عظيم النفع ويمكن تحقيقه بلا قتال ولا جيوش، ولكن بالتعب والنصب وبشدة الاهتمام بالمهارات التي يحتاجها الأمر، وبالصبر على المسار، سواء كان ذلك في المجال الاقتصادي او السياسي او الدعوي او غير ذلك. وقد يستطيع أن يستميل آخرين إلى المشروع. ويجب في جميع الأحوال إنضاج الفكرة قبل الإقتحام، فيحتاج المرء قبل الإقدام إلى المزيد والمزيد من التنقيح وإلى مهارات استطلاع آراء أهل المعرفة والمؤهلين ولو بصورة غير مباشرة، ويحتاج إلى الحزم قبل العزم على الإقتحام وبنحو ما ذكرناه في هذا المبحث عن الحزم. فإن فعل كل ذلك وكتب الله له النجاح فهو أمة.

### الفائدة الثامنة: دفع شبهة من قد يتوهم أن حكم التيسير يخالف حكم الإقتحام

والنفار والجهاد. قال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥، فليس معنى الآية أن الإسلام ليس فيه مكابدة ولا معاناة ولا توضيحات،



فهذا لا يقوله من يعرف حقيقة الإسلام. والصحيح أن طريق اليسر هو الدخول في المصاعب لتذليلها أو إزالتها؛ كما أن العمل بالتكاليف الشرعية مهما تضمن من معاناة ومكابدة فإن مآله إلى اليسر وتذليل المصاعب وإلى تحقيق المطالب. فهذا كقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦؛ واضح من الآية أن العبرة بالمآل والعاقبة.

ولا شك أن اجتناب المصاعب معناه تكريس الشدائد وتفاقمها وزيادة المعاناة. وقد قيل «إن الوصول إلى الحياة بالمخاطر خير من الوصول إلى الموت براحة». وأما حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتُمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا أَنْتَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّىٰ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ.» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، فلا يعارض ما ذكرناه، فإن عائشة أم المؤمنين وصفت عمل رسول الله ﷺ ولم تنقل قوله عليه الصلاة والسلام، كما أن قول عائشة رضي الله عنها: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ»، أي بين أمرين متماثلين في جلب النفع أو دفع الضر وفي الخطورة، فلا إشكال حيثئذ في اختيار الأيسر بل لا ينبغي إلا ذلك.

يضاف إليه أن عبارة: «إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا» هي صيغة تفضيل تشمل المصاعب؛ يوضح الأمر أنه يصح أن تقول في رجلين قصيرين: هذا أطول من هذا، ولا يصح أن تقول فيه: إنه طويل. وكذلك في المقارنة بين المصاعب، يصح أن تقول: هذا أيسر من ذلك، ولا يصح أن تقول إنه سهل يسير؛ يدل على ذلك نحو قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ يوسف: ٣٣، فواضح أن يوسف عليه السلام فاضل بين كريهين بكلمة

«أَحَبُّ إِلَيَّ»، أي أقل كراهة. ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ نَتَّخِذُوكَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ النحل: ٩٢؛ فإن الأمة التي هي أربى من أمة يمكن أن يشمل أمتين صغيرتين في الحجم والموارد، غير أن إحداهما أكثر أو أكبر أو أغنى من الأخرى؛ قال ابن قتيبة: ﴿ نَتَّخِذُوكَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾، أي: دغلاً وخيانة وحيلاً أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ، أي: لأن يكون قوم أغنى من قوم، وقوم أعلى من قوم، تريدون: أن تقتطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء. اهـ من (تأويل مشكل القرآن).

والله تعالى أعلم وله الحمد الكثير.

ونختم بقول شاعر اليمن البردوني:

ورحلت من سفر مضمّن إلى سفر  
لكن أنا راحل في غير ما سفر  
أضنى لأن طريق الراحة التعبُ  
رحلي دمي وطريقي الجمر والحطبُ

## السبق واغتنام الفرص

قال ابن منظور: الفرصة: النهزة والنوبة، وقد فرصها فرصاً وافترصها: أصابها، وقد افترصت وانتهزت. وأفرصتك الفرصة: أمكنتك. وافترصتها: اغتنتمتها. قال الأزهري: الفرصة وهي النهزة. يقال: وجد فلانُ فرصةً أي نهزةً. وجاءت فرصتك من البئر أي نوبتك. وانتهز فلانُ الفرصة أي اغتنتمتها وفاز بها. اهـ من (لسان العرب).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقى المشركين بعسفان، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر فرأوه يركع ويسجد هو

وَأَصْحَابُهَا»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كَانَ هَذِهِ فِرْصَةً لَكُمْ لَوْ أَعْرَضْتُمْ عَلَيْهِمْ، مَا عَلِمُوا بِكُمْ حَتَّى تُوَاقِعُوهُمْ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: فَإِنَّ هُمْ صَلَاةٌ أُخْرَى هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَاسْتَعِدُّوا حَتَّى تُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ النساء: ١٠٢، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. رواه الحاكم في سياق حديث وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

فالفُرصة في العربية هي كل حدث او حال او وقت، يمكن اغتنامه لبلوغ هدف مشروع او غير مشروع.

## فضل السابقين:

قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ الواقعة: ١٠ - ١١، فمن فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: معنى لفظ «السابقون». السابق في العربية هو أن يكون الشيء قبل

الآخر في أمر من الأمور، قال تعالى ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْتِرُونَ﴾ الحجر: ٥، أي ما تهلك قبل أجلها وما تتأخر عنه؛ وهكذا من يتقدم ويصل قبل غيره او يفعل ما لم يفعله غيره او ينطلق بقوة تاركاً عوامل الثقائل والشبيط وراءه، أي قبل أن تتمكن منه عوامل الثقائل والتأخير. وقد يكون السبق بين اثنين فصاعداً، يُقال سبق فلان فلاناً. وقد يكون السبق من طرف واحد، بمعنى أنه يسبق هواه وأسباب الثقائل، فهو مبادر بقوة إلى غايته، وكذلك بأن يبادر في الصالحات كي يسبق محاولات الإعاقه ولا يعطيها فرصة.

وأما الإستباق، فهو بذل الجهد في السبق، ويمكن أن يكون بين اثنين فصاعداً، قال تعالى ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ يوسف: ٢٥، أي اسرع كل واحد منهما كي يصل قبل الآخر

إلى غاية واحدة وهي الباب، والتقدير: استبقا إلى الباب؛ وإضافة التاء في صيغة «افتعل» لبيان تكليف النفس بالسبق وبذل الجهد فيه، ويكون الفرق بين «سبق واستبق» كالفرق بين «سمع واستمع، وكسب واكتسب، وغنم واغتنم»، وعن قتادة في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ البقرة: ١٤٨، أي سارعوا إليها، وقال قتادة: «لا تُغْلِبَنَّ عَلَى قِبَلْتِكُمْ». رواه الطبري، أي جاهدوا لأجلها. وواضح أن السبق في آية الواقعة ونحوها هو السبق في الصالحات.

### الفائدة الثانية: معنى الإعراب، فظاهر السياق أن عبارة ﴿ وَالسَّيْفُونَ ﴾

السَّيْفُونَ ﴿، جملة واحدة من مبتدأ وخبر، كما في (التيبان ..) لأبي البقاء العكبري، وذكره أبو حيان والرازي وغيرهما. ومعنى هذا الإعراب: والسابقون هم السابقون، فلا يحتاجون إلى تعريف بغير ما عرفتم عنهم من جليل مضامين السبق إلى الصالحات. وبعبارة أخرى أنه إذا اتحد المبتدأ والخبر فالمراد به المبالغة في التعظيم أو في الذم. من ذلك قول أبي النجم العجلي:

أنا أبو النجم وشعري شعري      الله درى ما أجن صدري  
تنام عيني وفؤادي يسرى      مع العفاريت بأرض قفر

ومثل ذلك قول القائل: «وعبد الله عبد الله»، وقوله: «أنت أنت». هذا حاصل ما أخذ به الزمخشري في تفسير الآية، وما نقله الرازي وغيره. ويقوي هذا الإعراب أنه يحتاج إلى تفسير فقط، ولا يحتاج إلى تقدير محذوفات.

### الفائدة الثالثة: منزلة السابقين، فتدبر عبارة ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، قال سهل

التستري: ولم يقل القريبون، وعلامات المقرب واضحات من هذه الأمة، فالقريب وجد من الله المنة والكرامة، والبعيد وجد من الله العذاب والعقوبة، والمبعد وجد من الله

الحجاب والقطيعة، والمقرب وجد من الله اللقاء والزيارة. اهد من (تفسير التستري)؛ فهم الذين يقربهم الله منه بإعلاء منازلهم في جنات النعيم كما هي عبارة القاسمي.

وهذا بخلاف حجب الكفار عن الله تعالى، كما في قوله عز وجل ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ المطففين: ١٥.

**الفائدة الرابعة:** مجالات السبق. حاصل ما تقدم أن الأمور التي يقع عليها الإستباق المذكور هي الأمور التي تُقَرَّب إلى الله تعالى أكثر من غيرها، فهي أصل المكارم والمعالى، ولها نصيب كبير من عامل او أكثر من خمسة عوامل، (العامل الأول): أن يكون الإستباق على ما هو أعظم أجراً من الحسنات، كالحسنات التي بينت النصوص كبرها، كقوله تبارك وتعالى ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ التوبة: ١٩ - ٢٠؛ وكمن أحياناً نفساً بتأهيلها وإعدادها للعمل فكأنه أحياناً الناس جميعاً، وكحديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة، وكأحاديث المحبة في الله تعالى، وغيرها. (العامل الثاني): الحسنات عموماً إذا كانت كثيرة وتحمل صفة المبادرة، فقد قال تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون: ٦١. (العامل الثالث): أن يكون الإستباق على الحسنة المتعدية إلى الآخرين فيتسع أجرها، كمن يُعَلِّم الخير لعدد من الناس، وكمن يُبعد الضرر عن جماعة من الناس او يُبعده عن شعب كامل. (العامل الرابع): الإستباق على الحسنات التي يمتد نفعها في الزمن، فقد قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ إبراهيم:

٢٤-٢٥، فتدبر عبارة ﴿ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾. وقال تبارك وتعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس: ١٢؛ وقال تعالى ﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ الانفطار: ٥.

وقد تقدم حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ » رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **(العامل الخامس):** يشمل العوامل السابقة كلها، وهو السبق في استخراج معاني القرآن الكريم. فإن من إعجاز القرآن سعة معانيه، فلا نهاية لها، وقد سبق بيان ذلك تحت عنوان «مقدار الغيب». فمن اجتهد في تحصيل أدوات فهم القرآن وفي نظام تدبر القرآن وفي تحصيل الثروة المعرفية (الشهادة على الناس في آرائهم وأعمالهم)، فإنه قد يسبق بإذن الله تعالى إلى معان عظيمة الفائدة، ينتفع بها الناس في زمنه وبتعاقب الأجيال. والإحسان في تدبر النصوص الشرعية هو الذي يصنع الأئمة بإذن الله تعالى، كما حصل في عهد الصحابة ومن بعدهم.

وقد بينا نظاماً لتدبر القرآن الكريم في (نخبة المسار في فقه القيادة والإدارة) تحت عنوان: الهداية المستمرة (ختمة التدبر).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ. » رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم.

## السابقون الأولون ومن تبعهم بإحسان:

قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلَىٰ أُولُو الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠. ومن فوائد الآية الكريمة:

### الفائدة الأولى: معنى «السابقون الأولون». ذكرنا معنى «السابقون» قبل قليل،

غير أنه خاص هنا بكلمة «الأولون»، وهي جمع «أول»، ومعناها: جماعة السابقين الذين تقدموا في بدايات الأمر وقبل الآخرين، فما هو الحد الفاصل بين السابقين والمتأخرين في عهد النبوة؟ والذي أعلمه أنها الحديبية أو بيعة الرضوان، وهذا قريب من قول الشعبي وابن سيرين والإمام الشافعي وغيرهم. فمن هاجر أو نصر رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان أو قبلها، فهو من السابقين الأولين. ويؤكد أن السابقين الأوائل كانوا من المهاجرين ومن الأنصار، اتفاق عامة القراء على قراءة ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾، بالخفض عطفًا على «المهاجرين». وأما من هاجر بعد الحديبية وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد رضي الله عنه، فهو مهاجر ولكنه ليس من السابقين. وأما بعد فتح مكة فقد انقطعت الهجرة كما ثبت في الحديث، فمن تحول إلى المدينة بعد فتح مكة فقد غير سكنه، وليس بمهاجر. وتوجد أحاديث صحيحة توضح أهمية السبق وأهمية الحسنات العظيمة، وتدل أيضاً على الحد الفاصل.

يوضح الأمر حديث أبي سعيد قال: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» رواه مسلم وغيره. فهذا الحديث خاص في السابقين من الصحابة، يدل على ذلك قوله ﷺ «فَإِنْ أَحَدَكُمْ»، فهذا خطاب

لقوم مع رسول الله ﷺ ولكنهم لا يقارنون بأمثال عبد الرحمن بن عوف. يؤيد ذلك أنه يمتنع حمل الحديث على العموم في الصحابة فيما بينهم، لأنه من المحال أن يكون الجبل الذي ينفقه ابو بكر او عمر او عثمان او علي لا يدرك مدّ خالد وامثاله من غير السابقين وإنما الأمر هو العكس، فمن المحال أن يكون تقدير الحديث: لا تسبوا أحداً منكم فلو أنفق... الخ. ومن المحال أيضاً أن يكون الخطاب في الحديث للأجيال القادمة بعد الصحابة وليس لطائفة من المسلمين في عهد النبوة.

ويقطع بذلك حديث الشعبي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: سَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا خَالِدُ، لِمَ تُؤْذِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لَمْ تُدْرِكَ عَمَلَهُ »، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَقَعُونَ فِيَّ، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تُؤْذُوا خَالِدًا، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ صَبَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ » رواه ابن حبان فهو صحيح عنده، (الإحسان، ١١٠/٩)، وإسناد ابن حبان صحيح، ورواه الإمام أحمد في (فضائل الصحابة، الحديث ١٣) بمثل إسناد ابن حبان. ونقله الحافظ ابن حجر العسقلاني من كتاب أبي يعلى، بمثل إسناد ابن حبان، وقال ابن حجر: حسن بهذا الإسناد، لأن أبا إسماعيل المؤدب صدوق، وقد سكت عنه البوصيري. وقال الهيثمي في (المجمع): رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار والبخاري بنحوه ورجال الطبراني ثقات. اهـ من (المطالب العالية). وضعفه بعضهم بواحدة من ثلاث علل غير قاذحة، العلة الأولى: أن الإسناد فيه أبو إسماعيل المؤدب، علماً أنه ثقة، ولا إشكال في تفاوت عبارات التوثيق، فإن التفاوت كثير الحدوث في وصف الثقات. قال الإمام الذهبي: أبو إسماعيل المؤدب وثقه ابن معين - فيما رواه عن ابن معين أربعة حفاظ. اهـ من (تهذيب تهذيب الكمال). والحفاظ الذين نقلوا التوثيق عن ابن معين، ساهم الحافظ المزني في (تهذيب الكمال) وهم: إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي، وأبو داود، ومعاوية بن صالح بن أبي عبيد الله الأشعري.



ووثقه العجلي وأبو داود كما في (الوافي بالوفيات) وابن حبان والدارقطني وابن عبد البر في (الإستغناء). وقال ابن حبان: أبو إسماعيل المؤدب مات على إتقان وضبط. اهـ من (مشاهير علماء الأمصار). فلا يضر أبا إسماعيل قول النسائي وابن معين في رواية أبي قدامة السرخسي: ليس به بأس. وذكرنا أن معاوية بن صالح ممن نقل توثيقه عن ابن معين؛ ولكن روى ابن عدي عن معاوية بن صالح عن ابن معين، قال: ضعيف، ثم قال ابن عدي: وأبو إسماعيل المؤدب لم أجِدْ فِي ضَعْفِهِ إِلَّا مَا حَكَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ يَحْيَى (أي ابن معين). وهو عندي حسن الحديث، ليس كما رواه معاوية بن صالح عن يحيى، وله أحاديث كثيرة غرائب حسان، وتدل على أن أبا إسماعيل من أهل الصدق، وهو ممن يكتب حديثه. اهـ من (الكامل). وعلى تقدير صحة رواية ابن عدي عن معاوية بن صالح عن ابن معين، فالأصل أن التوثيق المجمل مُقَدَّم على الجرح المجمل. وذكرنا قبل قليل أن الحافظ ابن حجر حَسَّنَ الحديث ووصف أبا إسماعيل بأنه صدوق. العلة الثانية: أن عبد الله بن إدريس وهو ثقة رواه بإسناده إلى الشعبي مرسلًا، أي بدون ذكر الصحابي، وقد رجح أبو زرعة المرسل، وفي (أحاديث معلقة ظاهرها الصحة) أقر مقبل الوداعي أن الحديث ظاهره الصحة، ثم مال إلى العلة التي ذكرها أبو زرعة. وهذه علة ضعيفة لأن الأصل قبول زيادة الثقة، وتوجد أحاديث صحيحة كثيرة أسندها بعضهم، ورواها آخر بإرسال أو انقطاع وشبه ذلك من النواقص؛ فمن أخذ بهذه العلة فعليه أن يرد كل حديث رواه ثقة متصلًا ورواه ثقة آخر مرسلًا أو منقطعًا بالإسناد نفسه أو بمغايرة في الإسناد، ويؤدي ذلك إلى رد أحاديث صحيحة كثيرة. وإنما يُصَار إلى ترجيح رواية على رواية حين يوجد تناقض بين الخبرين ويتعذر الجمع بينهما. ولا تناقض هنا بين الروایتين، ويمكن الجمع كذلك مع حديث أبي سعيد مرفوعًا، كما بينا قبل قليل. ولكن يظهر أن بعض المحدثين يريدون نوعًا من التسوية بين الصحابة كلهم في الفضيلة المذكورة، لأنهم ألفوا القول بأن حديث « فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا

نَصِيْفُهُ» يراد به كل من له صحبة وإن كانت صحبة متأخرة، وكأن الخطاب فيه للصحابة كلهم فيما بينهم!!! العلة الثالثة: الإعتراض على معنى الحديث كما ذكرنا قبل قليل، فقد زعم الشيخ الألباني أن الحديث شاذ بهذا السياق والتام، كما في (ضعيف موارد الضمآن)!!

وحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوفَى صريح في تعليل حكم الحديث بكون عبد الرحمن من أهل بدر وبأن خالدًا ليس من أهل تلك المنزلة وأنه لو انفق مثل أحد ذهبًا ما أدركها. والقياس أبعد حين يقارن من هو دون خالد كمعاوية، بمن هو أفضل من عبد الرحمن كعلي عليه السلام.

ويؤيد ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَالَ: «لَا تُوقِدُوا نَارًا بَلِيلٍ»، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: «أَوْقِدُوا وَاصْطَبِعُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلَا مُدَّكُمْ» رواه الإمام أحمد بإسناد حسنه ابن حجر في (فتح الباري، باب غزوة الحديبية ٣٥٧/٧) وحسنه كذلك شعيب الأرنؤوط، ورواه أيضاً النسائي في (الكبرى) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. فبالإضافة إلى فضيلة بيعة الرضوان، فإن هذا الحديث ينفي أن يدرك فضلهم من أسلم أو هاجر من الصحابة بعد تلك البيعة. وهذا يوافق ما تقدم من منزلة خالد بن الوليد بالقياس إلى السابقين. وقد أسلم خالد وهاجر بعد الحديبية وقبل فتح مكة. ولا ينفي الحديث فضيلة من سبق قبل الحديبية، كمن قتل شهيداً في أحد أو هاجر وجاهد ثم تخلف لعذر عن الحديبية.

وعن جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْدُخَلَنَ حَاطِبُ النَّارِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَذَّبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ.» رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

ولذلك يتعين أن «من» تبعيضية في عبارة: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، لأنه يوجد من المهاجرين المتأخرين كخالد بن الوليد، من لا يدرك عمل الأولين، كما تقدم في الحديث الصحيح. وواضح أن العبارة القرآنية خاصة في الأولين من السابقين. وقد ذهب ابن عاشور إلى أن «من» تبعيضية، وهو معنى قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وسعيد بن المسيب وقتادة والشعبي، كما في روايات الإمام الطبري عنهم. ونقل بعض المفسرين هذا القول، منهم نجم الدين النسفي والرازي وابن عادل والألوسي.

فعن الشعبي قال: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، «هم الذين بايعوا بيعة الرضوان». رواه الطبري. وعن عامر قال: «فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية». رواه الطبري، وعامر هو الشعبي. وعن أبي موسى قال: «المهاجرون الأولون، من صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم». رواه الطبري. وعن سعيد بن المسيب قوله: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، قال: «هم الذين صلوا القبلتين جميعاً». رواه الطبري، وروى مثله عن قتادة وابن سيرين. ونقل ابن عادل في تفسيره عن ابن عباس أيضاً أن السابقين الأولين هم الذين صلوا إلى القبلتين. وقد ذكر أبو بكر بن العربي مراتب السابقين الأولين، ثم قال: الثامنة: أهل الحديبية، وبهم انقطعت الأوليَّة. واختار الشافعي الثامنة في تفسير الآية. اهـ من (أحكام القرآن).

وأما من زعم أن السابقين الأولين في آية التوبة يدخل فيها جميع المهاجرين والأنصار بصرف النظر عن وقت هجرتهم، فقولُه ليس بصحيح لأنه أهدر صفة الأولين، كما في عبارة ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ﴾، ولم يأخذ بمعنى الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها قبل قليل. وأما من زعم أن عبارة ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، تشمل

الصحابة كلهم وإن لم يكن مهاجراً ولا أنصاريًا، فهذا قد غيّر معنى الآية جملة وتفصيلاً فلا قيمة لقوله.

ويؤيد ما ذكرناه، قوله تبارك وتعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ الأنفال: ٧٤ - ٧٥، الآية الكريمة صريحة أنه توجد هجرة أولى، ثم هجرة بعدها في عهد النبوة كما تدل عليه عبارة ﴿ وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ﴾، أي في عهد النبوة. فالمشهور في قوله تعالى ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾، أنه بعد بيعة الرضوان وقبل فتح مكة وذلك لما ثبت أن هجرة الصحابة انقطعت بفتح مكة، وثبت كذلك استحقاق الفضيلة العالية لكل من آمن وهاجر وجاهد قبل بيعة الرضوان. ومقتضى كل ذلك ان بيعة الرضوان هي الفارق بين المهجرتين في آية الانفال. وفي تفسير آية الأنفال هذه قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا ﴾، يُرِيدُ مِنْ بَعْدِ الْحُدُوبِ وَبَيْعَةِ الرُّضْوَانِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُهْجِرَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كَانَتْ أَقَلَّ رُتْبَةً مِنَ الْمُهْجِرَةِ الْأُولَى. اهـ من (تفسير القرطبي)، وذكر نحو ذلك مكّي بن أبي طالب وابن الجوزي وغيرهما.

### الفائدة الثانية: أتباع السابقين الأوائل. فتدبر في آية التوبة عبارة ﴿ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ..... ﴾، فتدل جملة «اتبعوهم» على صلاح وأهلية السابقين الأولين للإقتداء بهم، فإن الله تعالى إنما يمدح أتباع الصالحين من الناس، كقوله تعالى ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ لقمان: ١٥؛ يؤكد ذلك الشئ العظيم على السابقين الأولين وعلى من اتبعهم بإحسان، كما في عبارة الرضا عنهم وما بعدها. وأما أهل الباطل والضلال، فإن الله تعالى ينهى عن اتباعهم، قال تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَنبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿النور: ٢١﴾، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبِّئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ١١٥﴾. وعموم عبارة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْحَسِنِ رِضَىٰ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، يشمل الصحابة من غير السابقين الأولين ويشمل من جاء بعدهم.

وتدبر أيضاً ضبط إتباع السابقين الأولين بأنه: «إحسان»، أي بإتقان جميل وإجادة جميلة، من قولهم: فلان يُحسِن العمل أي يجيد ويتقن العمل، والأصل في الحُسْن أنه ضد القبح كما سنيين بعد قليل إن شاء الله تعالى. ويشمل الإتياع بإحسان أمرين: **(الأمر الأول):** أن يركز الإتياع على الوصف الذي نالوا به الدرجة العالية، وهو السبق والمبادرة في فعل الصالحات، وخاصة الصالحات الكبيرة، وأن لا يكونوا من المتأخرين الذين فوّتوا فرصة السبق. قال عبد الكريم الخطيب: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.. هم الذين سبقوا إلى الإسلام، فكانوا الكوكبة الأولى التي تقدمت ركبهم الميمون، أولئك هم الذين حملوا أعباء الدعوة الإسلامية، واحتملوا- في صبر ورضا- مواجهة العاصفة التي هبت عليهم عاتية مزججة، تحمل في كيانها جهالة الجاهلية، وحماقاتها، وسفاهاتها، وعتوّها وضلالها.. فكان لهم عند الله هذا المكان الكريم، وتلك المنزلة التي اختصهم بها، وأفردهم فيها.. فمن أراد أن يلحق بهم ويضاف إليهم، فسيبيله إلى ذلك أن يقفو أثرهم، ويتبع سبيلهم، ويحسن كما أحسنوا، ويبلى كما أبلوا.. فذلك هو الثمن لمن يطلب رضا الله، ويطمع في أن يكون مع أحبائه وأصفيائه.. فيكون بهذا مضافاً إليهم مع الذين اتبعوهم بإحسان. أه من (التفسير القرآني للقرآن). **(الأمر الثاني):** أن يكون اتباعه للسابقين الأولين اتباعاً جميلاً، فإنه اتبعهم أي اقتدى بهم وإن كان بعيداً في الزمن عنهم؛ وهم حملة راية الإسلام الأولين، فلهم فضل كبير في وصول الإسلام إلى

الأجيال المتتابة؛ وصاحب المروءة يُقدّر الفضل ويجب من اتبعه لفضله. وأما من اتبع السابقين الأولين بالإساءة والقبايح، فلا شك أنه بعيد عن مضمون ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، سواء كانت له صحبة متأخرة أو كان من غير الصحابة.

فمن يريد منزلة السابقين، فعليه أن يستقرئ ويدرس حال الإسلام والمسلمين، وما هي المخاطر والتهديدات، وما هي فرص خدمة الإسلام وما هي فرص نهوض المسلمين. ثم عليه أن ينظر في الخيارات المتاحة وفرصها التنفيذية، ويُقوّمها كي يعرف الخيار الأحسن في كل مجال، فقد قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك: ٢. وبعد ذلك يقتحم الفرصة على بصيرة. ومن المفيد جداً أن يتخذ المؤمن صديقين أو ثلاثة أو أربعة، لتشكيل مجموعة ذكية تتشارك في التفكير، وقد اثنى الله على هذه المجاميع القليلة العدد، كما في قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٤، أي إلا نجوى من أمر بكذا وكذا، وتدبر الثناء العظيم على مجاميع النجوى المستثناة، أي فمن يفعل شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة في الإستثناء خالصاً لله تعالى فسوف يؤتاه الله أجراً عظيماً، وقد بين ذلك أبو حفص النسفي في (التيسير في التفسير) والإمام الرازي في تفسيره. وتدبر حصر النجوى المستثناة بثلاثة أنشطة واسعة جداً، فالصدقة يمكن أن تكون على فقير واحد، ويمكن أن يكون سعياً قوياً لضمان ضروريات الشعب كله أو الطبقة الفقيرة والمتوسطة منه. وأما «المعروف»، فيشمل كل خير، الصغير منه والعظيم. وأما الإصلاح بين الناس، فيمكن أن يكون بين فردين أو بين بيتين أو بين مؤسستين أو بين شعبيين ودولتين. وهذه السعة ضرورية كي يدخل فيها كل باحث عن الفرص والسبق، كُلُّ حسب تأهيله واستطاعته وهمته.

وينبغي أن نُفصل معنى «الإحسان»، فإنها كلمة في غاية الأهمية. فإن الحُسن ضد القبح كما ذكر ابن فارس وابن سيده وغيرهما، والإحسان ضد الإساءة، والحسنة نقيض السيئة. ويُستعمل الحسن في جمال وجودة الظاهر كقولهم: فلان حسن الهيئة وحسن الملبس ورجل حسن القوام وامرأةٌ حسناء. ويُستعمل الحُسن بكثرة أيضاً للتعبير عن جمال وجودة المضمون والمعنى، وجمال وجودة العمل؛ ومنه عبارة: «أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» في الحديث المشهور؛ وقال تعالى ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء: ٦٩. ومنها أمثلة متفرقة في (جمهرة اللغة) وغيره، كقولهم: فلان حسن الطية والطوية إذا كان حسن السريرة. ويُقال: رجل حسن الكتبه والكتابة، وفلان حسن الصَّحَابَةِ أي الصَّحْبَةِ. وفلان حسن المذهب وقبيح المذهب أي الطَّرِيقَةَ. وفلان حسن المدخل وقبيح المدخل أي المذهب في أموره. والمعدلة: السيرة الحسنة. وفلان حسن العشرة والمعاشرة. وفلان حسن الطَّرِيقَةَ، أي حسن المذهب والسَّجِيَّةَ.

ولذلك يُستعمل الحسن فيما بلغ الغاية من الجمال والجودة، ومنه قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ آل عمران: ١٩٥. ومن هذا الأصل قوله تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران: ٣٧.

ومن المشهور في العربية استعمال الإحسان بمعنى: إتقان الخير وإجادته وإحكامه، وذلك لأن الخير جميل والإتقان جميل، ونقيضها قبيح وسيء، ولذلك يُستعمل الحسن بكثرة للتفضيل، كقولهم: هذا أحسن من هذا، أي أفضل وأجود. فمن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ السجدة: ٧، أي أحكم وأتقن. وكذلك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٤، أي يحسبون أنهم يجيدون فعل الخير؛ وتدبر فضيلة إتقان التدئين، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا ﴿ النساء: ١٢٥. وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل: ٩٠، أي بالعدل وإتقان الصالحات. يؤكد ذلك تعريف الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، فإنه غاية الإتقان في عبادة الله تعالى. ومنه قول ابن الوردي في لاميته:

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل  
أي قيمة الإنسان ما يجيده ويتقنه من العمل النافع.

## الأمر بالمبادرة:

ويتصل بالمبادرة، اصطلاح: «الرشاقة الاستراتيجية او الخفة الاستراتيجية». وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» رواه مسلم وغيره. وفي رواية «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ» رواه مسلم أيضاً. ومن فوائد الحديثين:

### الفائدة الأولى: في معنى المبادرة في اللغة والنحو:

قال ابن منظور: بَدَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَبْدُرُ بُدُورًا: أَسْرَعْتُ، وَكَذَلِكَ بَادَرْتُ إِلَيْهِ. وَتَبَادَرَ الْقَوْمُ: أَسْرَعُوا. وَابْتَدَرُوا السَّلَاحَ: تَبَادَرُوا إِلَى أَخْذِهِ. وَبَادَرَ الشَّيْءَ مَبَادَرَةً وَبِدَارًا وَابْتَدَرَهُ وَبَدَرَ غَيْرَهُ إِلَيْهِ يَبْدُرُهُ: عَاجَلَهُ. اهـ من (لسان العرب).

وقال ابن فارس: الْبَاءُ وَالذَّالُّ وَالرَّاءُ، أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا كَمَا لُ الشَّيْءِ وَامْتِلَاؤُهُ، وَالْآخَرُ الْإِسْرَاعُ إِلَى الشَّيْءِ. (أَمَّا) الْأَوَّلُ فَهُوَ قَوْلُهُمْ لِكُلِّ شَيْءٍ تَمَّ بَدْرٌ، وَسَمِّيَ الْبَدْرُ بَدْرًا لِتَمَامِهِ وَامْتِلَائِهِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: قَوْلُهُمْ بَدَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ وَبَادَرْتُ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة).



وقال الزبيدي: وبدره الأمر، وبدر إليه يبدر بدرا: عجل وأسرع إليه واستبق ، قال الزجاج: وهو غير خارج عن معنى الأصل، يعني الإمتلاء؛ لأن معناه استعمل غاية قوته وقدرته على السرعة، أي استعمل ملء طاقته. اهـ من (تاج العروس).

ويقال: بادره وابتدره، أي عآجله وأسرع بالشيء إليه؛ وابتدر القوم أمراً وتبادروه، أي بادر بعضهم بعضاً إليه، أيهم يسبق إليه فيغلب عليه؛ والبادرة في الكلام ما يبدر في حدة الغضب وكأنه يغلب كوابح العقل في خروجه. وقال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ النساء: ٦، أي لا تأكلوا أموال اليتامى مُسَابِقَةً لِكَبَرِهِمْ. فكأننا في المبادرة نغالب الموانع والمنافسين كي يكون عنصر المبادأة معنا، فإن الإهتمام بعنصر المبادأة يعدّ من مستلزمات المغالبة والتحسين. فالمبادرة هي المسارعة إلى الشيء أو التسابق إليه.

وتدبر عبارة « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ » فإن كلمة «بادروا» صيغة مفاعلة مثل سابقوا وسارعوا وهاجموا، وخاصة حين يتعدى الفعل إلى مفعول ظاهر أو مُقَدَّر؛ وكأننا نغالب شخصاً أو حدثاً متوقفاً أو نغالب عوامل الفتور والتثبيط في النفس، كي يكون عنصر المبادأة معنا. والمفاعلة واضحة من الحديث، فالمعنى: أفعلوا بلا تأخير كي تسبقوا ما يقطع عنكم العمل، كقيام الساعة أو الفتن أو تعذر العمل بسبب الشواغل الخاصة أو العامة. وبعبارة أبي العباس القرطبي قال: وقوله: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا »، أي: سَابِقُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هَجُومَ المِحْنِ المَانِعَةِ مِنْهَا. اهـ من (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم).

**الفائدة الثانية:** من مضامين وعوامل المبادرة، وهي عوامل مرتبطة بقوة بالمبادرة:

**منها:** أن التأخير أو التراخي موافق لمفهوم الغفلة، فهو مناقض للمبادرة وغاياتها كالمغالبة والإعداد والحذر. ومن لوازم المبادرة اجتناب التسويف والتميع والتأجيل بلا مسوّغ.

**ومنها:** أن الإنسان المبادر ذاتي التحفيز، فهو مستعد دائماً لتوجيه فكره وعمله إلى واجباته، ولا ينتظر الأوامر والتوجيهات إلا لضرورة ولضبط العمل بلا فوضى، فإن معنى المبادرة هو المسارعة إلى الشيء أو التسابق إليه.

**ومنها:** أن المبادر يتقدم على بصيرة كما يوجب الشرع، ولكن بلا تردد، فإن الإستقامة هي الثبات على التقدم في الطريق، وأحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قلّ. ولا تتوقف بسبب مشقة العمل أو صعوبته فإنك إذا بدأت واستقمت بلغت الغاية.

### **الفائدة الثالثة:** في أهمية ومنافع المبادرة. في المبادرة منافع كبيرة:

**منها:** أن المبادرة من ضرورات اغتنام الفرص وعدم تفويتها وعدم إعطاء فرصة للخصم لإفسادها، بل هي من ضرورات البقاء والتقدم في بيئة تنافسية، الغلبة فيها لمن يُغالب ويسبق.

**ومنها:** أن إتقان المبادرة أمر مهم جداً في عامة المجالات كالمجال السياسي والإقتصادي والدفاعي وغيرها. وتعني الإستعداد للتحرك بسرعة وجدية عالية وكفاءة، وبعبارة أخرى أنك تملك السبق في التحرك بما ينفعك ويدفع الضرر عنك وفي تحريك الآخرين بهذا الإتجاه. ومن هنا كان الإمساك بـ « بزمام المبادرة أو المبادأة » أمر في غاية الأهمية، وأما فقدان زمام المبادرة فمعناه أن حركتك تابعة لحركة الآخرين. وواضح أنه كي تكون ثقافة المبادرة فعالة فإنها يجب أن تستند إلى أساس متين من الإعداد النفسي والفكري والمعرفي والوظيفي والمادي. ويمكن أن تخسر المؤسسة والدولة مصالح كبيرة بسبب تناقل الحركة الإستراتيجية وضعف المبادرة.

**ومنها:** أن الإهتمام بعنصر المبادأة يُعدّ من مستلزمات المغالبة والتحسين. وبعبارة أخرى أن المحافظة على عنصر المبادأة هو القدرة المتكررة على سبق الطرف المقابل

بإجراءات تجلب المنفعة او تدفع الشر عنا، وذلك بهدف البقاء والتقدم في بيئة خطيرة، والحكم فيها للمتقدم في المنافسة. وواضح أن فقدان عنصر المبادرة يعني انتظار ما يبدأ به الخصم، وربما نكون غير مستعدين له. وينبغي الحذر في الصراع السياسي من توهم المبادرة، فإن طرق التحريك (الإستدراج) الماكرة قد تستدرج الخصم إلى مبادأة متوقعة منه وتكون ضارة به، وهو لا يشعر أن المبادرة الحقيقية إنما كانت لخبراء التحريك. ويتصل بذلك، القدرة على المناورة او التملص او التراجع وسحب المبادرة من يد العدو الطاغى، فلا تُستدرج إلى مواجهة خاسرة ولا إلى مواجهة حسب شروط عدوك.

### الفائدة الرابعة: متطلبات منهج المبادرة. هي متطلبات عديدة:

منها: صفة الطبيب الحاذق في التشخيص والعلاج، فإنه يعتمد على قاعدة معرفية واسعة بعلامات الصحة (الحقيقية والحادثة)، تجعل الطبيب ينتبه بسرعة إلى أي خروج عن المسار الصحيح، فهو مبادر سريع الإنتباه وبصورة مبكرة إلى وجود أمر مباين للسلامة وقبل أن يتفاقم الأمر، ومبادر حاذق في جمع وتحليل الأعراض ونتائج التحريات التي يحتاجها التشخيص كي يتعرف إلى العوامل المحلية والخارجية، أي من أين جاء الداء وما هي العوامل التي تمده، ثم هو خبير بأعلى المعايير في المبادرة بعلاج المرض مع المحافظة على سلامة المريض، أي في حل المشاكل بأدنى الأضرار، ومع إجراءات وقائية تمنع التكرار. وكذلك الأمر في التشعب بعلامات صحة مسار المؤسسة ونحوها، والمبادرة في الإنتباه والتحليل حين يرى المبادر علامة مبكرة على الخروج عن الصحة. وقد تكون المبادرة في إجراءات تفاوضية او سياسية او اتفاق تبادل مصالح او عمليات تحريك او غير ذلك من أنشطة العلاقات او أنشطة الصراع. ولا يتم ذلك بإتقان إلا بوجود قاعدة معرفية جيدة ومتجددة عن حال المؤسسة وحال الطرف الآخر والعوامل المؤثرة على الطرفين والتوقعات المستقبلية، كي يمكن صياغة المبادرة وتفعيلها.

**ومنها:** صفة الصياد الماهر، فله مجالات عملية مهمة، فمن صفاته: أنه لا ينتظر أن يأتي إليه المريض كما يفعل الطبيب، أي لا ينتظر أن تُعرض عليه مشكلة كي يتعامل معها، بل هو صياد المشاكل فهو يبادر بالبحث بمهارة عن العيوب ومواطن الضعف والإخترافات والفراغات، ولا يكتفي بذلك، فهو ينصب الكمان لكشف العيوب الخفية وكبحها أو إزالتها قبل أن تتفاقم، وكذلك يتابع ملئ الفراغات قبل أن يملأها الخصوم. فبعبارة أخرى: أن من المبادرة أن تكون عمليات ردم أو إصلاح الشقوق والفجوات ليست متروكة للمصادفة أي متى ما وجدت فجوة ردمتها، بل يجب إتقان وظيفة الصياد الماهر الذي يرصد ويبادر بالبحث عن الشقوق والفجوات، الظاهرة منها والباطنة، بل ينصب الكمان للشقوق والفجوات كي تقع وينكشف حالها بلا تأخير، أي قبل أن تظهر على السطح. وتدبر حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه الإمام مسلم وغيره، وفي لفظ «المؤمنون كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسَّهَرِ» رواه مسلم أيضاً. ويُستعمل اللفظ «تداعى» بمعنى: دعا بعضه بعضاً لأجل غاية، كقولهم: تداعى القوم على بني فلان. ولكن بعد تفاقم الأمر يكون التداعي من جنس قولهم: تداعى البناء: إذا تصدَّع أو تقوَّض واذن بالإنهيار والسَّقُوط. فلا بد من رفع التعبئة الوظيفية للممارسة وظيفة الصياد: فلا يُكتفى بتغيير ما يظهر على السطح من أخطاء ونقاط ضعف، بل ينبغي ممارسة وظيفة الصياد الماهر الذي يبحث عن الأمور التي تحتاج إلى تغيير أو الثغرات التي تحتاج إلى معالجة قبل أن تصل إلى السطح، أي بزمن طويل قبل أن يتداعى الجسد كله. وهذا من مقتضيات المحافظة على اشتداد المؤسسة وإدامة مصالحها، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ ص: ٢٠، وكذلك من مقتضيات المؤسسة العصية على الإختراق والإحتواء كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾

الكهف: ٩٧. غير أن خصلة الصياد هذه يجب أن تُضبط بالشرع في توظيفها في المجتمع والمؤسسة. ومن فوائد صفة الصياد أنه ماهر مبادر أيضاً في قطف الأفكار الجيدة وتحويلها للدراسة والتوظيف. بل يستطيع بالمهارة في اصطيد المعاني من الخبرات السابقة للآخرين، أن يكتسب خبرة غير مباشرة تزيد بكثير على خبرته الوظيفية المباشرة. وكذلك يجب على الصياد أن يرصد وينقب عن التطورات العلمية والتطبيقية التي يمكن أن تؤثر على مجاله التنافسي كي لا يتأخر في اغتنامها او مواجهتها.

**ومنها:** صفة الفئان المتقن، والمقصود به هنا كل محب لعمله متفنن فيه، أي يجهد نفسه في تحسينه وتطويره وإتقان فنونه، وله فيه وجهة أو شاكلة (او بصمة) خاصة، ويمكن أن يصبح مدرسة خاصة عالية الجودة؛ ولا فرق من هذه الجهة بين أن يكون أديباً او خطاطاً او سياسياً او مهندساً او كاتباً او غير ذلك، المهم أن ملكة الإحساس عنده عالية وتظهر على أعماله آثار صورته الداخلية الفريدة، فهو لا يستطيب الجميل والجيد ولا يصبر عليه إذا كان بالإمكان فعل ما هو أجمل وأجود، وتراه ثابتاً على المبادرة للبحث عن المزيد من التحسين والتجويد. ويتصل بذلك حديث أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ**» رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي مصرحاً أنه لم يجد له علة، ورواه ابن أبي شيبة موقوفاً على ابن عباس. النهيم في الشيء شدة الرغبة والحرص والولع به، يُقال: نَهِمَ (على وزن فَرِحَ) فَهُوَ نَهِيمٌ وَنَهِيمٌ وَمَنْهُومٌ بِكَذَا، وعبارة: «**لا يشبعان**»، كناية عن عدم القبول بالتوقف عند حد معين، بل يستمر ويبادر في طلب الزيادة والتحسين والتطوير، وهذا في حق العلم لا نهاية له إلا بالوفاة، وذلك لقوله تعالى ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ طه: ١١٤، وقوله تعالى ﴿**نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ يوسف: ٧٦.

**ومنها:** صفة المُخَطِّط، فإن خطته تتحول إلى عمل تنفيذي، فهو بحاجة إلى مهارة عالية في توظيف الأفكار وتحويلها في مجال معين إلى منهج عملي قابل للتنفيذ، فلا بد له قبل التنفيذ من توجيه المبادرة إلى الثبوت من لوازم التنفيذ الحاضرة، ومن قُدْرَات تنمية الوسع مستقبلاً، ومن العقبات والمضادات المحتملة. وبعبارة مختصرة، لا بد من توجيه المبادرة إلى رؤية كل ما يمكن أن يؤثر على الخطة من العوامل الداخلية والخارجية، وسواء كان التأثير المحتمل على الشروع في التنفيذ او على المسار التنفيذي او على الهدف بعد تحقيقه، وكيف يمكن السعي لإزالة العقبات او تقليلها او تقليل خطورتها. وقد تكون خبرة المخطط العملية في السياسة او الدفاع او الصحة او التعليم او غيرها، فهو في كل ذلك يحتاج إلى أفق واسع في الرؤية الافتراضية للملابسات المحتملة للتنفيذ العملي والفوارق بين مضامينها، وذلك لتبصير المنفذين بما هو من مجاهم وما ليس من مجاهم وكيف يكون التعامل مع كل ذلك، ولكن مع قُدْر من المرونة. وأما القيادة التنفيذية العليا في مجال الهدف، فالفترض فيها الأهلية العالية للتفاعل مع مطارحات مجموعة تصميم الهدف والتخطيط له من أجل التوصل إلى أفضل قرار.

**ومنها:** الإستجابة السريعة بالدخول في فهم الأمر وما يحتاجه من دراسة وتحليل كي يكون التنفيذ على بصيرة. والإستجابة في العربية هي تلبية نداء الخير او الشر، او تلبية الرغبة والحاجة، وقد قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّيَ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ: « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِنِي؟ »، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: « أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ » رواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود وغيرهم؛ وتدبر ما يدل عليه الحديث من سرعة

الإستجابة لما يحيننا وبلا تأخير حين يكون الحال واضحاً، فإن المنادي هنا هو رسول الله نفسه ﷺ. والأمور التي تحيي الإنسان هي ضرورات الحياة عموماً من العقائد والشرائع والمعالي والمنافع ودفع المضار، بالإضافة إلى جملة من الحاجيات والتحسينيات التي تساعد الضروريات. يُقال: أَحْيَا الْقَوْمَ ، أي حَسَنْتُ حَالُ مَوَاشِيهِمْ. ومنه الخبر: «أَحْيُوا مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ» أَيِ اشْغَلُوهُ بِالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ، وَلَا تُعْطَلُوهُ فَتَجْعَلُوهُ كَالْمَيْتِ بَعْطَلْتَهُ. وتدبر ضبط هذا المجال حين تتزاحم المصالح كما يدل عليه الإنكار في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تَجَحُّرًا أَوْ هَوًّا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ الجمعة: ١١. وقد ذكرنا في (نخبة المسار) بعض التفاصيل عن الإستجابة.

**ومنها:** المهارة والمبادرة في اصطيد وإنتاج وإنضاج الأفكار، وقد تقدم بيانه في المبحث الثالث تحت عنوان: «مهارة إنتاج وإنضاج الأفكار».

## أكتساب صفة

### المبادرة والسبق بالخيرات:

قال تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴿ المؤمنون: ٥٧ - ٦١. تبين الآيات الأوصاف التي توصل المؤمن الى مرتبة السابقين، فمن فوائد هذه الآيات:

**الفائدة الأولى:** الخشية والإشفاق كما في عبارة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ

﴿ مُّشْفِقُونَ ﴾.

**(أما الخشية):** فإنها تتضمن الخوف المناسب لأوصاف ما نخشاه، فيمكن أن

تكون الخشية خوفاً محضاً أي مطلق الخوف، نحو قوله تعالى ﴿... وَتَجَرُّهُ تَخَشُّونَ كَسَادَهَا ...﴾ التوبة: ٢٤، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ طه: ٩٤. وأما خشية الله تعالى، فهو شعور مركب مما توجه به صفات الله تعالى. يوضح ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨، فتدبر المبالغة أو الحصر بأن العلماء من المؤمنين هم الذين يخشون الله تعالى لأن معرفتهم قوية بصفات الله تعالى وبدينه عز وجل. ولذلك قال الراغب: الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه، ولذلك خصَّ العلماء بها. اهـ من (المفردات)؛ وصرح ابن القيم في (مدارج السالكين) أن الخشية خوفٌ مقرونٌ بمعرفة. اهـ. يؤيد ذلك الثناء الكبير على أهل الخشية كما في نحو قوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ق: ٣١ - ٣٣. وقال تعالى ﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة: ٨. ويمكن أن يُستعمل الخوف بمعنى الخشية، كما في نحو قوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الرحمن: ٤٦، فمن خاف مقام ربه أعلى درجة ممن غلب عليه خوف الوعيد، لأن قلب الأول متفاعل مع مضامين مقام الله تعالى، فهو في معنى الخشية، والله تعالى أعلم.

**(وأما الإشفاق):** فقال ابن منظور: وَالشَّفَقُ وَالشَّفَقَةُ: رِقَّةٌ مِنْ نُصْحٍ أَوْ حُبٍّ يُوَدِّي

إِلَى خَوْفٍ. اهـ. وقال: وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا مُشْفِقٌ وَشَفِيقٌ، وَإِذَا قُلْتَ: أَشْفَقْتُ مِنْهُ، فَإِنَّهَا تَعْنِي حِدْرَتَهُ، وَأَصْلُهَا وَاحِدٌ. اهـ من (لسان العرب). ومن جميل شعر العرب:

إذا تذكرتِ بنتي حين تندبني فاضت لِعَبْرَةٍ بِنتي عبّرتي بدم



أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُلِمَّ بها      فيهتكِ السترَ عن لحمٍ وعن وِصْمٍ  
تهوى لِقائِي وأهوى موتها شفقاً      والموتُ أكرمُ نزالٍ على الحُرْمِ  
أي أهوى موتها شفقاً عليها من عواقب الفقر.

فمعنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾، أي هم من خشية ربهم في الدنيا مشفقون على أنفسهم أن يكونوا مقصرين في خدمة الدين والإعداد للآخرة؛ وهذا يدفعهم إلى العمل والإستباق والتقويم والتصحيح. ومن هذا المعنى كلام أهل الجنة كما في قوله تعالى ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ الطور: ٢٥-٢٧، فتدبر أنه بسبب الإشفاق من خشية الله تعالى من الله عليهم بثواب الآخرة.

والإشفاق الذي يُقَرَّب إلى الله تعالى درجات، قال أبو إسماعيل الهروي: الإشفاق دوام الحذر مَقْرُونًا بالترحم وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ. الدرجة الأولى إشفاق على النَّفْسِ أَنْ تَجْمَحَ إِلَى الْعِنَادِ وَإِشْفَاقٌ عَلَى الْعَمَلِ أَنْ يَصِيرَ إِلَى الصِّيَاعِ وَإِشْفَاقٌ عَلَى الْخَلِيقَةِ لِمَعْرِفَةِ مَعَاذِيرِهَا. والدرجة الثانية: إشفاق على الْوَقْتِ أَنْ يَشُوبَهُ تَفَرُّقٌ وَعَلَى الْقَلْبِ أَنْ يَزَاحِمَهُ عَارِضٌ وَعَلَى الْيَقِينِ أَنْ يَدَاخِلَهُ سَبَبٌ. والدرجة الثالثة: إشفاق يصون سَعْيِهِ مِنْ الْعُجْبِ وَيَكْفِ صَاحِبَهُ عَنِ مَخَاصِمِ الْخُلُقِ وَيَحْمِلُ الْمُرِيدَ عَلَى حِفْظِ الْحُدُودِ مِنْ (منازل السائرين).

فينبغي أن يكون المؤمن مشفقاً على نفسه مما قدم لغد، ومدى حاجته للتغيير والتحسين في أجواء التنافس والمغالبة، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا ﴾ اللَّهُ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿ الحشر: ١٨، الغد هو اليوم الذي يلي يومك، والعرب تكني عن المستقبل بالغد كما ذكر القرطبي وغيره، وتنكير «غد» ينبه إلى الإطلاق أو العموم في أيام المستقبل لأن كل يوم من أيام المستقبل هو غد لليوم الذي سبقه. وفي هذا

تقريب للمستقبل وكأنه غدك، ويمكن لذلك استعارة قول الشاعر: «إن غداً لناظره قريب». وهذا مثل التعبير عن الماضي بالأمس، قال تعالى ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤.

وهذا بخلاف حال الظلمة والمجرمين، فإنهم لا يشفقون على أنفسهم من خشية ربهم إلا بعد أن يُبعثوا، فلا ينفعهم الإشفاق، قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا....﴾ الكهف: ٤٩، وقال تعالى ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ الشورى: ٢٢. وسبب ذلك أن إشفاقهم في الدنيا لم يكن من خشية الله تعالى، ولكن كانوا يبالغون في الإشفاق خشية أن يقلّ ما لهم أو تقل متعتهم وهوهم أو تعترضهم مصاعب دنيوية، أو كما عبّر بعض السلف أنهم قد غمرهم الإشفاق رهبة الإملاق.

**الفائدة الثانية: الإيمان،** كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَتَّيَنَت رِبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾. فمما ذكرناه في (ثمار التنقيح) أن الإيمان بالشيء في العربية هو: الاعتقاد الذي تقتضيه صفات الشيء الذي نؤمن به، فالإيمان بالواحد الذي لا إله إلا هو يقتضي قبول عبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ<sup>٤</sup> قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٣. والإيمان بالرب الذي لا رب سواه يقتضي قبول القلب لأمره وتسليم الأمر إليه والكفر بأعدائه، وإن كان العمل بذلك ضعيفاً. وهكذا يُقال في سائر صفات الله تبارك وتعالى. بيان ذلك أن الألفاظ العربية لا توجد مجردة إلا في المعاجم والقواميس، والتي يقتصر بعضها على المعنى المشترك دون الزيادات واللوازم التي يقتضيها الإستعمال، وذلك من

أجل الإختصار واعتماداً على فهم القارئ. وأما في لغة لعرب التي نزل بها القرآن فلا توجد الألفاظ إلا ضمن كلام مفيد ومقيدة بقيود يقتضيها الإستعمال.

فالإيمان بآيات الله تعالى يتضمن اتباع ما فيها، وتحقيق الغاية من إنزالها، ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الطلاق: ١٠ - ١١، فعلى قدر قوة الإيمان يحصل الخروج من الظلمات إلى النور.

يوضح ذلك أن «الإيمان» قد يراد به في الإستعمال القرآني الإيمان الذي أدى إلى القيام بالواجبات وخدمة الدين، وليس مجرد الدخول في الإسلام، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥، فتدبر صيغة الحصر او المبالغة في عبارة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ﴾. وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٧٤، فتدبر عبارة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فلو كانت العبارة: أولئك مؤمنون حقاً، بتنكير المؤمنين، لجاز أن يشمل الوصف مؤمنين آخرين بأوصاف مغايرة، غير أن العبارة القرآنية خاصة بأولئك وبمن كان بمنزلتهم.

فهذا النوع من الإيمان هو الذي يؤهل لتحصيل السبق والمسارة بالخيرات. وأما الإيمان الذي هو مجرد قبول الإسلام والدخول فيه، فهو إيمان صحيح ولكنه دون الإيمان المذكور قبل قليل، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في (ثمار التنقيح على فقه الإيمان).

## الفائدة الثالثة: السلامة من الشرك، كما في عبارة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا

يُشْرِكُونَ ﴾. فتدبر أن العبارة جاءت بجملة فعلية في سياق النفي، وهي كالنكرة المنفية تفيد العموم في نفي الشرك الجلي والشرك الخفي. الشرك في العربية هو أن يجعل الشيء لاثنين فصاعداً، فيستويان أو يشتركان في صفة معينة أو حق معين أو فعل معين أو غير ذلك، فالشرك ضد التوحيد والإخلاص والإسلام. يُقال: شاركت فلاناً: صرتُ شريكه، واشتركتنا وتشاركتنا في كذا. قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلُوبًا تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ الزمر: ٨، الند هو الشريك في أمر مهم، وشأن الله في غاية الأهمية كله: صفاته ودينه وحقوقه على عباده. فكل من اعتقد نداً لله تعالى في حق من حقوقه عز وجل أو في صفة من صفاته فقد أشرك، سواء عبد الطواغيت أو الأصنام أو غيرها، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في (ثمار التنقيح على فقه الإيمان)، ونحتاج هنا إلى تفسير مختصر لآيتين لهما صلة بما نحن فيه من الاستباق، وإلى ذكر أحاديث توضح حقيقة الشرك الخفي أو الشرك الأصغر، فإن المسلم قد يقع فيه؛ ويُسمى بالشرك الأصغر لأن صاحبه يبقى في دائرة الإسلام وليس مرتداً، ولكنه ذنب عظيم.

وفي القرآن والسنة إيضاحات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ ١١٢ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ ١١٣ ﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيَّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ

شَيْءٍ ﴿ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٤، «المحيا» و«الممات» مصدران ميميان يجسدان أحداث الحياة والموت، وأمثال ذلك «المنقلب» فإنه يجسد أحداث الأنتقلاب إلى نهاية المسار، وكأنها اجتمعت في المنقلب؛ وكذلك «المصير» فإنه يجمع مضامين الصيرورة إلى منتهاها؛ وكذلك المصدر الميمي في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ النجم: ٣٠، فكأن ذلك هو كل وغاية ما يمكن أن يصلوا إليه من العلم. وعلى ذلك، فإن عبارة ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾،

تتضمن أحداث الحياة والموت. ولإيضاح ذلك على طريقة النحاة، يمكن حمل المعنى على مضاف محذوف، تقديره: أعمال الحياة وأعمال الموت، يؤيد ذلك أن عبارة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تتعلق بما قبلها كله، فكما يجب على المكلف أن يجعل صلواته كلها لله لا شريك له، ونسكه كله لله تعالى لا شريك له، فكذلك الحكم في أعمال الحياة كلها وأعمال الإعداد للموت كلها، والصيغة في الألفاظ الأربعة صيغة عموم لأنها نكرات مُعرّفة بالإضافة. ويؤكد كل ذلك عبارة: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾، أي ذلك كله وجب عليّ أن أفعله. فلو كان ما سبق ذكره خبراً محضاً، لكان المناسب أن يُقال: وبذلك أُخبرت أو بذلك آمنت. معنى ذلك أن الخبر في آية الأنعام هو خبر عن حكم الشرع وليس خبراً عن واقع الحال. والمقصود هنا أن العمل لله تعالى يشمل مجالات الحياة كلها، الإجتماعية والتعليمية والثقافية والسياسية والإقتصادية والأمنية والدفاعية وغيرها، وكذلك التخطيط للموت كما يوضحه نحو قوله تعالى ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّى لَّهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣) يَقُولُ يَلْتَنِنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ الفجر: ٢٣ - ٢٤؛ ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢. وكثير من الناس يفهمون كيف تكون الصلاة والصيام والحج والصدقة لله تعالى، ولكنهم لا يفهمون كيف يكون لله تعالى ما يأخذون عليه خيراً أو ربحاً في الدنيا من تجارة أو صناعة أو زراعة أو مهنة كالـتعليم والطب والهندسة والإدارة وغيرها من أعمال الحياة. والذي أفهمه من آية الأنعام أن الخير من أعمال الحياة كلها ينبغي أن يكون لله تعالى بما في ذلك أخذ الأجرة والربح على العمل، فإنه العدل والنظام الضروري لأعمال الحياة، خاصة إذا اقترن بالإجادة والإتقان وباجتناب الإثم، وينبغي للمؤمن أن يستحضر النية وأن يدرّب نفسه على هذا الأمر. يؤيد ذلك حديث أبي ذرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا

أَجْرٌ؟ قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَصَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَصَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » رواه مسلم وغيره في سياق حديث، ومعنى «بضع أحدكم» أي موافقة زوجته.

فلما كانت أعمال الحياة كلها يجب أن تكون لله رب العالمين لا شريك له كما نفهمه من عبارة ﴿ وَحَيَاةٍ وَمَمَاتٍ ﴾، وذلك على أقل تقدير بنية الإقبال على الحلال لأنه حلال، والإبتعاد عن الحرام لأنه حرام عند الله، وبنية فعل الواجبات طاعة لله تعالى ولخدمة دينه، فإن الشرك الخفي هو أن يقوم الإنسان بعبادة أو بأمر من أمور طاعة الله تعالى لا شريك له، فيجعل بعضه لغير الله. مثال ذلك أن يُحسِّن المسلم صلاته كي يظن الآخرون خشوعه، أو يتصدق كي لا يُقال: بخيل. وهذا هو الرياء وهو من الكبائر، وقد قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ الماعون: ٤ - ٧، وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ١٤٢.

وأيضاً، فإن من يجعل أعمال حياته والإعداد لموته، يجعلها لله تعالى فإنه يحتاج إلى كثير من التفكير كي ينظم حياته فلا يؤدي تراحم الأعمال إلى الفوضى، ويحتاج إلى تفكير بالأولويات وباغتنام الفرص في تنمية الخير وخدمة الدين. ومن هداه الله إلى ذلك، فإن يبلغ منزلة السابقين بإذن الله تعالى.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ البينة: ٥، قال الراغب: الخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه،

ويقال: خَلَّصْتَهُ فَخَلَّصَ، فحقيقة الإخلاص: التبرّي عن كل ما دون الله تعالى. اهـ من (المفردات). وقال ابن عاشور: وَالْإِخْلَاصُ: الْإِمْحَاضُ وَعَدَمُ الشُّوبِ بِمُغَايِرٍ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْإِفْرَادَ. وَسُمِّيَتِ السُّورَةُ الَّتِي فِيهَا تَوْحِيدُ اللَّهِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ، أَيِ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ. اهـ من (تفسير سورة الزمر). ومن هذا المعنى نحو قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٩٤، معنى ذلك أن أعمال الدين يجب أن تكون كلها لله تعالى لا شريك له.

**ومنها:** حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.» رواه مسلم والنسائي في (الكبرى). فهو لاء أصابهم نصيب كبير مما ذكره الله تعالى

في قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان: ٢٣. وليتذكر المؤمن دائماً حديثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّهَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَىٰ

امراً ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه « رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، والسياق من البخاري.

**ومنها:** حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه.» رواه مسلم. فينبغي للمؤمن في عمله المهني أن يجيد ويتقن العمل إرضاءً لله تعالى، وليس ترفلاً للمدير او للمسؤول؛ وإن لم يكن هذا نفاقاً، فإنه شروع في طريق النفاق.

**ومنها:** حديث محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال «الرياء، إن الله يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم ترأون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً» رواه الإمام أحمد بإسناد جيد كما ذكر الحافظ المنذري؛ ومحمود ابن لبيد مختلف في صحبته، إلا أن الحديث قد رواه أيضاً الطبراني عن محمود عن لبيد عن رافع بن خديج، وإسناده جيد كما ذكر المنذري في باب التهيب من الرياء من (الترغيب والترهيب، ٦٨/١-٦٩).

وعن يعلى بن شداد ابن أوس، عن أبيه ﷺ قال «كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

**ومنها:** حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به.» رواه مسلم والبخاري. أي من أسمع الناس عن نفسه وأراهم عمله رياءً، فإن الله تعالى يجعل الناس يسمعون ويشهدون رياءه او معاييه. وقد يكون ذلك في الدنيا، ولكنه واقع قطعاً في الآخرة، ففي رواية «من سمع سمع الله به يوم



الْقِيَامَةِ» رواه البخاري. وفي حديث آخر « مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ» رواه الإمام أحمد.

**ومنها:** حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: إن لي صرة فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » رواه مسلم والبخاري وأبو داود وابن حبان وغيرهم. يشمل الحديث كل من يظهر تحصيل فضيلة من علم أو غيره أو التشبع منها وهو ليس كذلك، فهذا يلبس ثوبين من الكذب، فإنه يكذب على الناس ويكذب على المعطي. ويشمل هذا الحديث كل من يُجَادع بكفاءة ليست فيه أو بتدين خلاف باطنه أو بمزايا قد تعرى منها.

**ومنها:** حديث أبي موسى، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعةً ويُقاتل حميةً ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رواه مسلم والبخاري وغيرهما. فإذا كانت الحمية أو العصبية الدنيوية ظاهرة على المقاتل وليست مطلية بطلاء الدين فإنها مذمومة جداً، ولكنها باب خاص غير باب الرياء. والذي يكون من نوع الرياء وأشد هو العصبية للتيارات الفكرية والفقهية والمذهبية والحزبية. ونوع الرياء فيه، أن المتعصب يُظهر عصبية بمظهر الدين، وإن كانت مجرد عصبية للمخلوق أي لما أحاط به من هذه التيارات. وأما ما هو أشد من الرياء، فذلك حين يبدأ المتعصب باختراع التبريرات والمسوغات المطلية بطلاء الدين، من أجل تلميع قاداته وحزبه وتغيب الصورة الواضحة للحق؛ فيدخل بذلك في معنى كتان الحق وتسويق الباطل، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَبَاتِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ البقرة: ١٥٩ - ١٦٠، وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا  
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ فاطر: ٨. ثم يتفاقم الأمر حين تتحول  
التبريرات والمسوغات المفتعلة إلى فناعات لا أساس لها من الشرع، ولكن من ظلام  
النفس واتباع الشيطان؛ وهذا ما وقعت فيه بعض الأمم السابقة، كما يوضحه قوله تعالى  
﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ آل عمران: ٢٤.

**ومنها:** حديث ابن عباس: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ، فَقَالَ:  
مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدَّهُ » رواه  
النسائي (في السنن الكبرى) وأحمد وابن أبي شيبة، وفي لفظ « جَعَلْتَ لِلَّهِ نَدًّا بَلْ مَا  
شَاءَ اللَّهُ وَحَدَّهُ » رواه الطبراني (في المعجم الكبير).

**ومنها:** حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ  
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحجرات: ٤، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « ذَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » رواه الترمذي  
والنسائي في (الكبرى) وصححه الألباني، ورواه ابن جرير الطبري بإسناد جيد متصل،  
كما ذكر ابن كثير في السيرة. ولهذا الحديث رواية أخرى من طريق صحابي آخر عند الإمام  
أحمد وابن أبي شيبة. وهذا حديث في غاية الأهمية، فإن الثناء بخير أو بشر إنما تكون له  
قيمة إذا استند إلى الشرع. ومن المأثور أن « ما رفعه الدين لا تضعه الدنيا، وما رفعته الدنيا  
عادت عليه فوضعتة ». فمن توهم أن حمده زين وأن ذمه شين لأنه ماهر في صناعة الكلام  
أو في ترويج الإشاعات، فإنه ينازع الله تبارك وتعالى كما هو واضح من الحديث. ومن تدبر  
سيرة عثمان وعلي رضي الله عنهما يجد أن المطاعن الباطلة فيها ملأت البلاد في عهدهما،

فلم يبق لتلك المطاعن أدنى قيمة، وبقي عثمان وعلي من كبار رواة القرآن الكريم عن النبي ﷺ، والأمة كلها تحتاج إليها وإلى أمثالهما إلى قيام الساعة، ولكن تحولت المطاعن بالحق على من أطلقها متعمداً.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ الشعراء: ٤٤، وعن سعد بن عبيدة، قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَحَلَفَ رَجُلٌ بِالْكَعْبَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَيْحَكَ لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً الألباني.

وعن ابن عباس ، قال: الْأَنْدَادُ هُوَ الشَّرْكَ ، أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةُ وَحَيَاتِي ، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ ، لَا تُجْعَلُ فِيهَا فُلَانًا فَإِنَّ هَذَا كَلْبُهُ بِهِ شِرْكٌ. رواه ابن أبي حاتم، ونقله عنه ابن كثير وغيره.

### **الفائدة الرابعة:** العطاء، وإدامة وتحسين العطاء. فلنتدبر عبارة ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا

ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ ، قراءة عامة القراء متفقة على قراءة ﴿ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا ﴾ ، من الإيتاء أي العطاء. والمعنى: يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا ، سواء كان عطاءً مالياً أو غيره، فمن العطاء المالي نصوص إيتاء الزكاة ونحوها، ومن العطاء غير المالي نحو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٥٣، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١، وقوله تبارك

وتعالى ﴿ فَفَهَّمْنَهَا سَلِيمًا وَكَلَّمَ آدَمَ إِذْ جَعَلَهُ مَعَ نُوحٍ وَأَنبَأَ حُكْمًا وَعَلَّمَكَ ﴿ الأنبياء: ٧٩، وقوله تعالى  
﴿ وَآتَاكَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ البقرة: ٢٥١.

وأما كلمة ﴿ وَقُلُوبَهُمْ وَجِلَّةٌ ﴾، أي خائفة، فالوَجَلُّ هو الخوف كما في (تهذيب اللغة)  
او الفزع كما ذكر ابن سيده وابن منظور، من: وَجَلَّ يُوَجِّلُ وَجَلًّا فَهُوَ وَجِلٌّ، وَالْأُنْثَى:  
وَجِلَّةٌ، وَقَوْمٌ وَجِلُونَ.

فمعنى الآية أنهم يعطون ما أعطوا من خدمة الدين وعطايا الخير، وقلوبهم وجلة أنهم  
إلى ربهم راجعون، فهم خائفون من الذنوب ومن التقصير. ومجال التقصير واسع جداً،  
واحتمالات حصول التقصير كثيرة. وخاصة حين نتعامل مع فرض المصابرة والمرابطة،  
فقد قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠، الآية الكريمة مطلقة في الأمر بالمصابرة والمرابطة  
أي المغالبة او المنافسة والإستباق، سواء كان ذلك في الواجبات العلمية او العملية، وقد  
سبق بيان ذلك في المبحث الثاني تحت عنوان «تركيز التفكير». ومما ذكرناه أن معنى الآية  
يشمل أمرين، الأمر الأول: غالبوا أنفسكم، أي غالبوا عوامل الملل والركود والتفلت.

الأمر الثاني: غالبوا خصومكم في الصبر على مقتضيات المنافسة والمواجهة. ولما كان  
أفق المنافسة عالمياً، فإن قلب المؤمن العاقل يكون دائماً وجلاً أن يكون قد أخذ من الراحة  
أكثر مما ينبغي، او يكون قد قصر في إعطاء قواعد التفكير حقها او قصر في فحص أداء  
المنافسين والخصوم، او غير ذلك من مداخل الخطأ والتقصير. وينبغي لوَجَلَّ المؤمن أن  
يقترن بالرجاء والأمل وليس باليأس، فإن رحمة الله تسع كل شيء للذين يتقون، فقد علمنا  
النبي ﷺ سيد الإستغفار، وفيه « أعوذ بك من شر ما صنعت »، ويشمل هذا الدعاء  
أن يعيدنا الله من نتائج وآثار الأخطاء والتقصير، وأن يبدل الله سيئاتنا حسنات وأن يبدل  
ضعفنا قوة. غير أن هذه المحاسن لا تترمي على من آثر الراحة وابتعد عن الجهد والنصب،

ولكن يسرها الله تعالى ويأتي بأسبابها، لمن اختار النصب واجتهد، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩، والمحسنون هم المجيدون في التفكير بالخير والعمل به. وقال تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ النجم: ٣٩-٤١.

وحاصل ذلك أن العطاء او عمل الخير، ينبغي أن يقترن بمكافحة أسباب الخطأ والتقصير، وكذلك مكافحة أسباب فشل التحسين المستمر وعدم التفوق في كل واجب قائم على المنافسة والمغالبة. ونختتم هذه الفائدة بقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَةٌ فَاسْتَخِيرُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ البقرة: ١٤٨.

### الفائدة الخامسة: تحصيل السبق والمسارة في الخيرات. فتدبر عبارة ﴿ أُولَئِكَ

يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، أي: أصحاب الصفات المذكورة يسارعون في الخيرات وهم سابقون. وتوجد أمور توضح معاني العبارة:

(الامر الأول): اسم الإشارة «أولئك» يرجع إلى كل من سبق ذكره. يوضح الأمر

أن ننظر من جديد إلى الآيات الخمسة، وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾، فإن اسم ﴿ إِنَّ ﴾، هو ﴿ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ وما عطف عليه إلى قوله تعالى: ﴿ رَاجِعُونَ ﴾، وخبر الجميع هو: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، وهذا قول او معنى قول الطبري ومكي في (مشكل إعراب القرآن) والمنتجب الهمداني في (الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد) وأبي حيان

والمراغي وابن عاشور في تفاسيرهم، وقول غيرهم أيضاً. يؤكد ذلك تكرار الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ بعد الواو في الجمل العطفية، ويفيد ذلك شمول أصحاب كل جملة بـ: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ...﴾. فلو كان السياق: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وهم بآيات ربهم يؤمنون وهم...، أي بدون تكرار الاسم الموصول، لكانت صفات متعددة لجماعة واحدة. قال ابن عاشور: وَتَكَرُّرُ أَسْمَاءِ الْمُوصُولَاتِ لِإِلَهْتِمَامِ بِكُلِّ صِلَةٍ مِنْ صِلَاتِهَا، فَلَا تُذَكَّرُ تَبَعًا بِالْعَطْفِ. وَالْمَقْصُودُ الْفَرِيقُ الَّذِي أَتُصَفُّوا بِصِلَةٍ مِنْ هَذِهِ الصَّلَاتِ. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وربما يظن بعضهم أنها أربع صفات بينها تفاوت، فكيف تؤدي كلها إلى نتيجة واحدة وهي المسارعة في الخيرات والسبق لها؟ والجواب وبالله تعالى التوفيق: أنه توجد صفات وأعمال تؤدي إلى غيرها، نحو قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ إِنَّكَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ العنكبوت: ٤٥. فكل صفة من الصفات المذكورة في الآيات الأربع تؤدي إلى نفس مرتبطة بقوة بالله تعالى وبدينه، بسبب الإشفاق من خشية الله، أو من طريق الإيمان القوي بالله تعالى، أو من طريق اجتناب الشرك كله جليه وخفيه واجتناب فروع الشرك الخفي، فأعمال المؤمن كلها لله تعالى كما ذكرنا في معنى قوله تعالى ﴿وَحَيَاةٍ وَمَمَاتٍ﴾، أو من طريق عطايا الخير والإزدياد منها خوفاً من عدم الكفاية كما تنبه إليه عبارة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

**(الأمر الثاني):** معنى عبارة ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، كلمة «يسارعون» صيغة مفاعلة بين طرفين أو أكثر، مثل: نازع وخالط وحاسب وصاحب وغالب؛ فإما أن تُحمَل على هذا الأصل، ويكون معنى يسارعون أي يسابقون الآخرين في فعل الخيرات؛ وإما أن تُحمَل على مفاعلة ذاتية، أي يسابقون دوافع الإبطاء والتراخي في أنفسهم وفي

العوامل المؤثرة عليهم. وهذا أصح من قول من أغفل بصيغة المفاعلة وزعم أن يُسارعون بمعنى يُسرعون، وقد نقل القرطبي وأبو حيان عن الزجاج أن «يسارعون» أبلغ من «يسرعون». وفي جميع الأحوال فإن الإسراع يستلزم رغبة شديدة في فعل الخير، بل أشد الرغبة كما هي عبارة الزمخشري؛ ويستلزم كذلك مكافحة ومقاومة عوامل الإبطاء والتراخي. وتدبر ذكر الخيرات بصيغة الجمع التي تنبه إلى أن المسارعة في هذا المجال تؤدي إلى فعل خيرات كثيرة.

**(الأمر الثالث):** معنى عبارة ﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾، أما اللام في «لها» فهي للإختصاص أو الإستحقاق أو التملك بحسب معنى السياق، ويشمل ذلك إيصال المعنى إلى جهة معينة أي خاصة، كإيصال السبق إلى ضمير الخيرات هنا، وسواء كانت اللام مكسورة مع الإسم الصريح أو اسم الإشارة، نحو قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة: ٢٨٤؛ أو كانت مفتوحة مع الضمير، نحو قوله تعالى ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلِيلٌ﴾ البقرة: ١١٦. وأما الضمير في «لها»، فإنه يعود على «الخيرات»، كما هو واضح، ولا حاجة إلى إعادة الضمير إلى معانٍ مُفترضة. وأما كلمة «سابقون»، فالسابق هو الذي يصل بالخيرات قبل غيره، فهو اسم للفاعل الذي حقق السبق، هذا هو الأصل أو الظاهر في الإسم المحض للفاعل (الاسم المشتق في مباحث الأصوليين). ومثل هذا التركيب قوله تعالى ﴿أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ هود: ٢٨، فعبارة «كارهون» اسم للفاعل وتفيد حصول الكره في ذلك الوقت؛ وكذلك قوله تعالى ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ الأنبياء: ٥٢. ويمكن بدلالة قرينة استعمال اسم الفاعل للحدث المستقبلي، وهو مجاز عند عامة الأصوليين، ويدل إما على تحقيق الحدث، ولكن في المستقبل، كقوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهُ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿ الأنبياء: ٩٨، او يدل على إرادة تحقيق الهدف مستقبلاً، كقول القائل: إني فاعل ذلك لك، أي فاعله إن شاء الله لك او لأجلك. ويمكن أيضاً أن يدل السياق على أن الفاعل كان فاعلاً في الماضي، وهو يدل أيضاً على أن الحدث حصل وكان موجوداً، ولكن في الماضي، كقوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ الشعراء: ٢٠٨. وأما عند غياب ما يدل على المستقبل او الماضي، فإن اسم الفاعل يُعبر عن حصول وتحقيق الفعل ووجوده من قبل الذين ذكرهم النص، وليس مجرد التحرك إليه.

وقد ادعى أبو حيان رحمه الله أن عبارة ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، معناها: وهم إليها سابقون، وهذا ليس بصحيح لأنه يغير المعنى بلا دليل. فإن تقدير: وهم إليها سابقون، يقبل معنى أنهم لا يزالون في طريق الاستباق قبل بلوغ الغاية. ففي قوله تعالى ﴿ كُلُّ يَوْمٍ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لقمان: ٢٩، قال العلامة فاضل صالح السامرائي: معناه لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له. اهـ من (معاني النحو ٣/ اللام). وأما اللام في عبارة ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، فهي لام الإختصاص والتملك وما يتفرع منها، وهي متوافقة مع اسم الفاعل في إفادة تحقيق السبق، فالعبارة خبر عنهم يبين مهارتهم في تحقيق الهدف.

وحاصل كل ذلك، أن عبارة ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾، تدل على المسارعة في السعي في الخيرات، وأما عبارة ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، فتؤكد أنهم ساروا بقوة وتخطيط وإعداد، فنجحوا في مسعاهم وسبقوا في تحقيق ما يهدفون إليه، فصفة العطاء غالبية عليهم.

وتوجد أقوال للمفسرين تجري على معنى ما ذكرناه وذكره الزمخشري، قال الماتريدي: يحتمل، أي: سبقوا أولئك الكفرة بها. اهـ، وقال الرازي: فَالْمَعْنَى فَاعِلُونَ



السَّبَقُ لِأَجْلِهَا أَوْ سَابِقُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهَا أَوْ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ أَيَّ يَنَالُونَهَا قَبْلَ  
الْآخِرَةِ حَيْثُ عَجَّلَتْ هُمْ فِي الدُّنْيَا. اهـ، وقال أبو البقاء العكبري: قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾؛ أَيَّ لِأَجْلِهَا. وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ: وَهُمْ يُسَابِقُونَهَا ؛ أَيَّ يُبَادِرُونَهَا ؛ فَهِيَ فِي  
مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ؛ وَمِثْلُهُ: ﴿ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٦٣، أَيَّ لِأَجْلِهَا وَإِيَّاهَا يَعْمَلُونَ.  
اهـ، وقال ابن عاشور: وَمَعْنَى وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ أَنَّهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِي الْإِكْتَارِ مِنْ أَعْمَالِ  
الْحَيْرِ، فَالسَّبَقُ تَمَثُّلٌ لِلتَّنَافُسِ وَالتَّفَاوُتِ فِي الْإِكْتَارِ مِنَ الْحَيْرَاتِ بِحَالِ السَّابِقِ إِلَى الْغَايَةِ،  
أَوْ الْمَعْنَى وَهُمْ مُحْرَزُونَ لِمَا حَرَصُوا عَلَيْهِمْ، فَالسَّبَقُ مُجَازٌ لِإِحْرَازِ الْمَطْلُوبِ لِأَنَّ الْإِحْرَازَ مِنْ  
لَوَازِمِ السَّبَقِ. اهـ.

ومن باب السبق أيضاً، قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا  
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ  
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢، أي: ومنهم من حقق السبق بإذن الله، أي بفضل الله  
وتوفيقه. ولو كانت العبارة: متسابقون او مستبقون لجاز أن يُقال إنهم في طريق  
الإستباق.

**(الأمر الرابع):** تحقيق الهدف، نعود إلى عبارة ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، أي حققوا  
السبق وبلغوا غايتهم كما ذكرنا قبل قليل، معنى ذلك أن الثناء العظيم وما يتبعه من أجر  
ليس مقصوراً على السير في الطريق بصرف النظر عن تحقيق او عدم تحقيق الهدف، بل  
يشمل بدرجة كبيرة تحقيق الهدف. معنى ذلك وجوب بناء مهارات تحقيق الأهداف وما  
تقتضيه من جودة التفكير والإعداد والتخطيط. وهذا أمر في غاية الأهمية، فإن مقولة:  
«علينا بالعمل، والنتائج على الله»، قد تؤدي إلى مفاهيم خاطئة، منها إغفال ربط النتائج  
بالأسباب، علماً أننا مأمورون بإعداد الأسباب لتحقيق النتائج. فقد قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... ﴿ الأنفال: ٦٠، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ  
لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ التوبة: ٤٦.

وتدبر قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴾ عبس: ٢٣، فإنه إنكار شديد على من لم يقض  
ما أمره الله. وقضاء الشيء هو إحكامه والفراغ منه أي فعله وإتمامه؛ ومنه قوله تعالى  
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ النساء:  
١٠٣، أي إذا فعلتم واتمتم الصلاة فأذكروا؛ وقضى فلان طوافه أي فعله وأتمه، وقال  
تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ القصص: ٢٩، أي أتم أجل العمل  
وفرح منه. وقال الأزهري: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَىٰ  
الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ الأنعام: ٨؛ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: مَعْنَى قَضَى الْأَمْرَ: أُنْتَمَّ إِهْلَاكُهُمْ.  
قَالَ: وَقَضَى فِي اللُّغَةِ عَلَى ضُرُوبٍ كُلِّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَتِمَامِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ  
جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ الأنعام: ٢، مَعْنَاهُ: ثُمَّ حَتَمَ بِذَلِكَ وَأَتَمَّهُ. وَمِنْهُ الْأَمْرُ،  
وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الإسراء: ٢٣، مَعْنَاهُ: أَمْرٌ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ قَاطِعٌ  
حَتَمَ. اهـ من (تهذيب اللغة). وقال ابن فارس: الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلُ  
صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَادِهِ لِحَيْثِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ  
فِي يَوْمَيْنِ ﴾ فصلت: ١٢، أَي أَحْكَمَ خَلَقَهُنَّ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة).

فلو كان التقويم بالنتائج غير مطلوب لأوجب الله تعالى السعي فقط للأمر الشرعي  
وليس بقضاء الأمر. ويوجب ذلك عناية فائقة بالتخطيط للمستقبل وحسن إدارته  
ومكافحة عوامل الفشل في تحقيق الأهداف. ومن أسباب الفشل عدم الإعتداد بالأمر  
الواقع، مما يؤدي إلى إهمال التدرج والمرحلية، وإغفال مقتضيات الضرورة، ونسيان

مقتضيات الضرورة المتراخية. وذكرنا تفاصيل كثيرة عن إعداد المشاريع والأهداف والتخطيط لها، وذلك في (نخبة المسار) وما يتصل بها في (المنطلق).

وربما يعترض بعضهم بنحو قصة نوح عليه السلام، وكيف سعى زمناً طويلاً يدعو قومه إلى الإسلام، فأصر معظمهم على الكفر. وهذا اعتراض ضعيف، فإن الله تعالى أمرنا بالدعوة إلى الإسلام وهذا ما يجب أن نقضيه ونجدد العمل به، ولم يأمر الله بأن نجعل غير المسلم مسلماً. وتدبر صيغة الحصر أو المبالغة في نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَارُ ﴾ ص: ٦٥. وقال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦.

وتدبر حديث أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ قَاتَلَ لِنُكُونِ كَلِمَةٍ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رواه مسلم والبخاري وأحمد وغيرهم. فإن لام التعليل في بداية عبارة « لِنُكُونِ كَلِمَةٍ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا »، تقديرها: لأجل أن تكون...، معنى ذلك أن عاقبة العمل أو التقويم بالنتائج والمآلات جزء أساسي من تقويم العمل الجهادي وغيره، وقد يُطلق عليه: «التقويم بالجدوى»، فإذا كانت نتيجة العمل الجهادي إعلاء كلمة الله تعالى مع الإلتزام بشروط العمل العسكري فهو في سبيل الله تعالى. وسبق أن ذكرنا تفاصيل مهمة أخرى في تفسير هذا الحديث، تحت عنوان «التفكير بالمآلات والغايات».

**(الأمر الخامس):** لمن أراد المزيد، فقد ذهب الإمام الزمخشري رحمه الله ومن وافقه إلى جواز المعنى الذي ذكرناه في تحقيق الهدف، ولكنه استخرجه بطريق آخر. فقد نقل السمين الحلبي عن الزمخشري أنه قال: أي فاعلون السَّبْقِ لأجلها أو سابقون الناس لأجلها، أو إياها سابقون أي: ينالونها قبل الآخرة، حيث عَجَّلَتْ لهم في الدنيا. قلت (القائل هو السمين الحلبي): يعني أن «لها» هو المفعول بـ: «سابقون» اهـ، وسبق أن

قال السمين الحلبي: وتكون هذه الجملة [أي: « وَهُمْ لَهَا سَيِّئُونَ »]، مؤكدة للجملة قبلها، وهي: ﴿ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾، ولأنها تفيده معنى آخر وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الأولى على التجدد. اهـ من (الدر المصون). وقد رد السمين الحلبي اعتراض أبي حيان على الزمخشري.

**(الأمر السادس):** ويتصل بالمسارعة والمبادرة قوله تعالى ﴿ وَيَقْوِرُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ هود: ٥٢، في الآية الكريمة مرحلتان: طلب المغفرة ثم التوبة، فأما عبارة ﴿ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾، فإن من مضامين طلب المغفرة أن يعترف الإنسان بذنبه وبخطئه وتقصيره وتأخره ويندم عليه، ويطلب من الله تعالى أن يغفر له ويتجاوز عنه. وينبغي لهذه المرحلة أن تكون قصيرة كي يتحوّل المؤمن إلى التوبة، وهي ما يقوم به العبد المؤمن من تغيير وتحسين كي يعصمه الله تعالى من الكبائر والإصرار. وينبغي المبادرة إلى الإستغفار ثم المبادرة إلى التوبة فإنها واجبة، كما أن إطالة الأمد قد يصير تسويقاً ويؤدي إلى قسوة القلب أي ضعف او عدم استجابة القلب للمؤثرات الشرعية. قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ الحديد: ١٦.

## قواعد في اغتنام وفي صناعة الفرص

### أنواع الفرص:

(النوع الأول): الفرص العامة والشائعة؛ وهي من فرص الحياة اليومية إلى الجنة والمغفرة والرحمة، ويستطيع كثير من المؤمنين اغتنامها، بنشاط فردي او بمجموعة صغيرة، كمساعدة فقير او نصره مظلوم او عيادة مريض او تعليم جاهل او دعوة إلى خير او إصلاح بين طرفين او حضور جماعة او غير ذلك من وجوه الخير الكثيرة. وهذا النوع من جملة مضامين قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٤، وتدبر الثناء العظيم على النجوى المستثناة، كما في عبارة ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، فإنها تشمل مجموعة النجوى كما يقتضي السياق، وتشمل بلفظها كل فرد يفعل شيئاً من ذلك، كما أنها مطلقة في الصدقة وفي المعروف وفي الإصلاح بين الناس، فتشمل من سعى بمعروف محدود جداً، ومن سعى بمعروف عظيم واسع الانتشار.

وتدبر في ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ لَّكَ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». رواه الإمام النسائي والبخاري وابن حبان. وفي رواية صحيحة أخرى عن أبي

ذر قال: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَا مِنْ رَجُلٍ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ابْتَدَرَتْهُ حَجَبَةُ الْجَنَّةِ »، قُلْتُ: وَمَا زَوْجَانِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: « عَبْدَانِ مِنْ رَقِيقِهِ، فَرَسَانِ مِنْ خَيْلِهِ، بَعِيرَانِ مِنْ إِبِلِهِ » رواه ابن حبان وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط، وظاهر السياق أن تفسير الزوجين جزء من الحديث المرفوع، وهو كذلك في رواية للطبراني والبخاري، والله تعالى أعلم. وقد ذكرنا تفسير الحديث في الكلام عن «المصابرة والمرابطة» من (المنطلق).

**(النوع الثاني):** فرص تنمية النفس او المجموعة او المؤسسة او نحو ذلك. قال

تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١. سيأتي تفسير الآية في المبحث الخامس إن شاء الله تعالى، المهم هنا أن «التزكية» هي التنمية بالخير من النفع المادي والمعنوي، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ » رواه مسلم وأحمد والنسائي في (الكبرى) وغيرهم في سياق حديث، وصححه الألباني وغيره. فينبغي لكل مؤمن أن يعمل لتنمية نفسه دينياً واجتماعياً ومهنياً، وكذلك تنمية شعوره بالمسؤولية ضمن الجماعة؛ معنى ذلك أن يبحث عن فرص التنمية وأن يغتتم ما هو أفضل له. وحدود التنمية المشروعة مفتوحة، وشرطها في المنافع الشخصية المحضة أن لا تؤدي إلى تفريط في الإلتزامات الشرعية. وأما التنمية التي تخدم الدين فينبغي أن تُبنى على الإستباق العالمي والمغالبة، وتُغتتم أنواع الفرص من أجل سبق. وحكم الأفراد يشمل المؤسسات والجماعات بصورة أشد. وبالجملة، فإن حجم الفرص يتفاوت جداً، فيمكن أن تكون فرصة عابرة محدودة مثل الحصول على سعر منخفض لسلة استهلاكية، ويمكن أن يكون حجم الفرصة عظيماً عند الله تعالى، كالسبق بالخيرات التي تجعلك من المقربين، وبين هذا وذاك مراتب كثيرة.

وسنذكر في النوع الرابع ما يتصل بهذا النوع إن شاء الله تعالى.

**(النوع الثالث):** فرص النفع العام. وهي الكلمة أو القرار أو العمل، تنفع به جماعة كبيرة أو شعباً أو أمة. ولا فرق في ذلك بين النفع المباشر، والنفع عن طريق منع أو إبعاد الضرر. ونرجع إلى نحو قوله تعالى ﴿ وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس: ١٢. وواضح أن الفرق كبير بين من انتشرت آثاره في عشرة مواضع، ومن انتشرت آثاره في ملايين المواضع.

ويعمل هذا الأصل في المنافع والمضار أو الحسنات والسيئات، كما هو العموم في عبارة ﴿ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ ﴾.

فمن النصوص الخاصة بالمضار أو السيئات، حديث أبي سعيد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ. » رواه مسلم وأحمد وأبو يعلى، ورواه البخاري مختصراً. وفي رواية: « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. » رواه مسلم. الغدر في الأصل ترك الوفاء، وهو هنا ترك الوفاء بحق الرعية على الأمير؛ واللواء هو الراية العظيمة، وأصل رفع اللواء أنه للشهرة والعلامة. ولما كان الغدر مكتوماً ومستتراً به أو مُزِيناً مُزْخَرَفاً في الدنيا، شهر به صاحبه في الآخرة، ليفتضح به على رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ؛ وَالْإِسْتُ الدُّبُرُ، وقد يكون كناية عن الظهر كما في بعض كتب شرح الحديث. وتدبر أن راية الفضيحة تُرفع بِقَدْرِ الغدر، ثم تدبر عبارة « أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ. »، العامة خلاف الخاصة، فالظاهر أنه أمير مدينة أو دولة، فإن الشعب هو العامة التي تجمع المجاميع الخاصة (المهنية والإقتصادية وغيرها). فلا يوجد غادر أعظم من هذا لأنه غدر بعدد كبير جداً من الأمة وربما يقتدي به من يأتي بعده من الأمراء. والأمر واضح جداً فيمن ختم حياته بأن غدر بالأمة. وقد ذهب بعض العلماء إلى تفسير عبارة « أَمِيرٍ عَامَّةٍ. »، بأنه تولى الإمارة

بمساندة العوام غير المؤهلين، أي بمعزل عن أهل الحل والعقد المؤهلين للتصدي للمصالح العامة. قال الإمام الطيبي: يريد بـ: «أمير العامة» من قدمه العوام وسفلات الناس، ولم يكن له استحقاق ولا لأهل الحل والعقد، من خواص الناس عليه اتفاق. من (شرح المشكاة)، وهو قول صاحب (مرقات المفاتيح) أيضاً، وهذا المعنى مشمول بالحديث، غير أن العامة خلاف الخاصة، فكان أعظم الغدر غدر أمير عامة لأنه غدر بعامة الأمة من أهل الحل والعقد ومن غيرهم.

ومن النفع العام عن طريق دفع الضرر، قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: ٩٥، أي ما مكني فيه ربي خير مما سألتكم، أي خير من السد، فجعل ردماً بينهم وبين يأجوج ومأجوج. والردم يغلق المنافذ كلها كالدفن، ولا زلنا إلى اليوم نعم بردم ذي القرنين، رحمه الله تعالى.

فلا شك أن باب جلب المصالح العامة ودفع المفسد العامة، فيه أجر عظيم إلى الغاية، وينبغي لكل مؤهل أن يبحث عن الفرص المشروعة إليه.

**(النوع الرابع):** الفرص التخصصية وبناء الخبرات. يوضح الأمر أن استقلال الدولة ليس بتام إلا إذا كانت تمتلك خبرات ذاتية كبيرة ومنافسة في عامة المجالات الضرورية كلها، كالعلوم التي يقوم عليها بناء المجتمع، وبناء الدولة وإدارتها وإدارة علاقاتها، والعلوم التي تقوم عليها الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها. فإذا كانت الخبرات كثيرة ومتفوقة، فإن العالم سيحتاج إلينا وسيفتح لنا فرصاً كثيرة، تُساعدنا في النمو والتطور. وأما إذا كانت الخبرات الذاتية قليلة وضعيفة في كثير من المجالات، فإننا سنحتاج إلى تحصيل فرص للبداية ولوضع الأسس. وتدبر قوله تعالى ﴿ ... فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُكُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد: ١٧، فمقدار وحجم الفرص التي يمكن أن تنالها يعتمد على ثلاثة أمور، الأمر الأول:



مدى قدرتك على إبعاد الزبد والغشاء، وتنقية الأجواء للحق وللمنافع الحقيقية. الأمر الثاني: مقدار ما تُنتج مما ينفع الناس معنوياً ومادياً، وهذا يجعل الفرص تأتيك طوعاً. الأمر الثالث: أن تكون أنت صاحب القرار فيما تملك، فقد قال تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٧٥. وذكرنا في (نخبة المسار) تفسيراً مفصلاً لآية الرعد.

### (النوع الخامس): الفرص الخبيثة او فرص الفساد. ففي وصف الباحثين عن

الفرص الخبيثة قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٦، وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٧٦، وقوله تعالى ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢، وقوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٦٢.

وعلى المؤمن أن يُحصن نفسه كي لا ينال الخبث منه، قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ الحج: ٣٠، وقد تقدم تفسير الآية الكريمة في الفائدة الرابعة/ المرتبة الثالثة، مما تحت عنوان «صيانة النفس من استهواء الشيطان».

## التأهيل للسبق ولاغتنام الفرص:

**(الأداء الفكري المحكم):** ولنضرب مثلاً واضحاً: المزارع، وكيف يفكر في إعداد أرضه وما تحتاجه من سقي وسماد وبذور وترقب الموسم المناسب، وغير ذلك من أسباب جودة الإنتاج. وكذلك الأمر وإن كان أكثر تعقيداً في المجال السياسي والإقتصادي والدفاعي والأمني ونحوها، فالسياسي مثلاً يجب أن ينظر في كل ما يُحتمل أن يؤثر على بلاده من الداخل والخارج، ويشمل ذلك الواقع القائم وما يُحتمل أن يقع. وتدبر في ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١، وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأنعام: ١٢٩؛ فعلى السياسي المخلص تتبع أخبار السياسة الدولية، الظاهر منها والكامن، وتتبع الصراع الدولي وما يمكن أن يُحدثه من تحولات؛ وأن يفكر بما عنده وبما عند الآخرين، وبما يريد تحصيله، كي يستطيع أن يخطط لصناعة الفرص، ونحو ذلك في المجالات الأخرى. وقد ذكرنا جملة كبيرة من المهارات الفكرية في هذه الدراسة، وفي (المنطلق) وفي (نخبة المسار). ومن الأمور المهمة هنا: صفة الصياد الماهر التي ذكرناها في الفاتحة الرابعة تحت عنوان: «الأمر بالمبادرة»، كما ذكرناها في (نخبة المسار)، ويحتاج الصياد إلى التوسع والتدقيق في دراسة مجال نشاطه. معنى ذلك هنا، أن الصياد لا ينتظر أن تُعرض عليه الفرص، بل هو خبير في تشخيص الفرص الكامنة أو الخفية في مجاله لأنه قد توسع في دراسة مجاله والإشتغال والإهتمام به، فصياد الفرص السياسية هو غير صياد الفرص الثقافية أو الاقتصادية أو الأمنية. وبخلاف ذلك، فإن الصياد أو الراصد لن يرى فرصته لأنها تأتي ضبابية أو غير صريحة، ولذلك قيل: «إن الفرص تأتي متنكرة وتذهب ساخرة»، وهذا هو السر وراء تضييعها في كثير من الأحيان.

**(الصفات الأربع):** وهي الصفات المذكورة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ

خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴿ المؤمنون: ٥٧ - ٦١. وقد تقدم قريباً تفسير مفصل لهذه

الآيات. ونهدف هنا إلى أمرين، الأمر الأول: أن المؤهل بهذه الصفات سوف لن يقف عند حد في مجال مسؤوليته، بل يستمر بالتحسين والإزدياد، خشية الحساب في الآخرة، فهو حريص على السابق. الأمر الثاني: أن المؤهل بهذه الصفات سوف يلتزم بالمشروعية، ولن يجيد عنها من أجل كسب غير مشروع او لمجرد الانتقام او شبه ذلك من دوافع النفس. وأما الظالم الفاجر فقد يسبق بالمنكرات ويسارع، كما ينبه إليه قوله تعالى ﴿ وَطَوَّأًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٠، وقوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ الضَّمَّةُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٦٢.

**(الإقتحام على بصيرة):** أي اقتحام العقبات والمصاعب، وعدم الإقتصار على

الأمر السهلة، فإن الفرص الكبيرة تكون مع المصاعب والمشاق. وقد سبق بيانه في تفسير قوله تعالى ﴿ ... فَلَا أَفْنَحَمُ الْعَقَبَةَ ... ﴾ البلد: ١١.

**(الوجهة المختارة):** أي دراسة مجال تنافسي بأفق فكري متين والتفوق فيه.

يوضح الأمر أن الفرص لا تترمي علينا من غير وجود عوامل استقبالتها او البحث عنها او صناعتها. فينبغي لكل مستطيع من المؤمنين أن يربط على مجال معين وأن يركز عليه، وقد تكلمنا في المبحث الثاني عن «تركيز التفكير». ويحتاج ذلك إلى أمور، الأمر الأول:

التعرف الجيد إلى الأفق العالمي في هذا المجال. الأمر الثاني: منهج التنافس والمغالبة العالمية. الأمر الثالث: أقصى ما يمكن من استخراج المعاني الكامنة في القرآن الكريم مما يتصل بمجال المrapطة، وذلك بالإنفتاح بـ: «ختمة التدبر»، وقد سبق التنبيه إلى أهميتها، وذكرناها بقدر من التفصيل في (نخبة المسار/ تحت عنوان: «الهداية المستمرة»). الأمر الرابع: الغاية من المصابرة والمrapطة هو بلوغ التفوق النوعي، وقد تكلمنا عنه في المبحث الثالث من (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع). فمن سار على هذا المنهج، فإنه سيجد بإذن الله تعالى الفرص التي يحتاجها، وعليه أن يجتهد في طرق اغتنامها.

## عوامل مهمة في التعامل مع الفرص:

فمن هذه العوامل بالإضافة إلى ما سبق ذكره:

**(رصد الفرص):** ويتصل ذلك بما ذكرناه قبل قليل عن وظيفة الصياد، غير أن الرصد أوسع لأنه يتضمن الإعداد. فالرصد لأمر هو الرقابة وتتبع الأنشطة مع الإعداد لخدمة ما تقتضيه الأحداث. يُقال: رَصَدَهُ يَرِصُدُهُ رِصْدًا وَرِصْدًا، ومنه: رَصَدَ العدو أي راقبه متتبعاً لحركته ودوافعه، والرِصْدُ هم القوم الذين يرِصُدون كالحرس، وتراصد الرجلان، أي راقب أحدهما الآخر. والفرق بين الرصد والترقب، أن الترقب يعني الإنتظار مع ملاحظة الأحداث للإحتراز من الشر، كما في قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ القصص: ١٨، غير أن الرصد أقوى من الترقب في تضمن التأهب والإعداد الذي يتطلبه الموقف. وقد نقل ابن فارس عن الكسائي قال: رَصَدْتُهُ أَرِصُدُهُ، أَي تَرَقَّبْتُهُ، وَأَرِصَدْتُ لَهُ أَي أَعَدَدْتُ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة)، ونقله أيضاً الأزهري في (تهذيب اللغة) عن الأصمعي والكسائي. ويُقال: أرصدت له مالا أي أعددت له، ومنه الحديث «إِلَّا دِينَارًا أَرِصُدُهُ لِذَيْنِ»، والرِصَائِدُ الوصائد: مصايد تُعدّ

للسَّبَاع. وقال تعالى ﴿وَارْصَادًا لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ التوبة: ١٠٧، أي ترقباً وانتظاراً وإعداداً لاستقبال من حارب والتعاون معه، وكذلك قوله تعالى ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ الفجر: ١٣ - ١٤، بتقدير: إن ربك لهم ولأمثالهم لبالمرصاد، أي يرقبهم وقد أعد لهم في الدنيا والآخرة ما تقتضيه أعمالهم.

فعلى راصد الفرص، أن يدرس بتفصيل ودقة مجاله الذي يربط عليه، وكل ما يتصل به او يؤثر عليه من العوامل الداخلية والخارجية، ويستعمل ما سبق ذكره من مهارات التفكير، ليضع قائمة بما يحتاج إلى تحصيله من مصالح كبيرة، وما يحتاج إلى دفعه ومنعه من مخاطر ومضار، في الحاضر وعلى المدى الزمني الوشيك والقريب والمتوسط والبعيد. وبعد كل ذلك، تزداد فائدة الرصد، بأن يفكر الراصد جيداً ما هي فرص تحصيل مصالح كبيرة، وفرص اجتناب المضار والمخاطر خلال المديات الزمنية المذكورة، وهل يمكن أن أفعل شيئاً لتقريب الفرصة او تحقيقها؟ وبعض الفرص تحتاج إلى ترقب وانتظار، وتحتاج في كثير من الأحيان إلى تحريك أفكار بطريقة ذكية، وكأنها عمليات دبلوماسية غير رسمية ومن بُعد؛ وهذه مهارة في غاية الأهمية، وقد تكلمنا عنها في (نخبة المسار) تحت عنوان «إدارة الفكرة والكلمة»، وقد يتم بها تحقيق مكاسب عظيمة. وقد يؤدي تحريك الفكرة إلى تحقيق رسالة لا مركزية، وكأنه تنظيم غير حزبي ولا إداري. وقد يحتاج نيل الفرصة إلى صناعة حدث معين.

**(الانتظار الإستراتيجي):** وقد ذكرنا هذا العنوان بالتفصيل في أواخر (نخبة

المسار)، ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوَّرُ﴾ فاطر: ١٠، فتدبر إدخال الضمير «هو» فإنه زيادة لفظية تفيد تأكيد إلصاق معنى الخبر بالمتبدأ وكأن البوار وصف ثابت لمكرهم فلا يزول البوار بتغير

العوامل الخارجية، وهذا كنعو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ التوبة: ١٠٤، هذا سواء جعلت الضمير المتوسط ضمير فُضِّل أو توكيد أو جعلته مبتدأً. والبوار هو فرط الكساد والهلاك، والمير المهلك . غير أن الذبول الذاتي أو التلقائي لا يعني مجرد الإنتظار وترك العمل، ولكنه يشجع على ثبات النفس والتنمية في ظل إنزواء ظاهري، وكذلك ما يمكن من العمل المضاد لتسريع بوار الظلم. المهم هنا أن مكر الظالمين يجر في داخله عوامل الكساد والذبول بصرف النظر عما يأتيه من كوارث وضربات، وذلك بسبب قيامه على الباطل (أي الزائل بسبب فساد صفاته) وعلى التحلل من القيم السامية. ويستعمل بعض خبراء السياسة الغربيين عبارة «الإستسلام التكتيكي» لوصف العمليات المقصودة لاجتناب المواجهة. وعلى أي حال فإن كل مجال تمت محاصرته من كل جهة فإن الدخول فيه على سبيل المواجهة يعني تهلكة أكيدة أو استسلام، كما هو حال الجيش المحاصر. والحل هو إما في المناورة أي التحرك إلى مجال آخر غير مُستهدف، أو التراجع أو تقديم تنازلات تقبلها ضوابط الضرورة والتقية، وقد بينا أصول ذلك في (المنطلق). وبهذه الرؤية فإن بعض مراحل الإنتظار الإستراتيجي سوف تقترن بفرص كبيرة بإذن الله تعالى. ولإبن المقري شعر جميل في ذم ركوب الغرر والمجازفة بلا رؤية:

|                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| وما ناطح الصخر الأصم مميز      | ولا اجتر ذو عقل قياد الردى خرطا |
| ولا ركب الإنسان في الناس مركبا | أضر من الجهل المضر ولا استمطى   |
| ألا ربما كان الجهول بجهله      | على نفسه مما يجاربه اسطا        |
| إذا جمحت خيل المكائد عندنا     | ضبطنا بحسن الرأى أرسانها ضبطا   |

**(عدم إعطاء فرصة للخصم):** وهذا أصل في غاية الأهمية، ويشمل مجالات كثيرة، سياسية واقتصادية ودفاعية وغيرها، ويعبر عنه بعضهم بمهارة اجتناب الإستدراج

إلى الأرض الرخوة. ويتصل بذلك مهارات المناورة ومنها عمليات التخطي والتجاوز، أي تجاوز ما يطمع الخصم أن تدخل فيه.

فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤١، الآية الكريمة نفي بمعنى النهي. يوضح الأمر أن كل خبر في القرآن الكريم يمكن أن يكون الواقع مخالفاً له، فهو خبر عن حكم الشرع وليس خبراً عن الواقع على الأرض، وفي هذا الأصل شواهد كثيرة في القرآن الكريم وفي كلام العرب، منها قوله تعالى ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧. فمعنى آية النساء أنه يجب العمل على الإجتنب التام للوقوع تحت نفوذ الكافر أو تقليل ذلك إلى أقل ما يمكن عند الإضطرار إليه وبصرف النظر عن كونها ضرورة حاضرة أو متراخية. وبعبارة أخرى يجب اجتناب التصرف الذي يُعطي الخصم سلطة للنيل منك معنوياً أو مادياً. وتُراعى في هذه المساعي قواعد إدارة القوة أو قواعد إدارة الضعف في حال الضعف، وقد تكلمنا عن إدارة الضعف في أواخر (نخبة المسار). وهذا أصل واضح في السيرة النبوية في العهد المكي، ثم السياسات النبوية مع الأمم في العهد المدني. ومن يجهل هذا الأصل فإنه قد يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، إما بتقصيره أو غلوه في إدارة القوة، وإما بتقصيره في إدارة الضعف. وكما يقع ذلك في المجال السياسي والعلاقات الدولية، فإنه يقع كذلك في المجال الجنائي والأخلاقي والعلاقات المدنية بين المسلمين وغيرهم، مثاله نقل الإجماع على قطع المسلم إذا سرق ذمياً. غير أن الأمر أوسع وأخطر في المجال السياسي، فيجب على المسلم أن لا يجازف بلا نظر في العواقب، بل يجب عليه مراعاة أن لا تؤدي تصرفاته إلى زيادة نفوذ الكافر عليه. وما ذهبنا إليه يحافظ على ظاهر العموم والإطلاق في ألفاظ آية النساء، فهو أولى من المذاهب التي تخصص الآية بأحوال الآخرة أو تخصصها بقوة الحجج وليس بنفوذ السلطة، ونحو ذلك مما ليس عليه دليل من التخصيصات. وما ذكرناه، فعليه عمل وفتاوى الفقهاء، خاصة الشافعية والحنفية، في كثير من أبواب الفقه.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ، إِنَّلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٥٠، فتدبر عبارة ﴿ إِنَّلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾، فإنها تصلح أن تستقل بحكم عام يشمل أمر القبلة وغيره. وذلك أنه يجوز أن تكون اللام في «لئلا» متعلقة بمحذوف، تقديره: أمرنا بذلك لئلا يكون للناس، وعلى هذا الإعراب قول الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه) وقول أبي البقاء العكبري في (التيبان)، وجوزّه المنتجب الهمداني في (الكتاب الفريد) وذكره أبو حيان في (البحر المحيط) كأحد وجهي الإعراب. وكلمة «حجة» نكرة في سياق النفي، وتفيد العموم، ولها حكم النهي لأن الواقع يمكن أن يكون على خلافها، فهي خبر عن حكم الشرع وليست خبراً عن الواقع؛ والمعنى: لا تجعلوا للناس عليكم حجة، ويوجب ذلك التخلي عن القضايا الخاسرة، كي لا تكون فرصة للآخرين علينا. ويشمل ذلك التخلي عن الدفاع عن الأخطاء وعن التبريرات الزائفة وعن المواقف الخاطئة. وأما عبارة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾، أي إلا الذين ظلموا في احتجاجهم، أي احتجوا بالأباطيل وأسأوا في الاحتجاج، فهؤلاء مبطلون ويمكن ردهم بقوة أو إهمالهم لوضوح جوانب الخطأ والإساءة عندهم. وقد سبق تفسير الآية تحت عنوان: (تنقية المضامين المتبناة).

### (اجتناب فرص الخداع والإيقاع): مثال من إعطاء فرصة للشيطان وهو

عدو، قال تعالى ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكَمَارَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا



يَخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجُنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ الأعراف: ٢٠-٢٢.

ومن الأصول الجامعة في هذا الأمر، قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ  
 طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ  
 لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ الأعراف: ٢٠١-٢٠٢. فتدبر عبارة ﴿طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، أي  
 فكرة متحركة تطوف بهدف الإغواء، وأصلها من الشيطان، ولكن قد ينقلها فلان أو  
 فلان من الناس أو صحيفة معينة أو أخبار تلفزيونية أو تواصل الكتروني أو لقاء ثقافي أو  
 غير ذلك. أما التقي المتبصر فيمتلك نظاماً للتفكير والنظر، فإذا مست تلك الفكرة سمعه  
 أو نظر عينه أو إدراكه تذكر النظام القرآني للتفكير، فإذا تذكر أبصر الفرق بين النافع  
 والضار، أو أبصر الطريق إلى من يهديه إلى ذلك، كما تنبه إليه عبارة ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ  
 مُبْصِرُونَ﴾. وتدبر عبارة ﴿يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾، فقد قرأ نافع وأبو جعفر: يُمِدُّوهُمْ،  
 بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْمِيمِ مَضَارِعَ أَمَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمَدِّ وَالْإِمْدَادِ، أي تقوية الشيء، بمعنى:  
 يساعدونهم في أمر الغي كخدمته وتقويته وسائر أشكال الإمداد المعنوي والمادي لتغليب  
 الغي على الهداية، وهذا الإستعمال من نوع قوله تعالى ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾  
 الإسراء: ٦. وقرأ الباقر يمدونهم بفتح الياء وضم الميم من مد وهو من المد، كما يقال: مدَّ  
 الله في عمرك، ومد الحبل أي طوله، والمعنى: أي يطيلون لهم الحبل في الغي أو يساعدونهم  
 على إطالة عمر الغي. واضح من كل ذلك أن الفكرة الشريرة ليست معزولة ولا مفصولة  
 عن أخواتها، بل يأتيها المد المعنوي والإمداد المادي من قريب ومن بعيد، وكأنه تنظيم  
 عالمي يعتمد على الفكرة الشريرة وكيفية إمدادها وخدمتها. وحركة الفكر الشيطاني تهدف  
 إلى أمرين:

**الأمر الأول:** التضليل والإيقاع بالمصائب، فهذا سبيل الأعداء، وقد قال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة: ٢٠٨، والوقاية منه الثبت وتحكيم المهارات القرآنية في التفكير، وكذلك استشارة المؤهلين الصالحين.

**الأمر الثاني:** التخويف والتهيب والإصابة بالقنوط، أي قطع الرجاء والأمل، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ آلَ الْعِثْرِ يَوْمَئِذٍ فَكَلَّمَهُم بَيْنَهُمْ وَمِنْتَنَا بَاطِنًا وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْوَعْدَ لَوْلَا إِيمَانُكُمْ بِاللَّهِ لَكُنْتُمْ أَكْأَبًا لَأَقْتُلَنَّكُمْ فَذَلِكُمْ الَّذِي نَبِئْتُم بِمَا تَكْفُرُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٥﴾ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥. وقال تبارك وتعالى ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٨؛ والوقاية من ذلك هو قوة الرجاء مع اتخاذ الأسباب، كما في نحو قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَىٰمَ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ الشعراء: ٦١ - ٦٢، فحين تأتي مخاوف الخطر أو المرض أو الفقر، فمع اتخاذ الأسباب عليك أن تقتدي بموسى عليه السلام أو يعقوب عليه السلام بعد أن فقد الولدين، كأن تقول: بل أرجو من الله تعالى الحفظ أو الحماية أو الدفع والدفاع عني، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، والله خير ناصر وأهو ولي المؤمنين، أو تقول: أرجو من الله العافية والغنى.

والأمر أفضل إذا كان الرجاء مسبوقاً بحسنات، فقد قال تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠، فعلى نحو تفسير سعيد بن جبیر فإن المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه أو نعمة ربه فليعمل عملاً

صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، وهذا المعنى يشمل نِعَم الدنيا والآخرة، وأعظمها رؤية الله تعالى في الآخرة.

وفرص الخداع قد أوقعت كوارث كبيرة في التاريخ الإنساني، وفي المجالات المختلفة، الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها.

وأما إذا أراد الله تعالى أن يمكر بطائفة، فإنه أمر واقع ولا مرد له، قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٢. ومن أكثر الفرص إيهاماً، تلك التي لا يظهر أثرها إلا بعد زمن طويل. من ذلك فرعون اللعين، إذ استدرجه الله تعالى إلى حماية وتربية موسى عليه السلام في طفولته، قال تعالى ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِمَّنِي وَلِنُصَنَعَ عَلَيْ عَيْنِي ﴾ طه: ٣٩. وتوجد أمثلة كثيرة من هذا النوع من الفرص.

**(صناعة الفرص):** من المفيد جداً أن تتعلم كيف تصنع الفرص، ويعتمد ذلك

على التأهيل بعدة أمور، الأمر الأول: الإستعداد، أي التأهيل بكل ما ذكرناه عن الفرص، كي تكون على بينة واسعة ومتمينة، وتعرف القضايا التي تريد الحصول عليها، والقضايا التي تريد منعها أو إبعادها، وتستطيع تعيين الحدث الذي يخدمك. وبخلاف ذلك، فإن الكثير من الفرص تموت أو يغتتمها غيرك. الأمر الثاني: العروض وتحريك الأفكار. المثال اليومي للعروض هو عروض الوظائف، فهي فرصة للمؤسسة لكسب أفضل المتنافسين، وهي فرصة أيضاً للباحث عن وظيفة. والأمر أكثر تعقيداً وخطراً بكثير في العروض السياسية والاقتصادية. فالغاية من العرض هو الحصول على مصلحة كبيرة أو استراتيجية، ولن يقبل العرض أحد إلا إذا حصل هو أيضاً على منفعة مناسبة. وبعبارة أخرى، فكر بالعرض وكأنه مفتاح، يفتح طريقاً لك، وطريقاً مقبولاً لمن يستجيب

للعرض. وعليك أن تدرس الخيارات الممكنة كلها كي تختار أفضل خيار من جهة تحقيق المنافع وإبعاد المضار. ويخضع كل ذلك للتقويم ولقواعد الأداء الإستراتيجي وصناعة القرار، وقواعد إدارة الفكرة والكلمة او تحريك الأفكار، وقد تكلمنا عن هذه الأمور في المباحث: الثاني والرابع والسابع من (نخبة المسار). الأمر الثالث: صناعة او إعادة انتاج الحدث، من أجل إثارة الفُرص.

أما صناعة الحدث، فمثالها أن تكون عارفاً بما تحتاجه من الآخرين في المستقبل القريب، وتتوقع جيداً أيضاً ما يمكن أن يحتاجه الآخرون منك. فإذا كان الطرف مناسباً، فإنك تقوم بصناعة خارطة فكرية عن إمكان تبادل المنفعة بين الطرفين، ثم تقوم بتحريك الفكرة بالطريق المناسب. ومن الطرق المحتملة في تحريك الأفكار: اللقاءات المباشرة الدبلوماسية او غير الرسمية، والإعلام الذكي، وخبراء تحريك الأفكار من عناصر المخابرات وأمثالهم من المراسلين والسياسيين، والتواصل الاجتماعي المنضبط، وربما الإشاعات الذكية. ويستمر تبادل تحريك الأفكار بهدف الوصول إلى اتفاق رسمي. وينبه إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ الأنفال: ٦١، فتدبر أن الله لم يقل: إن طلبوا السلم، ولكن إن جنحوا، أي إن مالوا للسلم فمل إليه، وهذا يُعرف من أفكارهم وأحاديثهم الداخلية، وسبيله الرصد وتبادل الملاحظة الجيدة وتحريك الأفكار، فإن كان الميل حقيقياً كان الوصول إلى اتفاق غاية الطرفين.

وأما إعادة انتاج الحدث، فهو أن تأتي إلى حدث كبير ولكنه راكد بسبب الغموض او سوء الفهم، فأحييته بالتحليل الجيد وإظهار معانيه الحيوية او الخطيرة التي تؤدي بك إلى اغتنام فرصة او إبعاد ضرر.

## الإنتلاق من القيود:

أي اجتناب عوامل تصغير وتضييع الفرص. وهذا من الضروريات لكل من عزم على الإقتحام او الإستباق في قوة الإنتاج، كما أمر الله به في نحو قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ البقرة: ١٤٨. وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال في الفرق بين المقيد والمنطلق.

من ذلك قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٧٦) النحل: ٧٥-٧٦.

وتوجد قيود كثيرة ينبغي الإنتلاق من أسرها:

منها: الأهداف الهزيلة الرخيصة، أي الأهداف الدنيوية المحضة، بعيداً عن خدمة الدين والمصالح العامة. وأما الأهداف الدينية، فهي مهمة كلها ولكنها عند التراحم تنقسم إلى ما هو مهم وما هو أهم، فلا بد من ضبط الأمور بنظام للأولويات. ولنتدبر قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَم يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ النور: ٦٢، الجمع ضد التفريق، والأمر الجامع هو الأمر الذي يؤثر على الجماعة او الأمر الذي يحتاج إلى الجماعة، فحقيقته أنه أمر المصالح العامة، وآية النور توجب على المؤمنين مشاركة القيادة في هذا المجال. وقال تعالى ﴿ ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ... ﴾ آل عمران: ١٥٤، فتدبر ذم تلك الطائفة المغمورة في التفكير بالذات، فليس من المهمات عندها إلا منافعها الخاصة

وسلامة وتنمية ممتلكاتها الشخصية، فلا كبير همٌّ على الدين ولا على مصالح الآخرين ولا المصالح العامة ولا على المحافظة على استقامة الحياة العامة ولا على نشر الخير في المجتمع. ولا شك أن الغمرة في الذات تُفسد تفكيرهم وقناعتهم وتُبعدهم عن الحق وتسير بهم إلى ظنون الجاهلية وإلى النفاق في إبداء شيء وإخفاء غيره كما في السياق الكامل للآية الكريمة.

**ومنها:** الرضى بالقضايا السهلة، بعيداً عن اقتحام المصاعب وعن أهداف المغالبة.

وقد سبق أن ذكرنا تفسير آية الإقتحام. وقال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ الملك: ٢، فتدبر عبارة ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، فإن الأحسن هو المتفوق على غيره. ولتدبر قوله تعالى ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٤١، فعبارة ﴿ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، مطلقة في كل خفة أو ثقل يمكن أن يؤثر في نوع ودرجة النفار، فهي تشمل من خف حملة ومن ثقل، ومن خفت أو ثقلت حركته وإلى غير ذلك من أحوال الخفة والثقل، وهذا الإستيعاب الشامل لأفراد الأمة يؤكد أن النفار ليس خاصاً بالعمل العسكري، بل يُراد من كل فرد في الأمة أن ينطلق نافعاً إلى عمل مناسب لأهليته من أعمال الخير، مع إمكان أن يعمل المؤمن لتطوير أهليته وتحسين نفاره، وهذا من أهم طرق المغالبة وتكوين أمة متفوقة. وقد سبق تفسير مفصل للآية الكريمة في هذا المبحث، في أواخر الفائدة السابعة من تفسير آية الإقتحام.

**ومنها:** تفرق الإرادة أو ضياع المسار بعد البداية. ومن أهم أسبابه، (السبب)

الأول: التفلت من الصبر والمصابرة، والتحول إلى أهداف ثانوية سهلة ولكنها مزخرفة بالأمانى. (السبب الثاني): إهمال التقويم المتكرر أو فساد مقياس التقويم؛ وبذلك

يقعون في وَهْمٍ جودة المسار، ويغفلون عن تراجعهم عن استقامة الإتجاه إلى الهدف الكبير. **(السبب الثالث):** ضعف الاهتمام وقلة البذل والعطاء، ويوجب ذلك تغييراً جذرياً لأنه ينبغي للمسؤول أن يرى أن حياته في تحقيق الأهداف.

**ومنها:** غفلة الرخاء، أي الإنغماس في التنعم، مما يُنسي متطلبات وفرص الحذر والمغالبة. يوضحه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٥، العفو الترك والنسيان بمعنى الإغفال، أي تنعموا حتى أغفلوا متطلبات التحصين والبقاء، وأغفلوا العداوات الكامنة (أي غير الظاهرة)، كالتدابير الخفية والخلايا النائمة والرماد الذي يُخفي ناراً تحته، وأغفلوا الخروق والتصدعات في بنيانهم، فظهر عليهم ما لم يفكروا به، كما تنبه إليه عبارة ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾. والنصوص في عواقب الترف تؤكد ذلك.

**ومنها:** الإهمال، أي عدم الإستعداد لاغتنام الفرص. وقد سبق ذكر مضامين الإستعداد تحت عنوان «التأهيل للسبق واغتنام الفرص»، وعنوان «رصد الفرص».

**ومنها:** التشبع بالأمان والأحلام، فمما ذكرناه في (نخبة المسار)، قوله تعالى ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُمِيتَتْهُمْ ﴾ النساء: ١١٨-١١٩، إلى قوله تعالى ﴿ يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴾ النساء: ١٢٠. التمني في غالب الإستعمال هو ترقب المرغوب إما من الشهوات، وإما من غيرها ولكن بلا تمهيد الطرق ولا إعداد الأسباب، وإنما هي رغبة، كأمانى جودة الأحوال وقوة المؤسسة وضعف الخصوم وشبه ذلك مما يُشبه أحلام اليقظة

والأوهام. وسيأتي تفصيل ذلك في تفسير آية النساء في المبحث الخامس (التفكير العدائي) إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** قيود البقاء ضمن الحال القائم والخوف مما يعقب الإنطلاق من مواجهة فكرية او مؤسسية. وهذا نقيض ما أمر الله تعالى به من الإقتحام ونقيض المغالبة والإستباق، وقد تكلمنا هذه المعاني في عدة مواضع من هذه الدراسة.

**ومنها:** أسباب في إدارة العمل، وفيها أمثلة متنوعة، منها:

● التردد، ومن أنواعه تأخير العزم على القرار بعد اكتمال حزم الأمور، كما سبق بيانه. وفي العلاج العملي للتردد بسبب ضعف الثقة، يُنقل أن نابليون كان يرد على جنوده بثلاث كلمات، فمن قال: لا أقدر، قال له: حاول؛ ومن قال: لا أعرف، قال له تعلم؛ ومن قال: مستحيل، قال له: جرّب. نقله الباحث منير عبود في (موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية).

● الخوف من الفشل مع وجود أسباب النجاح، وكأنه نقص في العزم او في الشجاعة.

● سوء التقدير (فهم خاطئ/ معلومات ناقصة/ نظام عمل عقيم/ عدم تحليل المصاعب والقيود في الطريق/ سوء تحديد نقاط الإنطلاق/ الشواغل/ ضعف المهارات الفكرية/ ضعف إدارة الواقع).

● سوء إدارة الوقت.

● ضعف التأهيل.

● أسباب شخصية (العمر/ المرض ..).



.....  
~~~~~

# المبحث الخامس

## فكر التنمية بالخير

.....

هذا المبحث يتمم ما ذكرناه في كتاب (وجهة اللواء) تحت عنوان: «الغزو الاقتصادي» وإلى نهاية المبحث الخامس. وأصول التنمية قريبة إلى المباحث الفقهية، ولكنها تعتمد بدرجة كبيرة جداً على المهارات الفكرية في تدبير واستخدام الوسائل التنفيذية. فالمقصود هنا بيان أصول التنمية بالخير كما نفهمها من النصوص الشرعية، من أجل فتح الطريق لتشغيل الفكر في الوسائل التنفيذية.

## التزكية والإحياء

### او التنمية بالخير

تقوم التنمية على محاور متداخلة، المحور الأول: عمليات التزكية والإحياء. المحور الثاني: عمليات الإعمار المادي والمعنوي. المحور الثالث: تحصيل المنافع والأموال والتوازن فيها. المحور الرابع: المنافسة والمغالبة. المحور الخامس: مكافحة العوائق وعوامل الهدم.

### أما محور التزكية والإحياء:

ففيه أدلة كثيرة:

منها: آيات التزكية، قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ البقرة: ١٥١. وبمثل هذا المعنى جاءت عبارة ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تبارك وتعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢. ومن فوائد الآية الكريمة:

**(الفائدة الأولى):** معنى ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾، التزكية في العربية هي التنمية بالخير، سواء كان الخير مادياً أو معنوياً. فمن الخير المادي قول ابن منظور: والزكاء: ما أخرج الله من الثمر. وأرض زكية: طيبة سميحة؛ حكاها أبو حنيفة. زكا، والزرع يزكو زكاء، أي نجا. وكل شيء يزاد وينمي فهو يزكو زكاء. اهـ من (لسان العرب). ومثله قول الزمخشري في (أساس البلاغة) وغيره. وأما التنمية أو النمو بالخير المعنوي، فمنه قول الزبيدي: وزكا الرجل يزكو زكواً: صلح؛ وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ النور: ٢١، «مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ»، أي ما صلح. اهـ من (تاج العروس).

ومن التنمية بالخير المعنوي، قوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَحُدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْزِعُوا فَأَنْزِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ النور: ٢٨، وقوله تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠.

وقال الراغب: أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأموال الدنيوية والأخروية. اهـ من (المفردات).

وقال الإمام الطبري: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى «التزكية»: التطهير، وأن معنى «الزكاة»: النماء والزيادة. اهـ من (تفسير آية البقرة). ولا حجة لدعوى الطبري في

إخراج التزكية دون الزكاة عن معنى النماء إلى معنى التطهير، فإنها من أصل واحد. وتدبر في قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣، عطف التزكية على التطهير، فإن الأصل فيه المغايرة بين الكلمتين، كما أن تأسيس كل كلمة لحكم، مُقدم على دعوى تأكيد الثانية للأولى. وظاهر المعنى أن التطهير محو السيئات، وأما التزكية فهي تنمية النفس بالخير بعد تطهيرها. وفي كثير من الأحيان يوجد تلازم بين التطهير وتنمية النفس بالخير، وكان أحدهما يمهد للآخر، ولعل منه النهي عن عضل النساء، وفيه قوله تعالى ﴿ ... ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ البقرة: ٢٣٢.

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس: أصل الزكاة - فيما حُدثنا به عن المُفسِّر عن القُتَيْبِيِّ: التَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُنْمِرُ الْمَالَ وَتُنَمِّيهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: زَكَ الزَّرْعُ: إِذَا كَثُرَ رِيعُهُ، وَزَكَتِ النَّقْعَةُ، إِذَا بُورِكَ فِيهَا، وَمِنْهُ تَزَكِيَةُ الْقَاضِي لِلشُّهُودِ، لِأَنَّهُ يَرْفَعُ مِنْهُمْ بِالتَّعْدِيلِ وَالدُّكْرِ الْجَمِيلِ، ثُمَّ يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ زَكِيٌّ، وَهُوَ أَزْكَى مِنْ فُلَانٍ. قُلْنَا: وَعَلَى هَذَا التَّوَابِلِ أَوْجَبَ الشَّافِعِيُّ الزَّكَاةَ فِي مَالِ الْيَتِيمِ، لِأَنَّ الزَّكَاةَ لَمَّا كَانَتْ مَوْضُوعَةً لِلنَّمَاءِ رُجِيَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، كَمَا يُرْجَى مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ، فَوَجَبَتْ فِيهَا الزَّكَاةُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلوَاحِدِ: حَسَا. وَلِلثَّانِيْنَ: زَكَ. اهـ من (حلية الفقهاء).

والتركيز على مطلق التزكية وليس مطلق التنمية، لأن التزكية خاصة بالخير سواء كانت مادية او معنوية. وأما النمو والتنمية، فإنها يمكن أن تشمل تنمية الدول والأرض والعقار مثلاً، ولكن بالوسائل المحرمة.

فمعنى ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾، أي يرشدكم ويهديكم إلى أصول التزكية أي التنمية بالخير المعنوي والمادي، والله تعالى أعلم. يؤكد ذلك أن نقيض التزكية هو التدسية أي تقليل الشأن والإخفاء، كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝٢ ﴾

﴿ الشمس: ٩ - ١٠ ﴾، وقال تعالى ﴿ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ النحل: ٥٩.

**(الفائدة الثانية):** في وظائف النبوة. فتدبر الوظائف الأربع في قوله تعالى ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾، فإنها من أهم وظائف النبوة، وهي تلزم كل من يخلف النبي ﷺ في سياسة الأمة، خاصة وأن عبارة ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ﴾، هي صفة لـ: ﴿ رَسُولًا ﴾، وكذلك حكم العبارات المعطوفة على عبارة ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ﴾، فهذه صفات او وظائف من الأداء النبوي، فينبغي أن تُعطى حقها من التفكير، والإعداد لها بالعلم والعمل. يؤكد ذلك أن إقامة الدين عموماً يعتمد على درجة وسعة التنمية، فلا مجال للقبول بتخلف التنمية، بل إذا تراحت التنمية العامة مع أحكام أخرى فلا شك أن للتنمية العامة أولوية عالية. وقد سبق بيان ذلك في الكلام عن تراحم الأحكام في جملة ما يقع تحت عنوان: «ضرورات الواقع التي تؤثر على الحكم التكليفي».

وتدبر أن الوظائف الأربعة وردت في الآية بصيغة المضارع لأنه يقبل، بل يدل على التكرار والتجدد في طريق الإرتقاء. يوضح الأمر أن غاية النبي ﷺ في العمل بعبارة ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾، هي أن يبلغ بهم أعلى ما يمكن من مراتب التزكية، فإنه إنما يتعامل مع رجال دولته وجنودها الذين يريد أن يصل بهم إلى أعلى المراتب، كما يدل عليه نحو قوله تبارك وتعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف: ٩. غير أن ذلك إنما يكون بالتدرج وعلى قدر تفاعل المؤمن مع متطلبات التزكية. فإن التزكية تزيد او تنقص بحسب الإقبال والجهد، وقد قال تبارك وتعالى ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ مريم: ٧٦. وأيضاً فإن الزكاء المادي

ينبغي أن يسير جنباً إلى جنب مع الزكاء الروحي والإلتزام الديني. وقد سبق الكلام عن معنى قوله تعالى ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى﴾ النازعات: ١٨، فتدبر الفرق بين قولك: هل لك في أن تزكى، وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَزَكَّى﴾، فإن أداة الغاية «إلى» تُستعمل في الغاية الوشيقة والقريبة والمتوسطة والبعيدة، فتنبه الآية إلى أن طريق التزكية طريق متدرج بضوابط شرعية ولكن يجب اجتناب التسويف فيه.

ومجال التزكية واسع جداً، وكذلك مقاديرها. أما تزكية النفس فلا حدود للإرتقاء بها. وأما تزكية الحال كالتعليم والنمو المادي، فإن الواجب فيها يتناسب مع مطالب النهوض بالدين وبالأمّة، وعلى سبيل المغالبة. وينبغي عدم المبالغة في الركون إلى كون كثير من مطالب النهوض هي فروض كفاية، فإن حكم فرض الكفاية يتضمن أن الإثم يعم الجميع إذا لم يأخذ فرض الكفاية كفايته من الخدمة؛ ولذلك ينبغي لمن لم يُشمل بفرض الكفاية أن يتبع ويراقب أداء من تصدى له. وكذلك توجد مقادير ضرورية لتحقيق النهوض الواجب للفرد وللعائلة.

**(الفائدة الثالثة):** الصلة بين التزكية والإحياء، فإنها صلة قريبة جداً، فإن علامة الحياة هي النمو والإنتاج، وهذا مضمون الزكاء والتزكية. وسيوضح الأمر في تفسير آية الأنفال (العنوان التالي) إن شاء الله تعالى.

**ومنها:** آية الإحياء بالإستجابة للدين. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ...﴾ الأنفال: ٢٤، فمن فوائد الآية الكريمة:

(الفائدة الأولى): في معنى الإحياء. الحياة نقيض للموت وللتهلكة المادية والمعنوية.

قال الأزهري: وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لَيْسَ بِفُلَانٍ حَيَاةً أَيْ لَيْسَ عِنْدَهُ نَفْعٌ وَلَا خَيْرٌ. وَيُقَالُ حَايَيْتُ النَّارَ بِالنَّفْخِ كَقَوْلِكَ أَحْيَيْتُهَا. اهـ من (تهذيب اللغة).

وقال ابن منظور: الْحَيَاةُ نَقِيضُ الْمَوْتِ، وَالْحَيُّ مِنَ النَّبَاتِ: مَا كَانَ طَرِيًّا يَهْتَزُّ. وَقَوْلُهُ

تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يس: ٧٠، أَيْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَكَانَ يَعْقِلُ مَا يُحَاطَبُ بِهِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ كَالْمَيْتِ. الْجَوْهَرِيُّ: أَحْيَا الْقَوْمَ حَسُنْتَ حَالٌ مَوَاشِيَهُمْ. وَأَرْضٌ حَيَّةٌ: مُحْصَبَةٌ كَمَا قَالُوا فِي الْجَدْبِ مَيْتَةٌ. وَأَحْيَا الْقَوْمَ أَيْ صَارُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ الْخَضْبُ. وَإِحْيَاءُ اللَّيْلِ: السَّهْرُ فِيهِ بِالْعِبَادَةِ وَتَرْكِ النَّوْمِ، وَمَرَجُّ الصَّفَةِ إِلَى صَاحِبِ اللَّيْلِ. أَبُو زَيْدٍ: تَقُولُ أَحْيَا الْقَوْمَ إِذَا مُطِرُوا فَأَصَابَتْ دَوَابَّهُمُ الْعُشْبَ حَتَّى سَمِنَتْ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْفُسَهُمْ قَالُوا حَيُّوا بَعْدَ الْمُرَالِ. وَأَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ: أَخْرَجَ فِيهَا النَّبَاتَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا أَحْيَاهَا مِنَ الْحَيَاةِ كَمَا أَنَّ مَيْتَةً بِالْمَحَلِّ فَأَحْيَاهَا بِالْعَيْثِ. اهـ من (لسان العرب).

وقال الراغب الأصفهاني: الحياة تستعمل على أوجه، الأول: للقوة النامية الموجودة

في النبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حيٌّ، قال عز وجل: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الحديد: ١٧، وقال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ ق: ١١، الثانية: للقوة الحساسة، وبه سمي الحيوان حيوانا، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فاطر: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِنَا أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت: ٣٩، فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾، إشارة إلى القوة النامية، وقوله: ﴿لُمُحْيِ الْمَوْتِ﴾، إشارة إلى القوة الحساسة. الثالثة: للقوة العاملة العاقلة، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام: ١٢٢. وقول الشاعر: (وقد

أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي). والرابعة: عبارة عن ارتفاع الغم، وبهذا النظر قال الشاعر: (ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء). وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٩، أي: هم متلذذون، لما روي في الأخبار الكثيرة في أرواح الشهداء. والخامسة: الحياة الأخرى الأبدية، وذلك يتوصل إليه بالحياة التي هي العقل والعلم، قال الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤، وقوله: ﴿ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ الفجر: ٢٤، يعني بها: الحياة الأخرى الدائمة. والسادسة: الحياة التي يوصف بها الباري، فإنه إذا قيل فيه تعالى: هو حيّ، فمعناه: لا يصحّ عليه الموت، وليس ذلك إلا لله عز وجل. اهـ من (المفردات/ مع إتمام بعض الآيات التي ذكر جزءاً منها).

فواضح أن معنى عبارة: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، أي يحييكم بالمنافع ودفع المضار في دنياكم وآخرتكم. فعلامة مطلق الحياة، أي: أي حياة كانت، فعلاقتها بالنمو والإنتاج وبعث ما كان خامداً أو غير موجود، كإحياء النار بالنفخ وإحياء الأرض وكحياة المناق الجسدية وشبه ذلك. وأما الإحياء بالإيمان وبالمنافع والقيم الصالحة، فهو بعث ما كان خامداً أو ما كان غير موجود، بعثاً نافعاً في طريق الصلاح أو الكمال. ومما يؤكد استعمال مشتقات «الحياة» في الوجود النافع والسعيد، نحو قوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ طه: ٧٤.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢، يشمل من استنقذها من شدة المرض أو الجهل أو الظلم أو نحوه، بأن فعل ما يكفي لنقلها إلى



حال الصحة او العلم او العدل. وعن ابن عباس قال: « من شدَّ على عُضدِ نبيٍّ أو إمام عدل فكأنها أحيا الناس جميعاً، ومن قتل نبيّاً أو إمام عدل، فكأنها قتل الناس جميعاً. » رواه الطبري في تفسيره.

وتشمل ثقافة الإحياء، إعداد وفعل ما ينفع الناس وينهض بهم، ومكافحة عوامل الهلاك المادي والمعنوي. قال تعالى ﴿... كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد: ١٧. وتدبر قصة أصحاب الجنة التي قال تعالى فيها ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ القلم: ١٩ - ٢٠، إلى قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَقَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم: ٣٣. فلا شك أن هلاك البنية الاقتصادية عذاب، ويجب العمل على اجتنابه.

وينبه إلى كل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢؛ فتدبر أن الله لم يقل هنا: وما يستوي الأحياء والأموات، ولكنه تعالى كرر «ولا» مع ذكر الأموات أيضاً. ومن جهة علوم العربية، فإن عبارة «ولا» هنا، يمكن أن تكون مؤكدة لنفي الإستواء او تكون مؤسسة لمضمون جديد. وتقتضي قواعد الأصول أنه إذا استقام المعنى، فإن تأسيس المعاني مقدم على توكيدها. معنى ذلك أن النفي الثاني بـ: «ولا» ليس لمجرد التأكيد، وهذا قول طائفة خلافاً للقول المشهور عند المفسرين، إذ ذهبوا إلى أن النفي الثاني للتأكيد. غير أن قاعدة تقديم التأسيس على التوكيد قاعدة مشهورة، وربما يحصل خلاف فيها في تفسير كلام الناس وذلك لتأثير العرف على الصياغة اللفظية. ونكتفي هنا بقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: قَاعِدَةُ «التَّاسِيسُ أَوْلَى مِنَ التَّأْكِيدِ»، فَإِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَهُمَا، تَعَيَّنَ عَلَى التَّاسِيسِ. اهـ من (الأشبه والنظائر). ومقتضى التأسيس في الآية أن الأحياء لا يستونون في مضامين

الحياة المعنوية، بل يتفاوتون في علامتي الحياة، أي إنتاج الخير والنمو بالخير. وكذلك الأموات، فإنهم يتفاوتون في المضامين المعنوية للموت، ما بين التردد بين الكفر والإيمان من جهة، والمسارعة في الكفر والطغيان به من جهة أخرى.

وقال العلامة فاضل صالح السامرائي: وكذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾، تدل على معاني ثلاث هي أن الأحياء لا يستون فيما بينهم، والأموات لا يستون فيما بينهم، والأحياء والأموات لا يستون أيضاً، وهذه المعاني كلها مرادة. اهـ من (لمسات بيانية/ المحاضرات/ المكتبة الشاملة). وفي نظير هذه الآية، أي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ فصلت: ٣٤، ذكر السمين الحلبي وجهاً في معنى الآية، حاصله أن «ولا» الثانية غير مؤكدة؛ إذ يُراد بالحسنة الجنس، وكذلك السيئة، فكل واحدٍ منهما متفاوتٌ في جنسه؛ لأنَّ الحسناتِ درجاتٌ متفاوتةٌ، وكذلك السيئات. بل رجح الزركشي هذا الوجه في آية فصلت، فقال: فَمَنْ قَالَ: الْمُرَادُ أَنَّ الْحَسَنَةَ لَا تُسَاوِي السَّيِّئَةَ فَ «لَا» عِنْدَهُ زَائِدَةٌ، وَمَنْ قَالَ أَنَّ جِنْسَ الْحَسَنَةِ لَا يَسْتَوِي أَفْرَادُهُ، وَجِنْسَ السَّيِّئَةِ لَا يَسْتَوِي أَفْرَادُهُ وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ، فَلَيْسَتْ زَائِدَةٌ وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ. اهـ من (البرهان في علوم القرآن).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: فتضمنت هذه الآية أموراً، أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل باستجابة الله ولرسوله. فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهراً وباطناً. ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة. فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة. وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ. اهـ مع اختصار من (التفسير القيم).

**(الفائدة الثانية):** أحكام الدين كلها تحيي المؤمنين. فإن «ما» في عبارة ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

يُحْيِيكُمْ﴾، اسم موصول كما في مصادر إعراب القرآن وهو يصلح للعموم، فالأصل أنه يُحمل على العموم إلا إذا ثبت تخصيصه، ولا نعلم بعد البحث ما يدل على التخصيص. قال الإمام القرطبي: وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْجُمْهُورُ: الْمَعْنَى اسْتَجِيبُوا لِلطَّاعَةِ وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهِي، فَفِيهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَالنَّعْمَةُ السَّرْمَدِيَّةُ. وَالصَّحِيحُ الْعُمُومُ كَمَا قَالَ الْجُمْهُورُ. اهـ من (تفسير القرطبي)، أي ان الآية عامة في الإستجابة للدين، وليست خاصة بالجهاد او غيره. واللام في ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، حرف جر يفيد الإختصاص، كما أن الفعل «دعا» يتعدى باللام. وقال ابن عاشور: وَاللَّامُ فِي «لِمَا يُحْيِيكُمْ» لَامُ التَّعْلِيلِ أَي دَعَاكُمْ لِأَجْلِ مَا هُوَ سَبَبُ حَيَاتِكُمْ الرُّوحِيَّةِ. اهـ من (تفسير ابن عاشور)، والتعليل يقوي العموم.

فواضح من الآية أن كل شيء يدعوننا إليه الله تعالى ورسوله ﷺ فإن فيه حياة لنا، فهو ينهض بنا في الإيمان وفي العمل وفي التنمية الفكرية والثقافية وفي التعليم والبحث وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي المجتمع وفي الأمن والدفاع وفي الخدمات العامة كالطرق والاتصالات والكهرباء ونحوها من الأمور التي تضمنت نصوص الشرع طلبها او كانت من الوسائل التي يحتاجها تنفيذ الأحكام الشرعية. فهذه المجالات وأمثالها كلها يجب أن تُشمل بعمليات التنمية والمغالبة. وأما الأمور التي لم تُذكر بالإسم في الشرع، فإنها في حكم المذكورة بالمعنى حين تُستخدم لخدمة الدين وفي عمليات التنمية والمغالبة أي حين تكون هذه الأمور وسائل للواجبات، كعلوم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وغيرها، فإن أدوات القوة داخلية كلها في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠. وأما المباحات التي هي متعة محضة وليست من وسائل

الواجبات، فهذه ليست من مضامين الإحياء والتزكية، وإنما هي متعة تُضبط باجتناب الإسراف فيها.

وواضح أن عبارة ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، ليس لها مفهوم مخالفة في حق الله تعالى ورسوله، فإن مضامين دين الإسلام كلها تؤدي إلى إحياء العباد، وفي هذا المعنى آيات عديدة. ولكن توجد أمور تحتاج إلى صيغة الشرط في الآية، الأمر الأول: التدرج في نزول الوحي، فإنه يقتضي تكرار الدعوة. الأمر الثاني: تكرار الحاجة إلى تكليف مؤمن بشيء أو تذكيره بحكم، فإنه يقتضي تكرار الدعوة. الأمر الثالث: تجديد الدعوة لأجل التذكير والتثبيت. ولكن يمكن أن تتفاوت المضامين الإسلامية في أولويتها حين تتزاحم الأحكام على محل واحد؛ وقد تقدم ذكر تزاحم الأحكام في المبحث الثالث تحت عنوان: «رؤية الواقع وتأثيره».

ولما كانت دعوة الله ورسوله تحيي المؤمنين، فكل دعوة مخالفة لها تهلكهم، فلا تحل الإستجابة لها، فهذا هو مفهوم المخالفة الذي تنبه إليه الآية. والإحياء بالدين هو الأمر في الأحكام والأنظمة الشرعية، وأما الوسائل التنفيذية فتؤخذ من كل مكان بعد تنقيتها من الشوائب.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»  
رواه الإمام البخاري وغيره. وحكم قطع الصلاة عند دعوة النبي ﷺ قد يكون خاصاً

بالنبي ﷺ، غير أن الحديث يدل على أن أعمال الإحياء أي التنمية بالخير لها أهمية كبيرة وأولوية عالية.

**(الفائدة الثالثة):** تتابع عمليات الإحياء. ففي عبارة ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فإن الفعل المضارع «يحييكم» يفتح أفقاً مستقبلياً، لأنه يدل على التكرار والمطاوله. فالتدرج في نزول الوحي يقتضي تكرار الإستجابة، والثبات على الدين يقتضي ثبات الإستجابة. ويمكن في البداية أن يغيب عنك وجه الإحياء في أمر معين ولكنك ستراه بوضوح بإذن الله تعالى فيما بعد. وبعبارة أخرى، فإن المؤمن التقي الحي يحصل على المزيد من الإحياء مع كل استجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ. ويتضمن ذلك أن الإحياء ليس مقتصرأ على الإنقاذ من خطر شديد او تهلكة قريبة، بل يشمل الإحياء نمو الخير والإزدياد منه كما تدل عليه الآية بوضوح. وذهب ابن عاشور إلى أن اللام في عبارة ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، هي لام التعليل، أي دعاكم لأجل ما تحيون به؛ وهذا إعراب صحيح أيضاً، فإن لام التعليل تدخل على الفعل المضارع وعلى الأسماء، والتعليل أقوى في الدلالة على الأفق المستقبلي للإحياء.

**(الفائدة الرابعة):** مجالات وقواعد التنمية الشاملة. فإذا عدنا إلى العموم في قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، فإنه يتناول جوانب الإحياء كلها، فإن الفقر والمرض والجهل وشبهها تؤدي إلى التهلكة فهي نقيض الإحياء. ويوجب ذلك الاهتمام الشديد بالبنى التحتية وبالتنمية، وضبط ذلك بموازنات تجعل جانب الإحياء أعظم بكثير من جانب الهلاك في المجتمع والمؤسسات. وسيأتي تفصيل تحت عنوان خاص إن شاء الله تعالى.

**(الفائدة الخامسة):** عبارة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، فإن

القلب محل الآمال والأمانى وميول الفكر والرغبات والأهواء، فيمكن أن تشمل العبارة أمرين، الأمر الأول: أن دين الله تعالى ليس بتابع لرغبات الناس وميولهم، بل إن دين الله يحول بين ما ينبغي للمرء من جهة دينه، وما يريده ميل النفس والهوى من جهة أخرى. الأمر الثاني: أن العبارة تنبه المؤمن إلى ضرورة المبادرة بالإستجابة وباستثمار الفرص العملية بعد تقويمها، فإن الله تعالى قد يحول بين المتأخر المسوّف وبين القدرة على الإستجابة وعلى تحصيل الفرص، وذلك بإحداث المصاعب والعوائق وشبهها. وعبارة نقلها مكي في تفسيره: «يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه من طول العيش وامتداد الآمال والتسويق بالتوبة، فيعاجله الموت قبل بلوغ شيء من ذلك».

**ومنها: قوله تعالى:** ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة: ٣٢، فمن الفوائد:

**(الفائدة الأولى):** في أنواع الإحياء، فإن جملة ﴿أَحْيَاهَا﴾ فعل في سياق الشرط

وتفيد العموم او الإطلاق في كل أنواع الإحياء التي يمكن أن يفعلها الإنسان؛ وضمير النفس يقع على أي نفس محرمة كانت. فمن أنواع إحياء النفوس أي النهوض بها بمضامين الخير، النوع الأول: الإحياء بالدعوة إلى دين الله تعالى، فإنه إحياء عظيم لمن يقبل الدعوة بصدق، قال تعالى ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ١٢٢. النوع الثاني: زيادة الإحياء بالأخلاق والالتزامات الطيبة

والعلم والمهارات، وبكل نشاط أمر الإسلام بجملته او حض عليه كما سبق في آية الأنفال. مثاله قوله تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١. النوع الثالث: ذكرنا أن علامة الحياة النمو والإنتاج، فمن التزم بمؤمن حتى يجعله نامياً مُنتِجاً للمنفعة، فقد أخذ بدرجة كبيرة من درجات قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾. النوع الرابع: الإحياء بالإنقاذ من المخاطر والمهالك، وبالإنقاذ من الأمراض والعوائق التي تُقعد الإنسان عن العمل والنشاط. النوع الخامس: الإحياء بتمكين الإنسان من الضروريات كالغذاء والخدمة الصحية والسكن والتعليم والزواج والعمل ونحوها؛ وبتمكينه أيضاً من جملة من الحاجيات. يوضح الأمر أن إعداد قُدرة احتياطية أمر مطلوب في الشرع، بل هو واجب في كثير من الأمور، وقد بينا ذلك في (وجهة اللواء). ولا شك أن الحاجيات، وبدرجة أقل التحسينيات، هي القوة الإحتياطية لمواجهة الطوارئ على الضروريات. بل إن المطلوب من العلماء والباحثين المخلصين توقع المآلات الضرورية قبل بلوغها، كي يتم فعلاً تنزيل ما تتطلبه التوقعات من الحاجات منزلة الضرورة. والذي أراه أن استقامة أمر الضروريات يتطلب وجود وفرة من الحاجيات، وبدرجة أقل من التحسينيات. يضاف إلى ذلك أن المباحات هي وسائل الواجبات، فالمجتمع الذي يقل فيه مالكو المباحات (وكثير منها حاجيات) فإنه مجتمع ضعيف عاجز عن مواجهة متطلبات التنمية الرشيدة والمنافسة. وذكرنا في (المنطلق) تفاصيل عن ذلك؛ ويتصل بذلك كلام مهم للإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين/ كتاب الحلال والحرام). النوع السادس: الإحياء العام الذي يشمل الشعب عموماً؛ ويشمل ذلك التنمية السياسية والإقتصادية والمجتمعية والدفاعية والأمنية والفكرية والثقافية والعلمية وغيرها؛ ويكون كل ذلك على سبيل المنافسة والمغالبة بين الأمم.

**(الفائدة الثانية):** معنى عبارة ﴿ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾، نُذَكِّرُ أَوْلًا

أن التشبيه نوع من المماثلة في بعض الوجوه، ولا تلزمه المطابقة الكاملة بين الشئيين. وقد ذكرنا أن علامة الحياة النمو والإنتاج، فمن أعان مؤمناً كي ينمو ويُنتج، فله أجر مع كل حركة من حركات النمو والإنتاج في حياة من أخذ الإعانة وفي آثار ذلك بعد موته، فتضاعف الحسنات وكأنه أحيا الناس جميعاً. فالصدقة التي تُشغّل النمو والإنتاج صدقة جارية، وبعبارة أخرى فإن مساعدة واحدة ولكنها تُمكن إنساناً من النمو والإنتاج، ربما تكون أفضل من عدد من الصدقات التي تُطعم فقط. وربما يُراد من العبارة التنبيه إلى فضيلة صدقة الإحياء التي تجعل الإنسان نامياً مُنتجاً كي يقتدي الآخرون بها، ويأخذ كل فاعل لها أجرها وأجر آثارها وأجر من يستن بها، والله تعالى أعلم.

## وأما محور الإعمار:

**فقد قال تعالى:** ﴿ وَإِلَىٰ نُمُودٍ أَهْلَهُمْ صَلِحًا قَالِ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ

غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١، قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾، فيه مسائل:

**(أما أصل اللفظ ومعناه):** فمشتق من عَمَرَ يعمر عِمَارَةً، ويدل على إصلاح الشيء

بالبناء أو الإعداد أو التأهيل المادي والمعنوي؛ والتعمير ضد التخريب. قال ابن سيده: عَمَرَ اللهُ بِكَ مَنْزِلَكَ يَعْمُرُهُ عِمَارَةً وَأَعْمَرَهُ: جعله أهلاً. وَمَكَانٌ عَمِيرٌ: عامِرٌ، وَعَمَرَ الرَّجُلُ مَالَهُ وَبَيْتَهُ يَعْمُرُهُ عِمَارَةً وَعُمُورًا وَعُمُرَانًا: لزمه. وَحَكَى اللَّحْيَانِي عَنِ الْكَسَائِي: تركته يَعْمُرُ رَبَّهُ: أَي يُصَلِّي وَيُصُوم. اهـ من (المحكم). وقال ابن منظور: والعُمُورُ: المخدمُ. وَعَمَرْتُ رَبِّي وَحَجَجْتُهُ أَي خَدَمْتُهُ. والعِمَارَةُ: مَا يُعْمَرُ بِهِ الْمَكَانُ. والعِمَارَةُ: أَجْرُ الْعِمَارَةِ. وَأَعْمَرَ عَلَيْهِ: أَغْنَاهُ. واعْتَمَرَ الْأَمْرَ: أَمَّهُ وَقَصَدَ لَهُ. اهـ من (لسان العرب). وقال الراغب:



وَالْعَمْرُ وَالْعُمُرُ: اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة، فإذا قيل: طال عُمُرُهُ، فمعناه: عمارةً بدينه بروحه. اهـ من (المفردات).

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ التوبة: ١٨؛ ومن معاني التصوف أن عمارة المساجد هي من مواقف العبودية لله تعالى، فلا تتأتى إلا بتخريبِ مواقف الهوى والشهوة. وعمارة الأرض تشمل البناء المادي والمعنوي، يدل على ذلك كلام أئمة اللغة، وكذلك كلام الزمخشري وأبي حيان والبيضاوي والألوسي في تفسير آية التوبة.

قال أبو حيان: وَيَتَنَاوَلُ عِمَارَتَهَا (أي عمارة المساجد) رَمَّ مَا تَهَدَّم مِنْهَا، وَتَنْظِيفُهَا، وَتَنْوِيرُهَا، وَتَعْظِيمُهَا، وَاعْتِيَادُهَا لِلْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ. وَمِنَ الذِّكْرِ دَرَسُ الْعِلْمِ بَلْ هُوَ أَجَلُهُ، وَصَوْنُهَا عَمَّا لَمْ تُبْنَ لَهُ مِنَ الْحَوْضِ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا. من (البحر المحيط)؛ وسبقه إلى ذلك الزمخشري.

(وأما صيغة «استفعل»): في ﴿وَأَسْتَعْمَرُكُمْ فِيهَا﴾، فيمكن هنا حملها على معنيين أو أحدهما، المعنى الأول: أي جعلكم عمّارها، كما في (ديوان الأدب) وفي (المحكم)، وعلى هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ النور: ٥٥، أي يجعلهم خلفاء في الأرض، وكذلك قولهم: استعبده أي جعله عبداً. المعنى الثاني: طلب منهم العمارة فيها، كما قال الزمخشري في (أساس البلاغة)، واستعمال «استفعل» بمعنى الطلب كثير في العربية، كقولهم: استخبرته واستخلفتة واستعلمته واستعجلته. وعلى المعنيين، فإن حكم المغالبة يقتضي إتقان عمارة الأرض بالخير والنفع والتفوق في ذلك. وأما عمارة الأرض بالتفاخر والإسراف في المتعة فلا شك في ذمه وأنه خلاف مقاصد الشرع، فهو من جنس الذين قال تعالى فيهم ﴿أَتَبْنُونَ

بِكُلِّ رِبْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ  
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٣١.

## وأما محور تحصيل المنافع:

فقد قال الراغب: النَّفْعُ: ما يُسْتَعَانُ به في الوُصُولِ إلى الخَيْرَاتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخَيْرِ فهو خَيْرٌ، فَالنَّفْعُ خَيْرٌ، وَضِدُّهُ الضَّرُّ. اهـ من (المفردات).

وقال أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي الحموي: النَّفْعُ الخَيْرُ وَهُوَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِلَى مَطْلُوبِهِ يُقَالُ نَفَعَنِي كَذَا يَنْفَعُنِي نَفْعًا وَنَفِيعَةً فَهُوَ نَافِعٌ، وَأَنْتَفَعْتُ بِالشَّيْءِ وَنَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ وَالْمَنْفَعَةُ اسْمٌ مِنْهُ. اهـ من (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير).

ولما كانت القيمة للمضمون الحقيقي وليس للظاهر المزخرف، فإن النفع هو الخير الحقيقي وليس الشر المزخرف ولا الضر المزين.

وقد جعل الله تعالى للمنافع قيمة عالية، كما في قوله تبارك وتعالى ﴿.. كَذَلِكَ يَضْرِبُ

اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿ الرعد: ١٧. وذكرنا في (نخبة المسار) تفسيراً مفصلاً لآية

الرعد تحت عنوان (بناء النفوذ العميق)، ومما ذكرناه: فمن أراد أن يحمل المنافع المعنوية

فعليه أن يجهز للناس أفضل ما يمكن من الأنظمة الفكرية والسلوكية والتعليمية

والقانونية والسياسية وغيرها، وأفضل ما يمكن من الصالحين المؤهلين لتشغيل هذه

الأنظمة. ومن أراد أن يحمي المنافع المعنوية فعليه أن يجهزها بأفضل ما يمكن من المنافع

المادية كالمدارس والجامعات والمصانع ومراكز البحث وسائر وسائل العمل والحماية.

فالنفوذ العميق هو الإمساك بمنافع معنوية ومادية ممتدة في أبعاد الأرض، كما هو

معنى العمق في قوله تعالى ﴿يَأْتِينَك مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧، أي من كل طريق بعيد. وما كان كذلك فهو ما كثر في الأرض ومن المتعذر إزالته.

ولذلك أنكر الله على من يدعو ما لا ينفع فلا يمكن تحصيل النفع منه، وما لا يضر فلا يمكن أن يُراد منه منع الضرر أو دفعه، كما في نحو قوله تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الأنعام: ٧١؛ وكقوله تعالى ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٤) ﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ (١٣) الحج: ١٢-١٣.

وأنكر الله أشد الإنكار على من يهلك المنافع، كما قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٣٤) ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٣٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُ﴾ (٤٦) البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

وتدبر التزاحم بين أعمال التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأعمال الجهاد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزانا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يئني بها ولما بين بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سُقُوفها، ولا أحد اشترى عنماً أو خلفات، وهو يتنظر ولأدها» رواه البخاري ومسلم وغيرهما في سياق حديث.

وقد تجتمع المنفعة والمضرة في شيء واحد، كما يدل عليه قوله تبارك وتعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة: ٢١٩؛ فتدبر أن هذه الآية الكريمة لم تمنع الخمر ولكن منعت

الوقوع في الإثم بسبب الخمر؛ وبعد ذلك بزمن نزلت آية المائدة التي حرمت الخمر جملة وتفصيلاً. فكل أمر أو عمل يلزمنا ولكنه يتضمن أو يؤدي إلى منفعة ومضرة، فيجب السعي لتحصيل المنفعة واجتناب المضرة. فإن تعذر الإجتنب التام وكانت المضرة أكبر من المنفعة كما في الخمر، فقد تعين اجتناب الأمر كله والبحث عن البدائل الصالحة. وإن كانت المنفعة هي الأكبر وكانت ضرورية لعينها، فيصح تحمل الضرر الأدنى الذي يتعذر اجتنابه، لأجل تحصيل تلك المنفعة.

ولقيمة المنافع الحقيقية، أوجب النبي ﷺ الحرص عليها، ويقضي ذلك جعل تحصيل المنافع ثقافة عامة. فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، حِرْصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتِعْنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» رواه الإمام مسلم وأحمد والنسائي في (الكبرى) وأبو يعلى وغيرهم، وصححه الشيخ الألباني وحسين سليم أسد وغيرهما. فتدبر عبارة «**حِرْصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»، فإنها تتضمن شدة العناية بتحصيل المنافع؛ وتدبر عبارة «**وَلَا تَعْجِزْ**»، أي قاوم العوائق وأحسن في بلوغ المنافع. وسر ذلك أن المنافع الدنيوية هي وسائل الواجبات وتحقيق الغايات الشرعية، بل هي من ضروريات المغالبة إن لم يحتكرها الفاسدون. ويتضمن كل ذلك قوله تعالى ﴿... وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ الرعد: ١٧. وأما ظاهر النهي عن «لو»، فينبه سياق الحديث إلى أن المراد به تذكُّر القَدَر وما فيه من أسرار لا يعلمها إلا الله تعالى، فإن «لو» المذكورة قد تُنسي حكم القدر. وقال العجلوني: وجمع النووي بينه وبين ما ثبت من استعماله صلى الله عليه وسلم: «لو سلك الناس وادياً»، «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، بأن الظاهر أن النهي عن إطلاقها فيما لا فائدة فيه، وأما من قالها تأسفاً على ما فات من طاعة الله

تعالى، أو ما هو متعذر عليه منها ونحوه، فلا بأس، وعليه يحمل ما وجد في الأحاديث. اهـ من (كشف الخفاء ومزيل الإلباس).

وينبغي التذكير بأن الطغيان في المنافع يجعلها في حكم المضار، فقد قال تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ﴾ طه: ٨١؛ فإن الطيبات هي المنافع المشروعة في الأصل، المالية وغيرها. وأما الطغيان، فكل شيء يجاوز القدر فقد طغى، مثل ما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود، والطاغية: الجبار العنيد، كذا في (العين). وقال ابن منظور: وفي حديث وهب: إنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ، أَي يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى التَّرْخُصِ بِمَا اشْتَبَهَ مِنْهُ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَيَتَرَفَّعُ بِهِ عَلَى مَنْ دُونَهُ، وَلَا يُعْطِي حَقَّهُ بِالْعَمَلِ بِهِ. وكلُّ مُجَاوِزٍ حَدَّهُ فِي الْعِصْيَانِ طَاغٍ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ الشمس: ١١، قَالَ: أَرَادَ بِطُغْيَانِهَا. اهـ من (لسان العرب). ومعنى آية الشمس: كذبت ثمود بسبب طغيانها، فالباء سببية وهو قول جمهور المتأولين، كما نقل ابن عطية في تفسيره.

والطغيان في الحلال أنواع كثيرة، منها: الإسراف والتبذير في إنفاق المال. ومنها: تسخير الحلال والقدرات والوجاهة لخدمة الحرام ولمساعدة الظلمة. ومنها: الإسراف في التمتع بالطيبات وفي السعي لأجلها، بدرجة تنسيه ما يوجبه الشرع عليه. ومنها: حين توجد بأيدي المترفين قُدرات مالية كبيرة، ولا رادع لهم عن سوء الإستغلال، قال تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء: ١٦، أي أمرنا مترفيها بطاعة الله تعالى وبالفضائل ففسقوا بالعصيان والفساد؛ وإنما يكون ذلك حين ينتشر فسق المترفين ويمتد في القرية، أي حين يكون المترفون هم القادة أو هم أصحاب النفوذ ولا رادع لهم من القادة. وقد تقدم شرح مفصل

للترف في المبحث الثالث تحت عنوان: «الإسراف والترف والإنغماس في التمتع الدنيوي».

ومن هذا المحور، قيمة الأموال، قال تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ

اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا ﴾ النساء: ٥؛ فتدبر عبارة ﴿ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا ﴾، أي جعل الله أموالكم لكم قيماً، وباختصار، فإن القيام مصدر قام، كما ذكر أبو البقاء العكبري وغيره. والقيام في الأجساد نقيض الجلوس والسقوط والإضطجاع، تقول: جلس فلان على الكرسي ثم قام عنها، وقام المريض ثم سقط، ومنه قوله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٥. وأما في المعاني وفي أداء الأمور، فإن القيام يُستعمل بمعنى النهوض للأمر، أي الإستعداد والتحضير والتأهب لأداء الأمر. وكذلك يُستعمل القيام بمعنى النهوض بالأمر ومراعاة متطلباته وفعله وتوفيته حقه؛ ونقيض ذلك: توائى وتقاوس وتكاسل وتثبط. فمن النهوض للأمر أو إليه قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ... ﴾ المائدة: ٦. ومن النهوض بالأمر أي فعله وتوفيته حقه من الجهد، قوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ المائدة: ٦٨، وقوله تعالى ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ ﴾ الأنعام: ٧٢، أي أدوها بشروطها وواجباتها. وقال تعالى ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣، ونقل ابن منظور عن الإمام الفراء: أُمَّةٌ قَائِمَةٌ أَي مُمْسِكَةٌ بِدِينِهَا. وقوامُ الأمر، بِالْكَسْرِ: نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ، كما في (لسان العرب).

نرجع إلى آية النساء وعبارة ﴿ **أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا** ﴾، فهي نص صريح أن الأموال سبب كبير من أسباب النهوض بالمؤمن وبالجماعة وبالذولة، فالمال هو من الذي يُقِيمُ كما هي عبارة أبي عبيدة في (مجاز القرآن)؛ والمال هو قيام عيشك كما روى الطبري عن الحسن؛ وقال الزجاج: يقال: هذا قوام الأمر وملاكه. المعنى: التي جعلها الله تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا، والمعنى جعلها الله قيمة الأشياء فيها يقوم أمركم. اهـ من (معاني القرآن وإعرابه)؛ وقال الماتريدي: هكذا جعل الله هذه الأموال أغذية للخلق، بها يقوم دينهم وأبدانهم. اهـ من (تفسير الماتريدي)؛ وَالْقِيَامُ وَالْقَوَامُ: مَا يُقِيمُكَ كما ذكر القرطبي، أي ما ينهض بك. ولا بد من التذكير بأن الآية ليس فيها حصر ما يقوم بنا بالمال، ولكن المال سبب كبير لإقامة الحال، وعبارة السمين الحلبي: جعله (أي المال) مما يمسسكم ويرد قواكم لأنه سبب رزقكم. اهـ من (عمدة الحفاظ). ومما قيل في المال: «رجل بلا مال رجل فقير، وأفقر منه من لا يملك إلا المال»، نقله الباحث منير عبود في (موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية).

ويوجب كل ذلك السعي لتحصيل الأموال واستثمارها والإنتفاع بها وصيانتها وحمايتها من عوامل الفساد والطغيان.

ومن هذا المحور، الإعداد الإحتياطي، منها قوله تعالى ﴿ **وَلَنْبَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧؛ أي ولنصيبينكم بذلك إصابة تشبه فعل المُخْتَبِرِ لأحوالكم، هل تصبرون على البلاء وعلى العمل وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة؟ وواضح أن الجماعة الواعية لا تجلب على نفسها هذه المصائب عمداً، ولكنه ابتلاء تقتضيه الأحوال القاهرة أو بسبب سوء إدارة الجماعة، ويجب على

الجماعة السعي بقوة لاجتناب المصائب. فلا شك أن حصول شيء من تلك المصائب يُرشد إلى العمل والإعداد لإجتنابها، ولتقليل أضرارها حين تقع. ويوجب ذلك التنمية ضد المخاوف (كالتمنية الدفاعية والأمنية والصحية والثقافية وغيرها)، وكذلك التنمية الغذائية والمالية والإنتاجية (الثمرات). وتوجد نصوص أخرى في الإعداد الإحتياطي، ذكرناها في تفسير آية الإعداد وما بعدها من (وجهة اللواء)، وسيأتي ذكرها هنا باختصار تحت عنوان: «من عوامل تأسيس وإدامة التنمية» إن شاء الله تعالى.

### وأما محور المنافسة والمغالبة: فقد ذكرناه في (المنطلق) وفي (نخبة المسار)، في

تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ آل عمران: ٢٠٠، وقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا ۗ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة: ١٤٨. وسبق ذكره في هذه الدراسة أيضاً.

### وأما مكافحة العوائق والهدم: فسيأتي ذكره قريباً في موضعين إن شاء الله

تعالى.

## مجالات

### وقواعد التنمية بالخير

سبق أن ذكرنا أن التنمية الشاملة تشمل كل مجال طلب الشرع العناية به وإقامته، فإن فيه حياة لنا، وتشمل كذلك وسائل خدمة الدين والنهوض به في مجالات الحياة، وقد بينا ضابط ذلك في الفائدة الثانية من تفسير آية الأنفال.

### فمجالات التنمية الشاملة تشمل:

● الفكر والثقافة الإسلامية.



- العلم وتنمية البحث والتطوير.
- التربية والتعليم ومكافحة الأمية.
- كفاية الضروريات ووفرة من الحاجيات لعامة المواطنين.
- رؤية الأفق العالمي لمجالات التنمية وجعله ثروة معرفية وليست عقائدية، ويمكن الإنتفاع بها فيما يخدمنا ولا يتعارض مع الإسلام.
- الإنتاج المادي كالصناعة والزراعة والبناء، والعلوم المتصلة بها.
- الأنظمة الإجتماعية وقواعدها الإسلامية، كالنظام الأسري والتكافل والمسؤولية العائلية.
- الخبرة البشرية ومهاراتها التي يمكن أن تخدم كل مجال من مجالات التنمية.
- الأنظمة (القيادة والإدارة والتنفيذ) في المجالات المتنوعة، كالمجال السياسي والإقتصادي والدفاعي والأمني والقانوني والتعليمي وغيرها، وجعل هذه الأنظمة خاضعة دائماً للتقويم والتحسين المستمر.
- الخدمات العامة، كالمياه والكهرباء والموصلات والطاقة والصرف الصحي وغيرها.
- عمارة الأرض بالخير والنفع، المادية منها والمعنوية والعلمية.
- تنمية القوة: وتعتمد على التنسيق والتوجيه الإستراتيجي لمجموع المجالات المذكورة أعلاه بالإضافة إلى الأمن والدفاع. ويحتاج هذا المجال إلى عنوان خاص.

## تنمية القوة:

القوة ضد الضعف، والمستضعف هو المقدر عليه من العدو. فمعنى القوة باختصار هو القدرة على التأثير في الآخرين والقدرة على تقليل او منع الوقوع تحت تأثيرهم. ويمكن قياس القوة بقياس هذين العاملين في المجالات التي تُشكل القوة بصورة مباشرة او غير مباشرة؛ ويشمل ذلك الأنشطة الدفاعية والأنشطة التي يمكن أن تساعد الدفاع.

يوضح الأمر أنه لا توجد قوة بشرية تستقل بنفسها إلا قوة العقيدة في القلب؛ وأما المجالات الأخرى كالقوة الثقافية والعلمية والعسكرية والأمنية والبشرية والسياسية والإقتصادية، فإن بعضها يرتبط ببعض ويؤثر عليه.

ويوجب الإسلام بناء القوة بأنواعها كلها، وعلى سبيل المغالبة والتنافس، وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في المبحث الثالث من (وجهة اللواء). ونكتفي هنا بذكر بعض النصوص الشرعية:

**قال تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ الأنفال: ٥٩ - ٦٠.**

وقال تعالى ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ الكهف: ٨٣ - ٨٥؛ فتدبر الترابط بين التمكين وتحصيل الأسباب بأنواعها في المجالات كافة.

**وقال تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ الإسراء: ٦؛** فتدبر أن الله تعالى لم يقل: أكثر نفراً أي أكثر عدداً، ولكنه تعالى قال ﴿ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾، أي أكثر قدرة على استنفار الآخرين من شعبهم ومن غيرهم. فقوة بني إسرائيل خلال العقود الماضية تعتمد بدرجة رئيسة على قدرتهم على تحريك الآخرين وتوظيفهم لخدمتها. ولم يحصل ذلك إلا بعد جهود كبيرة وعلى مدى زمن طويل.

وقال تعالى ﴿ بَلْ مَنَعْنَا هُمُومًا وَعِبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا

نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ ٤٤﴾؛ أما الأرض:

فهي التي عليها الناس، ويُعبر بالأرض أيضاً عن أسفل الشيء كما يُعبر بالسماء عن أعلاه، وأرض الإنسان رُكبتاه فما بعدهما وأرض النعل ما أصاب الأرض منها كما في (المحكم) لابن سيده؛ ويُقال لِأَعْلَى الْفَرَسِ سَمَاءٌ، وَلِقَوَائِمِهِ أَرْضٌ كما قال ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة). وقال أبو البقاء الكفوي: الأَرْضُ: كل ما اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ قَدَمَاكَ، وكل ما سفل فَهُوَ أَرْضٌ. اهـ من (الكليات). وأما عبارة «ننقصها»: فالنقص نقيض الزيادة.

وبينه السياق إلى أن التقدير: نأتي النفوذ في الأرض او السلطة على الأرض ننقصها من

أطرافها، فليس المقصود النقص في جرم الأرض. وفي تفسير ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿ الرعد: ٤١﴾، قال ابن كثير: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: لَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ تَنقُصُ

لِصَاقٍ عَلَيْكَ حُشُوكَ، وَلَكِنْ تَنقُصُ الْأَنْفُسُ وَالشَّمَرَاتُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ: لَوْ كَانَتِ

الْأَرْضُ تَنقُصُ لَمْ تَجِدْ مَكَانًا تَتَعَدُّ فِيهِ، وَلَكِنْ هُوَ الْمَوْتُ. وَقَالَ ابن عباس في رواية: خرابها

بموت علمائها وفقهائها وأهل الحَيْرِ مِنْهَا، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ أَيضًا: هُوَ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ. اهـ من

(تفسير ابن كثير). وأما عبارة «من أطرافها»: فطرف الشيء جانبه وناحيته وامتداده،

ويُستعمل في الأجسام والمعاني، كقوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَيْنَ الْبَيْتِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ

لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿ طه: ١٣٠﴾؛ وقوله تعالى ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ آل عمران:

١٢٧. فكأن الأرض في آيتي الرعد والأنبياء هي أرض نفوذ الأمر والسلطة. ولما كان

لبُنى التحتية تأثير حاسم على النفوذ والسلطة، فإن أكبر تأثير للتناقص في الأطراف هو

تناقص البنى التحتية التي تمد المركز في أعمال الدولة ومؤسساتها. ويشمل ذلك الجوانب

المتنوعة التي ينبغي أن تُعد كي تمد المركز بالقوة الاقتصادية والبشرية والعلمية والمعنوية

وغيرها. فتنبه الآية إلى أن زوال الأمم يمكن أن يكون ابتداءً من أطراف البنى التحتية

التي تمد المركز، ويتفاهم الأمر حتى يضعف إمداد المركز وتدخل فيه اختراقات الأطراف، وبذلك تتضاءل قُدرات المركز الدفاعية ويسهل النيل منه. والتعقيب بعبارة: ﴿ أَفَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ يساعد على تفسير «الأرض» بما ذكرناه، كما أن هذا التفسير يصلح كقاعدة عامة، وليس خاصاً بزمن دون آخر. وأما من حمل كلمة «الأرض» في الآية الكريمة على الجسم أو الجرم الذي نعيش عليه، فإنه مضطر إلى تضمين الآية ما ذكرناه من المعاني كي تتم معرفة كيفية زوال الدول الذي قصده الآية. ومن المهم هنا أن في الآية الكريمة إشارة إلى عدم كفاية طرف واحد من الأطراف التي يمكن أن تمد مركز القوة، بل تجب العناية الكبيرة بالمركز وبالأطراف التي تمده بأنواع الإمدادات، وحمايتها كلها من الترهل والإختراق. وقال الراغب: إنَّ نقص الأطراف من الشيء موصل إلى توهينه وإزالته، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿ أَنَا نَاقِي الْأَرْضِ نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾. اهـ من (تفسير الراغب/ في المكتبة الشاملة)، والله تعالى أعلم.

وتوجد نصوص شرعية تخص البنى التحتية، منها قوله تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النحل: ٢٦، وقوله تعالى ﴿ كَرَزَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ الفتح: ٢٩، وقد ذكرنا هذا الأمر في (المنطلق) وفي (نخبة المسار).

## من أصول التنمية:

للتنمية أصول فقهية مهمة:

منها: فهم الصلة بين البناء والهدم، أو التوازن بين الأوامر والنواهي (أي المعروف والمنكر). فمما ذكرناه في (المنطلق) وفي (نخبة المسار)، أن تنمية البناء الإسلامي، إنها هو

بطاعة الأوامر الشرعية، أي إقامة الواجبات من عبادات ومعاملات وقوة وعدل وعمران ومؤسسات وأنظمة اجتماعية وقانونية وسياسية ودفاعية وغيرها، وكذلك ترسيخ منهج التنافس والمغالبة في إتقان الأنظمة وفي فروض الكفاية الكثيرة. وأما التحريم او النواهي الشرعية فهي حماية للبناء من الهدم ومن تراجع التنمية. فبناء الفرد بالتقوى والفضائل والعلم يُهدم بالشهوات والأهواء وعوامل الجهل، والبناء الاجتماعي يُهدم بالردائل والفساد، والبنية القانونية تُهدم بالظلم والفساد، والبنية السياسية والأمنية تُهدم بتولية الظالمين وموالاتة الأعداء وشبهها من المحرمات السياسية، وهكذا الأمر في المباني الإسلامية كلها. وعند التساهل في تمرير الفساد وحصول النخر في قواعد البناء، فإن الهدم يتسارع جداً، ولذلك قالوا: إن الهدم أسرع من البناء ، وقد قال تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ لَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النحل: ٢٦. ولذلك كله، فإن من ضرورات التنمية أن تُقام البنى الشرعية بتدرج منضبط تجمع فيه بين البناء والحماية من الهدم، وتجمع فيه أيضاً بين إطلاق وسائل البناء أي فتح الذرائع وبين سد الذرائع إلى الهدم، فهذا كله من ضرورات العمل، وقد نضطر لمنع مفسدة كبيرة الى تحمل مفسدة دونها. وسبق ذكر المزيد تحت عنوان: «طرق إطالة الإمتداد المستقبلي».

**ومنها:** عدم حصر التفكير بوسيلة المباشرة والتنفيذ. فلأجل التمهيد لإقامة الحق وتنميته ولتقليل الفساد ومنعه، يجب التفكير بكل الوسائل والأحكام التي تخدم المقصود وتساعد عليه.

ولفهم ذلك يمكن النظر إلى أحكام دينية لها وسائل ثابتة بالشرع. فالسرقة مثلاً وسبل منعها، فقد ثبتت في الشريعة أحكام كثيرة تؤدي إلى سلامة المجتمع وندرة السرقة بالإضافة إلى تشريع قطع يد السارق التي هي وسيلة المباشرة، وقد يكون القطع متأخراً في

الرتبة عن الوسائل الأخرى. وأما الزنا فإنه لا يمنع بقطع الذكر أو الإختصاء ولكن بغض البصر وستر ما يجب ستره وتيسير النكاح والحد وما أشبه ذلك. والكذب كذلك لا يمنع بقطع اللسان ولكن بغير ذلك من الأحكام وأساليب التربية الإسلامية. فكذلك الأمر في الوسائل التي ليس فيها نص، ولكن يتصرف بها المسلمون منعاً وإيجاباً بحسب ما تقتضيه الأحكام الإسلامية، فإن وليّ الأمر أو الفقيه لا يحصر فكره بوسيلة المباشرة وإلا فإنه قد يتأخر بحيث لا يقدر أن يفعل شيئاً، ولكنه يخدم المقصد الديني من كل جهة وبكل وجه مشروع.

وأيضاً فإن وسيلة المباشرة قد يكون فيها فوائد أخرى كثيرة مما يوجب سد الذريعة من غير وسيلة المباشرة، فعن سعد ابن أبي وقاص قال: أَرَادَ عُمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ أَنْ يَنْبَتَلَ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ أَجَازَ لَهُ ذَلِكَ لَأَخْتَصَيْنَا. رواه مسلم والبخاري وغيرهما. والمراد بالنبتل هنا الإنقطاع عن النكاح، وإنما أرادوه منعاً للوسيلة التي تشغلهم عن الإنقطاع إلى الله تعالى، وقد قال تعالى ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ المزمّل: ٨، فالنبتل هو الإنقطاع، فلم يحل لهم الاختصاء أو قطع الذكر لأجل الإنقطاع إلى الله تعالى.

وقريب من ذلك التنمية الثقافية والأخلاقية والعلمية والصناعية والزراعية وغيرها، فإن البداية في كثير من الأحيان ليست بالمرحلة الختامية، ولكن بأعمال أخرى (غير مباشرة) تمهد وتوصل بعد زمن إلى الغاية المرجوة؛ وحتى حين تقدر أن تبدأ بالغاية المرجوة بصورة مباشرة، فإنك تحتاج عادة إلى تنمية العوامل المساعدة غير المباشرة، وإلى مكافحة العوامل الضارة غير المباشرة. ويحتاج الأمر إلى تخطيط بأفق واسع يرى العوامل المؤثرة سلباً وإيجاباً بصورة واسعة وقابلة للإتساع.

**ومنها:** منهج تنمية الوسع (القدرات). فإن ما لا تقدر عليه الآن، فإنك تقدر عليه بعد تطوير قدراتك بإذن الله تعالى. وإن كنت قادراً على السعي لتنمية الوسع فإنك مكلف

بذلك إذا كان في خدمة الواجبات الشرعية. وقد تكلمنا بتفصيل عن هذا الأصل وما يتصل به، في (المنطلق/ الفصل الثالث: الضرورة والإضطرار والتقيّة: تنمية الوسع أو تطوير القُدّرات).

## من عوامل تأسيس وإدامة التنمية:

- تُعدُّ التنمية الشاملة من أهم مطالب الدين كما سبق بيانه في تفسير آيات التزكية والإحياء، وذلك أن ظهور الشرع وأحكامه يرتبط بقوة بالتنمية.
- إشراك عامة الشعب إذ يجب تنميتهم كلهم، فإن واجب التزكية والإحياء يشمل كل مؤمن، ويشمل بالتلازم المؤسسات والدولة.
- إعداد البيئة الصالحة للتنمية، مثل ثقافة المسؤولية العامة ووجود الأنظمة الجيدة ومكافحة عوائق التنمية.
- شمول الجوانب التي يقوم عليها الإحياء، أي التي يشملها طلب شرعي مباشر أو غير مباشر، على نحو ما ذكرناه في تفسير آيات التزكية والإحياء.
- التوازن بين المجالات، وليس معنى ذلك تساوي الجهد والإنفاق بينها، ولكن المقصود أن يأخذ كل مجال نصيبه بحسب أولويته وأهميته الإستراتيجية. وبعبارة أخرى، يُعطى كل جانب نصيبه المقرر في توازن المصالح. وأما التوسع في جزء من الإسلام من طريق التفريط في أجزاء أخرى، فهذا من جنس الغلو في الدين.
- الإلتزام الشرعي والأخلاقي. ونذكر هنا بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣، فكأن المعنى على حذف مضاف، تقديره: أعمال الحياة وأعمال الموت أي أعمال التحضير للموت، فينبغي أن تكون كلها لله

تعالى، ومنضبطة بأحكام الشرع. وقد تقدم تفسير الآية في الفائدة الثالثة من عنوان «اكتساب صفة المبادرة والسبق بالخيرات».

● الواقعية: أي العمل ضمن الوسع مع عمليات تنمية الوسع. مثال ذلك قوله تعالى ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الأحزاب: ٦، فالنبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في رعاية مصالحهم، ومن أهمها تنميتهم وتقوية دور الدولة في خدمتهم. وتدبر حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ» رواه الإمام مسلم وغيره في سياق حديث. والضّياع مصدر ضاع يضيع ضياعاً، ومثله: قضى يقضي قضاءً، ويُستعمل إسمًا لكل ما هو معرض أن يضيع إن لم يُتعهد كالذرية الصغار والأطفال والزمنى الذين لا يقومون بذاتهم وسائر من يدخل في معانهم من المرضى والمعاقين. وبلوغ الدولة لهذا الإلتزام العالي يتدرج بحسب تدرج قُدّرات الدولة، فبعد ذكر هذا الحديث في (طرح الشريب) قال الحافظ زين الدين العراقي او ابنه أبو زرعة: وَالَّذِي تَقَدَّمَ مِنَ الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا «أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَعَلَ ذَلِكَ حِينَ فَتَحَ الْفُتُوحَ وَأَتَسَّعَ الْأَمْوَالَ». وَكَيْفَ كَانَ، فَهَذَا الْحُكْمُ وَهُوَ «امْتِنَاعُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ» مَنْسُوخٌ بِلَا شَكٍّ فَصَارَ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَيُؤَيِّ دَيْنَهُ كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. اهـ من (طرح الشريب). وقد سبق الكلام عن رؤية الواقع وتأثيره في المبحث الثالث.

● التطور والتغيير او المنافسة والمغالبة: يدل على ذلك قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠، وقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَةٌ فَاسْتَغْفِرُوا الْحَيْرَاتِ﴾ البقرة: ١٤٨. وقد ذكرنا تفسير الآيتين في (المنطلق).

● التقويم المنتظم لمسار التنمية.



● العمل للأجيال القادمة: من ذلك الاهتمام بالطفولة والشباب ونقل الرسالة إليهم، وحساب حاجة الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية وفي سلامة البيئة وفي السكن. ومن ذلك جعل المشاريع الإنتاجية قابلة للإستمرار إلى الجيل القادم ولكن من غير تفريط بالتطوير والتحسين ومقتضيات المغالبة. وهذه الرؤية يشملها حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » رواه مسلم والبخاري وغيرهما. وعلى الجيل الحاضر أن لا يكون سبباً في انحراف الجيل القادم، وقد قال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ٥٩ ﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ٦٠ ﴾ مريم: ٥٩ - ٦٠ .

● توفية الحقوق: وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١ ﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ ١٨٢ ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٨٣ ﴾ الشعراء: ١٨١ - ١٨٣، وقد تقدم تفسير هذه الآيات في المبحث الثالث تحت عنوان «الوزن والميزان».

● الإعداد الاحتياطي: توجد أدلة عديدة توجب هذا الإعداد ، فقوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..... ﴾ الأنفال: ٦٠، يشمل القوة المُجَهَّزة للإستعمال والقوة الاحتياطية لتحسين الأداء (أي القوة الإضافية)، وكذلك الإحتياط المدَّخر، وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآية في (وجهة اللواء). وقال تعالى ﴿ وَالذِّبْنَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان: ٦٧، فتقدير

الإففاق بما يقوم به الأمر وعدم الإسراف بإنفاق ما تبقى، يستلزم إبقاء رصيد احتياطي للنوائب او التنمية في مجال آخر او الإدخار. وكذلك أدلة السياسات الوقائية، فإنها تشمل الإعداد الاحتياطي، كقصة ردم يأجوج ومأجوج، وكذلك قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ النساء: ٧١، فإن الحذر إعداداً لخطر مستقبلي محتمل. وقصة يوسف عليه السلام مثال واضح على الإدخار للنوائب، وذكرنا في (المنطلق) أدلة أخرى، كما ذكرنا في (وجهة اللواء) تفاصيل مهمة. وفي كثير من الأحيان تكون العاقبة أليمة جداً لمن رمى بقدراته كلها ولم يترك رصيماً احتياطياً. ومن الإحتياط لتحسين الأداء، قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَّأَمْرَاتَانِ مِمَّن رَّضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ البقرة: ٢٨٢.

● المحافظة على دور الدولة في التنمية، وذلك لمسؤولية القيادة عن تنمية الشعب، وكذلك لمنع استبداد المنافع الخاصة وتحويلها إلى مضار. فتدبر أن مسؤولية التزكية او التنمية بالخير تبدأ من قيادة الدولة كما سبق في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١. وكذلك التوجيه إلى أعمال الإحياء أي التنمية بالخير، كما سبق في قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤. هذا بالإضافة إلى واجب الدولة في الإنهاء المدرج لإحتكارات الأغنياء الصناعية والتجارية والمهنية وغيرها، فقد قال تعالى ﴿ مَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنَّىٰ لَّا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر: ٧، وقد قرأ هشام وأبو

جعفر المدني: «تكون» بالتاء، و: «دولة»، بالرفع على أنه فاعل لكان التامة فلا يوجد حذف ولا حاجة إلى تقدير، ومعنى هذه القراءة: كي لا توجد دولة بين الأغنياء منكم، ولفظ «دولة» اسم لما يتداول، وهو في الآية نكرة منفية تفيد العموم. وتفصيل ذلك أن تقسيم الفيء على الوجه المذكور هو واحد من التشريعات التي تهدف إلى منع وجود أي نشاط من الأنشطة المهمة في المجتمع يتركه الأغنياء، فلا يجوز مثلاً أن يكون نظام العمليات الانتخابية معتمداً على تمويل غير مقيد يستخدمه الأغنياء كي تكون المناصب القيادية بأيديهم وأيدي من يأخذ منهم، ولا يجوز كذلك أن تعتمد وظائف الشهادات العليا بشكل واسع على الدراسة بالنفقة الخاصة إذا كانت باهظة الثمن يتركها الأغنياء وأولادهم، ولا يجوز أن يكون جزء كبير من الإعلام حكراً عليهم، وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة. وقراءة الجمهور ليست معارضة لمعنى قراءة هشام وأبي جعفر المدني، وقد بينا ذلك في (وجهة اللواء)، تحت عنوان: «الفقه الاقتصادي في مواجهة عولمة الرأسمالية». وللدولة كذلك المسؤولية الكبرى في سياسة الموارد الطبيعية والمحافظة على كونها مالاً عاماً. والدولة مسؤولة كذلك عن ضبط ترشيد الإستهلاك من قبل المنتج والمستهلك، ومسؤولة عن حماية المستهلك والإنتاج الإستراتيجي؛ ومسؤولة أيضاً عن ضوابط توفية حقوق العاملين في المؤسسات الحكومية وغيرها. ومن مسؤوليات الدولة أن تضمن من المؤسسات الإنتاجية عدم التعدي على البيئة.

● من ضوابط التعاقد مع شركات الإستثمار: الإستثمار الإصطلاحي هو وسيلة شائعة من وسائل التنمية، مثل التعاقد مع شركة لإصلاح أراض زراعية أو لإنشاء مطار مدني أو غير ذلك من المشاريع. غير أن الإستثمار وسيلة لسرقة الشعوب وتنمية الفساد في الدول الضعيفة وفي ظل الحكومات الفاسدة. فلا بد من ضبط الإستثمار بضوابط تضمن الحقوق المشروعة للطرفين، فمن الضوابط:

- ✓ النزاهة الوظيفية للجهة الحكومية المسؤولة عن التعاقد والمتابعة.
- ✓ مراعاة معايير عالية في خصائص المشروع، وبتقنيات متقدمة.
- ✓ الأصل في الإستثمار الأجنبي المنع إلا عند عدم التيقن من قُدرة الشركات المحلية على تحقيق المعايير المطلوبة او تقديم الضمانات المطلوبة او تمويل العمل بدون قروض حكومية، وأما قروض المصارف غير الحكومية فلا مانع منها، ويتحمل المستثمر المحلي مسؤوليتها بالكامل. وكذلك يجوز الإستثمار الأجنبي عند غلو الأسعار المحلية قياساً إلى الأجنبية.
- ✓ المنافسة المفتوحة في اختيار أفضل الشروط.
- ✓ تكون حقوق المستثمر بعيدة جداً عن مضامين امتلاك الأصول الوطنية، ولكن مضامين الأجر وقيمة العمل. وبعبارة أُخرى، يكون المستثمر مالكاً لشركته ولقيمة عمله. ويمكن أن تُدفع قيمة العمل بالتدريج من أرباح المُنتَج او من الإستقطاعات من مُستعملي المُنتَج.
- ✓ جعل الإستثمار الأجنبي وسيلة لنقل التقنيات العلمية والصناعية وغيرها مما يتضمنها الأداء التنفيذي، ويشمل ذلك تدريب وتأهيل الفنيين المحليين، وكذلك تشغيل العمالة الوطنية بنسبة تتوافق مع طبيعة العمل.
- ✓ لا يجوز أن يقوم المستثمر ببيع الإستثمار او تحويله إلى جهة أُخرى، سواء كانت أجنبية او محلية.
- ✓ شراكة المستثمر الأجنبي مع شريك محلي ممكنة قبل الإبرام النهائي للعقد، ولكنها ليست ضرورية إذ يمكن أن تُدخل الفساد. وبدلاً من ذلك، توضع شروط مفصلة في العقد تُمكن الطرف الأول في العقد (أي المؤسسة الحكومية) او مَنْ يحوله الطرف الأول من تعديل المسار الخاطيء.

✓ يُسنُّ قانون مفصل للإستثمار عموماً، كشروط الإستثمار والتسهيلات الضرورية في حركة الأموال ونقل الأدوات والإشراك الفني فقط للخبراء الدوليين، والمحافظة على سلامة البيئة، وتُسنُّ مواد قانونية لتسوية النزاع. ويوضع قانون للإستثمار الأجنبي؛ ثم يُبرمُّ عقد خاص مع كل شركة.

## عوائق التنمية:

ما نذكره هنا إن شاء الله، له تنمة ذكرناها في (وجهة اللواء) تحت عنوان: «من الأعمال المالية المفسدة للمصالح العامة»؛ وأخرى ذكرناها في (نُخبة المسار/ المبحث الرابع) تحت عنوان: «اجتناب أسباب ركود الطاقات ومقاومة الأنظمة».

فمن عوائق التنمية التي تجب مكافحتها:

- إغفال شمول الأنظمة بمتطلبات التنمية، وخاصة النظام السياسي فإن الإستبداد يُعدُّ من أشد عوامل الركود وعوائق التنمية، وسواء كان الإستبداد ذاتياً أو كان من متطلبات التبعية الخارجية.
- استهلاك طاقات المواطنين بالفقر والمرض والبطالة والأزمات وبتخفيض العملة النقدية الوطنية.
- الفساد الوظيفي.
- التخريب المجتمعي، كالتفلت من الإلتزام العائلي، وغيره من أحكام المجتمع في الإسلام. وكذلك تعاطي المخدرات والفساد الاجتماعي.
- نفوذ المترفين وعداوتهم الباطنة للمصالح العامة، وقد سبق بيان هذا الأصل.
- الإضرار بالموارد الوطنية، قال تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ البقرة: ٢٠٥-٢٠٦، وقال

تعالى ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ الشعراء: ١٥١ - ١٥٢. ويشمل الإفساد في الأرض: إفساد الموارد، والعدوان على الحقوق والالتزامات الواجبة.

● الغلو الشائع في الاستهلاك: فينبغي توجيه صناعة الاستهلاك بتغليب معايير الفائدة (المنفعة) على معيار مطلق الرغبة في سلع الإراحة وتخفيف المشاق، وبعبارة أخرى تغليب معايير الفارق الوظيفي بين منافع السلع على معيار الإغراء الصوري والإقتناع الظاهري؛ والغاية من ذلك أن يكون الطرفان رابحين، أي المنتج والمستهلك. وهذا النوع من التوجيه يحتاج إلى ملكة قانونية وتنفيذية لتحقيق الغاية، وهي ترشيد مسار التنافس التجاري وليس إماتة التنافس. ومن الصعب تحقيق هذه الغاية بالكامل، ولكن بدرجة نافعة للإقتصاد. وبخلاف ذلك، فإن أرباح المنتجين هي خسائر المستهلكين. يؤكد ذلك أيضاً أن الشركة أو المؤسسة الخاصة عليها إلتزامات المواطنة والتعاش، حالها في هذا الأمر حال الفرد، معنى ذلك أن مصلحة رؤوس الأموال في الشركة يجب أن تقترن برؤية ماثلة لصالح المستهلك. وتدبر في هذا المعنى حديث أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رواه البخاري وغيره.

● الغلو الشائع في اللهو والتفاهات، وقد يصل كثير من هؤلاء إلى مضمون قوله تعالى ﴿ قِيلَ الْخَرِصُونَ ﴾ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ الذاريات: ١٠ - ١١، يُقال: ماء غَمْر أي كثير مُغْرَق، وقد غَمَرَه الماء يَغْمُرُهُ أي علاه، فهؤلاء قد غمرتهم الملذات والملاهي فأنستهم الصواب وحسن التفكير. وتوجد في المجتمعات وسائل كثيرة تغمر الناس بالشهوات والتفاهات، وتمنعهم من النمو بالخير والفضائل

والعمل الصالح. وسيأتي زيادة تفصيل في المبحث القادم (السادس) تحت عنوان:  
«إعداد المجتمع للتضليل».

● الغلو في الحرية الفردية: فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا » رواه الإمام البخاري وأحمد والترمذي، وقوله صلى الله عليه وسلم « والواقع فيها » أي الساقط في عدم الالتزام بمضامينها، وتدبر العبارتين الأخيرتين في الحديث، فإنه صريح في منع الإضرار بالآخرين وفي الأخذ على أيديهم. وبعبارة أخرى، أن الحرية الفردية يجب أن لا تضر الآخرين. ويتصل بهذا المعنى قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧.

● إلزام الرجل او المرأة بأراء فقهية غير ملزمة، فهي بعد التنقيح مباحة او فرض كفاية يُضبط بضوابط فروض الكفاية. يوضح الأمر أن التنمية يجب أن تضبط بضوابط التنافس والمغالبة، أي بضوابط المصابرة والمرابطة، فكل إلزام بما ليس بملزم فإنه يوهن المرابطة والمغالبة. مثال ذلك ما يذهب بعضهم إلى إلزام المرأة بلزوم بيتها إلا عند الضرورة كأن تكون مريضة فتذهب إلى المستشفى. يوضح الأمر قوله تعالى ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ الأحزاب: ٣٢ - ٣٣؛ فلو كانت العبارة: لستن كالنساء، لدلت على أن الخطاب التكليفي لأُمهات المؤمنين خاص بهن إلا إذا دلَّ دليل على العموم كما في أمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. غير أن العبارة القرآنية صيغتها: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ولفظ القلة أي «كأحد من» يؤكد إخراج سائر النساء من الحكم إلا بدليل للعموم، وهذا كحال صيغة القلة في نحو قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ الإسراء: ٢٣، وكقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام: ١٥٩. ويؤكد أن القرار في البيوت خاص بأُمهات المؤمنين رضي الله عنهن، أنه في غيرهن عقوبة كما في قوله تعالى ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَّةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٥. وتوجد أمثلة أخرى كجواز حضور النساء في المساجد وغيره.



.....  
~~~~~

# المبحث السادس

## التفكير العدائي

---

### معنى العدا

يدل لفظ «العدو» على حركة في النفس او الجسد او العمل، وهي حركة تباعد وعدم وئام أو أحدهما؛ ويُستعمل في ثلاثة معان، بينها كثير من التداخل:

**المعنى الأول:** التحرك الجسدي او المعنوي، بترك جهة او التحول إلى جهة. فالعدو هو الجري او نوع من الإنطلاق. يُقال: عَدَا الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ وَغَيْرُهُ يَعْدُو عَدْوًا وَعُدْوًا وَعَدْوَانًا وَتَعْدَاءً وَعَدَّى، كما في (لسان العرب)؛ وَعَدَا الْمَاءُ يَعْدُو: إِذَا جَرَى، كما في (تاج العروس). وَأَتَيْتَهُ عَدْوًا، وَقَالُوا: هُوَ مِنِّي عَدْوَةُ الْفَرَسِ، تُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ مَسَافَةً مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وَالْعَدَوَانُ وَالْعَدَاءُ، كِلَاهُمَا: الشَّدِيدُ الْعَدُو. وَتَعَادَى الْقَوْمُ: تَبَارَوْا فِي الْعَدُو. وقال تعالى ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الكهف: ٢٨. وَيُقَالُ لِلخَيْلِ الْمُغِيرَةِ: عَادِيَةٌ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَالْعَدِيدِ صَبْحًا ﴾ العاديات: ١. وكذلك يُستعمل هذا المعنى في حركة المعاني والأفكار، يُقال: عَدَا الْأَمْرُ يَعْدُوهُ وَتَعْدَاهُ، كِلَاهُمَا: تَجَاوَزَهُ. وَعَدَا طَوْرَهُ وَقَدْرَهُ: جَاوَزَهُ. وَيُقَالُ: مَا يَعْدُو فَلَانٌ أَمَرَكَ أَيَّ مَا يُجَاوِزُهُ. وَعَدَاهُ عَنِ الْأَمْرِ عَدْوًا وَعَدْوَانًا وَعَدَاهُ، كِلَاهُمَا: صَرَفَهُ وَشَغَلَهُ. وَقَدْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ فَهُوَ يَعْدُونِي أَيَّ صَرَفَنِي. وقال ابن منظور: وَتَعَادَى مَا بَيْنَهُمْ: تَبَاعَدَ. وَالْعَدَاءُ: الْبُعْدُ، وَكَذَلِكَ الْعَدْوَاءُ. وَقَوْمٌ عَدَى: مَتَبَاعِدُونَ، وَقِيلَ: غُرْبَاءُ، مَقْصُورٌ يُكْتَبُ بِالْيَاءِ، وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ، وَهُمُ الْأَعْدَاءُ أَيْضًا لِأَنَّ الْغَرِيبَ بَعِيدٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَدَى لَسْتَ مِنْهُمْ، ...

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْبِثٍ وَطَيْبٍ). قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ: قَوْمٌ عَدَىٰ أَيُّ غُرَبَاءَ، بِالْكَسْرِ، لَا غَيْرُ، فَأَمَّا فِي الْأَعْدَاءِ فَيُقَالُ عَدَىٰ وَعُدَىٰ وَعُدَاةٌ. وَعَدَيْتُ عَنِّي الِهْمَّ أَيُّ نَحَيْتَهُ. وَتَقُولُ لِمَنْ فَصَدَكَ: عَدَّ عَنِّي إِلَىٰ غَيْرِي. اهـ مع اختصار من (لسان العرب). ومن هذا المعنى: عَدَوَى المرض. وفي (تاج العروس): عَدَاهُ تَعْدِيَةً: أَجَازَهُ وَأَنْفَذَهُ، فَتَعَدَى. وَالتَّعَدَّى: مُجَاوِزَةُ الشَّيْءِ إِلَىٰ غَيْرِهِ. اهـ.

**المعنى الثاني:** عدم استواء الشيء او عدم استقامته، وكأنه يعتدي على من يستعمله. قال ابن منظور: تَعَادَى الْمَكَانُ: تَفَاوَتْ وَلَمْ يَسْتَوِ. وَجَلَسَ عَلَىٰ عُدْوَاءِ أَيُّ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ. وَالتَّعَادِي: أَمَكْنَةٌ غَيْرُ مُسْتَوِيَةٍ. أَبُو عَمْرٍو: الْعُدْوَاءُ الْمَكَانُ الَّذِي بَعْضُهُ مُرْتَفِعٌ وَبَعْضُهُ مُتَطَاوِطٌ، وَهُوَ الْمُتَعَادِي. وَالْعُدْوَاءُ، عَلَىٰ وَزْنِ الْغُلُوَاءِ: الْمَكَانُ الَّذِي لَا يَطْمَئِنُّ مَنْ قَعَدَ عَلَيْهِ. اهـ مع اختصار من (لسان العرب). وفي تاج العروس: بَعُنْتِي وَجَعٌ مِنْ تَعَادِي الْوَسَادِ (مِنَ الْمَكَانِ الْمُتَعَادِي غَيْرِ الْمُسْتَوِي). اهـ.

**المعنى الثالث:** حركة فيها ظلم او إضرار، يُقال: عدا زيد على فلان، أي وثب عليه او حمل عليه او انقضَّ عليه او أصابه بمكروه. والعدو خلاف الولي وخلاف الصديق، فإن القرب من أهم مضامين الولاية، كما أن البعد من أهم مضامين العداوة. قال تبارك وتعالى ﴿..... إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠. وقال تعالى ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٩٣، فلما كان الظلم عدواناً فإنه يُجَازَى بمثله.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائة: ٢، قال الإمام ابن القيم: كل منهما (أي الإثم والعدوان) إذا أفرد

تضمن الآخر. فكل إثم عدوان، إذ هو فعل ما نهى الله عنه، أو ترك ما أمر الله به، فهو عدوان على أمره ونهيه. وكل عدوان إثم، فإنه يأثم به صاحبه. ولكن عند اقترانها فهما شيئان، بحسب متعلقهما. فالإثم ما كان محرم الجنس، كالكذب والزنا، وشرب الخمر، وغير ذلك. والعدوان: ما كان محرم القدر والزيادة. فالعدوان تعدي ما أبيع منه إلى القدر المحرم، كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه، إما بأن يتعدى على ماله، أو بدنه، أو عرضه، فإذا غصبه خشبة لم يرض عوضها إلا داره، وإذا أتلف عليه شيئا أتلف عليه أضعافه، وإذا قال فيه كلمة «قال» فيه أضعافها. فهذا كله عدوان وتعد للعدل. اهـ من (التفسير القيم / المكتبة الشاملة)، ما بين القوسين الصغيرين محذوف من نسخة الشاملة.

ومن المعنى الثالث قول ابن منظور: وَأَعْدَيْتَ فِي مَنْطِقِكَ أَي جُرْتَ. وَالْعَادِي: الظَّالِمُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَوْلُ الْعَرَبِ فَلَانٌ عَدُوٌّ فَلَانٍ مَعْنَاهُ فَلَانٌ يَعْدُو عَلَى فَلَانٍ بِالْمَكْرُوهِ وَيُظْلِمُهُ. وَيُقَالُ: فَلَانٌ عَدُوٌّ وَهُمْ عَدُوٌّ وَهُمَا عَدُوٌّ وَفَلَانَةٌ عَدُوَّةٌ فَلَانٍ وَعَدُوٌّ فَلَانٍ؛ وَالْعَدُوُّ: ضِدُّ الصَّدِيقِ، يَكُونُ لِلْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالْأُنْثَى وَالذَكَرَ بِلَفْظِ وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُمْ: عَدَا عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ، لَا يُرَادُ بِهِ عَدُوٌّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ وَلَكِنْ مِنَ الظُّلْمِ. وَعَدَا عَدُوًّا: ظَلَمَ وَجَارَ. وَيُقَالُ: كُفَّ عَنَّا عَادِيَتِكَ أَي ظَلَمَكَ وَشَرَّكَ، وَعَادِيَةُ الرَّجُلِ عَدُوُّهُ عَلَيْكَ بِالْمَكْرُوهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢، والاعتداء والتعدي والعدوان: الظلم. وَعَدَا عَلَيْهِ عَدُوًّا وَعَدَاءً وَعُدُوًّا وَعُدُوَانًا وَعُدُوَانًا وَعُدُوِيًّا وَتَعَدَّى وَاعْتَدَى، كُلُّهُ: ظَلَمَهُ. اهـ مع اختصار وترتيب من (لسان العرب).

وقال ابن منظور أيضاً: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّعَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ البقرة: ١٧٣، فَقَالَ يَعْقُوبُ: هُوَ فَاعِلٌ مِنْ عَدَا يَعْدُو إِذَا ظَلَمَ وَجَارَ. وَعَدَا عَلَيْهِ عَدُوًّا وَعَدَاءً وَعُدُوًّا وَعُدُوَانًا وَعُدُوَانًا وَعُدُوِيًّا وَتَعَدَّى وَاعْتَدَى، كُلُّهُ: ظَلَمَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة:

١٩٠، قِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تَقَاتِلُوا غَيْرَ مَنْ أَمَرْتُمْ بِقِتَالِهِ وَلَا تَقْتُلُوا غَيْرَهُمْ، وَقِيلَ: وَلَا تَعْتَدُوا أَيَّ لَا تُجَاوِزُوا إِلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ. وَالْعَدَاوَةُ: اسْمٌ عَامٌّ مِنَ الْعَدُوِّ، يُقَالُ: عَدُوٌّ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ، وَفُلَانٌ يُعَادِي بَنِي فُلَانٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ الممتحنة: ٧. قَالَ سَبِيحِيَّةُ: عَدُوٌّ وَضْفٌ، وَقَدْ يُشْنَى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ، وَالجَمْعُ أَعْدَاءٌ، وَالْأَعَادِي جَمْعُ الجَمْعِ، وَالْعَدَى وَالْعُدَى: اسْمَانِ لِلجَمْعِ. وَالْعَادِي: الْعَدُوُّ، وَجَمْعُهُ عُدَاةٌ؛ وَقَدْ عَادَاهُ مُعَادَاةً وَعِدَاءً، وَالاسْمُ الْعَدَاوَةُ. اهـ مع اختصار وترتيب من (لسان العرب).

ومن الحركة العدائية التي تبدأ في النفس ثم تسري في الجسد والعمل، قوله  
 تعالى ﴿فَاغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المائدة: ١٤.  
 الإغراء في العربية هو ضرب من التحريض والحث والتزيين والتهميج من أجل إدخال جهة معينة في مسار معين. فقد فسر الأئمة «أَوْلَعَهُ بِهِ»، بمعنى: اغراه، كما في (المحكم، ولسان العرب، وتاج العروس)؛ وفسروا «الْأَزَّ»: بِالْتَهْمِيجِ وَالْإِغْرَاءِ، وَأَزَّهُ يُؤَزُّهُ أَزًّا: أَغْرَاهُ وَهَيَّجَهُ، كما في (لسان العرب) وغيره؛ وفسروا «أَضْرَاهُ بِهِ» أي أغراه، كما في (لسان العرب) وغيره، وتوجد شواهد كثيرة بهذا الإتجاه. والإغراء من قِبَلِ البَشَرِ قد ينجح وقد يفشل، وقد يكون بمعلومات صحيحة او خادعة. وأما حين يكون الإغراء من قِبَلِ الله تعالى فهو واقع قطعاً، ومعناه أن الله تعالى أنشأ بينهم العوامل والأسباب الفاعلة في إيقاع العداوة، ولعله بسبب ذلك ذكر الصاحب بن عباد أن الإغراء هو الإنشاء، وذكر قولهم: أغريت بينهم العداوة (المحيط في اللغة ٢/١٣٧). وليس معنى الآية أن الله تعالى حرصهم على العداوة، ولكن بسبب سوء أفعالهم أنشأ الله تعالى بينهم متطلبات وأسباب العداوة. وفي معنى العداوة والبغضاء، قال ابن عاشور: الْعَدَاوَةُ مُسْتَقْتَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ وَهُوَ التَّجَاوُزُ وَالتَّبَاعُدُ، فَإِنَّ مُسْتَقَاتٍ مَادَّةٍ (ع د و) كَلَّمَا تَحْوُمُ حَوْلَ التَّفَرُّقِ وَعَدَمِ

الْوِثَامِ. وَأَمَّا الْبُغْضَاءُ فَهِيَ شِدَّةُ الْبُغْضِ. اهـ من (تفسير ابن عاشور). وأما عطف البغضاء على العداوة، فليبان دوام وجود العداوة الظاهرة او الكامنة إلى يوم القيامة، يوضح الأمر أن العداوة وحدها قد تكون بسبب اختلاف على بعض المنافع ومن غير بغضاء، فإذا تم حسم الخلاف انتهت العداوة. وأما مع وجود البغضاء، فإن حسم خلاف معين إنما يُحوّل العداوة الظاهرة إلى عداوة كامنة وإلى أنواع من التآمر الإستراتيجي الخفي؛ وبعد حين تظهر العداوة الصريحة من جديد.

### اللبس بين العَدُوِّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ

والعَدُوُّ عَلَى الْآخَرِينَ أَوْ عَلَى الْحَقُوقِ: تقدم أن «عدا يعدو عدواً» يُستعمل

بمعنى جرى وانطلق، وبمعنى اعتدى وظلم. وتقدم تنبيه ابن منظور إلى اجتناب اللبس في ذلك، أي قول ابن منظور: وَقَوْلُهُمْ: عَدَا عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ، لَا يُرَادُ بِهِ عَدُوٌّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ وَلَكِنْ مِنَ الظُّلْمِ. وَعَدَا عَدُوًّا: ظَلَمَ وَجَارَ. اهـ من (لسان العرب).

ولنتدبر هنا قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبَبِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ١٥٤، فظاهر مذهب ابن عطية أن عبارة ﴿لَا تَعْدُوا﴾، نهي عن الجري أو نهي عن الحُضْر، وأكثر ما يُستعمل الحُضْر في جري الدواب. قال ابن عطية: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ فِي السَّبَبِ، أي على الحيتان وفي سائر الأعمال، وهؤلاء كانوا بأيلة من ساحل البحر فأمروا بالسكون عن كل شغل في يوم السبت فلم يفعلوا. اهـ من (تفسير ابن عطية). ونقل الرازي وابن عادل هذا القول كأحد القولين. وذهب أكثر المفسرين إلى أن عبارة ﴿لَا تَعْدُوا﴾، نهي عن الظلم أو نهي عن تجاوز الحد أو تجاوز الحق، وهي عبارات متقاربة، من هؤلاء الإمام الطبري ومكي في (الهداية) والنحاس في (إعراب القرآن) والمتجب الهمداني في (الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد) والسمرقندي والماوردي

والواحدي والشوكاني وابن عاشور. ويؤكد صحة قول الجمهور ثبوت القراءة الصريحة في الإعتداء؛ قال ابن عاشور: وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَعْدُوا﴾، قَرَأَهُ نَافِعٌ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ، وَهِيَ لَوَرْشٍ عَنْهُ وَلِقَالُونَ فِي إِحْدَى رِوَايَتَيْهِ عَنْهُ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِّ الْمُضْمُومَةِ - أَصْلُهُ: لَا تَعْتَدُوا، وَالْإِعْتِدَاءُ افْتِعَالٌ مِنَ الْعَدْوِ، يُقَالُ: اعْتَدَى عَلَى فُلَانٍ، أَي تَجَاوَزَ حَدَّ الْحَقِّ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ التَّاءُ قَرِيبَةً مِنْ مَخْرَجِ الدَّالِّ وَوَقَعَتْ مُتَحَرِّكَةً وَقَبْلَهَا سَاكِنٌ، تَهَيَّأَ إِدْغَامُهَا، فَنُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الْعَيْنِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا، وَأُدْغِمَتْ فِي الدَّالِّ إِدْغَامًا لِقَصْدِ التَّخْفِيفِ، وَلِذَلِكَ جَازَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِظْهَارُهَا فَقَالُوا: تَعْتَدُوا وَتَعْدُوا. اهـ من (تفسير ابن عاشور).

ويؤيد صحة قول الجمهور، قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ٦٥، والفرق بين عدا واعتدى، هو كالفرق بين سمع واستمع، وغنم واغتنم، وجهد واجتهد وقلع واقتلع؛ فالثانية صيغة «افتعل» وتدل على نوع من المبالغة في العدو، ولا تكاد تُستعمل إلا بمعنى الظلم وتجاوز الحد المشروع. فمن تجاوز الحد المشروع، قوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة: ٢٢٩، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق: ١. وكان نوع العدو او الإعتداء يوم السبت هو الشروع في الحرام والمراوغة مع رب العالمين، فقد كان الصيد محرماً عليهم يوم السبت، فشرعوا بالصيد يوم السبت ثم أتموه بعد السبت.

## مراتب العداوة

من الضروري معرفة مراتب العداوة، لأن طرق التعامل مع العداوة تختلف بين المراتب، وتختلف أيضاً بين الوقائع ضمن المرتبة الواحدة.

**العداوة المستعرة:** منها قوله تعالى ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقْتَلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ الأحزاب: ٦٠ - ٦١. وقد ذكرنا تفسيراً مفصلاً لآيتي الأحزاب في (ثمار التنقيح / الباب الثالث؛ المبحث الثالث: «الخيار الجنائي في التعامل مع المنافقين»)، وفي (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع/ المبحث السادس، تحت عنوان: «مكافحة مُخَرَّبِي المجتمع»).

ومنها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ التوبة: ١٠٧.

ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ الأنفال: ٣٠، وسيأتي تفسير هذه الآية إن شاء الله تعالى.

ومنها قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة: ١٩٠.

**العداوة الظاهرة:** منها قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ

دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران: ١١٨.



ومنها قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنْفَى يُؤَفِّكُونَ ﴾ المنافقون: ٤. فتدبر المبالغة في عبارة ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾، وكذلك إيجاب إجراءات الحذر.

### العداوة الكامنة: أصلها في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ

وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠. فتدبر عبارة ﴿ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾، فإنها معطوفة على عدو الله وعدوكم، أي يجب الإعداد لهم، علماً أننا لا نعلمهم، فهي قوة احتياطية. معنى ذلك أن عداوتهم كامنة وليست معلنة، إما لأنهم ينتظرون الظرف المناسب لإظهار العداوة، وإما لوجود الإستعداد العدائي الذي يستعر عند تعرضهم لعوامل التهيج والتأجيج، وإما لنفاقهم او خداعهم، فإنهم قد يظهرون الإيثار ولكنهم يحاولون إخفاء خدمتهم للعدو.

والعدو غير المعروف يمكن أن يكون كبير الخطورة، وقد يُظهر عداوته في لحظة حرجة او حاسمة من أجل إلحاق أكبر ضرر. ولذلك يُقال: إن المعرفة المفصلة بالعدو هي طريق التأثير او الإنتصار عليه. معنى ذلك أن القُدرات الإحتياطية للعدو المجهول يجب أن تكون كبيرة.

### ومن أقوى الأسباب في إظهار العداوة الكامنة هو تحصيل السلطة او القوة النافذة،

ومنه قوله تعالى ﴿ إِنْ يَشْفِقْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢، أي إن يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء بالعمل والقول؛

وقوله تعالى ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة: ٩٨؛ أي منهم من يرصد الفرص للنيل منكم وإظهار عداوته.

وتدبر غاية الإيضاح في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٢٠٦) البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

ويتصل بذلك، ما نزل في كفار قريش من قوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ البقرة: ٢١٧، فإن عبارة ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم ﴾ تنبه إلى أن فترات الهدوء هي فترات عداوة كامنة وإعداد للقتال.

ومن العداوة الكامنة عداوة المنافقين والأصدقاء المخادعين، وتوجد أمثلة ذكرها القرآن الكريم:

منها: التشكيك والترويض برؤية تكرار التراجع عن الدين والإرتداد، قال تعالى ﴿ وَقَالَتْ طَٰغِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ آل عمران: ٧٢.

**ومنها:** التعاون الخفي مع الأعداء، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أُرْدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة: ١٠٧.

**ومنها:** إثارة الشائعات الضارة (الأراجيف) وترويج النفاق وأهدافه، قال تعالى ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخَذُوا وَفُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ الأحزاب: ٦٠ - ٦٢. وقد ذكرنا في (ثمار التنقيح على فقه الإيمان) وفي (وجهة اللواء) تفسيراً مفصلاً لهذه الآية الكريمة.

وينبغي قبل كل شيء ملاحظة العداوة الكامنة والتنبيه لها، وتوجد أمور تساعد على ذلك، **منها:** ممارسة وظيفتي الطبيب والصيد، وقد تقدم ذكرهما في المبحث الرابع: الفائدة الرابعة من تفسير حديث الأمر بالمبادرة. **ومنها:** ملاحظة الفساد الباطن وغير المباشر، ومنه الفساد المتراخي في العواقب والمآلات، وقد تكلمنا عنه في أكثر من موضع في هذه الدراسة وفي (نخبة المسار)، وذكرنا أمثلة، منها مسجد الضرار، فإن العنوان المعلن هو مسجد للعبادة والعمل الصالح، غير أن باطنه وحقيقته نقيض ذلك. **ومنها:** قوة الملاحظة ومهارة إثارة الإحتمالات، فتلاحظ الرماد الذي يُخفي ناراً تحته، وتنتبه إلى الكلمات التي تهدف إلى الإرجاف وإثارة الفتن. وبهذه المهارات وغيرها تخطط للتعامل مع العداوة الكامنة، لمنعها أو إبعاد ظهورها، أو تخفيفها أو تحويلها إلى علاقات حسنة أو غير ذلك من الخيارات.

## العداوة المتحوّلة: قال تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥. فالذي تأمر به الآية الكريمة هو أن تحاول أن تسع عدوك وأن تتقن مهارة الإحتواء السلمي (دبلوماسية الوفاق) لأجل تخفيف العداوة والتحول إلى علاقات سلمية. وسيأتي تفسير الآيتين في هذا المبحث، تحت عنوان: «الإستبداد والتنكيل وما يقابله من مهارات بناء السلم»، إن شاء الله تعالى.

## العداوة الضمنية: وذلك حين يكون العداة مخفياً في مضامين كلام او عمل، او

حين يكون العداة غير مقصود، وبعبارة أخرى حين يكون العداة نتيجة غير مقصودة لكلام او عمل معين. وقد نبه إلى ذلك الراغب الأصفهاني في (المفردات)، وتابعه عليها السمين الحلبي في (عمدة الحفاظ).

والعداوة الضمنية هي بعض ما يشمله قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ وَأَوْلَادٌ لَكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ التغابن: ١٤. يوضح الأمر أن أحد الزوجين والأولاد قد يطلبون من الزوج الآخر أموراً تتعارض مع الإلتزام الديني، ويشمل ذلك أكثر من صنف، الصنف الأول: زوجة او أولاد يثبطون عمداً عن طاعة الله تعالى، وقد يكون التشبیط صريحاً او غير مباشر. وفي بداية الإسلام كان اختلاف الدين موجوداً بين أفراد العائلة الواحدة، وكذلك بعد إباحة زواج المسلم من الكتابية في العهد المدني. فهذه عداوة مقصودة ولكن قد يتم إظهارها وكأنها شفقة. الصنف الثاني: نحو ما يُروى أن الرجل إذا أراد الجهاد مع رسول الله ﷺ، فربما بكى أولاده وزوجه قائلين: إلى من تدعنا؟ فيرقّ ويقيم معهم، وفي هذا

المعنى رواية عند الإمام الطبري. الصنف الثالث: بعض الأولاد وأحد الوالدين ضعاف العلم بالالتزامات الشرعية، ويحاولون توجيه الوالد الملتزم إلى غاياتهم الدنيوية التي تُضعف التزاماته. وتدبر في آية التغابن عبارة ﴿وَإِنْ تَعَفُّواْ وَتَصَفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

## أسباب العداء وأسباب التفريط في الخيار السلمي

أسباب العدوان كثيرة، وتعمل بين الأفراد والمجاميع والمؤسسات والدول؛ وكذلك أسباب التسرع إلى العنف قبل إعطاء الخيار السلمي حقه. ونحتاج هنا إلى ذكر جملة من الأسباب شديدة الأهمية، ويمكن للقارئ أن يبحث عن المزيد.

### النفس الطاغية المتكبرة:

وقد يُسمى ذلك بشهوة القوة والتسلط او غرور القوة، وهو درجات متفاوتة ضمن أصل واحد. وفي كثير من الأحيان يقترن ذلك بأمراض نفسية أخرى كالحقد والحسد وشهوة الإستحواذ.

فالدرجة الكبرى يوضحها نحوه قوله تعالى ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ طه: ٧١، فيجب عند الطاغية أن لا يختاروا لأنفسهم شيئاً مهماً إلا بعد إذن الطاغية وكأنه مالكمهم، وبخلاف ذلك فإن العقوبة في غاية القسوة والوحشية.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) الشعراء: ١٣٠ - ١٣١، البطش: تناول الشيء بالصلوة والسطوة، والأخذ بالعنف. ومعنى «جبارين» أي قهَّارين، بالسيف والسوط وغيرها من وسائل القمع والتنكيل والإسراف في الشدة مع الآخرين.

وتوجد درجات دون ذلك قد يُصاب بها المسلم وغيره، فقد ذكر الله تعالى الصالحين والفاستدين ثم قال ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظالمُونَ ﴾ الأحقاف: ١٩.

ومعلوم أن الطغيان والكبر من الكبائر، قال تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. »، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نُوبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ. » رواه مسلم وابن حبان. ومعنى « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ »، بالنسبة للمسلم في الآخرة أي لا يدخلها إلا بعد ذهاب الكبر من قلبه، إما باستهلاك حسنات ماحية أو بعذاب مؤقت في النار والعياذ بالله تعالى، أو بغير ذلك مما يعلمه الله. وأما « بَطْرُ الْحَقِّ » فهو الإستهانة بالحق حين يُعرض عليه. وأما « غَمَطُ النَّاسِ »، فهو الإنتقاص منهم وبنخسهم حقهم، والله تعالى أعلم.

## أمراض القلب

### الأخرى والقناعات الخاطئة:

وهي أمراض وقناعات أو أمانى متنوعة بالإضافة إلى الكبر، ويمكن أن تؤدي إلى العدوان.

**منها:** الحسد والحقد كما في قوله تعالى ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧، إلى قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة: ٣٠. وقال تعالى ﴿ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ المائدة: ٦٤، والمعنى أن ما ينزله الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ يجعل الكافر المعاند يزداد طغياناً وكفراً؛ وقريب من ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ الْأُممِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ فاطر: ٤٢.

**ومنها:** الانتقاص من الآخرين ومن حقوقهم، مما يؤدي إلى استسهال العدوان عليهم او على حقوقهم. قال تعالى ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ الشعراء: ١٨٣؛ وذكرنا قبل قليل قول النبي ﷺ « الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ. » رواه مسلم وغيره.

**ومنها:** غياب القيم السامية، فمن فقد هذه القيم فإنه يبادر بالعدوان إذا رأى حالة قوة.

**ومنها:** قناعات خاطئة بين الطوائف والملل. يوضح ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٧٥، فتدبر عبارة ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

الْأُمِّيَّةَ سَكِيلٌ ﴿١٩﴾، اي: لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب، كما هي عبارة الطبري، او ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء لأنهم أميون كما في رواية للطبري عن ابن عباس. ونقل الراغب عن الحسن وابن جريج قولهما: كانت اليهود عاملوا العرب، فلما أسلموا امتنعوا من رد أموالهم، وقالوا: لا يحق لكم بعد أن دخلتم في الإسلام، وقيل معناه: ليس علينا سبيل لكوننا أبناء الله وأحباءه، ومن عدانا عبيد لنا، وما لهم مالنا فلا حرج علينا في تناوله، وهذه أقوال متقاربة، وكانوا قد زعموا أن ذلك دين شرعه الله لهم، فأكذبهم بقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾. اهـ من (تفسير الراغب/ المكتبة الشاملة).

**ومنها:** المطامع العدوانية. المَطْمَعُ: مَا طَمَعْتَ فِيهِ، ويُجمع على: مطامع. وهذا سبيل أتباع الشيطان عموماً فلا حد لمطامعهم إذا كانوا قادرين على الإرغام او الإكراه. فهم على خطوات قدوتهم الشيطان كما يوضحه قوله تعالى ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المجادلة: ١٩، «استحوذ على الشيء»: أي حواه وأحاط به، وضمه إلى حوزته او ممتلكاته وصرفه كيف يريد؛ والأحوزي: الذي أحاط بشأنه وأصبح حاذقاً فيه؛ ويقال: حاذ الإبل، إذا جمعها واستولى على سوقها وحركتها. وتدبر حكاية قول فرعون لموسى في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الشعراء: ١٨، فكان من جواب موسى عليه السلام: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء: ٢٢.

ويُعدُّ الإستحواذ من أهم أنواع العدوان الدولي، ويشمل الإستحواذ على الثروات وعلى مناهج التربية والتعليم وعلى أنظمة الدولة والمؤسسات، وعلى غيرها من القدرات



الوطنية. ولمعرفة مقدار شدة الإستحواذ الدولي ووطأته، راجع التاريخ الإستعماري في الدول الأفريقية وامتداداته إلى اليوم.

## ضعف الأداء الفكري:

سبق ذكر قوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥) فصلت: ٣٤ - ٣٥. معنى «يُلْقَاهَا» أي: يُجْعَلُ لَاقِيًا لها. وواضح من الآيتين أن سياسة الإحتواء السلمي وتحويل العدو إلى صديق أو إبعاد الخطر بلا سفكٍ للدماء، لا يُعطاها ولا يُوفَّق لها إلا الذين شأنهم الصبر على العمل وكظم الغيظ وتفضيل الإحتواء على الإنتقام، ولا يُعطاها إلا ذو حظٍ عظيم أي له نصيب عظيم من مؤهلات الإحتواء السلمي، أي العقل والحكمة والرفق، فهي وظيفة النخبة أو النخبة من النخبة، ولكن ينبغي لكل مؤمن أن يحاول تحصيل درجة منها، كما هو حكم تحصيل درجات الفضائل عموماً.

يوضح الأمر، أن التفكير المنهجي أصعب بكثير من العمل، فإذا كان الأداء الفكري أو العقلي ضعيفاً، فإن ضعيف التفكير سيجد نفسه ذاهباً إلى العنف والعدو على الخصم، وسيزعم أو يتوهم أنه استنفذ المساعي السلمية، علماً أن الحقيقة غير ذلك، وأنه ربما لم يبدأ بالخطوات الصائبة الأولى في هذه المساعي. ويؤدي هذا المنهج إلى دخول حروب غير ضرورية وإلى الإسراف في الصراعات التي تُشغل عن التنمية وتُفاقم الحسائر والأضرار. ولا شك أن من المصائب الكبيرة تضييع فرص الأداء العقلي التي أمر الله تعالى بها كما في عبارة ﴿ ادْفَعْ ..... ﴾، وأثنى الله عليها غاية الثناء الحسن.

وعلى تقدير أن سبب العدو على الخصم أي سبب الرد العنيف موجود، فإن شرعيته تبدأ مع فشل عمليات الإحتواء الذكية المتقنة، أو سمها إن شئت «القوة الناعمة».

وينبغي تذكر أن الأصل تفضيل كسب الشيء على تحطيمه، وأن فتح الأبواب أفضل من كسرها، غير أن الفتح يحتاج إلى مهارات عالية لتحصيل المفاتيح المناسبة، وأما الكسر فيقدر عليه من له نصيب ضئيل من العقل والحكمة. فلا بد من وجود النخب من النخب لتوجيه عمليات الإحتواء في الأنشطة السياسية والاجتماعية وغيرها.

## الضعف في ضبط النفس:

قال تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١، وقال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ يوسف: ١٠٨؛ ومما ذكرناه في (المنطلق) أن كل حركة في النفس تُوهن الحكمة أو تُغيّب بعض البصيرة فهي حركة مذمومة وينبغي ضبط النفس لإزاحتها. والإنسان بحاجة دائمة إلى الإستجابة للمؤثرات والضغوط في الظروف الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية او الأمنية، ومن أهم عوامل رداءة الإستجابة: الفتور والغضب والتسرع وعدم استقرار الدوافع العقيدية والهوى، ففي الأول تضييع العقل وفي الثاني تغطيته وفي الثالث تجاوزه وفي الرابع إهماله او الانقلاب عليه وفي الخامس الإنحراف عنه. ونكتفي بذكر النصوص الشرعية في العوامل الثلاثة الأولى.

ففي اجتناب الفتور نحو قوله تعالى ﴿ خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٦٣.

وفي مقاومة الغضب قوله تعالى ﴿... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤؛ وتدبر أن كظم الغيظ ليس من النوافل، بل هو تعريف للمتقين، ومعلوم أن جنس التقوى واجب. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

« فَمَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟ » ، قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ « لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » رواه مسلم والبخاري وغيرهما. وعن أبي هريرة، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ « لَا تَغْضَبْ » ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ « لَا تَغْضَبْ » رواه البخاري وغيره. وفي الدعاء المشهور من حديث عمّار قال دَعَوْتُ بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ: « اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْسِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَرَاءٍ مُضْرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَرِيئَةً الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ » رواه الإمام أحمد وصححه شعيب الأرنؤوط. وقد ذكرنا في دراسة أخرى أنه يجب في القرار الإستراتيجي أن يكون بمعزل تام عن العواطف والغضب.

وفي اجتناب التسرع قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهٖٓ وَلَوِ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ٨٣؛ وقوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦؛ وتدبر قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد: ٢٥، فإن الميزان هو الحكمة والخبرة او الآلة العقلية التي توزن بها الأفكار والأمر قبل الإسراع بالتصرف. وعن ابن عباسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْأَشْجِ أَشْجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ » رواه مسلم وغيره ، والأناة الثبوت او الترفق وعدم التعجل ، وهو مصدر أنى يأتي. وكثير من قواعد التفكير المذكورة في هذه الدراسة تقتضي إعطاء التفكير

الوقت الكافي (أي الصبر والأناة) وعدم التسرع إلا عند الإضطرار. وسبق أن ذكرنا في الكلام عن التنقيح أن إنضاج التفكير يحتاج إلى حضانة العقل للقضية مما يسمح بالتحليل التدريجي.

## غياب الردع

### والفشل في إدارة الضعف:

أما إدارة الضعف، فقد تكلمنا عنه في المبحث الأخير من (نخبة المسار)، وكذلك في الكلام عن الوُسْع والإضطرار في (المنطلق)، ونكتفي هنا ببعض ما ذكرناه في (وجهة اللواء) في تفسير قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا... ﴿الحج: ٣٩ - ٤٠. معنى ﴿أُذِنَ﴾ أي أُجيز، يُقال: أُذِنَ لَهُ فِي الشَّيْءِ أَي أَبَاحَهُ لَهُ، وَالإِذْنَ بِالشَّيْءِ هُوَ فَكَ الحِجْر وإِطْلَاقَ التَّصْرِفِ. وَمَعْنَى عِبَارَةِ ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾، أَي لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَوْ بِسَبَبِ تَوَجُّهِ الظُّلْمِ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ صَرَحَ الْمُفَسِّرُونَ بِهَذَا الْمَعْنَى كَأَبِي حَيَّانَ وَالزَّمْخَشَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ وَالرَّازِيُّ وَالبَيْضَاوِيُّ وَغَيْرِهِمْ، أَي إِنْ أَلْبَسُوا سَبِيئَةً، كَمَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩. غَيْرَ أَنَّ آيَةَ الحِجْرِ مَدِينِيَّةً، وَأَمَّا الظُّلْمَ الَّذِي وَقَعَ عَلَى الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فَإِنَّمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِسِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَعِلَّةُ أَي سَبَبُ الْقِتَالِ كَانَ مَوْجُودًا فِي مَكَّةَ، وَلَكِنْ الْحُكْمُ تَأَخَّرَ بِسَبَبِ الْمَوَانِعِ وَعَدَمِ اكْتِمَالِ الشُّرُوطِ. وَهَكَذَا الْأَمْرُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، أَي تَبَعِيَّةَ التَّصْرِفِ الْعَمَلِيِّ لِإِكْتِمَالِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَخَاصَّةً فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْمَغَالِبَةِ، فَإِنْ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهَا إِكْتِمَالُ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ. وَتَدْبِرُ أَنَّ الإِذْنَ بِالشَّيْءِ هُوَ فَكَ الحِجْرِ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ إِجْبَابٍ، لِأَنَّهَا أَوَّلُ آيَةٍ فِي تَشْرِيحِ الْجِهَادِ الْقِتَالِيِّ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ

والضحاك وقتادة وغيرهم. معنى ذلك أن حكم القتال خضع لنوع من المرحلة والتدرج. ومن تدبير في السياق قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ الحج ٤٠، فإنه ينبه إلى أن الأمر ليس مقتصرًا على المرحلة، ولكن لفتح الخيارات غير القتالية للمدافعة، فإن مقاومة الظلم تبدأ بعمليات الدفع غير القتالية، ولكن من المهم أن يعلم الظالم أن القتال خيار موجود. ومن الممارسات السياسية أن تبقى بعيداً عن الأنظار حتى يتم استعدادك، وأن تتقن فن النشاط الصامت أي الحركة غير الإستفزازية.

وأما غياب الردع، فيوضحه نحو قوله تعالى ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الممتحنة: ٢، أي إن يظفروا بكم بسبب غياب القوة الرادعة يكونوا لكم أعداء بالعمل وبالكلمة؛ ومن الأقوال المأثورة: من أمن العقاب أساء الأدب. ولذلك أمر الله تعالى بإعداد القوة الرادعة كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠.

معنى ذلك أنه عند غياب القوة الرادعة، يجب إتقان إدارة الضعف على نحو ما ذكرناه في مواضع متعددة من كتبنا. ونذكر بقوله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤١، الآية الكريمة نفي بمعنى النهي. يوضح الأمر أن كل خبر في القرآن الكريم يمكن أن يكون الواقع مخالفاً له، فهو خبر عن حكم الشرع وليس خبراً عن الواقع على الأرض، فمعنى آية النساء أنه يجب العمل على الإجتنب التام للوقوع تحت نفوذ الكافر أو تقليل ذلك إلى أقل ما يمكن عند الإضطرار إليه، وبصرف النظر عن كونها ضرورة حاضرة أو متراخية. وبعبارة أخرى يجب اجتناب التصرف الذي يُعطي الخصم فرصة للنيل منك معنوياً أو مادياً.

## الإسراف في الانتقام:

قال تعالى ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣، الإسراف هنا هو أي زيادة في على الحكم الشرعي في القتل، كأن يقتل بعض قرابة القاتل او يقتل بعد قبول الدية والتزام الطرفين بها.

وقال تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾ النساء: ١٤٨، أما الفاظ الآية الكريمة: فلا تحتاج إلى تفسير. وأما الإستثناء: أي عبارة: ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾، فهو استثناء متصل، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة كما نقل الرازي، وهو قول الزمخشري والمتنجب الهمداني والنسفي؛ وجوز الإتصال آخرون. يوضح الإستثناء المتصل قولك: ما نجح الطلاب إلا المثابرين او المثابرون، فقد استثنيت المثابرين من: الطلاب ومن عدم النجاح، والمعنى: نجح المثابرون من الطلاب. وإذا استقام المعنى، فإن الأصل في الإستثناء بـ: «إلا» أن يُحمل على الإتصال، إذ لا يجوز قطع الإستثناء عن بعض المستثنى منه إلا بقريضة توجب ذلك. يوضح الإستثناء المنقطع قولك: وصل المسافرون إلا الحقائب، فإنه استثناء للحقائب من الحكم، أي من الوصول وليس من المسافرين، وحمل الآية على هذا النوع يُعَيِّب المعنى ويضطرنا إلى تقدير محذوفات متعددة، ولا ضرورة لهذا التكلف. ويمكن تقدير اتصال الإستثناء في الآية بأنه استثناء من الجهر بالسوء كما نص عليه الزمخشري والمتنجب الهمداني: فمعنى الآية: لا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظلم. ولو افتي فقيه بعبارة: لا يجهر بالسوء إلا المظلوم، فإن الإستثناء من مجرد المنع يدل على مطلق الجواز للجهر بذلك، فيمكن أن يكون الجهر مباحاً وليس مندوباً ولا واجباً، وأما في آية النساء فإن الإستثناء يشمل عبارة ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ ﴾، فمعنى الإستثناء أن الله يجب للمظلوم أن يجهر بالسوء من القول. ويمكن الجهر في المجالس الاجتماعية وفي المنتديات والصحف ومواقع التواصل الالكتروني وغيرها. ويحق لمن جزم بوقوع الظلم

أن يشارك المظلوم بالإساءة إلى الظالم، لأن المسلمين جسد واحد ويد واحدة، وبعضهم أولياء بعض، ومعلوم أن من أهم مضامين الولاء: النصر. والآية تنبه المؤمن إلى الإشتغال بنفسه وإصلاح عيوبه، فلا يجهر بالقدح في الآخرين إلا عند وقوع الظلم منهم. وتوجد أخطاء توقع في الإسراف في هذا المجال، منها: الجهر بالإساءة في أمور ليست لها صلة بالظلم. ومنها: شمول الإساءة لأشخاص آخرين ليس لهم صلة بالظلم، ولكن لمجرد قربهم من الظالم أو عملهم معه في أمور أخرى. ومنها: معاونة المظلوم على غير بصيرة، وبذلك يأخذ الإنكار صبغة العُتُو أي الفوضى وفُقدان النظام؛ وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الشعراء: ١٨٣. ويُقابل ذلك أن يعتمد الاستبداد اختراق إنكار الظلم وإدخال الفوضى عليه وإظهاره بمظهر الفساد. فهذه الأمور وشبهها يجب أن يُحسب حسابها في الإنكار. والله تعالى أعلم.

### سوء تقدير الموقف:

سوء التقدير سبب شائع لحدوث تصرفات عدائية بين الأفراد والمجاميع والدول، وقد تقوم حروب كبيرة بسبب سوء التقدير. وأيضاً، فإن سوء تقدير الموقف، وسوء فهم الحكم الشرعي هما من أسباب التفريط في الخيار السلمي.

وقد ذكرنا في المباحث السابقة (الثاني والثالث والرابع) نصوصاً كثيرة ومهارات يحتاجها من يريد أن يُحسن في تقدير الموقف، كقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفَعُوا اللَّهَ يُجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال: ٢٩، وقوله تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩.

ونقيض تلك المهارات هي أسباب سوء تقدير الموقف، كالرؤية الجزئية، والرؤية المتسرعة او ضعيفة التتبع، وكذلك ضعف التحليل، وإغفال بعض الاحتمالات وغمر النفس في الملذات وأتباع الهوى والانحراف المتعمد، وسائر ما يوهن او يفسد الرؤية، مما ذكرناه في هذه الدراسة وفي غيرها. ونكتفي هنا بقوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٦، وقوله تعالى ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٨.

ولنفترض لغرض الإيضاح، وجود خلافات كبيرة وتنافس استراتيجي بين طرفين، ولأجل اجتناب الحرب اتفقا على خطوط حمراء لكل طرف، فلا ينبغي للطرف الآخر أن يتتهاكها. ويقوم عادة كل طرف برصد أنشطة الطرف الآخر وتحليلها لمعرفة إن كانت تتضمن انتهاكاً لبعض الخطوط الحمراء. والإستجابة المتبادلة لهذا التوافق يُسمى بـ: «التوازن المستقر».

فإذا قام أحد الطرفين بكسر التوازن في خط من الخطوط الحمراء، فإن كانت الخطورة غير عالية حالياً وغير وشيكة، فإن الطرف الآخر سيقوم بتصعيد مقابل وقد يوقع أضراراً على مصالح الطرف الذي كسر التوازن؛ ويتكرر التصعيد وخفض التصعيد بينهما حتى يتشكل بينهما توازن جديد او يتفاقم الصراع بينهما. وأما إذا كانت الخطورة عالية جداً ووشيكة، فقد يقوم الطرف الآخر بشن حرب واسعة، كما حصل في الحرب العالمية الثانية وفي غيرها.



ويمكن للحسابات الخاطئة (سوء التقدير) أن تُضخّم الإنتهاك الصغير أو تُصغّر الإنتهاك الكبير. أما تضخيم الإنتهاك الصغير فيمكن أن يؤدي إلى تصعيد الصراع أو إلى حرب شاملة. وأما تصغير الإنتهاك الكبير فيمكن أن يؤدي بعد زمن إلى فشل نظام التوازن والتحوّل إلى حرب باردة أو ملتبهة.

### وتوجد أسباب كثيرة لسوء التقدير والحسابات الخاطئة:

منها: نقص المعلومات أو كثرة المجهول والغموض فيها، وسببه الرؤية الجزئية أو قلة الجهد أو ضعف التنقيح أو خطأ التحليل أو الفشل في إثارة الإحتمالات أو نحو ذلك من تحلف المهارات الفكرية.

ومنها: إغفال بعض العوامل المؤثرة وما تقتضيه من إعداد أو تغيير في الخطط. ويرجع ذلك إلى بعض أسباب ضيق الأفق عن رؤية المشهد كاملاً.

ومنها: ضعف أهلية مجموعة تحليل المعلومات، فإن لهذه المجموعة دور كبير في توجيه وتحديد مواضع التركيز في تتبع المعلومات.

ومنها: الإسراف في الإعتماد في التحليل على الإفتراضات. يوضح الأمر أنك تُعدُّ قدرات احتياطية لمخاطر افتراضية، وأما في الإقدام ومواجهة المصاعب والمخاطر فإنك تُعدُّ لأسوأ الإحتمالات وأشدّها خطورة، ولا تفترض خلاف ذلك.

ومنها: الوقوع في عمليات الإيهام والتضليل، أي الفشل في رصد ومكافحة التضليل.

ومنها: إهمال الإعداد للمفاجآت مما يمكن أن يوقع خسائر كبيرة. فينبغي رصد المصادر المحتملة للمخاطر ورصد أنواع المخاطر ومساراتها الواضحة والخادعة، مما

يساعد على توجيه إنذار مبكر بالخطورة والإعداد للتوقعات الممكنة؛ كما أن السبق بالإعداد يساعد على اتخاذ قرار صحيح حين يكون الوقت ضيقاً.

**ومنها:** ارتفاع درجة الشك بين الخصوم، فحين يتم كسر التوازن الذي ذكرناه وتضمحل موانع التصعيد المتبادل، فإن درجة الشك تصبح عالية جداً، وتَقِلُّ المعقولية في تفسير نوايا وخطوات الآخر، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى القيام بحرب خاطئة أو غير ضرورية.

**ومنها:** أن يكون سوء التقدير مجرد صورة فارغة، ولكنها مُفتعلة لتبرير حرب ظالمة متعمدة. وكثير من الحروب كانت من هذا النوع.

## أعمدة الفكر العدائي

المقصود بالفكر العدائي هو فكر من يحمل العداء أو يمارسه، أو الفكر الذي يدل على العداء. وقد يُطلق أيضاً على الفكر الذي يتضمن العداء أو يؤول إليه، وبصرف النظر عن المقاصد ونوع الممارسة.

### الأعمدة الأربعة للعمل العدائي:

قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتِلُواكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ الأنفال: ٣٠. ونكتفي هنا بمختصر، ومن أراد المزيد فليرجع إلى تفسير الآية في (وجهة اللواء).

واضح من صيغة الآية أن الأهداف الثلاثة للمكر هي عبارة ﴿لِيُتُّوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾؛ وأما العمود الرابع فهو المكر نفسه، أي الوسائل التنفيذية لبلوغ الأهداف الثلاثة المذكورة.

**فأما المكر:** فهو التآمر الخفي او السري للإضرار والإفساد، فلا يُستعمل في وصف البشر إلا للنشاط غير المشروع، وقد يقترن بإظهار الود والإحسان. والمؤامرات الخفية سياسة ثابتة للمعتدين قديماً وحديثاً، ينه إلى ذلك نحو قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَّجْرِمِينَ لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٣. وأصبح العمل الخفي اليوم يُدار من قِبَل مؤسسات ضخمة تتمتع بغطاء قانوني لسرية العمل. وأما الإلتزام بضوابط شرعية دينية او شرعية قانونية محترمة دولياً، فأمر في غاية البعد او المحدودية، خاصة وأن هذه الأعمال تستند في كثير من الأحوال إلى معنى الضرورة والإضطراب ومن غير إظهار ضوابط الإضطراب التي تخضع لها هذه المؤسسات، معنى ذلك هو الإنفلات من الضوابط وإباحة كل شيء بالضرورة المزعومة.

وطريق الشيطان هو العمل الخفي ومن وراء حواجز وعناوين خادعة، وقد قال تعالى ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ الْكُفْرَ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَنَّهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ٢٧. ولنتدبر نحو قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور: ٢١، فلما نهانا الله عن اتباع خطوات الشيطان علماً أننا لا نراه، فمعناه أنه يجب علينا أن نفكر ونبحث عن المعاني والعلامات التي تدل على او تنبه إلى خطوات الشيطان، بما في ذلك محاولة رؤية المفاصد الباطنة والمفاصد الآجلة (أي العواقب السيئة). وكذلك، فإن من كان متابعاً لخطوات الشيطان، فإنه يبالغ جداً في التآمر الخفي والنوايا المضمرة والخطط غير

المعلنة؛ وتدبر هنا قوله تعالى ﴿... قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي  
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨.

**وأما إثبات المُسْتَهْدَف:** كما في عبارة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، فهو الإعاقة والتعطيل،  
وبمختلف الاتجاهات. فإن إثبات المُسْتَهْدَف يُراد به إعاقة حركته او منعه منها، من  
ذلك قولهم: ضربه حتى أثبتوه، أي جعلوه فاقداً للحركة والنشاط، ومنه خبر ابن أبي  
قتادة قال: «نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِحِمَارٍ وَحَشٍّ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فَطَعَنْتُهُ فَأَثْبَتَهُ» رواه الإمامان  
مسلم والبخاري. ومنه: أُثِبْتُ فَلَانَ فَهُوَ مُثْبِتٌ إِذَا اشْتَدَّتْ بِهِ عِلَّتُهُ وَأَثْبَتَهُ جِرَاحُهُ فَلَمْ  
يَتَحَرَّكَ، ذكره الأزهري في (تهذيب اللغة). والمُثْبِتُ: الذي ثَقُلَ فلم يَبْرَحِ الْفِرَاشَ، كما ذكر  
ابن سيده في (المحكم). وقال ابن الأثير: وَمِنْهُ حَدِيثُ مَشُورَةَ قُرَيْشٍ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: «إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبَتُوهُ بِالْوَثَاقِ». اهـ من (النهاية).  
وللعدو وسائل كثيرة للإعاقة، وقد تصل إلى إعاقة جزء كبير من الحياة. فمن وسائل  
الإعاقة:

● الإعاقة الجسدية: كالإقامة الجبرية وتقييد حرية الحركة وكالإضرار بالجسد،  
وسائر مهارات وضع الحواجز المادية لإعاقة الحركة.

● تعطيل متطلبات الحركة او الإستحواذ عليها، ومن أهمها الأموال (الإقتصاد)  
والأمن وإدارة المؤسسات. فمن السياسات المعادية نهب الأموال وتشجيع الفساد  
الوظيفي وإشاعة الفقر والبطالة وسحق العملة النقدية الوطنية، والتوريط بالديون  
الربوية ومحاصرة التنمية وإيجاد أسباب ووسائل إهدار الأموال، هذا بالإضافة إلى  
نشر الخوف والرعب كي يمتنع الناس من الحركة، وبعبارة أخرى: التدمير من  
الداخل. ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ  
مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا

تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران: ١١٨؛ أما عبارة ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ حَبَالًا﴾، يقال: ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه، ولا ألوك جهداً أي لا أقصر، والخبال فساد الحال، والمعنى: لا يقصرون في تدبير ما فيه فساد حالكم. وأما عبارة ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي ودوا عنتكم، والعنت المشقة وشدة الحال والهلاك. وكذلك عبارة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، أي لم يستطيعوا إخفاء ما في قلوبهم إخفاء تاماً، غير أن فلتات اللسان قليلة جداً بالنسبة إلى ما تخفي صدورهم. وذكرنا في (ثمار التنقيح) تفسيراً مفصلاً لهذه الآية الكريمة.

● استهلاك طاقة الحركة: او استراتيجية الإجهاد، وذلك بإحاطة المستهدف بالمشاكل والأزمات الاقتصادية والأمنية والقانونية وغيرها. وقد تتم إعاقة جمهور كبير بمثل هذه الأزمات وبتعطيل او تقليص الخدمات العامة كالماء والكهرباء والمواصلات ونحوها.

● الإعاقة المعنوية: وكان النبي ﷺ معصوماً من الناس، فلم يستطيعوا النيل المعنوي منه، غير أن الإعاقة المعنوية يمكن أن تؤثر بصورة مؤقتة على غير الأنبياء من الصالحين، كما حصل في عمليات تلويث سمعة عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في (أهل البيت)، ويمكن مراجعة المبحث السابع أي إدارة الفكرة من (نخبة المسار). غير أن الإعاقة المعنوية باب واسع جداً، ويستخدمه خبراء التحريك وحرب الأفكار بمهارة كبيرة، ومن وسائلهم:

- ✓ الحرب الإعلامية والنفسية على المصلحين.
- ✓ تشكيل خطوط وتكتلات ظاهرها الإصلاح وباطنها الفساد. ويتبع ذلك عمليات ذكية في خلط الأوراق وتلطيح التنظيف بدنس الفاسد.

✓ إضفاء القدسية على عناوين وشعارات يتمسك بها الفاسدون تمسكاً ظاهرياً فقط ويجعلونها الأهداف التي يجب عدم التعكير عليها.

✓ المهارة في تبرير الظلم والفساد، أي في زخرفة المنكرات وتسويقها.

✓ احتكار مصادر النفوذ وسوء استغلالها، مع عمليات عزل المصلحين عنها.

✓ تهميش الفضائل والأعراف الأصيلة، وتسهيل عمليات النيل منها.

✓ مكياج خاص لإعاقة المصلحين، والقدرة على تمريره بصرف النظر عن

القوانين والأنظمة. واستراتيجية الكيل بمكيالين يوضحها قوله تعالى ﴿إِنَّمَا

النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ

عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ التوبة: ٣٧.

✓ عمليات الضغط على المصلحين، لتحديدتهم أو كسب ذمم بعضهم أو اختراق مؤسساتهم.

✓ إماتة مشروع الخصم بمنحه مكاسب شخصية تجعله يتنحى عن مشروعه

أو عن أجزاء من مشروعه، ويسقط في ذلك من كان ضعيف الثبات.

✓ عمليات تضليل وتحريك الرأي العام.

● الوصاية والتحكم: بحيث تكون الحركة منضبطة بإرادة الخصم. وهذه يمكن أن

تكون معلنة بعد هزيمة كبرى واستسلام غير مشروط، أو تكون خفية كما في

الإختراق الإستراتيجي والنفوذ غير المعلن للأجنبي.

وأما عبارة ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: فإنها مطلقة في أنواع من القتل، منها:

● القتل البطيء: وذلك بنشر أسباب الموت، كالفقر والسحق الإقتصادي

والتلوث وخفض الخدمات الضرورية وفقدان الأمن وتنمية الجهل والتخلف. ومن

خطورة القتل البطيء أن الناس يتكيفون معه تدريجياً، حتى يصير وكأنه حالة طبيعية.

● القتل غير المباشر: سواء كان بتسخير وسطاء تنفيذيين او بتفعيل النميمة السياسية وشبهها من وسائل تحريك الآخرين او بتلفيق تهم باطلة. وتذكر هنا أن الفاعل (أي القاتل هنا) يشمل المباشر والمُسبب المتعمد والمشارك عن قصد او بالتدبير وإن كان بعيداً عن المشهد المكاني للجريمة، وقد بينا ذلك في (تمكين الباحث)، ونكتفي هنا بالتذكير بقوله تعالى ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ التوبة: ٤٠، فتدبر إسناد فعل الإخراج إلى كفار مكة لأن ظلمهم تسبب بذلك، وإن كانوا يريدون منع النبي ﷺ من الخروج.

● القتل المباشر: سواء كان بعمليات الإغتيال او بإيقاد الحروب او باستعمال غير معلن لأدوات الدمار الشامل او بغير ذلك.

● إيقاد الحروب لقتل أكبر عدد ممكن من الشعب.

وأما عبارة ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾: فتشمل الإخراج المادي او المعنوي، والمشهور في

التفسير أن المعنى: او يخرجوك من موطنك مكة، ومثله قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسَتَفِرُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ الإسراء: ٧٦. والإخراج القسري من الموطن أمر كبير عند الله تعالى، فإنه في كثير من الأحيان يعطل الطاقات ويمكن أن يشنت العوائل ويُفسد الأبناء والأحفاد، وقد يصل إلى درجة التدمير البطيء. وتدبر في ذلك قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ البقرة: ٢١٧. غير أن العبارة في آية الأنفال غير مقيدة بالإخراج من الأرض،

فهي تشمل أيضاً ما أراده كفار مكة من إخراج النبي ﷺ من أمر دعوته، فإن الخروج يكون من الأجسام ومن المعاني، يُقال خرج من الأمر أي تركه أو انسحب منه، وخرج فلان من دينه، وفلان خريج فلان إذا تعلم منه، وقد قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ البقرة: ٢٥٧. ومما ينبه إلى محاولات إخراج النبي ﷺ من دعوته، قوله تعالى ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهْنُ فَيَدْهِنُونَ﴾ ١ ﴿القلم: ٨ - ٩، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْنا غَيْرُهُ، وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حِيلًا﴾ ٧٣ ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَا لَفَدَدْتَ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ٧٤﴾ الإسراء: ٧٣ - ٧٤.

والسياسات العدائية متنوعة في الإخراج القسري من المكان، وكذلك في الإخراج المعنوي، أي الخروج من موقف أو التزام، منها:

- الإبعاد إلى جهة محددة ليس فيها مؤيد ولا نصير، فهي أشبه بسجن كبير.
- الإبعاد بظروف قاسية تستنزف القوة، كما يحصل اليوم في عمليات التهجير وغيرها.
- التنسيق مع دول الإستقبال لتقييد حريته وجعله أشبه بالطريد الشريد.
- ما ذكرناه قبل قليل في الإعاقة المعنوية.
- عمليات الإغراء والإغواء والتضليل والتخويف والتضييق لإخراج خصومهم من إلتزاماتهم المعنوية.



## الإستبداد والتنكيل وما يقابلها من مهارات بناء السلم:

أما الإستعداد للتنكيل: فيوضحه نحو قوله تعالى ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا

عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ ﴾ التوبة: ٨؛ ضمير الفاعل في: «يظهروا» يرجع إلى المشركين المعادين المحاربين كما يدل عليه السياق قبل هذه الآية وبعدها. والمعنى: إن يظهروا عليكم لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم حرمة، من رقب الشيء إذا نظر إليه نظر تعهد ورعاية وحراسة. والإل العهد أو القرابة أو الإعتبار السياسي كما يفهم من كلام أبي حيان، وأما الذمة فكل ما ينبغي أن يُراعى ويحفظ من جهة المروءة والأخلاق والإلتزامات الأدبية كالصحة والجوار والحقوق القديمة والحقوق الإنسانية ونحوها. وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ إِن يَتَقَفَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢، أي إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم تظهر الأعمال العدائية ضدكم. وهذه الآية الكريمة أيضاً في المشركين المعادين الذين أخرجوا النبي ﷺ وأصحابه من ديارهم.

وفي حكاية قول هود لقومه قال تعالى ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ الشعراء:

١٣٠. وفي قصة أهل الكهف قوله تعالى ﴿ ..... وَلَيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ (٢٠) الكهف: ١٩ - ٢٠.

وأما الإستبداد الشديد والتنكيل: فتوضحه قصة فرعون كما في قوله تعالى

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

لَأَفْطِنَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَلْصَبْتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ الشعراء: ٤٩؛ وكذلك قوله تعالى في قصة فرعون ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ ﴿ النازعات: ٢١ - ٢٤. ومن الإستبداد الشديد مع التنكيل قوله تعالى في قصة أصحاب الأخدود ﴿ قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴿ البروج: ٤ - ٨.

## وأما مهارات بناء السلم: فأربع مهارات رئيسة ذكرناها مفرقة في (وجهة

اللواء) وغيره، ونذكرها هنا باختصار:

### (المهارة الأولى): عدم إعطاء مسوغ للعدو المتغلب: قال تعالى ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ النساء: ١٤١ ، الآية الكريمة نفي بمعنى النهي. يوضح الأمر أن كل خبر في القرآن الكريم يمكن أن يكون الواقع مخالفاً له، فهو خبر عن حكم الشرع وليس خبراً عن الواقع على الأرض، وفي هذا الأصل شواهد كثيرة في القرآن الكريم وفي كلام العرب. فمعنى آية النساء أنه يجب العمل على الإجتنب التام للوقوع تحت نفوذ الكافر او تقليل ذلك إلى أقل ما يمكن عند الإضطرار إليه وبصرف النظر عن كونها ضرورة حاضرة او متراخية. وقد سبق تفصيل لذلك في المبحث الرابع، تحت عنوان: «عدم إعطاء فرصة للخصم».

### (المهارة الثانية): الدفع بالتي هي أحسن. قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴿ فصلت: ٣٤ - ٣٥. ففي

التعامل مع الخصم يعتاد بعضهم تصعيد العداوة وما تقترن به من أضرار، ولكن يمكن أن يكون التعامل بأن تسع خصمك، وهو نوع من الإحتواء السلمي (دبلوماسية الوفاق) لأجل تخفيف العداوة والتحول إلى علاقات سلمية، وهذا هو الذي تأمر به هذه الآية الكريمة . وتدبر أن هذا الإحتواء يقوم على الرفق، كما يدل عليه تقديم الحسنه على السيئة، وكذلك الدفع بالتي هي أحسن وتحوُّل العدو إلى شبه الولي الحميم. وتدبر أيضاً أن الإحتواء المذكور يحتاج إلى صبر وإلى حظ عظيم من التوفيق والعقل والحكمة. وهذا كله يفضي إلى تحصيل غايات كبيرة بعمل عقلي كبير وما يقتضيه من تفاوض ونحوه، ولسلامته من الأضرار يُعبر عنه أحياناً بتحصيل أمور كبيرة بوسائل يسيرة او ضعيفة، وهو تعبير مجازي لأن هذا النوع من العمل ليس بالهين ولا بالضعيف ، بدليل عبارة ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾، فهو وظيفة النخبة او النخبة من النخبة، ولكن ينبغي لكل مؤمن أن يحاول تحصيل درجة منها، كما هو حكم تحصيل درجات الفضائل عموماً.

ولا شك أن التفريط في مثل هذه المعاني العظيمة يعني التفريط في التفكير وفي تشغيل العقل، وهي مصيبة كبرى بالغة الضرر. ومن هذا الأصل أن الإحتواء في كثير من الأحيان، خاصة في الصراع السياسي، ليس مجرد كلمة طيبة وهدية، ولكنه صبر على كثير من التفكير والإعداد والتخطيط للإحتواء السلمي وما يحتاجه من مقدمات وإجراءات عملية من الحلم والتحفيز (كوسائل التطمين القولية والعملية وبناء المصالح المشتركة) والأفكار الذكية والإثارة والمراجعة. وتدبر في الآية الكريمة عبارة ﴿ كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ ﴾، فدخل كافي التشبيه لأن الخصم إذا كان كافراً فإنه لا يصير ولياً حميماً في حقيقة الأمر، ولكنه يختار التعامل السلمي وربما التحالف وكأنه ولي حميم، وقد يساعد في كثير من أعمال الخير والفضيلة. وحتى بعد بداية العنف، يمكن القيام بإجراءات تخفيفية مدروسة بعناية كي يؤول الأمر وكأنه ولي حميم. وقد يقع كثير من الدمار

والهلاك بسبب ضعف مهارات ومتطلبات الإحتواء، ويشمل ذلك الصراع الداخلي والخارجي، وتأريخ الشعوب يشهد لذلك. وفي كثير من الأحيان، يكون إعطاء الخصوم فرص عمل منضبطة ويمكن التعامل معها، أفضل من تضيق شديد يجعلهم يعملون بصورة غير منظورة.

وأما مزعمة بعضهم أن آية فصلت منسوخة، فإن كان يريد النسخ الإصطلاحي فإن مزعمته بلا دليل، ومن يتدبر الآية يجد أنه من البعيد جداً أن ينسخ الله حكماً وصفه بأنه ﴿ وَمَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾. يوضح الأمر أن معنى النسخ الاصطلاحي هو ترك العمل بحكم منزل من عند الله تعالى والإفتاء بذلك، وهذا من عظام الآثام إلا باجتماع شرطين، الشرط الأول: العلم بالمتقدم والمتأخر من النصين. الشرط الثاني: تعذر الجمع بين النصين، وهذا ما لا سبيل له هنا وفي كثير من مزاعم النسخ. فلا شك أنها آية محكمة غير منسوخة، وليست محصورة بين الأفراد، بل يشمل حكمها الجماعات والدول.

**(المهارة الثالثة):** بناء خبرة واسعة في المهارات السلمية. قال تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة: ٢٠٨، وقد ذكرنا تفسير الآية في (نخبة المسار) وفي (وجهة اللواء). ونكتفي هنا بأن عبارة «كافة» يصلح أن تكون حالاً أي وصفاً للسلم، والمعنى: ادخلوا في السلم من كل جوانبه ومسالكه ومهاراته. وبذلك فإن السلم ليس استثناءً، بل هو أصل كبير مقارن لأصل الدفاع أو الجهاد العسكري. ويتصل بذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِصُرُوهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢) الأنفال: ٦١ - ٦٢؛ وقد ذكرنا تفسير آية الأنفال في كتبنا الأخرى.

**(المهارة الرابعة):** بناء القوة التي تمنع العدوان. وهذا نص قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ  
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠، فالمطلوب إعداد قوة كافية  
تجعل من يحمل نوايا عدوانية يخاف من القيام بعمل عدائي، بل قد تجعله يفضل الدخول  
في علاقات سلمية ومصالح متبادلة. وتسمى هذه في اللغة المعاصرة بالقوة الرادعة، وهذا  
في الحقيقة احتواء سلمي مبني على قوة رادعة، وقد اعتمدت عليه أوروبا وأميركا بعد  
الحربين العالميتين، الأولى والثانية.

## سبل الشيطان في الإغواء

سبل الشيطان في الإغواء هي نفسها سبل أتباعه، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة  
توضح الصلة بين الشيطان وأتباعه.

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى  
بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْحَىٰ إِلَيْهِ  
أَفْعِدَّةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرَّضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾  
الأنعام: ١١٢-١١٣.

وقال تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلِيَٰ آيَاتِهِمْ لِيَجِدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ  
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١، يوضح المعنى أن كل طاعة لبشر يجب أن لا تتعارض مع  
طاعة الله تعالى، فإن حصل تنازع وتعارض في عقيدة الطاعة، أي من اعتقد صحة رأي مع  
علمه بأنه يخالف الإسلام، فهو بمعنى اتخاذ الله تعالى، أي الشرك. وإن كان التعارض  
في العمل مع صحة المعتقد فهي المعصية أو الفسق وما أشبه ذلك أو الإضرار.

وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ٢٧؛ وقال تعالى ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ٣٠؛ واضح من آيتي الأعراف وجود ولاء متبادل بين الشياطين وأهل الضلالة من الناس وما يقتضيه الولاية من متابعة وتعاون على الشر.

## آيات الإسراء:

قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بَرِيكًا وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ الإسراء: ٦٢ - ٦٥.

فمن فوائد الآيات:

الفائدة الأولى: معنى لفظ حنك ومشتقاته. تتضمن كلمة «حنك» معنى الإحتواء

والإستيعاب. وتُستعمل اشتقاقاتها في مجالين، (المجال الأول): في الأجساد، فَحَنَكُ الْإِنْسَانِ: أَقْصَىٰ فَمِهِ، كما ذكر ابن فارس، والمقصود من باطن الفم. ويُؤخذ منه الفعل في استعمال الحنك، قال ابن منظور: وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ يُحَنِّكُ أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ؛ قَالَ: وَالتَّحْنِيكَ أَنْ تَمَضَّغَ التَّمْرَ ثُمَّ تَدْلُكُهُ بِحَنَكِ الصَّبِيِّ دَاخِلَ فَمِهِ؛ يُقَالُ مِنْهُ: حَنَكْتُهُ وَحَنَكْتُهُ فَهُوَ مَحْنُوكٌ وَمَحْنَكٌ.. وَاسْتَحَنَكَ الرَّجُلُ: قَوِيَ أَكْلُهُ وَاشْتَدَّ بَعْدَ ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُمْ: هَذَا الْبَعِيرُ أَحْنَكُ الْإِبِلِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَنَكِ، يُرِيدُونَ أَشَدَّهَا أَكْلًا. وَالْحَنُكُ: الْأَكْلَةُ مِنَ النَّاسِ. وَاحْتَنَكَ الْجَرَادُ الْأَرْضَ: أَتَىٰ عَلَىٰ نَبْتِهَا وَأَكَلَ مَا عَلَيْهَا.

والحنك: الجماعة من الناس يتتبعون بلداً يرعونهُ. يُقال: ما ترك الأحنك في أرضنا شيئاً، يعني الجماعات المارة. اهـ من (لسان العرب). وقال صاحب: واحتنكت الرجل: أخذت ماله وشيئه. اهـ من (المحيط)، أي: كأنه أكل مال الرجل بالحنك كما عبر بذلك ابن منظور. وقال ابن سيده: وحنك الدابة يحنكها ويحنكها حنكا واحتنكها، شد في حنكها الأسفل حبلا يقودها به. اهـ من (المحكم). **(المجال الثاني):** في إدارة النفس، كالترويض والتجربة والتدريب الفكري. فقد نقل ابن الأثير حديث طلحة «قال لعمر: قد حنكتك الأمور» أي راضتك وهذبتك. اهـ. ويُقال حنكت الشيء إذا فهمته، كما نقل ابن فارس. وقال ابن منظور: والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور. وحنكته التجارب والسن حنكاً وحنكاً وأحنكته وحنكته واحتنكته: هذبته، والإسم الحنكة والحنك والحنك. الأزهرى عن الليث: حنكته السن إذا نبتت أسنانه التي تسمى أسنان العقل، وحنكته السن إذا أحكمته التجارب والأمور، فهو مُحَنَّكٌ ومُحَنَّكٌ. ابن الأعرابي: جرّده الدهر وذلكه ووعسه وحنكه وعركه ونجده بمعنى واحد. واحتنك الرجل أي استحكّم. ورَجُلٌ مُحَنَّكٌ وحنك: مجرب. وحنك الشيء: فهمته وأحكّمته. الفراء: رَجُلٌ حُنْكَ وامرأة حُنْكَ إذا كانا لبيبين عاقلين. اهـ من (لسان العرب).

**وفي المجالين:** يتضمن الإحتناك معنى الاستيعاب والإحتواء المادي او المعنوي، فالمجالين من أصل واحد، فقولهم احتنك الجراد الأرض: أي أتى على نبتها وأكل ما عليها، او استأصله، كما هي عبارة ابن فارس او أكله كله كما هي عبارة ابن قتيبة ومعنى عبارة غيره. وحنك الدابة شد في حنكها حبلا يستوعب مدار الربط. وذكر ابن قتيبة في غريب القرآن: واحتنك فلان ما عند فلان من العلم: إذا استقصاه. اهـ. والمُحَنَّك: الرَّجُلُ الْمُتَنَاهِي عَقْلُهُ وَسِنُّهُ، كما في (لسان العرب). وصرح ابن فارس في مقاييسه أن الإحتناك يدل على التناهي في الأمر.

**الفائدة الثانية:** معنى عبارة ﴿لَا حَتَّانَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾. يصح أن يشمل

الإحْتِنَاكُ هنا المجالين لأنهما من أصل واحد كما ذكرنا، فمعنى المجال الأول، أن يعزم الشيطان أو يُقسم أنه سيتحكم بذرية آدم عليه السلام، كما يقود السائق دابة جعل في حنكها حبلاً. ومعنى المجال الثاني، أن يعزم الشيطان أنه سيحتوي عقول ذرية آدم عليه السلام، ويتحكم بها عن طريق الترويض والتدريب على الخطايا وشبه ذلك من مهارات إعادة تشكيل العقل. وهذا تأويل قوي إن شاء الله تعالى.

وواضح من مضمون الإحتواء والإستيعاب أن الشيطان يريد احتواء الإنسان بأنشطته كلها، العقيدية والعملية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها. ويوجب ذلك على المؤمنين أن يرصدوا كل ثغرة وكل فراغ يمكن أن يدخل منه فكر الشيطان. وتدبر قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ ص: ٢٠، فالملك المشدود كالحبل المفتول بقوة، فلا فراغات بين خيوطه. وكذلك الملك المشدود، ليس فيه شقوق ولا فراغات.

وقد تكلمنا عن «الترويض» بقدر من التفصيل في «المبحث الخامس: الحرب غير العسكرية» من كتاب (وجهة اللواء)، ونكتفي هنا بالمعنى الإجمالي. فالترويض الذي يفعله البشر هو نوع من التدريب، وهو التلئين والتطويع والتذليل، يُقال: رُضْتُ الدابة أروضها رَوْضاً ورياضةً: إذا علّمتها السيرةً وذلّلتها. ويُطلق الترويض في العُرف السياسي على عمليات تغيير استجابة الآخرين، وذلك بتطويعهم لقبول الضعف وتوابعه في مواجهة العدو أو قبول الفكر المضاد أو الظلم والفساد، أي التدريب السلبي. والناس يتفاوتون جداً في قدرتهم على مقاومة الترويض السلبي، ولذلك يلجأ المستبدون إلى أنواع من الترويض، بعضها للجمهور وبعضها للنخب وبعضها الآخر للمقاومين. ونكتفي هنا بمثال واحد، وهو ترويض الحواس الظاهرة: وأهمها هنا السمع والبصر، وذلك أن الحواس منافذ إلى الفكر والقلب، فتدريب النظر على رؤية التعري والمفاتن المحرمة يروض النفس للتفاعل بِلين مع هذه المحرمات. ومثلها تكرر أو إدمان رؤية



مظاهر الترف والإسراف والملذات المقترنة بعوامل الترغيب والتشويق. وكذلك الأمر مع تدريب السمع على سماع التوافه والأباطيل والمظالم من غير استنكار. فإن أُلْفَةَ المنكرات الحسية يمكن أن يؤدي إلى أُلْفَةَ المنكرات المعنوية. وتبلد الإحساس بضرر المنكرات يوضحه نحو قوله تعالى ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٩، فتدبر عبارة ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾، فإنها تدل على العموم في نفي التناهي، وكأن المنكرات صارت أمراً طبيعياً بينهم.

### الفائدة الثالثة: معنى عبارة ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾، (أما

الإستفزاز) في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾، فمن: فَرَّ يَفْزِرُ إذا فرغ أو خاف من أمر، أو تحرك فرعاً، يُقال: فَزَزْتُ خوفاً من صوت الانفجار، وزيادة الهمزة والسين والتاء في أوله (صيغة استفعل) تصلح هنا للجعل، نحو قولهم: اسْتَعْبَدَهُ أي: عبده، بأن جعله عبداً أو سار به مسار الإستعباد. فمعنى ﴿وَأَسْتَفْزِرُ ...﴾، أي اجعل من استطعت منهم يصير فرعاً من المخاوف الدنيوية التي يثيرها الشيطان ويطوف بها أتباعه. (وأما عبارة): ﴿بِصَوْتِكَ﴾، فالصوت يشمل كل رأي مُعلن وإن كان الإعلان بالكتابة. قال الزمخشري: وله صوت في الناس وصيت، وذهب صيته فيهم. اهـ من (أساس البلاغة). ويُقال: فلان بعيد الصوت، إذا سار صيته في الناس، وقال ابن فارس: وَالصَّيْتُ: الذِّكْرُ الحَسَنُ فِي النَّاسِ. يُقَالُ: ذَهَبَ صِيتُهُ. اهـ من (معجم مقاييس اللغة)، وقال الزبيدي: أصوات الرجل بالرجل: إذا شهره بأمر لا يشتهيهِ. والصيت، بالكسر: الذكر، يقال: ذهب في الناس صيته، أي ذكره. يقال: له صوت وصيت، أي ذكر. اهـ من (تاج العروس).

فالصوت جنس لما يمكن أن يسمعه السامع وإن كان من خلال الوسائط، يؤيد ذلك تفسير ابن عباس لآية الإسراء، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «صوته كل داع دعا إلى معصية الله» رواه الطبري وغيره. وطريقة الشيطان هي تحريك الفكرة السيئة عن طريق أوليائه ومن يعينهم بجهله، وتدبر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ الأعراف: ٢٠١ - ٢٠٢، فتدبر أنه طائف (من الطواف)، وأصله من الشيطان ويمكن أن ينقله أولياء الشيطان ومن يساعدهم، ولهم إخوان في الغي يمدونهم من قريب ومن بعيد في تحريك هذه الأفكار ولا يفترون في خدمة الشيطان، فهو تنظيم عابر للحدود. **(وأما صيغة الأمر)** في عبارة ﴿وَأَسْتَفْرِزُّ﴾ وما بعدها، فيراد بها التهاون بالشيطان وبمن أتبعه والتهديد له، لأن من عصي فإثمًا عصيانه على نفسه، على نحو قوله تبارك وتعالى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٣٢﴾ هود: ١٢١ - ١٢٢. فمعنى عبارة ﴿وَأَسْتَفْرِزُّ مَنَ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾، أي خوفهم بصوتك من حوادث الدنيا.

فمن صوت الشيطان ما ذكره الله في نحو قوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٨.

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٥.

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْهَوْنَ﴾ المائدة: ٩١.

وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

وقوله تعالى ﴿ ... وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠.

وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْأَفْتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ٤٨، وإلى غير ذلك من الآيات.

**الفائدة الرابعة:** معنى عبارة ﴿ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾. (أما عبارة):

﴿ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَلِكَ ﴾، فالإجلاب من: جلب الشيء إذا جاء به وأحضره، وأجلب القوم أي أحضر بعضهم بعضاً واجتمعوا وتألّبوا. وأجلب الرجل: توعد بشر، وجمع الجمع كما في (المحكم). وأجلبوا عليه إذا تجمّعوا وتألّبوا، كما في (النهاية). والخيل كناية عن المركب، والرّجل: جمع راجل. والمعنى: أجلب عليهم بكل راجل وماش في معصية الله تعالى من شياطين الجن والإنس؛ فكل راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس مهما كان مركبه، وكل ماش في معصية فهو من رجل إبليس. (وأما عبارة): ﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ ﴾، فتشمل كل مال صار فيه نصيب للمعصية وخدمة الشيطان، وتشمل كل ولد استطاع الشيطان أن يشارك الوالدين المسلمين في توجيهه وتحديد مساره، بسبب تقصير الوالدين أو بسبب آخر. وأما وعد الشيطان، فقد قال تعالى ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ

وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ... إبراهيم: ٢٢.

### الفائدة الخامسة: قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى

بِرَبِّكَ وَكَيْلًا ﴾، فلا سلطان للشيطان على المؤمنين الصالحين؛ وتدبر صيغة الحصر أو المبالغة في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ النحل: ٩٨ - ١٠٠.

### آية الأعراف:

قال تعالى ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦) ثُمَّ لَأَنْتَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧، قد ذكرنا تفسيراً مفصلاً للآيتين في (نخبة المسار/ المبحث السابع، تحت عنوان: الجهات المعنوية في تحريك أفكار الشر).

ويمكن هنا الإقتصار على المعنى الإجمالي. فعبارة ﴿ لَأَقْعُدَنَّ ﴾، هي كناية عن الملازمة والمواظبة بلا فتور على جلسة عمل مستمرة، غايتها هو استهداف تخريبي لأعمال الصراط المستقيم، فإن من أراد المبالغة في قضاء أمر قعد له أي تفرغ له. وعزم إبليس أن يأتي الناس من الجهات المعنوية كلها، فـ: «من بين أيديهم»، أي مواجهة ومما يبصرون ومما يُقبلون عليه أو يُقبل عليهم أي من حاضرهم ومستقبلهم، استعارة من قولهم: بين يديه أي أمامه. ومعنى «من خلفهم»، أي مغافلة ومما لا يبصرون ومن ماضيهم وما سبق أن فعلوه وأبرموه؛ وكذلك يأتيهم «عن أيمنهم» أي من نقاط قوتهم، ويأتيهم «عن شمائلهم»

أي من نقاط ضعفهم. ولا شك أن جهات حركة إبليس هذه يمكن أن تظهر للعلن على غير حقيقتها، ككثير من الواجهات الخادعة او المشحونة بمتفجرات معنوية غير ظاهرة او غير معلنة.

## آية الأعراف الأخرى:

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ الأعراف: ٨٦؛ في الآية الكريمة حكاية لكلام شعيب عليه السلام مع قومه.

وذكرنا في تفسير الآية السابقة أن القعود كناية عن الملازمة والمواضبة بلا فتور على جلسة عمل مستمرة، غايتها هو استهدافٌ تخريبيٌّ لأعمال الصراط المستقيم. ومعنى عبارة ﴿ بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾، أي بكل طريق مادي او معنوي لصد الناس عن دعوة شعيب، وتدبر استعمال كلمة «كل» فهم يحاولون شمول كل طريق مادي او معنوي للتهديد والتحذير من التقرب إلى دعوة شعيب عليه السلام او للطعن في الدعوة. وهذا قريب من قوله تعالى ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٢. وأما معنى ﴿ تُوعِدُونَ ﴾، فقال الإمام الزجاج: ومعنى توعدون أي توعدون من آمن بشعيب بالعذاب والتهدد. يقال: وعدته خيراً، ووعدته شراً، فإذا لم تذكر واحداً منهما، قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته. اهـ من (معاني القرآن وإعرابه).

## آية النساء:

قال تعالى ﴿ .... وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنَّ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ

فَلْيَبْتَكَنَّ إِذْ أُنذِرَ الْآنِعَمَ وَأَلْمُرَهُمْ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ  
وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٧﴾ النساء: ١١٧ - ١١٩.  
من فوائد هذه الآيات الكرييات:

**الفائدة الأولى:** عبارة ﴿ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾، معنى «مريد» أنه مجرد من الخير  
موغل في الشر، وأصل اللفظ من العري والتجرد، يُقال صخرة مرداء أي ملساء، وصرح  
مرد أي ملمس، وشجرة مرداء أي لا ورق عليها، وتمرد أي أقدم وعتا، وكأنه تجرد من  
الإلتزامات والضوابط. فإبليس مجرد من الفضائل جملة وتفصيلاً، ولا يأمر إلا بشر. وأما  
أتباع أو أولياء إبليس، فتجردهم للشر يكون على قدر موالاتهم لإبليس، فقد ذكر الله  
الصالحين والفاستدين ثم قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ  
لَا يُظَاهَمُونَ ﴾ الأحقاف: ١٩؛ فالأصل في التعامل معهم أن تحسب حساب الإحتمالات كلها،  
وأن تكون حذراً ومراقباً لاحتمال تغيير المواقف.

ويتصل بذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ  
كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ  
السَّعِيرِ ﴿٤﴾ الحج: ٣ - ٤؛ الضمير البارز المنصوب في «تولاه» يصح أن يعود على  
الشیطان المرید لأنه أقرب مذكور ولأنه مقصود مهم؛ وهذا قول طائفة من المفسرين.  
ويصح أيضاً أن يعود الضمير المنصوب في «تولاه» على الإنسان الذي يجادل بغير علم  
ويتبع كل شیطان مرید، لأنه أصل الكلام؛ وقد جوز ذلك أبو حیان في (البحر المحيط)  
والسمین الحلبي في (الدر المصون). والوجهان قويان من جهة المعنى وصناعة النحو، ولا  
تناقض بينهما، فهما كالقراءتين في الإحتجاج بهما.

**الفائدة الثانية:** معنى عبارة ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مَنَّاهُمْ﴾، أما الإضلال فهو

الإدخال في المجال الخاطيء، ووسائله كثيرة جداً، وسنذكر جملة منها في عنوان مستقل بعد تفسير هذه الآية إن شاء الله تعالى.

وأما عبارة ﴿وَلَا مَنَّاهُمْ﴾، فإن الأصل في المني هو التقدير، ويتفرع منه ما يرجع إلى بعض أنواع وأوصاف التقدير:

**فمنها:** التقدير بمعنى القدر الواقع والقضاء النافذ، وهو قضاء الله تعالى وقدره. يُقال: مَنَى اللهُ الشَّيْءَ يَمْنِيهِ: قَدَرَهُ؛ وَيُقَالُ: مَنَى اللهُ لَكَ مَا يَسْرُكُ أَي قَدَرَ اللهُ لَكَ مَا يَسْرُكُ؛ ومنه: المني والمنيّة: الموتُ لأنه قُدِّرَ عَلَيْنَا، كما في (لسان العرب). ويتبع هذا النوع نحو قولهم: مُنِيْتُ بِكَذَا وَكَذَا، أَي ابْتَلَيْتُ بِهِ. وَيُقَالُ: مُنِيَّ بِلَيْتَةٍ أَي ابْتَلَيْتُ بِهَا كَأَنَّمَا قُدِّرَتْ لَهُ وَقُدِّرَ لَهَا. وعلى نحو ذلك: مُنِينَا لَهُ، أَي وَفَّقْنَا لَهُ، فهو قَدَرَ عَلَيْنَا. وَمَاءُ الْإِنْسَانِ مَنِيٌّ، أَي يُقَدَّرُ مِنْهُ خَلْقَتُهُ، كما في مقاييس ابن فارس.

**ومنها:** التمني بمعنى أن الإنسان يرجو من الله تعالى أن يُقدر له الخير. ومنه حديث عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَمَّتْ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ. « رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ كَمَا ذَكَرَ نُوْرُ الدِّينِ الْهَيْثَمِيُّ فِي (مَجْمَعِ الزُّوْائِدِ)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي (صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتِهِ). وقال ابن منظور: وَتَمَّتْ الْكِتَابَ: قَرَأَهُ وَكَتَبَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الحج: ٥٢، أَي: قَرَأَ وَتَلَا فَالْقَى فِي تِلَاوَتِهِ مَا لَيْسَ فِيهِ؛ وَتَمَّتْ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ؛ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: وَالتَّلَاوَةُ سُمِّيَتْ أُمْنِيَّةً لِأَنَّ تَالِيَ الْقُرْآنِ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ رَحِمَتْهُ تَمَّهَا، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ عَذَابٍ تَمَّتْ أَنْ يُوقَّاهُ. اهد مع اختصار من (لسان العرب).

**ومنها:** التقدير البشري المستند إلى مجرد الرغبة والأحلام العريضة، وقد يبلغ درجة الكذب والإفتعال. قال ابن الأثير: التَّمْنِي: تَشَهَّى حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، وَحَدِيثُ

النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ. اهـ من (النهاية). وَتَمَنَّى الشَّيْءَ أَرَادَهُ وَمَنَّاهُ إِيَّاهُ وَبِهِ وَهِيَ الْمُنْيَةُ وَالْمُنْيَةُ وَالْأُمْنِيَّةُ، كما في مقاييس ابن فارس. وَالْأَمَانِيُّ جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ؛ وَالْمُنَى، بِضَمِّ الْمِيمِ: جَمْعُ الْمُنْيَةِ، وَهُوَ مَا يَتَمَنَّى الرَّجُلُ، كما في (لسان العرب). وقال ابن منظور: وَفِي رِوَايَةٍ (أَيِ عَنْ عَثْمَانَ): مَا تَمَنَيْتُ مُنْذُ أَسَلَمْتُ، أَيِ مَا كَذَبْتُ. وَالتَّمَنَّى: الكَذِبُ، تَفَعَّلَ مِنْ مَنَى يَمْنِي إِذَا قَدَّرَ لِأَنَّ الكَاذِبَ يُقَدِّرُ فِي نَفْسِهِ الحَدِيثَ ثُمَّ يَقُولُهُ، وَيُقَالُ لِلأَحَادِيثِ الَّتِي تُتَمَنَّى الأَمَانِيُّ، وَاحِدَتُهَا أُمْنِيَّةٌ؛ وَفِي قَصِيدَةِ كَعْبٍ: (فَلَا يُغَرِّنَكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلَامَ تَضْلِيلُ). وَتَمَنَّى: كَذَبَ وَوَضَعَ حَدِيثًا لَا أَصْلَ لَهُ. وَتَمَنَّى الحَدِيثَ: اخْتَرَعَهُ. اهـ من (لسان العرب).

فمعنى عبارة ﴿وَلَا أُمْنِيَنَّهُمْ﴾، سأجعل في نفوسهم من الأمانى ما يضلهم ويخدعهم ويصرفهم عن طاعتك؛ كالأمانى في اتباع الأهواء وتهوين الإصرار، والتسويق في العمل وتغليب متاع الدنيا على مطالب الدين، وتصديق الآمال والمواعيد الكاذبة والأوهام التي تجعلهم يطمعون فيما لا يقع وتوصلهم إلى المضار والمهلك.

وقد تكرر في القرآن الكريم التحذير من اتباع الأمانى، قال تعالى ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ القصص: ٨٢.

وقال تعالى ﴿.... وَلَكِنَّكُمْ فتنتم أنفسكم وتربصتم وازتبتتم وعررتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرتكم بالله الغرور﴾ الحديد: ١٤.

وقال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ البقرة: ٧٨، وواضح من صيغة الحصر في عبارة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، أن أمانيتهم ليس فيها علم، فهي رغبات وأوهام وما شابه ذلك.



وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١ .

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٢٣ .

وعن ابن عباس قوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾، يقول: لا يتمنى الرجل يقول: «ليت أن لي مال فلان وأهله»، فنهى الله سبحانه عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. رواه الطبري.

وعن مجاهد في قوله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾، قال: قول النساء: «ليتنا رجالاً فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال». رواه الطبري.

وتدبر حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.» رواه البخاري ومسلم وغيرهما؛ فتدبر صيغة الحصر في الحديث، وظاهرها حصر جواز تمني ما عند الآخرين في هذين الأمرين؛ والحسد هنا معناه الغبطة أي من غير إرادة زوال ما عند الآخرين. وفي تفسير آية النساء تكلم الإمام القرطبي عن حكم تمني الأعمال الصالحة عند الآخرين.

فالتمني في غالب الإستعمال هو ترقب المرغوب إما من الشهوات، وإما من غيرها ولكن بلا تمهيد الطرق ولا إعداد الأسباب، وإنما هي رغبة أو شهوة، كأمني جودة الأحوال وقوة المؤسسة وضعف الخصوم وشبه ذلك مما يُشبه أحلام اليقظة والأوهام. وقد تُؤَسَّسُ أعمال على هذه الأمانى، وتنتهي بفشل أو بمصيبة وإنذار كبير لأنها في حقيقة الأمر أوهام. وتُعد هذه الأمانى من أهم عوائق المعالي. ومعنى ﴿ وَلَا تُؤْمِنُ بِهِمْ ﴾، لَأَسْؤَلَنَّ

لهم، أي ألقى في نفوسهم هذه الأمانى. وتوجد أمثلة كثيرة جداً من الأمانى والأوهام، منها:

- توهّم القدرة على عمل معين، وهو في حقيقة الأمر أكبر من الوسع، ومصيره إلى فشل وتهلكة، كما أن هذا الوهّم يقطع الصبر ويُفسد عمليات تنمية الوسع.
- توهّم عدم القدرة مع وجود الوسع، مما يؤدي إلى ضياع الفرص والتخلف.
- توهّم بقاء الأمور كما هي، مع إمكان تنمية الوسع وبناء واقع جديد. وكذلك تفاقم عوامل الإنحدار عند الآخرين، وما يقترن به من فرص.
- توهّم القوة أو النصر، وهو في الحقيقة استدراج إلى المقتل.
- توهّم المنعة والحصانة، مما يؤدي إلى الغفلة عن التصدعات والمخاطر.
- توهّم المبادأة واغتنام الفرصة، وهو في الحقيقة استدراج.
- توهّم إمكان تحقيق أهداف كبيرة من غير تخطيط (تدبير) وإعداد ولا مصابرة ومرابطة ولا استباق ومغالبة.
- توهّم سلامة المسار من غير تقويم شامل، مما يؤدي إلى إغفال مواطن ضعف تستلزم التراجع والتخلف، كضعف الأهلية وفشل أنظمة القيادة والإدارة ووجود فساد ومظالم أو وجود اختراق مؤثر.
- توهّم الكثرة، وإنما هو حشد ظاهري قلق.
- توهّم الخير والصلاح في قضية معينة، وإنما هو شر وفساد، ولكن كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ البقرة: ١١ - ١٢.
- توهّم الحاجة أو الضرورة وإنما هي شهوة، وقد ذكرنا تفاصيل مهمة في العناوين القريبة من (نخبة المسار).

ويتصل بالأمانى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ النساء: ٣٢ ؛ فقد يملك أخوك نعمة غير أنك تصلح لنعمة أخرى، كما أن تمنى نعمة الآخرين يورث الحسد، كما أنك في الغالب لا تعلم نوايا الآخر ولا مدى التزامه الشرعي في التصرف بالنعمة، فربما تقع في مصيبة إذا تمنيت مكانه، وقد ذكرنا الآية الكريمة في قصة قارون. وتدبر في آية النساء عبارة ﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾، فإذا استحسنتم عملاً صالحاً عند زيد وهو رجل صالح، فلك أن تسأل الله تعالى أن يرزقك هذا العمل الصالح بصرف النظر عن أمر زيد، أي تجنب في التمني أن تربط العمل بفلان أو فلان فإنك لا تدري، ربما تقع أحياناً في نحو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ القصص: ٧٩ ، اللهم إلا فيما استثناه حديث « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ »، والله تعالى أعلم.

### الفائدة الثالثة: عبارة ﴿ وَلَا أَمْرَهُمْ فَلَيْبَتِكُنَّ إِذْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾، البتك:

الْقَطْعُ، وَبَتَكَ الشَّيْءَ أَي قَطَعَهُ، وَسَيْفٌ بَاتَكَ وَبَتَكَ إِذَا كَانَ صَارِمًا، وَالْبِتْكَ: الْقِطْعَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَوْ كُلُّ طَائِفَةٍ صَارَتْ فِي يَدِكَ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا هِيَ عِبَارَةٌ ابْنِ مَنْظُورٍ، وَالْجَمْعُ بَتَكَ. وتشديد التاء (بتك) للمبالغة، كما في الآية. فمعنى الآية الكريمة أنهم يقطعون آذان الأنعام أو يشقونها لإزالة قطعة منها. وهذا من أمر الشيطان وهو نوعان، (النوع الأول): البتك بقصد المثلة أو التعذيب، والأحاديث الصحيحة كثيرة في النهي عن المثلة، منها حديث عبد الله بن يزيد الحطيمي وهو الأنصاري قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عَنِ الْمُثَلَّةِ وَالنُّهْبَةِ » رواه الإمام أحمد وصححه شعيب الأرناؤوط على شرط

الصحيحين. (النوع الثاني): بتك الأذن ضمن تشريع بشري يستند إلى الهوى، وتدبر قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ المائدة: ١٠٣؛ قال الراغب: يقال: بَحَرْتُ كَذَا: أوسعته سعة البحر، تشبيهاً به، ومنه: بَحَرْتُ البعير: شققت أذنه شقاً واسعاً، ومنه سميت البَحِيرَةُ. قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ ، وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها، فلا تركب ولا يحمل عليها. وسموا كل متوسّع في شيء بَحْرًا، حتى قالوا: فرس بحر، وللمتوسّع في علمه بحر، والتَّبَحُّرُ في العلم: التوسع. اهـ من (المفردات). وَعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: « هَلْ تَنْتَجِبُ إِبِلَ قَوْمِكَ صِحَاحًا آذَانَهَا، فَتَعْمَدُ إِلَى الْمُوسَى فَتَقَطُّعُ آذَانَهَا، فَتَقُولُ: هَذِهِ بُحْرٌ، أَوْ تَشُقُّ جُلُودَهَا، وَتَقُولُ: هَذِهِ ضُرْمٌ، فَتَحْرَمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ؟ »، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: « فَكُلُّ مَا آتَاكَ اللَّهُ لَكَ حِلٌّ، سَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ مِنْ مُوسَاكَ. » رواه ابن حبان، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم، ورواه أحمد والحاكم في سياق حديث وصححه الإمام الذهبي. فتدبر عبارة « فَتَحْرَمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ؟ »، فإنها تنبه إلى أنهم جعلوا بتك الأذان علامة على تشريع معين، شرّعه بمحض الهوى والظن.

### الفائدة الرابعة: معنى عبارة: ﴿ وَلَا مَرِيئَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾، (أما

التغيير): فهو تصيير الشيء على خلاف ما كان عليه، قال ابن سيده: وَتَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ: تَحْوِيلٌ، وَغَيْرُهُ: حَوْلُهُ وَبَدَلُهُ، وَغَيْرَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: حَوْلَهُ، وَغَيْرُ الدَّهْرِ: أَحْدَاثُهُ الْمُغْيِرَةُ. من (المحكم). ويكون على نوعين، النوع الأول: تغيير صورة الشيء او صفته او مساره دون ذاته، نحو قوله تعالى ﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنِ لَمَّا يَنْغَيَّرُ طَعْمُهُ ﴾ محمد: ١٥، ويشمله أيضاً

قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١. وهذا النوع من التغير هو موضع الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل. النوع الثاني: هو تبديل الذات بغيرها، ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام: ١٤، ويقول أحدهم: غيرت داري، إذا أراد الانتقال إلى دار آخر. (وأما لفظ «خلق»): فأصله مصدر يدل على الحدث، أي عملية التكوين الأساسي التي ينمو بها المخلوق. فالفرق بين الخلق والمخلوق هو كالفرق بين الأكل والمأكول، وبين القتل والمقتول، وبين السلب والمسلوب. ويمكن في العربية استعمال المصدر بمعنى الاسم، كاستعمال الخلق بمعنى المخلوق، غير أن هذا خلاف الأصل، فلا نصير إليه إلا بدليل يوجب ذلك.

### وعمل الشيطان لتغيير خلق الله يشمل أكثر من نوع:

**(النوع الأول):** هو نوع شائع قديماً وحديثاً، ولكنه يشمل الإنسان من جملة المخلوقات، فالغاية الرئيسة لأهل الباطل تغيير توجه الإنسان ومساره. وكأن المعنى لعبارة: ﴿ فليُغَيِّرِبْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾، مبني على حذف مضاف، والتقدير: فليغيرن توجهه أو تصرف أو مسار خلق الله تعالى، أي تغيير توجه تكوين الإنسان من الغاية التكليفية من الخلق وهي عبادة الله تعالى، فقد قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، إلى عبادة غير الله تعالى. وهذه للشيطان غاية كبرى، فإن استوعبت مركز التوجه فإنها تجعل الإنسان الضال يمارس تضليل الآخرين، لأن وجهه الصلاح قد سُلت عنده، وأصبح مجرداً للضلال. يوضح ذلك الروايات عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وإبراهيم، في قوله تعالى ﴿ وَلَا أُمِرُّهُمْ فليُغَيِّرِبْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾، قالوا: «دين الله». رواه الطبري بأسانيد متعددة إليهم، ومعنى هذه الروايات أن «خلق الله» أي تكوين الإنسان يتضمن الفطرة السليمة التي إن حافظت على سلامتها فإنها تتجه بك إلى دين الله تعالى. وأما إن غيرها أتباع الشيطان وأفسدوها فإنها تتجه بصاحبها إلى

عبادة الأهواء والأوثان. وعلى هذا المعنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيُنَصْرَانِهِ وَيَمَجْسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ » رواه مسلم والبخاري وأبو داود وغيرهم، فالتغيير العدائي للجسد من جنس التغيير العدائي للنفس أو القلب. وعلى هذا المعنى قول ابن عطية: وقالت فرقة: «تغيير خلق الله» هو أن الله تعالى خلق الشمس والنار والحجارة وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها ويتنفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة. اهـ من (تفسير ابن عطية).

**(النوع الثاني):** هو استحداث نوع آخر من التغيير في التكوين الذي خلق الله تعالى المخلوقات به، وقد ظهر هذا النوع في القرن السابق، وذلك باستعمال الهندسة الوراثية والتلاعب بالمنظومة الوراثية للمخلوق. وقد استعمل ذلك بكثرة في النباتات، وسواء كان ذلك بقطع عامل وراثي أصيل أو بإضافة عامل وراثي (جين) غير أصيل، فهو سبيل الشيطان، ولا شك أنه ضار. فقد قال تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ الحجر: ١٩، فمكونات النبات موزونة بالصورة التي أنبتها الله في الأرض، فمن تلاعب بالعوامل الوراثية للنبات فقد أخرجها من التوازن بمزعمة «التعديل الجيني أو الوراثي». وهذا النوع في تغيير التكوين يمكن أن يؤدي إلى تغيير ظاهر أو كامن في الجسد. ويبدو أيضاً أنه حصلت في هذا القرن تجارب على الإنسان، ولا شك أنها غير مشروعة.

وأما العلاج بالجينات، فهو جائز إذا كان لتعويض نقص في الجينات، يوضح الأمر قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤، ينبه ذلك إلى أن الخلل في الأمراض الوراثية أحادية الجين، هو خلل غير أصيل، ولكنه مرض كامن أثر على إنتاج أحد الزوجين أو على الجنين، فأحدث النقص في الحيمن أو البويضة أو في بدايات تكوين

الجنين، فخرج بذلك عن وصف «أحسن تقويم»، كما تتغير وظائف الأعضاء عند البالغين بسبب الأمراض. ولذلك فإن هذا النوع من العلاج بالجينات هو محاولة لإعادة المريض إلى أحسن تقويم، كما هو الحال في علاج الأمراض الأخرى، والله تعالى أعلم.

وأما من جاء إلى عبارة ﴿ فَلْيُعَيِّرُوا خَلْقَ اللَّهِ ﴾، ففسر الخلق بال مخلوق، واستنبط من الآية تحريم عمليات التغيير الموضوعي في الجسم وإن كانت المضامين الداخلية للتكوين باقية على أصلها، واستدل بذلك لتحريم عمليات التجميل وشبهها، فإن هذا التفسير يحتاج إلى الجواب على أمرين، (الأمر الأول): حمل المصدر على معنى اسم المفعول، أي تفسير الخلق بالمخلوق، ويحتاج ذلك إلى دليل، وقد بينا ذلك في بداية تفسير العبارة. (الأمر الثاني): أن هذا التفسير يستلزم تقدير ضوابط، ولا يصح ذلك إلا بأدلة. يوضح الأمر أن العبارة ليست خاصة في النساء ولا في البشر عامة، بل هي عامة في «خلق الله»، فإن حملناه على المخلوق فإنه يشمل قض الظفر والشعر، ويشمل فتح الطرق، وقص أجزاء من الجبال لفتح الطرق أو توسيعها أو تعديلها، وغير ذلك من أمثلة كثيرة جداً. وأما تحريم الإخصاء والتشويه والتمثيل، فهذا ثابت بأدلة أخرى غير هذه الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

## الإيهام والتضليل والحرب النفسية

### معنى التضليل وحكمه وآثاره:

ضَلَّ الشَّيْءُ إِذَا خَفِيَ وَغَابَ أَوْ ضَاعَ. قال تعالى ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ السجدة: ١٠، أي صارت أجسادنا تراباً ذاهباً

في الأرض فلا يتبين. ومنه قولهم: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ، أي غاب؛ وقولهم: الجارية لا ترفع رأسها استحياءً، فكأنها ضلَّ لها شيءٌ فهي تطلبه، ويُقال: هو ضلُّ بنُ ضلٍّ: إذا كان لا يُعرفُ. ونقل الأزهري عن أبي عمرو قال: أصل الضلال الغيوبة، يُقال: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ، إذا غاب، وضلَّ الكافرُ: غابَ عن الحُجَّةِ، وضلَّ الناصبي، إذا غابَ عنه حفظه. قال الله تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ طه: ٥٢، أي لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يغيب عن شيءٍ؛ وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة: ٢٨٢، أي تغيب عن حفظها، أو يغيب حفظها عنها. اهـ من (تهذيب اللغة). والضلالة هي الضائعة حقيقة أو مجازاً، من الأمور المادية أو المعنوية، ومنه: «الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن»، أي لا يزال يبحث عنها وكأنها قد ضاعت منه.

وَضَلَّ يَضِلُّ ضلالاً، أي غيَّب عن نفسه الحجة ورؤية الحق أو غاب عنها، فالضلال والضلالة ضد الهدى والرشاد. والتضليل هو أن توقع الآخرين في الضلال والوهم، أو أن تحجب عنهم رؤية الحقيقة. وأضله يُضله: جعله ضالاً. ورجلٌ مُضللٌ أي لا يوفق للخير، صاحبُ غَوَايَاتٍ وَبَطَالَاتٍ. وفلان صاحبُ أَضَالِيلٍ، الواحدةُ أَضْلُولَةٌ. قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ سبأ: ٥٠.

فأما الله تبارك وتعالى، فإنه بحكمته وعلمه يُضل من يشاء، على نحو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الصف: ٥؛ وعلى نحو قوله تعالى ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ نَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ النساء: ٨٨؛ وقوله تعالى ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿ إبراهيم: ٢٧.



غير أن التضليل سياسة ثابتة للشيطان ضد كل إنسان، وبأشد الدرجات. ويختلف أتباع إبليس في عمليات التضليل بحسب درجة شيطنتهم. قال تعالى ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ فمن بلغ ذلك من البشر صار بعيداً جداً عن الحق فيصعب جداً أو يتعذر عليه العودة إلى الهدى؛ أو أحاطت به خطاياه (كما في آية سورة البقرة ٨١) فأصبح أسير الخطايا ولا يستطيع أن يخرج إلى فضاء الصلاح، فهو من الجهة المعنوية بعيد جداً عن الخير. وفي تفسير نظير هذه الآية، قال ابن عاشور: وَوَصَفُ الضَّلَالِ بِالْبُعِيدِ مَعَ أَنَّ البُعْدَ مِنْ صِفَاتِ الْمَسَافَاتِ هُوَ اسْتِعَارَةٌ البُعْدِ لِشِدَّةِ الضَّلَالِ وَكَمَالِهِ فِي نَوْعِهِ، بِحَيْثُ لَا يُدْرِكُ مَقْدَارَهُ، وَهُوَ تَشْبِيهُ شَائِعٌ فِي كَلَامِهِمْ: أَنْ يُشَبَّهُوا بُلُوغَ الكَمَالِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَسَافَاتِ وَالنَّهَائِيَّاتِ كَقَوْلِهِمْ: بَعِيدُ الغُورِ، وَبَعِيدُ القَعْرِ، وَلَا نِهَائَةَ لَهُ، وَلَا غَايَةَ لَهُ، وَرَجُلٌ بَعِيدُ الهِمَّةِ، وَبَعِيدُ المُرْمَى، وَلَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا، وَبَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَوْلُهُمْ: هَذَا إِغْرَاقٌ فِي كَذَا. اهـ من (تفسير ابن عاشور/ النساء ١٦٧).

وقال تعالى ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝١١٧ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مُمِيزِينَ لَهُمْ ۝١١٩ ﴾ النساء: ١١٧ - ١١٩؛ ووصف الشيطان بأنه مرید يعني أنه مجرد من الخير موغل في الشر، وأصل اللفظ من العري والتجرد، يُقال صخرة مرداء أي ملساء وصرح محمد أي ملس وشجرة مرداء أي لا ورق عليها، وتمرد أي أقدم وعتا، وكأنه تجرد من الإلتزامات والضوابط.

وقال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝٢ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۝٤ ﴾ الحج:

٣ - ٤؛ وقال تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ يونس: ٨٨؛ وقال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ إبراهيم: ٣٠.

وأما عند المسلم، فإن الإضلال والتضليل محرم إلا بإستثناء شرعي، وذلك في موضعين، **(الموضع الأول):** حين تكون الحرب مشروعة، سواء كانت حرباً عسكرية او غير عسكرية، فقد ثبت شرعاً حكم الرد بالمثل وأن الحرب خدعة. وقد بينا في (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع) الأسباب التي تجعل الحرب مشروعة وعادلة. **(الموضع الثاني):** في عمليات تغييب المعلومات من أجل المحافظة على السرية في بعض أنشطة الأمن والدفاع وما يتصل بها، وكذلك كل نشاط ينص قانون على سرية، وهذا الموضع هو أيضاً من متطلبات الإعداد الدفاعي للحرب.

وأما آثار الحرب النفسية، فهي تضليل غير المحصنين وإيقاعهم في الإشاعات والأراجيف، وإدخالهم في مسارات خاطئة عظيمة الإثم. وأما الذين عصمهم الله من التضليل، فقد قال تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ الأنعام: ٣٣ - ٣٤.

ونحتاج الآن إلى بعض التفصيل لعمليات التضليل. ولما كانت الكثرة الساحقة من عمليات التضليل عدوانية وغير مشروعة، فإن التفصيل سيشمل العمليات ذاتها بصرف النظر عن مشروعيتها.

## مجالات التضليل:

المجالات التي يستهدفها العدو بالتضليل كثيرة، فإنها تشمل إدارة عناصر القوة كلها، وإدارة الإعداد للمستقبل، وإدارة مكافحة الإنحدار. ويتضمن ذلك أموراً كثيرة، منها: استهداف التفكير وصناعة القرار الإستراتيجي في السياسة والأمن والدفاع والإقتصاد وغيرها. ومنها: استهداف الثقافة والأخلاق والعقيدة. ومنها: استهداف الرؤية وتحليل الأحداث. ومنها: استهداف القُدرات المعنوية، كالتماسك والمعنويات العالية والعزة والمسؤولية الجماعية وغيرها. وقد ذكرنا في بدايات (وجهة اللواء) جملة من خصائص القوة للشعب والمجتمع. ومنها: استهداف الرصد الداخلي ومهارات التشخيص المبكر للشقوق والتصدعات، بالإضافة إلى التشخيص المبكر للفرص الصالحة. وكذلك استهداف الرصد الخارجي ومهارات التشخيص المبكر للفرص الصالحة، والتآمر الإستراتيجي، والإستدراج والإيقاع.

فهذه المجالات وشبهها مُعَرَّضة دائماً للإستهداف والتضليل من قِبَل الخصوم والأعداء. فالواجب هو بناء نظام لردم الثغرات والشقوق ومواطن الضعف، ولرصد عمليات التآمر والتضليل، ولمواجهة ذلك. وتدبر قوله تعالى ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَّهٗ الْأَحْكَمَةَ ۖ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ۗ ﴾ ص: ٢٠، الملك المشدود او المشتد هو الملك المحكم في مجالاته كلها، فلا ثغرات ولا شقوق ولا تصدعات، لا في الأجزاء المادية ولا في الأجزاء المعنوية، فلا مجال لاختراقه؛ وإن حصل اختراق بعوامل التضليل وشبهها فهو مجرد مرور متهالك، فلا يغير العقول ولا السلوك. ولنا ما يتصل بذلك في (المنطلق) وفي (نخبة المسار) وفي (وجهة اللواء).

## تغيب الرؤية والوعي:

مثال ذلك أن يحدث حدثٌ يُراد إماتة التفكير فيه، أو يُثار موضوع غير مرغوب فيه عند المتلاعبين بالعقول؛ حينئذ يلجأ المتلاعبون إلى وسائل لتغيب الرؤية:

منها: إهمال الحدث وعدم تغطيته إعلامياً، خاصة حين توجد مجموعة محددة متسلطة على الإعلام، سواء كان تسلطاً معلناً كما في الحكومات المستبدة، أو كان تسلطاً خفياً كما في دول غربية.

ومنها: المحافظة على سرية العمل والنشاط، وعدم السماح بأي تسريب للمعلومات عنه؛ وعند الحاجة يتم تضليل الآخرين عنه. وهذا كثير في التنافس السياسي وفي المجالات التي تتصل بالأمن القومي.

ومنها: إزالة الحقائق المتاحة من مصادر المعلومات، ويساعد ذلك على التكذيب بالخبر أو إعطائه صورة مغايرة تماماً ولا صلة لها بالحقيقة، غير أن التعتيم الإعلامي أو تجريد الإعلام من حقيقة معينة يحتاج إلى كتم الأفواه وإلى نوع من الهيمنة على الإعلام.

ومنها: عمليات تشتيت الانتباه لأجل منع ملاحقة الخبر، أي إثارة قضايا أو افتعال أحداث تكفي لإشغال الجمهور المتلقي للأخبار وتقليل اهتمامه بقضايا أخرى. وقد يتضمن ذلك افتعال أزمات أو تحريك أحداث مروّعة.

ومنها: شل الانتباه، ويكون ذلك بأكثر من نوع من الأحداث، النوع الأول: إحداث صدمة كبيرة تجعل الإنسان لا يفكر إلا بالتعامل مع هذه الصدمة. مثال ذلك الشروع في حرب أو كارثة بيئية حادة وما شابه ذلك. النوع الثاني: عمليات استهلاك الطاقة، فلا مجال للإنسان أن يفكر إلا بمتطلبات الحياة اليومية؛ مثال ذلك تعطيل الخدمات العامة وإعاقة المسالك التجارية.

**ومنها:** الإغواء والإغراء برؤية بديلة. أما الإغواء من البشر، فهو التضليل بتزيين وزخرفة الباطل ثم الإغراء للعمل به؛ والغاوي هو الذي غرته الزينة فأهدر القيمة المعنوية وأغفل العواقب، وأخذ ببديل فاسد. فالمُغْوِيَاتُ بالتشديد وفتح الواو واحدها مُعْوَاةٌ وهي حُفْرَةٌ تُخْتَفَرُ للذئبِ ويجعلُ فيها جَدْيً إِذَا نَظَرَ الذئبُ إليه سَقَطَ عليه يريدُه فيُصَادُ، ومن هذا قِيلَ لكلِّ مَهْلِكَةٍ مُعْوَاةٌ، والتَّغَاوِي: التَّجْمُعُ والتَّعَاوُنُ عَلَى الشَّرِّ، والغِيّ إظلام الرؤية وهو نقيض الرشد.

وتدبر قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩﴾ **٣٩** إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ **٤٠** قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ **٤١** إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ **٤٢** ﴿ الحجر: ٣٩ - ٤٢، وقوله تعالى ﴿ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فصلت: ٢٥.

فيمكن أن يكون الإغواء باستخدام حقائق تساعد على الإقناع وعلى إخفاء التضليل. وبعبارة أخرى يمكن أن يكون الشر وراء ستار من الخير (شر باطن أو متراخ)، أو يكون الشر بعد تمويهه بالخير.

ويمكن الإغواء أيضاً بتحليل ذكي للمعلومات ولكنه خادع ومضلل. ويمكن أن يكون الإغراء بمنفعة مباشرة كالمال ونحوه، ويمكن أن يكون الإغراء بمنفعة مزعومة غير مباشرة كالإغراء بعمل أو إجراء معين بعد الإيهام بأنه يوصل إلى الخير والمنفعة. ويقترن ذلك بأجواء مناسبة للمخدوع كأجواء الحزن أو الرغبة بالثأر والانتقام أو أجواء الإحتفال أو غير ذلك من وجوه الإثارة والجذب المناسبة للحدث.

وبذلك يتعامل المخدوعون مع الفرضيات والإشاعات ومع عمليات التضخيم أو التوهين وكأنها مُسَلِّمَاتٌ ويمكن تحريكهم وفقاً لها، وبذلك ينسون الأصل، ويتوهمون أن الرؤية البديلة هي الضائعة التي يبحثون عنها.

وارخص أنواع الإغواء هو الإنقياد لأسماء خالية من المضمون، بل فيها مضمون معاكس، كما يدل عليه نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ النجم: ٢٣، أي ان أوثانهم هي مجرد أسماء ليس فيها أي شيء من خصائص الألوهية. وهكذا في التضليل بأهلية شخص او جماعة لعمل غير أن صاحبها فاقد الأهلية، والأمثلة كثيرة جداً.

### تشويه المشهد والرؤية:

وهذا من أخطر أنواع التضليل. ولتشويه الرؤية طرق كثيرة:

**منها:** تقديم رؤية ناقصة (جزئية) من المشهد الكامل، وذلك بعد حذف او حجب المضامين التي يمكن أن تثير ما لا يريده المضللون، او العكس أي حذف المضامين المهدئة وإبقاء المضامين التي تثير الغضب والرغبة بالانتقام، وذلك بحسب التحريك الذي يريده المتلاعبون بالعقول. وبالإضافة إلى التضليل، فإن تكرار الرؤية الجزئية تُروِّض المتلقين وخاصة الشباب على التفكير الجزئي، فلا يعرف الإستيعاب ولا يتطلع إلى رؤية الأفق الواسع. ومن أنواع الرؤية الجزئية المبالغة في تخفيف القضية المعقدة (أي: «تبسيطها»)، وذلك للتركيز على محور معين وفق رؤية المتلاعبين بالعقول، ويقتضي ذلك عزل ما يمكن أن يمنع التلاعب من أجزاء المشهد. ومن الرؤية الجزئية حذف جذور الحدث وأسبابه العميقة كي يبدو الحدث عند المتلقي وكأنه غير مُبرر.

**ومنها:** تنكيس وظيفة الإعلام، فإن وظيفته نقل الأخبار وليس صناعتها. ومن مهارات تشويه المشهد صناعة إضافات على المشهد الحقيقي، وإتقان صياغتها كي تظهر كجزء أصيل من المشهد. وذلك من أجل توجيه المتلقي إلى اتجاه معين، أي تحريك المتلقي

مع هذا الإتجاه او ضده، او لتبرير مطالب معينة او للإيقاع بأعمال عنيفة، او غير ذلك من آثار تغيير الوعي.

**ومنها:** التركيز على محور معين من المشهد، والتوسع في تفاصيله وآثاره من أجل

تسوية إجراءات معينة او تحريك الآخرين باتجاه معين.

**ومنها:** إضفاء الغموض على المشهد الواضح، كي تلبس المعاني ويرتبك المتلقي،

ويتعذر استنباط أمر واضح، وهذا على نحو ما نهى الله عنه في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْسُؤُوا  
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُؤُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٤٢. ولإضفاء الغموض يلجأ  
المضللون إلى تعقيد المشهد بمعطيات مبهمة او متضاربة، او يعتمدون في التعقيد على  
المهارة في التحليل المربك، او يبالغون في جمع معلومات صحيحة ولكنها عديمة القيمة في  
تفسير الحدث وإنما تضاف لإرباك المتلقي. ويشمل هذا النوع وغيره ما ذكره الله عن  
المنافقين، في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى  
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ التوبة: ٤٨؛ فمعنى ﴿ وَكَلَبُوا  
لَكَ الْأُمُورَ ﴾، أي نَوَّعُوا لك الآراء والاحتمالات ودَوَّرُواها إلى هذه الجهة وتلك،  
طمعاً في تضليل القرار النبوي وصرفه عن وجهه، حتى جاء الحق وظهر أمر الله تعالى  
وهم كارهون.

**ومنها:** تحريف المشهد او تغيير صورته، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ

الَّذِينَ هُمْ بِالْكَذِبِ لِحُسْبُوهٖ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ  
مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران:  
٧٨؛ لِي العنق واليد والحبل: هو الفتل، واللي: عطف الشيء عن الإستقامة إلى الإعوجاج.  
والإلتواء: الإنحراف والإنعطاف. والتوى فلان عليّ إذا غيّر أخلاقه عن الاستواء إلى

ضده. ولوى لسانه عن كذا، إذا غيره؛ ولوى فلان فلاناً عن رأيه إذا أماله عنه. وليُّ الألسنة عمّا في القلب هو الكذب. وليُّ الألسنة بالكتاب كما في الآية هو تحريف لفظ الكتاب او معناه. وتوجد أمثلة كثيرة، نذكر منها محاولة ترويح أن الخمر ليس بحرام بمزعمة عدم النص على تحريمه ولكن باجتنابه، وأن هذا بزعمهم يتحقق بدرجة مخففة من الإجتنب!! ويُراد بهذه المزعمة التليس على من عنده استعداد لتعاطي الخمر، وذلك لأن القرآن حرّم الخمر تحريماً مشدداً، فقد قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠، فإن وصف الخمر بأنه رجس يقطع بالتحريم لأن القرآن صريح بأن النبي ﷺ يُحِلُّ لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث؛ كما أن وصف الخمر بأنه من عمل الشيطان يقطع بالتحريم ويؤكد، لأن الله تعالى نهى أي حرم اتباع خطوات الشيطان؛ وهذا كله يفيد الإجتنب التام لكل استخدام للخمر.

**ومنها:** الخط في المشهد او جانب منه عن طريق تلطيخ أصحابه وتشويه سمعتهم وتحريك الإشاعات، من أجل إماتة الإهتمام بالمشهد نفسه. من ذلك قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١. ومن ذلك مطاعن المشركين برسول الله ﷺ، منها قوله تعالى ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ ص: ٤؛ ومنها التلطيخ بالفتنة او الإنحراف، قال تعالى ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ ۗ بِآيَاتِكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ القلم: ٥ - ٧. ومنها مزعمة الارتباط بجهة اجنبية، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ



نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ  
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿النحل: ١٠٣﴾

**ومنها:** التعميم والتضخيم او البناء على النموذج السيئ. مثال ذلك نموذج سياسي سيئ يدعي المرجعية الإسلامية وربما كان نموذجاً مصنوعاً بهدف الإساءة إلى الإسلام؛ ومع ذلك يُتخذ هذا النموذج سبباً لتعميم رفض العمل السياسي الإسلامي.

**ومنها:** التضخيم والتهوين؛ فالتضخيم هو أن تجعل الشيء عظيماً او مخيفاً او شبه ذلك من المعاني. والتهوين هو أن تجعل الشيء هيناً خفيف الوزن. ويُستعمل ذلك بكثرة في التنافس الدفاعي وفي الإعلام الحربي، إذ تقوم كل جهة بتضخيم قوتها وتقليل خسائرها؛ وتقوم بالمقابل بتضخيم خسائر عدوها.

## زخرفة التضليل:

الكذب والخداع في غير الحرب المشروعة هو من كبائر المعاصي عند المسلم الصادق. وأما الشيطان وأتباعه، فإن الكذب والتضليل سياسة ثابتة او متكررة عندهم، ولمجرد تحقيق مكاسب دنيوية وإن كانت المكاسب غير مشروعة. وبعض أنواع زخرفة التضليل تدخل في جملة «تشويه المشهد او الرؤية» الذي ذكرناه قبل قليل.

قال تعالى ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٨.

وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ فاطر: ٨.

وقال تعالى ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فصلت: ٢٥. ومعنى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أي ما هو أمامهم ويفعلونه في حاضرهم؛ ومعنى عبارة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي جذورهم وماضيهم وما يبقى خلفهم من أعمال وآثار.

وقال تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ١١ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ١٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ١٣ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ١٤ البقرة: ١١ - ١٤.

### وتوجد وسائل ومهارات لزخرفة التضليل:

**منها:** استمالة وشراء ذمم خبراء عمليات التجميل، من الصحفيين والإعلاميين والمفكرين. والمطلوب منهم تغييب أو تشويه الحقيقة، وكذلك تجميل التضليل المُتَّبَنَى أو زخرفة المنكر المتبوع، وبطريقة تقنع المتلقي.

**ومنها:** إثارة العاطفة أو الكره والإشمئزاز، بحسب نوع التضليل، أو صناعة دليل زائف، كما يوضحه قوله تعالى ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ١٦ ﴿قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَلَعِنَا فَاكَلَهُ اللَّذئِبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ١٧ ﴿وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ١٨ ﴿يوسف: ١٦ - ١٨.

**ومنها:** عزل أو إغفال الرؤية الكلية من أجل التركيز على تشابه مزعوم بين الحق والباطل، كنقاط تشابه مزعومة بين الإسلام والإشراكية أو الإسلام والرأسمالية مثلاً،

وفي أمور ليست لها قيمة حقيقية إلا ضمن ارتباطها بالمشهد الكلي. والهدف من ذلك تجميع الفروق الكبيرة بين المنهجين وتجميل الأسئلة وشبهها. فهذا ليس من باب المفاهيم المشتركة التي يمكن أن تعمل بصورة مستقلة كالإتقان والنزاهة الوظيفية التي يمكن أن يتصف بها أصحاب المناهج المتنوعة.

**ومنها:** الإيهام بوجود حجة صالحة، ويقع هذا بكثرة، فترى المبطل يزعم مثلاً أن الحق يصحح عمله. وقد حصل ذلك في صدر الإسلام بعد الخلافة الراشدة، فعن يوسف ابن مَاهَكَ قَالَ: «كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ، اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ، فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ: « خُذُوهُ »، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايِهِ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي ﴾ الأحقاف: ١٧، فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ عُذْرِي ». رواه البخاري (فتح الباري، كتاب التفسير ٨/ ٤٦٧-٤٦٨).

وعن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه قال مروان: «سنة ابي بكر وعمر»، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: «سنة هرقل وقيصر»، قال مروان: «هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايِهِ أَفِي لَكُمْ ﴾»، فبلغ ذلك عائشة فقالت: «كذب والله، ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضفض من لعنة الله». رواه الإمام النسائي بإسناد صحيح في (السنن الكبرى)، ورواه الحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم، ورواه الإسماعيلي كما نقل ابن حجر وسكت عنه، فهو حسن عنده على أقل تقدير، وذلك في (فتح الباري ٨/ ٤٦٧-٤٦٩)، وقد اعلمه الذهبي بما ليس بعلة، وقد بينت ذلك في (أهل البيت بين الخلافة والملك). وقول مروان « سنة ابي بكر وعمر » يريد بذلك أن

استخلاف معاوية لابنه يزيد مثل استخلاف أبي بكر لعمر واستخلاف عمر لواحد غير معين من الستة، وفي ذلك رواية من طريق اسماعيل بن أبي خالد حدثه عبد الله المدني وقد ساقها ابن حجر بنصها في (فتح الباري) وسكت عنها. وتوجد أمثلة أخرى في العهد الأموي.

**ومنها:** رفع الصوت وخفض المعاني والمضامين، فإذا أرادوا زخرفة منكر بالغوا في الثناء الفارغ، وبأوصاف القوة المادية ونحوها مما يشترك فيها المؤمن والكافر؛ ويقترن ذلك بدم من يخالف، بأنواع أوصاف الدم. وهذا عند العارف ليس بشيء، فقد قال تعالى ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ لقمان: ١٩. وأما غير العارف من المسلمين فقد يخشى الصوت المتعالي ولا يعرف كيف يُقَوِّم المعاني والمضامين وفقاً للإلتزام بأحكام الشرع. وقد قال تعالى ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا ﴾ الحج: ٧٢، أي تعرف في وجوه الذين كفروا الكراهة والإشمئزاز؛ وأما كلمة: «يكادون»، فستعمل «كاد» لمقاربة حصول الفعل من غير أن يحصل، فلا يُقال: كاد زيد يدخل المدينة، إلا وقد شارفها كما ذكر العلامة فاضل صالح السامرائي في (معاني النحو)؛ وأما السطو، فأصله القهر والبطش كما ذكر ابن الأثير في (النهاية)، فكأنهم قد ظهرت منهم مقدمات السطو كالمطاعن أو التهديد أو غير ذلك، ولكنهم لم يصلوا إلى السطو؛ وتوجد درجات مثل ذلك أو دونها أو أشد منها، يمكن لكل ظالم أن يقع فيها؛ والله تعالى أعلم.

**ومنها:** التعلق الخادع بعناوين لها أهمية عند المواطنين، مثل الوطنية والأمن القومي، والحربة السياسية وزيادة الدخل وغيرها. ومثل ذلك، الخداع بوعود كاذبة ومحاسن وهمية قد خططوا لها أن تموت تدريجياً أو تتلاشى، وإنما المراد تهدئة المتلقين

وترويضهم على قبول الواقع السيء وعلى الفرح بانجازات محدودة جداً كتبليط شارع او ترميم مدرسة.

**ومنها:** ومنها مدح قادة التضليل وافتعال الحسنة لهم وتضخيم ما له وجه جيد من أعمالهم.

**ومنها:** التملص من القبائح والمساوي، وإصاقها بجهات أخرى، او افتعال أسباب لتبرير المساوي وتحسين موقف المسؤولين. وكثير من عمليات تشويه وتغييب الحقيقة تستعمل لزخرفة المنكرات وتجميل الضلال.

## **إعداد المجتمع للتضليل:**

توجد عوامل عديدة تفتح الطريق للتضليل، ومعرفتها يجب أن تقترن بمناهج مكافحة هذه العوامل:

**فمنها:** الخفة المعنوية للمجتمع. قال تعالى ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ الزخرف: ٥٤. الخفيف هو القليل الوزن وهو ضد الثقيل، والسين والتاء في ﴿ فَاسْتَحَفَّ ﴾ تصلح هنا لمعنى الوجدان او الجعل والإتحاذ، أي وجدهم او جعلهم خفافاً، كقولك: استضعفته أي وجدته ضعيفاً او جعلته ضعيفاً، واستعبده أي جعله عبداً، واستشهد رجلين أي اتخذهما شاهدين له او طلب منها الشهادة. فالمقصود هنا عملية إزالة ثقلهم وتحويلهم إلى الخفة، أي عملية «إعادة تشكيل الثقافة او صناعة استجابة جديدة». فإذا كان او صار وزنهم المعنوي خفيفاً، فإن الرياح تحركهم كيف تشاء، رياح الوعيد والتخويف والإغراء ونحوها؛ وكانوا غير مستعدين لأدنى مواجهة، ففعل فرعون ذلك بهم فأطاعوه.

وبعكس هؤلاء أصحاب المعنويات العالية وطلّاب المعالي، كما وصفهم الله في نحو قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣١) رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ النور: ٣٦-٣٧.

والخفة المعنوية قد تشبه التضخم المالي حين تكون الحقيبة مملوءة بالمال، ولكنه غير كاف لشراء الضروريات. وكذلك المصاب بالخفة المعنوية، قد تكون ذاكرته مملوءة بالمعلومات ولكنه فاقد الهوية ويتعذر عليه رؤية الحق.

ولذلك، فإن وسائل تخفيف الوزن المعنوي متنوعة، مثل إضعاف مناهج التعليم والتربية، والإغراق باللهو والملذات والتفاهات، والإغراء بالشهوات، والإلهاء عن العمل للمعالي. وهذه الأمور متحققة أيضاً حين يقل الوزن المعنوي لرجال البلد او المؤسسة، فإذا وجدهم الخصم خفاً استطاع تحريكهم لما يضرهم عن طريق عمليات الخداع والتضليل، ويستطيع أيضاً أن يزيد من خفتهم بعمليات الترويض وإعادة التشكيل؛ ويمكن أيضاً لخفتهم أن يطلب منهم الخفة أي الإسراع في تنفيذ خطته. وقد دُمرت شعوب ومؤسسات ووقعت حروب قاسية عن طريق تحريك الآخرين. وصار للدول القوية اليوم خبرة ومهارة عالية في عمليات التحريك بالأفكار والإستدراج، وفي اختيار القابلين للتحريك. وصارت الشعوب الضعيفة في حال المتلقي السلبي الذي يتحرك من حيث لا يشعر حسب خطط الأقباء ثم يطلب منهم المساعدة لحل المشكلة!! وتدبر تعليل التحول إلى الخفة والطاعة للطاغية بعبارة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾، فالفاسق يسهل عليه قبول ذلك. وتوجد في (نخبة المسار) زيادة في تفصيل هذا الأمر.

**ومنها:** «السير مع التيار»، أي الإنصهار في جزئيات عقيدة مخالفة، او الإندماج في

ثقافة معادية. قال تعالى ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) قَالُوا لَوْ لَرْنَا نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ

نُطِعُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْحَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ المدثر: ٤٢ - ٤٥. فتدبر العبارة الأخيرة، ومعناها أنهم كانوا يسايرون التيار بسبب ضعف دواعي الحق في نفوسهم وفقدان روح المواجهة الفكرية؛ وواضح أن كل صفة من الصفات المذكورة تكفي لدخول جهنم والعياذ بالله تعالى. وقال ابن عطية: و «الخوض» الذهاب فيما لا تسبر حقائقه. اه، وقال في موضع آخر: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ التوبة: ٦٩، أي خلطتم كالذي خلطوا، وهو مستعار من الخوض في المائعات، ولا يستعمل إلا في الباطل، لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب ونظام، وأمور الباطل إنما هي خوض، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «رب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة». اه من (تفسير ابن عطية).

**ومنها:** الإغراق باللهو والتفاهات. قال تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ

أَعْمَلُونَ مِمَّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ

﴿ ٦٤ ﴾ المؤمنون: ٦٣ - ٦٤؛ يُقال: ماء غَمْرٌ أي كثير مُغْرَق، وقد غَمَرَهُ الماء يَغْمُرُهُ أي

علاه؛ هذه الآية تصف حال المشركين ومعنى: أنهم في غمرة من هذا أي في غمرة مما نزل عليك وهو الحق، فهم غارقون في اللهو والملذات الدنيوية او غارقون في الباطل والصد عن دين الله تعالى، فهم في غفلة غامرة تحول بينهم وبين الحق والإيمان، ولهم أعمال غير أعمال الإيمان هم لها عاملون؛ هذا معنى تفسير الطبري والزجاج ومكي بن أبي طالب

والزخشري وابن عاشور وآخرين؛ وكأن عبارة ﴿ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ تتضمن معنى: في

غمرة عن هذا. ويؤكد ذلك قوله تعالى قبل ذلك: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حَرِيبٌ

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ المؤمنون: ٥٣ - ٥٤؛ وقوله

تعالى ﴿ قِيلَ الْخَرِصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ الذاريات: ١٠ - ١١. فلا

شك أن هذه الغمرة ليست بمعنى الهيام في الله تعالى ولا شدة التفكير بالآخرة، كما زعم بعضهم.

ووسائل الغمر والإغراق المعنوي كثيرة وشائعة جداً اليوم، كقضاء الساعات الطويلة يومياً في استخدامات اللعب واللهو وإضاعة الوقت، الموجودة في «الإنترنت» ويسهل إدخالها في الحاسبة أو الهاتف النقال. هذا بالإضافة إلى التلفاز وجلسات إضاعة الوقت والإسراف في إغراءات السوق.

ولذلك يكثر في هؤلاء من يتصف بمضمون قوله تعالى ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ..... ﴿ الأنبياء: ٢ - ٣، فتدبر ذم أن يكون حال الناس ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾، فإن وقت اللهو هو للصبيان، ولكنه قصير جداً للمؤمنين المكلفين؛ وأما أن يصير اللهو وظيفة مستقرة، فهذا نقيض المطالب الشرعية في المغالبة وفي أخذ الأمور بقوة. فإذا كان مقدار ونوع اللهو يُضعف الأداء الشرعي والمغالبة، فهو إسراف في اللهو، وقد قال تعالى ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام: ١٤١.

ولا شك أن الإستسلام لعمليات الإغراق باللهو والتفاهات يؤدي إلى فراغ الفكر من القيم الأصيلة والعقائد الراسخة مما يُسهّل عمليات غرس الثقافة البديلة، وبذلك تمتلئ النفس بالمشهد كما يريد المضمّلون.

**ومنها:** جعل ثقافة التسلية والترفيه موازية، بل غالبية لثقافة الجد والمكارم والمعالي. وتُبدل الجهود الكبيرة لإتقان اللهو والمبالغة الشديدة في تنميتها وتنويعه وإغراء الجمهور به وإشاعته. وتُبنى مؤسسات ضخمة، وظيفتها صناعة اللهو والتسلية والتوسع في ترويجها والإغراء بها، كي ينفق المجتمع الأموال والأوقات الكثيرة لمجرد اللهو؛ وقد نبه إلى ذلك



الكاتب: «هربرت أشيللر» في كتابه (المتلاعبون بالعقول). بل إن إتقان صناعة اللهو قد يفوق إتقان صناعة القرار الإستراتيجي، والأموال التي تُخصص لصناعته قد تكون كبيرة جداً. كل ذلك كي يحيط اللهو بعقول الجمهور.

وتدبر ذم الثبات على اللهو واللعب كما في نحو قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ الطور: ١١ - ١٢؛ فتدبر الوعيد للذين هم في خوض يلعبون؛ وتدبر استعمال حرف «في» وهو أداة الظرفية والوعاء، وكأنهم مستقرون في وعاء الخوض (التخبط) واللعب. وذكرنا قبل قليل معنى قوله تعالى ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ ﴾.

**ومنها:** سوء إدارة التربية والتعليم، مما يؤدي إلى انتاج كثير من الشباب الفارغ الذي يمكن خداعه بأنواع من الرؤى الفاسدة. وينبغي لمواجهة ذلك اعتماد بضعة أمور، (الأمر الأول): الموارد المادية والبشرية للتعليم ينبغي أن تكون متفوقة. (الأمر الثاني): يكون المعلمون والمدرسون في المدارس الحكومية متفرغين للعمل الحكومي، ولهم زيادة مغرية في رواتبهم. (الأمر الثالث): تُصاغ المناهج الدراسية صياغة متقنة، وتتضمن تعليماً دينياً للمسلمين، وثقافة وطنية، وقيماً أساسية (الأخلاق وغيرها)؛ ومن هذه القيم العدا للظلم والفساد. (الأمر الرابع): بالإضافة إلى تسابق الطلاب في الإمتحانات، تُنظم لهم مسابقات في القيم المعنوية وبمكافآت. (الأمر الخامس): تُسن قوانين وأنظمة تمنع وتردع اختراق التعليم بأفكار المصالح الخاصة وبالثقافة المضادة لديننا وقيمنا.

**ومنها:** عمليات الغرس الثقافي، وعمليات التصدير الهجومي للثقافات الضارة والمعادية. وقد ذكرناها تحت عنوان «المهارات الإعلامية والرسائل الهادفة» في (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع).

**ومنها:** وسائل أمنية للأنظمة المستبدة، وذلك كتجنيد عدد هائل من العناصر الأمنية في المجتمع، ويقومون بترويج مجتمعي للفكر التضليلي؛ وإذا أخرجوا عوائلهم في تظاهرات يومية فهي مظاهرات مليونية تلبس صورة الإرادة الشعبية، وهي في الحقيقة إرادة وظيفية غير حرة لأنها منقادة في الباطن لأوامر عدد قليل من السياسيين والأمنيين. ومع ذلك، فإنها تترك أهل الحق وتترك المسؤول النزيه.

**ومنها:** الإستبداد الباطن (الخفي)؛ وهو استبداد حقيقي ولكنه يستند إلى عوامل مركبة ومزخرفة تجعله يظهر بمظهر الحرية والعدالة؛ وهذا هو حال الدول الكبرى، بما في ذلك الدول الغربية الكبرى ومن يجذو حذوها. فمما تستند إليه هذه الأنظمة لإخفاء وتلميع الإستبداد:

● الصلة القوية بطبقة المترفين ومنحهم نفوذاً غير رسمي وقدرة على التأثير على المستويات القيادية العليا. وتجدر أن كثيراً من كبار السياسيين الغربيين قد شغلوا مناصب إدارية كبيرة في الشركات الكبرى. ولتقوية الشراكة بين السياسيين والمترفين (الرأسماليين) يتم تمجيد الرأسمالية وإيهام الجمهور أنه الخيار الوحيد البديل عن الاشتراكية الشيوعية. وبذلك تصبح الرأسمالية خياراً وطنياً وقومياً وحيداً، وتصبح طبقة المترفين مطلقة الأيدي في رسم الإقتصاد الوطني وفي التأثير لجعل القرار السياسي خادماً لها. والترف ليس مرادفاً للغنى، فيمكن للغني أن يكون غير مترف. الترف هو التوسع في التمتع المادي، إذا كانت لذة او شهوة هذا التمتع هي التي تسوق الإنسان وتتحكم به في مجمل تصرفاته، فهو لا يصمد أمام الشهوة او اللذة، وهو بعيد عن ضبط تصرفاته بالحق والشرع والمصالح العامة. وواضح أن الترف نوع من الإسراف المعنوي، ويستلزم عادة الإسراف المادي. فينبغي التذكير هنا أن قرار المترفين هو قرار بعيد عن الحق، ووجهته الحقيقية هي

زيادة ثروة ونفوذ النخبة الرأسمالية. وقد قال تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ .... ﴾ الواقعة: ٤١ - ٤٦؛ وقال تعالى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ الإسراء: ١٦، أي أمرناهم بالحق ففسقوا بالعصيان والضلال؛ وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ سبأ: ٣٤، فتدبر صيغة الحصر في الآية.

● توسيع شبكة المترفين: فمن يطور نفسه نحو الثروة والنفوذ بالطريق هو العمل مع طبقة المترفين وخدمة أهدافها. ويقع الاختيار على من هو أذكى وأكثر فاعلية في هذا المجال. وبذلك تتسع الشبكة ويزداد نفوذها. وفي تقرير لإحدى المنظمات الفاعلة أنه ارتفع عدد أصحاب المليارات في سنة واحدة (بين ٢٠١٦-٢٠١٧م)، بصورة غير مسبوقه، بمعدل ملياردير واحد كل يومين.

● لا يلزم أن توجد قوانين مباشرة تسمح بنفوذ غير رسمي لنخبة المترفين الرأسماليين، ولكن توجد عوامل تؤدي إلى هيمنة غير رسمية لطبقة المترفين. ومن أهم هذه العوامل: تمجيد الرأسمالية المتطرفة وحماتها قانونياً، وضعف او غياب قوانين مكافحة الفساد غير المباشر (الفساد الباطن) في المال السياسي وغيره؛ ونتيجة ذلك هي أن تصير السلطة السياسية جزءاً من النخبة الرأسمالية. يُضاف إلى ذلك ضعف او غياب مكافحة الإحتكار غير المباشر او غير التقليدي، مما يؤدي إلى زيادة هيمنة النخبة الرأسمالية على السوق.

● نتيجة ما تقدم هو هيمنة طبقة المترفين على الإعلام والإقتصاد والسياسة، ولهذه الأدوات تأثير بالغ على السلطة وعلى المجتمع. وبذلك تتكون حكومة ظل غير معلنة او دولة عميقة داخل الدولة، لها تأثير شديد وطويل الأمد على السلطة الرسمية. وتتضمن هذه الهيمنة تنسيقاً واسعاً بين المؤسسات المختلفة، وتشكل داخلها «لوبيات» وظيفية ضاغطة، لعل من أهمها في أميركا هو «المجمع الصناعي العسكري» واللوبي اليهودي. وستجد أمثلة وتفصيل في البحث في الانترنت عن عبارات مثل: «ثراء النخبة الأمريكية» وشبهها، وما تتضمنه التقارير من أن ١-٢ في المائة في العالم يصدون نحو ٨٠ في المائة من الثروة العالمية في السنة التي حصل فيها الإحصاء. والفجوة الإقتصادية داخل أميركا هائلة أيضاً ولكنها أصغر من الفجوة العالمية.

● ولطبقة المترفين علاقات دولية. فمن المؤسسات الدولية: البنك الدولي/ صندوق النقد الدولي/ منظمة التجارة العالمية/ مجموعة الدول الصناعية السبع/ ومجموعة العشرين.

● إغراق عقل الجمهور وملئ الفراغات فيه باللهو والتسلية وبالمعلومات غير المفيدة وبالشهوات، كي يصبحوا غافلين عما ينفعهم وعن رؤية الحقائق، ويكونوا كما وصفهم الله بقوله تعالى ﴿... وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴿المؤمنون: ٦٢ - ٦٣﴾، وقوله تعالى ﴿قُلِ الْخِرَاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ الذاريات: ١٠ - ١٢. والغاية النهائية من عمليات الإغراق الفكري هي استهلاك الطاقات الفكرية للجمهور وجعله عاجزاً عن

التفكير السليم في القضايا المركبة المعقدة، وتحويله إلى جمهور سلبى ضئيل التفاعل مع السياسات العليا والأمور الكبيرة، بل يقبل المضار المزخرفة وكأنها محاسن.

● خداع الجمهور بمزاعم مزخرفة ذكر جملة منها الكاتب هربرت أ. شيللر في كتابه (المتلاعبون بالعقول)، وذكرها باحثون آخرون؛ منها: **(المزعمة الأولى):** مزعمة حيادية الإعلام وأنه يمثل الحقيقة المجردة او يمثل جمهور الأمة، ويقوم به من يريد من الشعب، فإن الحكومة الأميركية لا تمتلك وزارة إعلام. علماً أن الإعلام تسيطر عليه مجموعات قليلة ويمكن أن تكون قريبة من مآرب النخبة المترفة وما يتصل بها من مجاميع الضغط. معنى ذلك أنه من السهل عليهم أن يجعلوا القيم الوطنية والثقافية وتحليل الأحداث ليست ثوابت ينشأ عليها الجمهور، ولا يتم تحليلها بالعدل والموضوعية، ولكنها مُنتَج صناعي، يصنعه إعلام النخبة وفقاً لمآربهم، ويُدخلونه في عقل الجمهور بمهارات إعلامية مؤثرة، هي أشبه بالمكر الإعلامي والتضليل الخفي. ومنها: **(المزعمة الثانية):** أن الديمقراطية تجعل الشعب هو صاحب الخيار في الأمور الكبيرة، بصورة مباشرة عن طريق حرية التعبير بوسائل فردية او جماعية، او بصورة غير مباشرة عن طريق المجالس المنتخبة من الشعب، النيابية وغيرها. وهذه مجرد مزعمة لأن الأحزاب الكبيرة تابعة او متصلة بقوة بالنخبة المترفة، ولهم من الهيمنة على السياسة والإعلام ما يمكنهم من غرس أفكار وثقافات معينة في عقل الجمهور، والقيام أيضاً بترويض الجمهور بمهارات الدعاية والإثارة وغيرها، وذلك لجعل الجمهور يقبل او يتبنى الأفكار التي صنعتها النخبة. ولذلك تكلم كثيرون عن «صناعة الرأي العام»، وتكلم آخرون عن «صناعة الإجماع». وبذلك تصير الأفكار والثقافات المتصلة بالسياسات العليا، تصير مُنتَجاً صناعياً يتبناه الجمهور من غير أن يعلم أعماقه. وقد بين ذلك بوضوح الأستاذ الأميركي المشهور: ناعوم

تشومسكي، ففي كتابه «السيطرة على العقول» ذكر أن الديمقراطية نوعان، وقد ذهب تشومسكي إلى أن النوع الحاكم (أي النوع الذي يُنفذ في الواقع) هو النوع الثاني، ومضمونه هو السيطرة المتشددة على الإعلام ومنع العامة من إدارة شؤونهم، فإن العامة كالقطيع الضال، فمن الضروري أن تتولى إدارتهم طبقة متخصصة. ولكن يُسمح للقطيع بين حين وآخر بتأييد أحد أفراد النخبة على غيره واختياره قائداً، وبعد هذا الاختيار (الانتخابات) ترجع العامة إلى وظيفة المشاهدة وليس المشاركة، وعليهم أن يُشغلوا أنفسهم بالتسلية والجنس والكرة ونحوها. وضمن هذه المعاني والتنظيرات تكون الأحداث في ظل أنظمة ديموقراطية تُعدُّ سليمة!! (وانظر في «السيطرة على العقول» ما تفرق في العناوين الأربعة الأولى، وكذلك ما بعدها).

## نصوص أخرى في الفكر العدائي والتضليل الإعلامي:

منها: قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ البقرة: ١١ - ١٤.

ومنها: قوله تعالى ﴿ .... وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُمَا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ البقرة: ٤١ - ٤٢.

ومنها: قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة: ٥٩ .

ومنها: قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٧٤؛ الآية تنبه إلى التضييل الإعلامي وتكليف العلم الشرعي لخدمة مقاصد الطغاة.

ومنها: قوله تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالْسِينِهُمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ٤٦ .

ومنها: قوله تعالى ﴿ فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَدَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ١٣ .

ومنها: قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ النساء: ١٥٠ - ١٥١ .

**ومنها:** قوله تعالى ﴿... سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ سَمْعَوتَ لِقَوْمِ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ <sup>ط</sup> يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ المائدة: ٤١.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿... فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ الأعراف: ٤٤ - ٤٥.

الصد عن سبيل الله تعالى يمكن أن يكون مباشراً او غير مباشر (أي المضامين الباطنة والمستقبلية)؛ ويمكن أن يكون مقصوداً او غير مقصود.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَآهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمِيعًا ﴿١٢٤﴾﴾ الأعراف: ١٢٣ - ١٢٤.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١.

**ومنها:** قوله تعالى ﴿ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف: ١٦٣. تنبه الآية إلى ممارستهم تضليل النفس والأتباع بإيهاهم جواز تعمد الشروع في الحرام من غير إتمامه، وإيهاهم جواز الفكر المراوغ مع الله تبارك وتعالى.



## عناوين أخرى ذكرناها في دراسات سابقة

**العنوان الأول:** تحريك أفكار التأثير عموماً، ومنها أفكار التضييل؛ وهذا موضوع في غاية الأهمية، وقد ذكرناه بقدر من التفصيل في (نخبة المسار/ المبحث السابع: إدارة الفكرة والكلمة؛ ومنه: «العمليات الفكرية المعادية»).

**العنوان الثاني:** هو تفسير مفصل لقوله تعالى ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۗ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا ۗ﴾ (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَبْدِيلًا ۗ﴾ (٦٢) الأحزاب: ٦٠ - ٦٢. وهو أيضاً موضوع في غاية الأهمية، وقد ذكرناه في (ثمار التنقيح على فقه الإيمان) تحت عنوان: «الخيار الجنائي في التعامل مع المنافقين»؛ وذكرناه ببعض المغايرة في المبحث السادس أي: السلم الداخلي ومكافحة التفرق، من (وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع)، تحت عنوان: «مكافحة مُخَرَّبِي المجتمع».

تم بفضل الله تعالى كتاب «رجاء الفلاح في التنمية الفكرية»، وذلك في أواخر شهر صفر ١٤٤٥ هـ الموافق لشهر أيلول ٢٠٢٣ م، راجياً من الله تعالى أن يبارك في هذه الدراسة وأن يرزقني رضوانه وأن يسير لي إتمام ونشر كل ما بدأت به، وأن يزيدني من فضله إنه الكريم الأكرم، والحمد لله رب العالمين.

## من أهم المصادر

### تفسير القرآن العظيم وعلومه:

- ١ - جامع البيان، وهو تفسير الإمام الطبري .
- ٢ - معاني القرآن، الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.
- ٣ - معاني القرآن وإعرابه، للإمام الزجاج.
- ٤ - معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس.
- ٥ - إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس.
- ٦ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي.
- ٧ - تفسير الراغب الأصفهاني.
- ٨ - أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص.
- ٩ - أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي.
- ١٠ - تفسير الكشاف، الإمام الزمخشري.
- ١١ - التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي.
- ١٢ - التيسير في التفسير، نجم الدين أبو حفص النسفي.
- ١٣ - البحر المحيط، لأبي حيان.
- ١٤ - التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري.
- ١٥ - الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمداني.
- ١٦ - لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد أبو الحسن الخازن.
- ١٧ - تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير.
- ١٨ - فتح القدير، الإمام الشوكاني.

- ١٩ - روح المعاني، للألوسي.
- ٢٠ - التحرير والتنوير، لابن عاشور.
- ٢١ - تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي.
- ٢٢ - اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل.
- ٢٣ - الدر المصون، لشهاب الدين السمين الحلبي.
- ٢٤ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الإمام البقاعي. دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
- ٢٥ - لطائف الإشارات، القشيري.
- ٢٦ - محاسن التأويل للقاسمي.
- ٢٧ - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب.
- ٢٨ - مدارك التنزيل، للنسفي.
- ٢٩ - المحرر الوجيز، لابن عطية.
- ٣٠ - في ظلال القرآن، لسيد قطب.
- ٣١ - إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد.
- ٣٢ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة.
- ٣٣ - حدائق الروح والريحان، محمد الأمين المهري.
- ٣٤ - الإلتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي.
- ٣٥ - البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي.

### السيرة والحديث وشرحه:

- ١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر.

- ٢- صحيح مسلم، تحقيق وشرح محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٣- سنن النسائي.
- ٤- السنن الكبرى للنسائي.
- ٥- سنن أبي داود.
- ٦- سنن الترمذي.
- ٧- سنن ابن ماجه.
- ٨- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان .
- ٩- المستدرک على الصحيحين، للحاكم مع تعليقات الإمام الذهبي .
- ١٠- المصنف، لابن أبي شيبة.
- ١١- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني.
- ١٢- نيل الأوطار، للإمام الشوكاني.
- ١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ الألباني.
- ١٤- دلائل النبوة للإمام البيهقي.
- ١٥- زاد المعاد، لابن قيم الجوزية.
- ١٦- السيرة النبوية، لابن كثير.
- ١٧- السيرة النبوية للذهبي.

### علوم الحديث ورجال الأسانيد:

- ١- تدريب الراوي، للإمام السيوطي.
- ٢- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للإمام الصنعاني.

- ٣- الاجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لأبي الحسنات اللكنوي، وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة.
- ٤- نزهة النظر، للحافظ ابن حجر.
- ٥- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر.
- ٦- لسان الميزان، للحافظ ابن حجر.
- ٧- تهذيب الكمال. للحافظ المزي.

### اصول الفقه:

- ١- المسوّد، لابن تيمية وأبيه وجده.
- ٢- الإحكام في اصول الأحكام لابن حزم.
- ٣- شرح تنقيح الفصول، للقرافي.
- ٤- الفروق، للقرافي.
- ٥- العقد المنظوم في الخصوص والعموم، للقرافي.
- ٦- البحر المحيط في اصول الفقه، للزرکشي.
- ٧- كشف الأسرار، لعلاء الدين البخاري.
- ٨- شرح المنار، لابن ملك.
- ٩- إحكام الفصول، لأبي الوليد الباجي.
- ١٠- شرح الكوكب المنير، لابن النجار.
- ١١- تمكين الباحث من الحكم بالنص في الحوادث، وميض العمري.
- ١٢- المنهج الفريد في الإجتهد والتقليد، وميض العمري.

## المفردات والمعاجم:

- ١ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.
- ٢ - عمدة الحفاظ، شهاب الدين السمين الحلبي.
- ٣ - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده.
- ٤ - تهذيب اللغة، للأزهري.
- ٥ - المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد.
- ٦ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.
- ٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.
- ٨ - أساس البلاغة، للزمخشري.
- ٩ - لسان العرب، لابن منظور.
- ١٠ - الكليات، لأبي البقاء الكفوي.
- ١١ - المعجم العربي الأساسي، أحمد العايد / داود عبده / أحمد مختار عمر / صالح جواد طعمه / الجيلاني بن الحاج يحيى / نديم مرعشلي / بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ١٢ - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل.
- ١٣ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج بن الجوزي.
- ١٤ - الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدماغاني.
- ١٥ - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لأبي هلال العسكري.

## النحو وما يتصل به:

- ١ - معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي.

- ٢- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي.
- ٣- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضية.
- ٤- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي.
- ٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي.
- ٦- الإستغناء في أحكام الإستثناء، الإمام القرافي.
- ٧- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية.
- ٨- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري.
- ٩- الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير.
- ١٠- المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فؤال بابتي.
- ١١- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي.
- ١٢- نحو اللغة العربية، د. محمد أسعد النادري.
- ١٣- شرح المفصل، لابن يعيش.
- ١٤- شرح الجمل، لابن عصفور.
- ١٥- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، لأبي النصر أحمد بن محمد السمرقندي الحدادي.

### الفقه:

- ١- الذخيرة، للإمام القرافي.
- ٢- المحلى، لابن حزم.
- ٣- الحاوي الكبير، للهاوردي.
- ٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد.

- ٥ - شرح فتح القدير، لابن الهمام.  
٦ - المغني، لابن قدامة، مع الشرح الكبير.

### الضرورات والموازنات والذرائع والتدرج:

- ١ - أصل اعتبار المآل بين النظرية والتطبيق، د. عمر جدية.  
٢ - حالة الضرورة في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان.  
٣ - نظرية الضرورة الشرعية، جميل محمد بن مبارك.  
٤ - نظرية الضرورة الشرعية، د. وهبة الزحيلي.  
٥ - الإكراه وأثره في التصرفات الشرعية. د. محمد سعود المعيني. مكتبة بسام، الموصل، العراق. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.  
٦ - الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء مقاصد الشريعة، د. ابراهيم عبد الرحمن عبد العزيز العاني، (ديوان الوقف السني، بغداد).  
٧ - ضوابط الاجتهاد التنزيلي في ضوء الكليات المقاصدية، د. وورقية عبد الرزاق.  
٨ - فتح الذرائع، د. محمد رياض فخري الطبقي.  
٩ - سد الذرائع عند الإمام ابن قيم الجوزية، سعود بن ملوح العنزي.  
١٠ - المنطلق في فقه العمل. وميض بن رمزي بن صديق العمري.

### مهارات التفكير وما يتصل بها:

وأكثرها كتب مترجمة.

- ١ - أسلحة الخداع الشامل، شيلدون رامبتون و جون ستوبر. الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤ م.



- ٢- الطبقة الحاكمة في أمريكا، ستيف فرايزر - غاري غرستل. الدار العربية للعلوم  
٢٠٠٦م.
- ٣- نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، لاري إلويتز. الجمعية المصرية لنشر  
المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة ١٩٩٦م.
- ٤- انهيار العولمة وإعادة اختراع العالم. جون رالستون سول. الدار المصرية اللبنانية،  
القاهرة ٢٠٠٩م.
- ٥- عندما تحكم الشركات العالم. ديفيد سي. كورتن. وزارة الثقافة العراقية، دار المأمون  
للترجمة والنشر، بغداد ٢٠٠٦م.
- ٦- نظرية الإحتواء، إيان شابيرو. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١٢م.
- ٧- التفكير السديد للقيادة العسكرية المؤثرة، العميد جي نازاريت، ترجمة: اللواء الركن  
المتقاعد محمد خالد. دائرة العمليات، مديرية التطوير القتالي (وزارة الدفاع  
العراقية/ سلسلة الثقافة العسكرية ٢٩)، ١٩٨١م.
- ٨- تولى القيادة: فن القيادة العسكرية وعلمها، تحرير: صامويل هيز مع وليم توماس.  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م.
- ٩- مراكز الفكر، ستيفن بوشيه. دار الفارابي ٢٠٠٩م.
- ١٠- القوة الرابعة، غاري هارت. مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.
- ١١- متلازمات الفساد، مايكل جونستون. العبيكان للنشر ٢٠٠٨م.
- ١٢- أسرار التفاوض، ديفيد براون. مكتبة جرير، ٢٠١١م.
- ١٣- الوصول إلى موافقة، روجر فيشر - وليام يوري - بروس باتون. الأهلية للنشر  
والتوزيع، ٢٠١٠م.
- ١٤- المتلاعبون بالعقول، هيربرت أشيللر. عالم المعرفة.

- ١٥ - السيطرة على الإعلام، نعوم تشومسكي.
- ١٦ - حروب العقل. ماري د. جونز و لاري فلاكسمان. شركة العبيكان، الرياض ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- ١٧ - الرأي العام والحرب النفسية، د. مختار التهامي. دار المعارف بمصر، ١٩٧٤ م.
- ١٨ - فن غسيل الأدمغة، عبد الحميد حمود. دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ١٩ - التفكير الاستراتيجي، د. كمال الهلباوي. دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٤م.
- ٢٠ - النظم الانتخابية، د. ظاهر غندور، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٢١ - موسوعة الأمثال والحكم العالمية، إعداد: منير عبود، صياغة الترجمة: أحمد حاطوم. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١١م.
- ٢٢ - مبادئ النجاح، جاك كانفيلد مع جانيت شويتزر. مكتبة جرير، الرياض، ٢٠١١م.
- ٢٣ - أعظم ١٠٠ فكرة للإبداع الرائد، جون آدير، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠١٣م.
- ٢٤ - الإبداع العام والخاص، ألكسندر روشكا، عالم المعرفة، الكويت (١٩٨٩ م).
- ٢٥ - نقطة التحول، مالكولم غلادويل. الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٦م.
- ٢٦ - إدارة الأولويات، ستيفن ر. كوفي مع أ. روجر ميريل مع ربيكا ميريل. مكتبة جرير، الرياض، ١٩٩٨م.
- ٢٧ - القراءة السريعة المهنية، جيرهارد هورنر. العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧م.
- ٢٨ - كتاب القراءة السريعة، توني بوزان. مكتبة جرير، ٢٠١٨م.

- ٢٩- الإدارة علم وفن، جوان ماغرينا. دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- ٣٠- قواعد الإدارة، ريتشارد تمبلر. مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٨ م.
- ٣١- نظرات في مسألة الزعامة، جون س. ماكسويل. دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩ م.
- ٣٢- القيادة في الأزمات، داني كوكس مع جون هوفر. بيت الأفكار الدولية، أمريكا، ١٩٩٨ م.
- ٣٣- فن الإنتقاء، شينا أينغار، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠ م.
- ٣٤- القيادة: ممارسات ومهارة وخلاصة بحوث، أندرو ج. دوبرين. وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١ م.
- ٣٥- الإستشراف، إدوارد كورنيس. الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٧ م.

### من المصادر الالكترونية:

- ١- المكتبة الشاملة، كتب الموقع الرسمي.
- ٢- مصادر كثيرة عن مهارات التفكير، ومهارات التليل، وعلوم القيادة والإدارة وغيرها.
- ٣- موسوعة الشعر العربي.

# المحتوى

| الصفحة | الموضوع                                                    |
|--------|------------------------------------------------------------|
| ٥      | المقدمة .....                                              |
| ٧      | <u>المبحث الأول: معاني ألفاظ مهمة</u> .....                |
| ٧      | التفكير .....                                              |
| ٩      | التقدير .....                                              |
| ١٠     | النظر .....                                                |
| ١١     | العقل والقلب .....                                         |
| ١٦     | الوعي .....                                                |
| ١٨     | الرؤية .....                                               |
| ٢١     | الملاحظة .....                                             |
| ٢١     | الحكمة .....                                               |
| ٢٥     | <u>المبحث الثاني: بناء الرؤية القوية والوعي الصالح</u> ... |
| ٢٥     | قوة الملاحظة وتحليل المعلومات: .....                       |
| ٢٥     | تظاهر النصوص التي توجه إلى الرؤية والملاحظة. ....          |
| ٢٧     | تأثير ختمة التدبير. ....                                   |
| ٢٩     | ملاحظة العلامات والتعامل معها. ....                        |
| ٢٩     | مهارة التوسُّم. ....                                       |
| ٣٠     | أهمية قوة الملاحظة. ....                                   |
| ٣١     | من فوائد آية التوسم وما يتصل بها من أحكام الملاحظة. ....   |

|    |                                                                                            |
|----|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٦ | الإحساس .....                                                                              |
| ٣٧ | خطوات التوسُّم ضمن الإعداد لمشروع .....                                                    |
| ٤١ | ملاحظة البدايات والعلامات المبكرة .....                                                    |
| ٤٣ | <b>الأفق الواسع :</b> .....                                                                |
| ٤٤ | ذم الرؤية الجزئية .....                                                                    |
| ٤٥ | أمثلة من الرؤية الجزئية .....                                                              |
| ٤٨ | مضامين الأفق الواسع .....                                                                  |
| ٤٩ | أمثلة من التفكير بأفق واسع .....                                                           |
| ٥٥ | من أسباب الرؤية الجزئية او الأفق الضيق .....                                               |
| ٥٦ | <b>الرؤية العميقة والمنقحة :</b> .....                                                     |
| ٥٦ | تفسير آية هود ٢٧ : ( .. اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّبِ الرَّأْيِ ) .. |
| ٥٦ | مقدمة تفسيرية .....                                                                        |
| ٥٨ | ذم الرؤية السطحية .....                                                                    |
| ٦٣ | أهمية الرؤية المنقحة .....                                                                 |
| ٦٣ | طرق وشروط تنقيح الرؤية .....                                                               |
| ٦٩ | <b>الرؤية التحليلية ورؤية النظائر :</b> .....                                              |
| ٧٠ | رؤية الفوارق والدرجات .....                                                                |
| ٧١ | أمثلة من رؤية الفوارق والدرجات .....                                                       |
| ٧٦ | رؤية النظائر واللوازم .....                                                                |
| ٧٧ | التحليل والخبرة غير المباشرة: .....                                                        |
|    | تفسير قوله تعالى: ( أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ             |
| ٧٧ | ..... )، وتفاصيل مهمة عن دراسة التأريخ .....                                               |

|     |                                                                                               |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٨٧  | ..... اكتساب معارف الآخرين:                                                                   |
|     | الإستماع واتباع التي هي أحسن، وتفسير آيتي الزمر: ( .. فَبَشِّرْ عِبَادِ                       |
| ٨٧  | ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..) .....                    |
|     | التعرف إلى النشاط الإنساني، وتفسير قوله تعالى: ( ... شُعُوبًا وَقَبَائِلَ                     |
| ٩١  | لِتَعَارَفُوا) .....                                                                          |
| ٩١  | ..... مقدمة تفسيرية.                                                                          |
| ٩٢  | ..... غاية التعارف ومضار ضعف التحرك للتعارف.                                                  |
| ٩٤  | ..... كثرة القراءة.                                                                           |
| ٩٤  | ..... ضرورة القراءة.                                                                          |
| ٩٥  | ..... من أنواع القراءة.                                                                       |
| ٩٧  | ..... تركيز التفكير:                                                                          |
| ٩٨  | ..... تفسير آية المرابطة: ( اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا).                               |
| ١٠٢ | ..... آية الوجهة الشخصية: ( وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). |
| ١٠٣ | ..... حكم تجزئة الإجتهد الشرعي .....                                                          |
| ١٠٤ | ..... متطلبات التركيز.                                                                        |
| ١٠٧ | ..... التفكير بالاحتمالات:                                                                    |
| ١٠٨ | ..... الاحتمالات في الرؤية السلوكية والفقهية.                                                 |
| ١١١ | ..... التشخيص الاحتمالي.                                                                      |
| ١١١ | ..... متطلبات قانون الاحتمالات.                                                               |
| ١١٢ | ..... إعادة صياغة التشخيص الاحتمالي في الطب.                                                  |
| ١١٣ | ..... الاحتمالات في الحقائق الغائبة .....                                                     |
| ١١٦ | ..... عزل العاطفة في رؤية الحقيقة وفي التفكير الإستراتيجي:                                    |

- تفسير قوله تعالى: ( كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا  
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ٓأَلَّا تَعْدِلُوا)..... ١١٦
- معنى عبارة: (قَوْمِينَ لِلَّهِ)..... ١١٦
- معنى عبارة ( شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ )..... ١١٧
- معنى عبارة ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ ... )..... ١١٨
- صلح الحديبية..... ١١٨
- آية سورة البقرة..... ١٢٠
- المبحث الثالث: تركيب المهارات الفكرية.**..... ١٢٣
- نظام التفكير:**..... ١٢٣
- النهي عن العثو في الأرض (الفوضى)..... ١٢٣
- النهي عن العبث..... ١٢٥
- اجتناب الحرية غير المنضبطة، وحماية الحرية المنضبطة..... ١٢٥
- مهارات إنتاج وإنضاج الأفكار..... ١٣٢
- التفكير التصميمي او التشكيلي:**..... ١٤٥
- حديث الصراط المستقيم..... ١٤٥
- آية الدخول إلى البيوت:..... ١٤٦
- معنى البيوت والأبواب..... ١٤٦
- رسم الهدف المستقبلي..... ١٤٧
- الاهتمام بنقطة البداية او بعمليات الشروع والإنطلاق..... ١٤٩
- تقديم الفتح على الكسر..... ١٥٠
- رصد أبواب الشر..... ١٥٠

- ١٥١ ..... فوائد تشكيل صورة مرئية.
- ١٥١ ..... التفكير بالمآلات والغايات:
- تفسير قوله تعالى: ( وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ )، وبيان أن طريق
- ١٥١ ..... التهلكة يمكن أن يكون ممتداً.
- ١٥٥ ..... معنى قوله تعالى: ( ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ).
- ١٥٦ ..... المنافع وما يقترن بها وما يؤول إليه استخدامها.
- ١٥٨ ..... أمثلة مهمة من التفكير بالمآلات:
- ١٥٨ ..... حديث: « لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ».
- ١٦٠ ..... اللطف في التنفيذ الشرعي.
- ١٦١ ..... متى يُترك الجدل الديني؟
- ١٦٢ ..... نصوص أخرى تنبه إلى التفكير بالعواقب.
- ١٦٣ ..... الرؤية المستقبلية والتقاط ما يُخرجه الله من الغيب:
- ١٦٣ ..... معنى الغيب.
- ١٦٥ ..... تقسيم الغيب إلى أنواع:
- ١٦٥ ..... النوع الأول: ما يدوم غيابه عنا.
- ١٦٦ ..... النوع الثاني: غياب مشاهدة ما نعلم وجوده كالجنة والنار.....
- ١٦٧ ..... النوع الثالث: الغيب المقيد.
- ١٦٧ ..... النوع الرابع: ما يخرجه الله من الخبء أي من الغيب.
- ١٧٢ ..... مقدار الغيب وكيفية التقاط ما يُخرجه الله منه.
- ١٧٦ ..... صلة المستقبل بما قبله.
- ١٨١ ..... من طرق الإمتداد إلى المستقبل:
- ١٨١ ..... نظام السبب والنتيجة.



|     |                                                             |
|-----|-------------------------------------------------------------|
| ١٨٢ | النمو والإنتاج.....                                         |
| ١٨٣ | تأثير البيئة.....                                           |
| ١٨٦ | المحافظة على الجذور وتحسينها.....                           |
| ١٨٦ | التغيرات المؤثرة.....                                       |
| ١٨٩ | الإستشراف المستقبلي:.....                                   |
| ١٩٠ | من أدلة الإستشراف.....                                      |
| ١٩٢ | دور الإستشراف في تشكيل المستقبل.....                        |
| ١٩٤ | الإستشراف المبني على العلامات.....                          |
| ١٩٦ | طرق إطالة الإمتداد المستقبلي:.....                          |
| ١٩٦ | سياسة التغيير والتحسين المستمر.....                         |
| ١٩٦ | حماية البناء الداخلي من الهدم.....                          |
|     | إعداد نقاط تحول تمتد إلى المستقبل ورصد عوامل الإنحدار في    |
| ١٩٩ | مهداها.....                                                 |
| ٢٠٥ | الحسنات المتعدية عبر الأجيال.....                           |
| ٢٠٧ | الآثار المتراكمة او المتزايدة.....                          |
| ٢٠٨ | مكافحة الركود، او إدامة المغالبة والتحسين المستمر.....      |
| ٢١٢ | جودة توقع صورة تفصيلية احتمالية للمستقبل الممتد من الماضي.. |
| ٢١٢ | مساحات العلم:.....                                          |
| ٢١٣ | زاوية العلم المفتوحة.....                                   |
| ٢١٦ | مفاتيح الغيب.....                                           |
| ٢١٩ | آية سورة الجن.....                                          |
| ٢٢١ | الإيمان بالغيب.....                                         |

|     |                                                                      |
|-----|----------------------------------------------------------------------|
| ٢٢١ | الإحتجاج وميزان الأفكار: .....                                       |
| ٢٢١ | الحجة. ....                                                          |
| ٢٢٢ | الحجة البالغة لله تعالى. ....                                        |
| ٢٢٦ | النهي عن اتباع ما لا علم لنا به. ....                                |
| ٢٢٦ | تفسير قوله تعالى: ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) ..... |
| ٢٢٩ | تعريف الظن. ....                                                     |
| ٢٣٠ | نصوص النهي عن اتباع الظن. ....                                       |
| ٢٣٢ | المراء الظاهر، وعلم القلّة. ....                                     |
| ٢٣٦ | الإعتداد بالحقيقة او المضمون الداخلي. ....                           |
| ٢٣٨ | تجلية الحقائق وإتقان الإحتجاج، وتحريم تلييس الحق بالباطل. ...        |
| ٢٤٣ | الإمتناع من قول غير الحق على الله تعالى. ....                        |
| ٢٤٦ | رؤية الفراغات ومواضع الضعف ومعالجتها. ....                           |
| ٢٥١ | عدم جمع التناقضات. ....                                              |
| ٢٥٣ | مجرد عدم العلم بالأمر ليس نفيّاً له. ....                            |
| ٢٥٥ | استخراج المضامين المتنوعة من النص. ....                              |
| ٢٥٦ | الحذر من كره الرأي الآخر لمجرد أنه مخالف لك. ....                    |
| ٢٥٨ | الوزن والميزان. ....                                                 |
| ٢٦٣ | الأعمال المبنية على المخاوف ونحوها. ....                             |
| ٢٦٣ | من عوامل التفكير السليم: .....                                       |
| ٢٦٣ | النفس الطيبة الثابتة. ....                                           |
| ٢٦٥ | جودة التفاعل مع الخير. ....                                          |
| ٢٦٨ | التفكير القوي بالمعالي. ....                                         |

|     |                                                                           |
|-----|---------------------------------------------------------------------------|
| ٢٦٩ | ..... أن تفكر وتخطط للأفضل.                                               |
| ٢٧١ | ..... إتقان التفكير وتنمية الوزن المعنوي.                                 |
| ٢٧٣ | ..... تنقية المضامين المتبناة والتخلي عن القضايا الخاسرة.                 |
| ٢٧٤ | ..... العداء للظلم والفساد.                                               |
| ٢٧٨ | ..... وحدة الإتجاه.                                                       |
| ٢٨٠ | ..... رؤية المراحل ومقتضياتها.                                            |
| ٢٨٠ | ..... ضبط النفس.                                                          |
| ٢٨٢ | ..... ضبط الراحة.                                                         |
| ٢٨٤ | ..... التفكير بالجماعة والأمة.                                            |
|     | ..... صيانة النفس من استهواء الشيطان، وتفسير قوله تعالى: ( .. كَأَلْبَسِي |
| ٢٩٥ | ..... أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا ...):          |
| ٢٩٥ | ..... معنى «المهوى».                                                      |
| ٢٩٦ | ..... معنى «استهوته».                                                     |
| ٢٩٧ | ..... معنى «حيران».                                                       |
| ٢٩٨ | ..... صيانة النفس من الحيرة في العقيدة واستهواء الشياطين.                 |
| ٣٠٢ | ..... أسباب صيانة النفس والتحسين واجتناب الإنحدار.                        |
| ٣١٤ | ..... التشبع بمهارات التفكير.                                             |
| ٣١٥ | ..... رؤية الواقع وتأثيره:                                                |
| ٣١٥ | ..... تأثير الواقع في أصول الفقه.                                         |
| ٣١٧ | ..... ضرورات الواقع التي تؤثر على الحكم التكليفي.                         |
| ٣١٧ | ..... عمليات الإنقاذ الطارئة.                                             |
| ٣١٨ | ..... اجتناب التهلكة بمعناها العام.                                       |

|     |       |                                                   |
|-----|-------|---------------------------------------------------|
| ٣١٨ | ..... | تزامم الأحكام.                                    |
| ٣٢٤ | ..... | الحكم المعلق على غاية.                            |
| ٣٢٤ | ..... | مقتضيات التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية.          |
| ٣٢٦ | ..... | من موانع صحة التفكير:                             |
| ٣٢٦ | ..... | ضعف التأهيل.                                      |
| ٣٢٧ | ..... | البعد عن الإيمان.                                 |
| ٣٣٠ | ..... | الرؤية الخادعة.                                   |
| ٣٣٢ | ..... | أمراض النفس.                                      |
| ٣٣٤ | ..... | الإحاطة بالخطيئة.                                 |
| ٣٣٦ | ..... | قسوة القلب.                                       |
| ٣٣٧ | ..... | شراء الشهوات بالحق.                               |
| ٣٤٢ | ..... | إفراغ القلب من الحق.                              |
| ٣٤٣ | ..... | الطعن بالأدلة الصحيحة.                            |
| ٣٤٨ | ..... | الإسراف والغلو في الحذر.                          |
| ٣٥٣ | ..... | الإسراف والترف والإنغماس في التمتع الدنيوي.       |
| ٣٥٦ | ..... | المثل السيء.                                      |
| ٣٥٦ | ..... | التفلت من الضوابط العقلية الجلية.                 |
| ٣٦٠ | ..... | الغلو في الحرية الفردية.                          |
| ٣٦٠ | ..... | الخضوع لوحى الشيطان.                              |
| ٣٦٤ | ..... | الإعاققة بسبب العقائد السابقة.                    |
| ٣٦٤ | ..... | الفساد الباطن والمراوغة في التعامل مع الله تعالى. |
| ٣٦٩ | ..... | فساد الجدال.                                      |

|     |                                                                           |
|-----|---------------------------------------------------------------------------|
| ٣٧١ | التحجر على التقليد حين يجب التقويم وإعادة النظر. ....                     |
| ٣٧٣ | <b>المبحث الرابع: الإقتحام والمسارة الإستراتيجية. ....</b>                |
| ٣٧٣ | الإقتحام وطلب المعالي: .....                                              |
| ٣٧٣ | تفسير آيات سورة البلد. ....                                               |
| ٣٧٤ | مختصر المعنى العام للآيات. ....                                           |
| ٣٧٦ | معاني عبارة: ( فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ). .....                      |
|     | أهمية الحزم في اغتنام فرص الخير، ومواجهة المصاعب واقتحام                  |
| ٣٨٣ | العقبات. ....                                                             |
| ٣٨٧ | المصاعب بعد الإقتحام، وثمرن المكارم والمعالي. ....                        |
| ٣٨٨ | مجالات الإقتحام. ....                                                     |
| ٣٨٩ | في ذكر الإيوان بعد فك الرقبة والإطعام. ....                               |
| ٣٩٢ | نصوص أخرى تتصل باقتحام العقبات. ....                                      |
|     | دفع شبهة من قد يتوهم أن حكم التيسير يخالف حكم الإقتحام                    |
| ٣٩٩ | والنفار والجهاد. ....                                                     |
| ٤٠١ | <b>السبق واغتنام الفرص: .....</b>                                         |
| ٤٠٢ | فضل السابقين، وتفسير قوله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ...) ..... |
| ٤٠٢ | معنى لفظ «السابقون». ....                                                 |
| ٤٠٣ | معنى الإعراب. ....                                                        |
| ٤٠٣ | منزلة السابقين. ....                                                      |
| ٤٠٤ | مجالات السبق. ....                                                        |
| ٤٠٦ | السابقون الأولون ومن تبعهم بإحسان. ....                                   |

|     |                                                                     |
|-----|---------------------------------------------------------------------|
| ٤٠٦ | ..... معنى «السابقون الأولون».                                      |
| ٤١١ | ..... اتِّباع السابقين الأوائل.                                     |
| ٤١٥ | ..... الأمر بالمبادرة وشرح حديث: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ...».     |
| ٤١٥ | ..... في معنى المبادرة في اللغة والنحو.                             |
| ٤١٦ | ..... من مضامين وعوامل المبادرة.                                    |
| ٤١٧ | ..... أهمية ومنافع المبادرة.                                        |
| ٤١٨ | ..... متطلبات منهج المبادرة.                                        |
|     | ..... اكتساب صفة المبادرة والسبق بالخيرات. تفسير قوله تعالى: (إِنَّ |
| ٤٢٢ | ..... الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ.....).  |
| ٤٢٢ | ..... الخشية والإشفاق.                                              |
| ٤٢٥ | ..... الإيمان.                                                      |
| ٤٢٧ | ..... السلامة من الشرك.                                             |
| ٤٣٤ | ..... العطاء، وإدامة وتحسين العطاء.                                 |
| ٤٣٦ | ..... تحصيل السبق والمسارة في الخيرات.                              |
| ٤٤٤ | ..... قواعد في اغتنام وفي صناعة الفرص:                              |
| ٤٤٤ | ..... أنواع الفرص.                                                  |
| ٤٤٩ | ..... التأهيل للسبق ولاغتنام الفرص.                                 |
| ٤٥١ | ..... عوامل مهمة في التعامل مع الفرص.                               |
| ٤٥١ | ..... رصد الفرص.                                                    |
| ٤٥٢ | ..... الإنتظار الإستراتيجي.                                         |
| ٤٥٣ | ..... عدم إعطاء فرصة للخصم.                                         |
| ٤٥٥ | ..... اجتناب فرص الخداع (الإيقاع).                                  |

|            |                                                         |
|------------|---------------------------------------------------------|
| ٤٥٨        | ..... صناعة الفرص .                                     |
| ٤٦٠        | ..... الإنطلاق من القيود .                              |
| <b>٤٦٥</b> | <b>..... <u>المبحث الخامس</u>: فكر التنمية بالخير .</b> |
| ٤٦٥        | ..... التزكية والإحياء او التنمية بالخير: .             |
| ٤٦٥        | ..... محاور التنمية: .                                  |
| ٤٦٥        | ..... التزكية والإحياء .                                |
| ٤٧٩        | ..... الإعمار .                                         |
| ٤٨١        | ..... تحصيل المنافع .                                   |
| ٤٨٧        | ..... المنافسة والمغالبة .                              |
| <b>٤٨٧</b> | <b>..... مجالات وقواعد التنمية بالخير: .</b>            |
| ٤٨٧        | ..... مجالات التنمية الشاملة .                          |
| ٤٨٨        | ..... تنمية القوة .                                     |
| ٤٩١        | ..... من أصول التنمية .                                 |
| ٤٩٤        | ..... من عوامل تأسيس وإدامة التنمية .                   |
| ٥٠٠        | ..... عوائق التنمية .                                   |
| <b>٥٠٥</b> | <b>..... <u>المبحث السادس</u>: التفكير العدائي: .</b>   |
| ٥٠٥        | ..... معنى العداة .                                     |
| ٥١٠        | ..... مراتب العداوة: .                                  |
| ٥١١        | ..... العداوة المستعرة .                                |
| ٥١١        | ..... العداوة الظاهرة .                                 |
| ٥١٢        | ..... العداوة الكامنة .                                 |

- ٥١٥ ..... العداوة المتحوّلة.
- ٥١٥ ..... العداوة الضمنية.
- ٥١٦ ..... أسباب العداوة وأسباب التفريط في الخيار السلمي:
- ٥١٦ ..... النفس الطاغية المتكبرة.
- ٥١٧ ..... أمراض القلب الأخرى والقناعات الخاطئة.
- ٥٢٠ ..... ضعف الأداء الفكري.
- ٥٢١ ..... الضعف في ضبط النفس.
- ٥٢٣ ..... غياب الردع والفضل في إدارة الضعف.
- ٥٢٥ ..... الإسراف في الانتقام.
- ٥٢٦ ..... سوء تقدير الموقف.
- ٥٢٩ ..... أعمدة الفكر العدائي:
- الأعمدة الأربعة للفكر العدائي. وتفسير قوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ  
 ٥٢٩ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ .....).
- ٥٣٠ ..... المكر.
- ٥٣١ ..... إثبات المُستهدف.
- ٥٣٣ ..... عبارة «أَوْ يَقْتُلُوكَ».
- ٥٣٤ ..... عبارة «أَوْ يُخْرِجُوكَ».
- ٥٣٦ ..... الإستعداد والتنكيل وما يقابلها من مهارات بناء السلم:
- ٥٣٦ ..... الإستعداد للتنكيل.
- ٥٦٤ ..... الإستعداد الشديد والتنكيل.
- مهارات بناء السلم: (عدم إعطاء مسوِّغ للعدو المتغلب/ الدفع  
 بالتي هي أحسن/ بناء خبرة واسعة في المهارات السلمية/ بناء



- ٥٣٧ ..... القوة التي تمنع العدوان).
- ٥٤٠ ..... سبل الشيطان في الإغواء:
- ٥٤٠ ..... مقدمة.
- ٥٤١ ..... آيات الإسراء: (لَأَحْتَبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا .....):
- ٥٤١ ..... معنى لفظ حنك ومشتقاته.
- ٥٤٣ ..... معنى الإحتناك في الآية.
- ٥٤٤ ..... معنى عبارة (وَاسْتَفْرَزُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ).
- ..... معنى عبارة (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي
- ٥٤٦ .....).
- ٥٤٧ ..... معنى عبارة: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، .....
- ٥٤٧ ..... المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ...).
- ٥٤٨ ..... قوله تعالى: (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ...).
- ٥٤٨ ..... تفسير قوله تعالى: (... وَلَا ضَلَّوْهُمْ وَلَا مَنِيتَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ ...).
- ٥٤٩ ..... عبارة (شَيْطَانًا مَرِيدًا).
- ٥٥٠ ..... معنى عبارة (وَلَا ضَلَّوْهُمْ وَلَا مَنِيتَهُمْ).
- ٥٥٤ ..... معنى عبارة (وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيُبْتِئَنَّ آذَانَ الْوَيْحِيِّ).
- ٥٥٥ ..... معنى عبارة (وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ).
- ٥٥٨ ..... الإيهام والتضليل والحرب النفسية:
- ٥٥٨ ..... معنى التضليل وحكمه وآثاره.
- ٥٦٢ ..... مجالات التضليل.
- ٥٦٣ ..... تغييب الرؤية والوعي.

|     |                                                     |
|-----|-----------------------------------------------------|
| ٥٦٥ | ..... تشويه المشهد والرؤية.                         |
| ٥٦٨ | ..... زخرفة التضليل.                                |
| ٥٧٢ | ..... إعداد المجتمع للتضليل.                        |
| ٥٨١ | ..... نصوص أخرى في الفكر العدائي والتضليل الإعلامي. |
| ٥٨٤ | ..... عناوين أخرى ذكرناها في دراسات سابقة.          |
| ٥٨٥ | ..... من أهم المصادر.                               |
| ٥٩٥ | ..... محتوى الكتاب.                                 |

مؤلفات د. وميض بن رمزي بن صديق العمري:

- ١- ثمار التنقيح على فقه الإيمان (وهو النسخة المنقحة من: فقه الإيمان).
- ٢- المنطلق في فقه العمل (أخلاق وأحكام البناء والتفوق).
- ٣- نخبة المسار في فقه القيادة والإدارة.
- ٤- وجهة اللواء في فقه الأمن والدفاع.
- ٥- أهل البيت بين الخلافة والملك (نسخة منقحة ومزودة).
- ٦- تمكين الباحث من الحكم بالنص في الحوادث.
- ٧- المنهج الفريد في الإجتهد والتقليد.
- ٨- الخليفة الراشد الأول.
- ٩- الإمامة والتقريب بين السنة والإمامية.
- ١٠- نهضة الحسين في الفقه والتاريخ (وهو مستل من كتاب: أهل البيت).
- ١١- رجاء الفلاح في التنمية الفكرية، (مُعَدُّ للنشر).
- ١٢- الطب في القرآن الكريم (بالإشتراك مع د. محمد جميل الحبال).



الدكتور وميض العمري



# رجاء الفلاح في التنمية الفكرية

ISBN: 978-9922-690-53-7



9 789922 690537

مكتب التفسير

للطبع والنشر

أربيل - الشارع الثلاثيني قرب المنارة المظفرية

 /TafseerOffice

+964 750 818 08 65

www.al-tafseer.com

tafseeroffice@yahoo.com